بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب

قال العبد الفقير الضعيف محمد بن ابي بكر الرازي رحمه الله وغفر له هذا مختصر كتاب
قوت القلوب الذي الفه الشيخ الامام العالم الزاهد العارف بقية السلف قدوة المشايخ
ابو طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي المكي قدس سره ونور ضريحه اختصرته لمن
ينتفع به من المسلمين نفعنا الله واياكم به ووفقنا لما يحب ويرضى من القول والعمل
بمنه وفضله انه جواد كريم وحسبنا الله ونعم الوكيل كتاب قوت القلوب من تصنيف الشيخ ابي
طالب المكي رحمة الله عليه اختصره محمد بن ابي بكر الرازي وهو مشتمل على ثمانية واربعين
فصلا في جلدين وتمام الجلد الاول في الفصل الثاني والثلاثين في بيان التوكل واول
الجلد الثاني في ذلك الفصل في بيان الرضا والعبد الفقير طالعت تمام الجلدين و
واستخرجت هذه الفوايد منه توفي الشيخ ابو طالب رحمه الله في سنه ست و
وثمانين وثلثمائة في خلافة القادر بالله وذكر في الفصل الرابع قال قبيصة بن مخارق
للنبي عليه السلام علمني كلمات ينفعني الله بها واوجز فقد كبرت سني وعجزت عن اشياء
كنت اعملها فقال عليه السلام اما لدنياك فاذا صليت الغداة فقل ثلث مرات سبحان الله
وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده ولا حول ولا قوة فانك اذا قلتهن امنت من عمى وجذام
وبرص وفالج واما لاخرتك فقل اللهم صل على محمد وعلى ال محمد واهدني من عندك وافض
علي من فضلك وانشر علي من رحمتك وانزل علي من بركاتك والبسني عافيتك في الدنيا
والاخرة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انه اذا وافى بهن يوم القيمة لم يدع بهن فتح له
اربعة ابواب من الجنة يدخل من ايها شاء فصل خامس قال النبي عليه السلام من اراد
الله خيرا علمه هذه الكلمات ثم لم ينسه اياهن ابدا اللهم اني ضعيف فقوني واني ذليل
فاعزني فاني فقير فاغنني روي عن ابي الدرداء رضي الله عنه من قال في كل يوم سبع
مرات فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم
كفاه الله تعالى عز وجل ما اهمه من امر دنياه واخرته صادقا كان بها او كاذبا عن ابن عباس
رضي الله عنه قال يلتقي الخضر والياس في كل موسم فيتفرقان عن هذه الكلمات بسم الله ما شاء الله
لا يسوق الخير الا الله ولا يصرف السوء الا الله ما شاء الله ما بكم من نعمة فمن الله لا حول ولا
قوة الا بالله فمن قالها اذا اصبح ثلث مرات امن من الحرق والغرق والسرق يقال ان
هذا من استغفار الخضر عليه السلام اللهم اني استغفرك من كل ذنب تبت اليك منه ثم
عدت فيه اللهم اني استغفرك من كل عقد عقدته لك ثم لم اف لك به اللهم اني استغفرك

اي اراده خيرا

من

الاخ يناير



من كل نعمة انعمت بها علي فقويت بها على معصيتك اللهم اني استغفرك من كل عمل
عملته لوجهك فخالطه ما ليس لك قال النبي عليه السلام من قال اذا اصبح واذا
امسى ثلث مرات رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا كان حقا على الله
ان يرضيه يوم القيمة فصل سابع جاء في فضايل الجلوس في المصلى بعد صلوة
الصبح الى طلوع الشمس في صلوة ركعتين بعد ذلك ما يحل وصفه وعن رسول
الله عليه السلام ان الله تعالى قال يا ابن آدم اذكرني بعد صلوة الفجر ساعة وبعد صلوة
العصر ساعة اكفك ما بينهما قال بعض العلماء ثلث ما يمقت الله تعالى عليها الضحك من
غير عجب والاكل من غير جوع ونوم النهار من غير سهر بالليل وكان الصالحون لا ينامون
الا عن غلبة ويكرهون التعمل للنوم وهو التمهيد للعادة ومنهم من كان يمهد لنفسه
في النوم ليتقوى بذلك على صلوة اوسط الليل وآخره لفضيلة ذلك ومن غلبة
النوم حتى يشغله عن الصلوة والذكر والسنة ان ينام حتى يعقل ما يقول وينشط
في خدمته وكان ابن عباس رضي الله عنه يكره النوم قاعدا وفي الخبر لا تكابدوا الليل وقيل له
عليه السلام ان فلانا يصلي الليل لا ينام ويصوم الدهر لا يفطر فقال عليه السلام خير هذا
الدين ايسره انا اصلي وانام واصوم وافطر هذه سنتي فمن رغب عنها فليس مني وقال
عليه السلام لا تشادوا هذا الدين فانه متين فمن يشاده يغلبه ولا تبغض الى نفسك
عبادة الله قوله تعالى والليل اذا سجى قيل اذا سكن وسكونه هدوه وسنة كل عين فيه
وغفلتها الا عين الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم وقيل اذا سجى اذا امتد وطال
وقيل اذا اظلم وسئل رسول الله عليه السلام اي الليل اسمع فقال جوف نصف الليل الغابر
وروي ان داود عليه السلام قال الهي اني احب ان اتعبد لك فاي وقت افضل فاوحى
الله تعالى اليه يا داود لا تقم اول الليل ولا آخره فانه من قام اوله نام آخره ومن قام آخره
لم يقم اوله ولكن قم وسط الليل حتى تخلو بي واخلو بك وارفع الي حوايجك قال
في الفصل التاسع ومن قعد في المسجد من غير ان يصلي ركعتي التحية فليقل اربع مرات
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فانها عدل ركعتين في الفضل وكذا
من دخله بغير وضوء او مر فيه عابر سبيل ومن دخل مسجدا فلا يقعد حتى يصلي
ركعتين واكره دخول المسجد والقعود فيه على غير وضوء قال في الفصل العاشر فان صلى
مع الشك في دخول الوقت فالصلوة باطلة وان صلى على ظن دخول الوقت او على ظن
ان الجهة القبلة ثم تبين له الخطاء فان كان في الوقت او بعده قليلا اعادها احتياطا
وان كان الوقت قد خرج فان لم يعد جاز واحب الي ان يعيدها وقال بعض العلماء
ان للشمس سبعة ازولة ثلاثة منها لا يعلمها البشر الزوال الاول الذي تزول عن
قطب الفلك الاعلى لا يشهده ولا يعلمه الا الله تعالى والزوال الثاني عن وسط الفلك لا
يعلمها الا خزان الشمس الموكلون بها الذين يسوقونها على العجلة المركبة في الفلك



يرمونها بجبال الثلج لينكسر حرها ويخمد شعاعها والزوال الثالث يعلمه ملوك الارض
والزوال الرابع يكون على ثلث دقايق وهو ربع شعيرة والشعيرة جزء من اثني عشر جزءا
من ساعة وهذا الزوال يعرفه الفلاسفة من المنجمين اهل العلم بمساحة الفلك وتركيب
وتركيب الافلاك فيه وتقدير سير الشمس في الشتاء والصيف في فلكها سنه يقومون ذلك
بالنظر في اسطرلاب الطالع والزوال الخامس يكون على دقايق وهي نصف شعيرة ويعرفه اهل
الحساب والتقاويم باسطرلاب الطالع والزوال السادس يكون على شعيرة ويعرفه علماء
المؤذنين المراعون للاوقات والزوال السابع يكون على ثلث شعاير وهي ربع ساعة ويعرفه
الناس كلهم وعنده صلوة الكافة وهو اوسط الوقت واوسعه برحمة الله تعالى
ورحمته وهذا كله لبعد منصب السماء واستواء تقويم سعتها وروي ان النبي عليه السلام
سال جبرئيل عليه السلام هل زالت الشمس فقال لا نعم فقال كيف هذا فقال بين قولي لا نعم
قطعت في الفلك خمسين الف فرسخ فكان النبي عليه السلام ساله عن زوالها على علم الله
عز وجل به وقال بعض الفلاسفة وبعض علماء السلف ان السماء تدور كما تدور الرحا
الافلاك يدورانها على القطب ولكن لا يرى ذلك لبعدها وعلوها وتقويم استدارتها
وذكر بعض العارفين اعجب من هذا والطف من قدرة الله تعالى وخفي صنعه وقال الليل
الليل والنهار اربعة وعشرون ساعة والساعة اثنتا عشرة دقيقة كل دقيقة اثنتا
عشرة شعيرة كل شعيرة اربعة وعشرون نفسا فتظهر الانفاس من خزائن الجسم
فتنشئ الشعاير وتنشاء الشعاير فتظهر الدقايق وتظهر الدقايق فتنتج الساعات وتحرك
الساعات فتدير الافلاك وتدور الافلاك فتنشر الليل والنهار في الجو والاقطار
وبنشر الليل والنهار فيدير السماء في الافاق وينعقد الحسبان بالتفصيل فاذا خبت
الاحسان انقطعت الانفاس فانقلبت الافلاك فعندها تنتشر النجوم وتنفطر السموات
وتخرب الدار وتظهر النار فتبارك الله احسن الخالقين واليه الاشارة بقوله تعالى
اذا الشمس كورت الايات وقوله تعالى اذا السماء انفطرت الايات وقوله تعالى يوم تمور السماء
مورا اي تدور دورا فسبحان الحكيم اللطيف ادار تلك الافلاك الكثاف بهذه الانفاس
اللطاف كما حجب الفلك الكثيف بستر الفضاء اللطيف فالفلك العظيم لا يحجب السماء والفضاء
الرقيق يحجب الفلك لانه تعالى اراد ان يرينا السماء ويحجب عنا الفلك فلم نر الا ما ارانا فالعبد
سبب ذلك ومحركه وهو لا يشعر فداره انفاسه وانفاسه ساعاته وساعاته عمره وعمره اجله
واجله اخرته وهو في غفلة بدنيا ولعب بما يهواه صنع الله الذي اتقن كل شيء ان
ربي لطيف لما يشاء سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم وفي الارض ايات للموقنين
وفي انفسكم افلا تبصرون فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون وسيذكر من يخشى
ويتجنبها الاشقى وصلوة المغرب افضل اوقاتها اذا تدلى حجب الشمس الاعلى وغابت
عن الابصار وروي ان عمر رضي الله عنه اخرها ليلة حتى طلع نجم فاعتق رقبة وابن عمر

فتظهر من خزائن الجسم نفس اذا طلعت ٢٤ تصير شعيرة واذا بلغت ١٢ ٢٨٨ تصير دقيقة واذا بلغت ١٢ ٣٤٥٦ تصير ساعة واذا بلغت ٢٤ [illegible] تصير ليلا ونهارا

احر

اخرها حتى تطلع بجمان فاعتق رقبتين والمحافظة على اول الوقت من كل صلوة من افضل
الاعمال الا العشاء الاخرة لاثر ورد فيها قال النبي عليه السلام فضل الصلوة في اول الوقت
على الصلوة في آخر الوقت كفضل الاخرة على الدنيا وفي الخبر ان العبد يصلي الصلوة ولا
فاتته ولما فاته من اول وقتها خير له من الدنيا وما فيها والحديث المشهور انه سئل
عليه السلام اي الاعمال افضل فقال عليه السلام الصلوة لميقاتها وجاء في الاثر الوقت الاول رضوان الله
والوقت الاخر عفو الله قيل رضوانه يكون للمحسنين وعفوه يكون عن المقصرين فالوقت
الاول من عزيمة الدين وطريقة مقيمي الصلوة والمحافظين عليها والوقت الثاني رخصة
في الدين وسعة من الله ورحمة للغافلين الفصل الحادي عشر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا خرجت من منزلك فصل ركعتين تمنعانك مخرج السوء واذا دخلت الى منزلك فصل
ركعتين تمنعانك مدخل السوء وفي الخبر ان في الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسال
الله عز وجل فيها خيرا الا اعطاه وفي خبر آخر يصلي او يدعو الا استجيب له وهو في كل
ليلة ويقال ان في الليل وقت لا بد ان ينام فيه او يغفل كل ذي عين الا الحي الذي لا يموت
فلعلها هذه الساعة ويستحب للعبد ان ينام على طهارة سابغة والا مسح اعضاءه
بالماء مسحا وليستاك عند النوم كما كان يفعل رسول الله عليه السلام وكان بعض السلف
يجعل عند رأسه سواكه وطهوره فاذا انتبه من الليل استاك ومسح اعضاءه بالماء مسحا
وكانوا يذكرون الله بالتلاوة والتسبيح في تقلبهم ويعدون هذا يعدل قيام الليل
وقد روي هذا عن عمر بن الخطاب وغيره وروي عن رسول الله عليه السلام وروي انه
عليه السلام يستاك في الليلة مرارا عند كل قومة من نومه ولا ينبغي للعبد ان يبيت
وله شيء يوصي فيه الا ووصيته مكتوبة عنده فانه لا يامن الموت في نومه وقد ندب النبي
عليه السلام الى ذلك وقيل من مات بغير وصية لم يؤذن له في الكلام في البرزخ الى يوم
القيمة يتزاور الموتى ويتحدثون وهو لا يتكلم فيما بينهم فيقول بعضهم لبعض هذا
المسكين مات عن غير وصية فيكون ذلك حسرة عليه بينهم وموت الفجاءة
تخفيف ومستحب للمؤمن الفقير التواب الذي لا مال له ولا دين عليه فاما المثقل
بالدين والمخلط في الدين ومن له مال او هو مصر على حال فان موت الفجاءة لهؤلاء
عقوبة ومكروه قال النبي عليه السلام من احب ان يعلم منزلته عند الله فلينظر
الى منزلة الله تعالى في قلبه فان الله تعالى ينزل العبد عنده بحيث انزله العبد من
نفسه وفي الخبر اذا نام العبد على طهارة عرج بروحه الى العرش فكانت رؤياه
صادقة وان لم ينم على طهارة قصرت روحه عن البلوغ فتلك المنامات اضغاث
احلام لا تصدق فان غلبه النوم حتى يصبح حسب له قيام ليلة وكان نومه عليه صدقة
ومن كان هذا وصفه في منامه سبق كثيرا من العباد في قيامهم عن سهو وغفلة وفي
خبر نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح قيل لبعض اهل الليل كيف انت والليل فقال ما راعيته

مطلب قيام الليل وقوله تعالى خوفا وطمعا ومما رزقناهم ... اعين جزاء بما كانوا يعملون

مطلب في الخروج من المنزل

مسح الاعضاء عند النوم

للوصية

قط بريني وجهه ثم ينصرف وما نام مثله وقيل لبعضهم كيف الليل عليك قال ساعة انا فيها
بين حالين افرح بظلمته اذا جاء واغتم بفجره اذا تم فرحي به قط ولا اشتفيت فيه قط
وتذاكر قوم قصر الليل عليهم اما انا فان الليل يزورني قائما ثم ينصرف قبل ان يجلس وقال
علي بن بكار منذ اربعين سنة ما احزنني شيء الا طلوع الفجر وقال الفضيل بن عياض
اذا غربت الشمس فرحت بدخول الظلام لخلوتي فيه بربي واذا طلع الفجر حزنت به
لدخول الناس علي وقال ابو سليمان الداراني اهل الليل في ليلهم الذ من اهل اللهو في
لهوهم ولولا الليل ما احببت البقاء في الدنيا وقال ايضا لو عوض الله تعالى على اهل الليل
من ثواب اعمالهم ما يجد ونرى قلوبهم من اللذة لكان ذلك اكثر من اعمالهم وقيل
ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم اهل الجنة الا ما يجده اهل التملق في قلوبهم بالليل
من حلاوة المناجاة وقيل قيام الليل والتملق للحبيب ومناجاة القريب ليس من الدنيا
بل هو من الجنة اظهر لاهل الله تعالى في الدنيا روحا لقلوبهم لا يعرفه الا هم ولا يجده
سواهم قال النبي عليه السلام ما اذن الله سبحانه وتعالى اذنه لحسن الصوت بالقران يعني
ما استمع بشيء استماعا اليه قال رجل للحسن اني ابيت معافا واحب قيام الليل
واعد طهوري فما لي لا اقوم فقال ذنوبك قيدتك وقال الثوري حرمت قيام الليل
خمسة اشهر بذنب اذنبته قيل له وما هو قال رايت رجلا بكا فقلت في نفسي هذا مراء
وقال ابو سليمان الداراني لا تفوت احدا صلوة في جماعة الا بذنب وروي عن رسول الله
عليه السلام من قال في يومه مائة مرة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد
يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير لم يعمل احد في يومه
افضل من عمله روي عن النبي عليه السلام انه سئل عن تفسير قوله تعالى له مقاليد السموات
والارض فقال هي لا اله الا الله محمد رسول الله وليقل كل يوم عشر مرات اللهم اصلح امة
محمد اللهم ارحم امة محمد اللهم فرج عن امة محمد قيل من قال هذا كل يوم كتب له ثواب بدل
من الابدال وليقل اذا اصبح ثلثا واذا امسى ثلثا اللهم انت خلقتني وانت هديتني
وانت تطعمني وانت تسقيني وانت تميتني وانت تحييني انت ربي لا رب لي سواك
ولا اله الا انت وحدك لا شريك لك فان في ذلك شكر نعمة يومه قال في الفصل
السادس عشر اعلم انه لا يجد فهم القران فهما مشاهدة ويظهر من الملكوت فيه عبد فيه
ادنى بدعة او اصرار على ذنب او عبد في قلبه كبر او هو مقارب لهوى قد استكن
في قلبه او محب للدنيا او عبد غير متحقق بالايمان او ضعيف اليقين ولا من هو واقف
مع قراءة ولا عبد سهمه بتتبع حروفه واختياره ولا ناظر الى قول مفسر ولا ساكن
الى علمه الظاهر ولا راجع الى معقوله ولا قاض بمذهب اهل العربية واللغة في
باطن الخطاب وسر المراد فهؤلاء كلهم محجوبون بعقولهم مردودون الى ما تقدر
في علومهم موقوفون مع تقرر في قلوبهم فمزيدهم على مقدار علومهم وغرائز

عقولهم وهؤلاء مشركون بعقولهم ومعلومهم عند الموحدين وهذا داخل في
في الشرك الخفي الذي هو اخفى من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلما وفي الخبر
اكثر منافقي امتي قراؤها والمراد به نفاق الوقوف مع سوى الله تعالى والنظر الى
غيره لا نفاق الشك والانكار لقدرة الله تعالى فهو لا ينقل عن التوحيد ولكنه لا
ينقل الى مقام المزيد فاذا كان العبد ملقي السمع بين يدي سميعه مصغيا الى
سر كلامه شهيد القلب لمعاني صفات شهيده ناظرا الى قدرته تاركا لمعقوله ومعهود
علمه متبرئا من حوله وقوته معظما للمتكلم واقفا في حضوره مفتقرا الى التفهم بحال
مستقيم وقلب سليم وصفاء يقين وقوة علم وتمكين سمع فصل الخطاب وشهد عجيب
الجواب وافضل القراءة الترتيل لانها تجمع الامر والندب وفيها التدبر والتفكر وعن
علي رضي الله عنه لان اقرا البقرة وآل عمران ارتلهما واتدبرهما احب الي من اقراء القران كله
هذرمة وسئل مجاهد عن رجلين دخلا في صلوة فكان قيامهما واحدا الا ان
احدهما قراء البقرة وقرا الاخر القران كله فقال هما في الاجر سواء لان قيامهما كان وا[حدا]
وفضل الترتيل والتدبر للقران ما كان في صلوة وقيل ان التفكر في الصلوة افضل منه
في غيرها لانها عملان والمراد به التفكر في معاني التدبر والتفهم لخطاب الوعد والوعيد
والزجر والامر تعظيما للمتوعد واجلالا للامر فضل طول القيام وكثرة السجدة سئل النبي
عليه السلام اي الصلوة افضل فقال طول القنوت وروي ان النبي عليه السلام قال لابي فاطمة
وقد ساله مرافقته في الجنة اعني بكثرة السجود وقال ابوذر الغفاري كثرة السجود بالنهار
وطول القيام بالليل وقيل ان العبد يحشر من قبره على هيئته في صلوته من السكون
والطمانينة وتكون راحته في الموقف على قدر راحته وسعته بالصلوة ومن هذا قوله
لبلال ارحنا بالصلوة اي روحنا اليها ونعمنا بها وكان بعضهم اذا قراء سورة لم يكن
قلبه اعادها ثانية واذا مر التالي بتسبيح وتكبير سبح وكبر واذا مر بدعاء واستغفار
ومخوف ومرجو دعا واستغفر واستعاذ وسال فذلك معنى قوله تعالى يتلونه حق
تلاوته وكذلك كان يفعل رسول الله عليه السلام في تلاوته وهذا هو المراد بما روي
في الخبر من اراد ان يقراء القران غضا كما انزل فليقراء على قراءة ابن ام عبد وهو كذلك
يفعل فمثل هذا العبد احسن الناس صوتا بالقران كما جاء في الخبر احسن الناس صوتا
بالقران من اذا قراء رايت انه يخشى الله عز وجل ومن هذا قيل اذا قراتم القران فابكوا
فان لم تبكوا فتباكوا ومثله ان القران نزل بحزن فاذا قراتموه فتحازنوا وقال جعفر
الصادق رضي الله عنه والله لقد تجلى الله تعالى لخلقه في كلامه ولكن لا يبصرون وكان
مرة في الصلوة فغشي عليه وسقط فسئل عن ذلك فقال ما زلت اردد الاية على قلبي
حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته وقال عثمان وحذيفة
لو طهرت القلوب لم تشبع من تلاوة القران وقال بعض علمائنا لكل اية ستون الف

مطلب

احسن الناس صوتا بالقران

مطلب

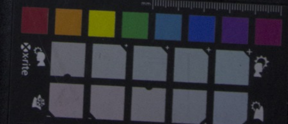


اى لا يستوى الله تعالى
والكثرة بالم يعلم

فهم وما بقي من فهمها اكثر وعن ابي سليمان الداراني اني لاتلوا الاية فاقيم فيها
اربع ليال وخمس ليال ولولا اني اقطع الفكر فيها ما جاوزتها الى غيرها فاذا سجد
العبد سجود القران وسجوده بمعنى اية السجدة وليسال الله ما فيها من الخير وليستعذ
مما فيها من الشر هكذا داب العلماء بالقران والله يحب ذلك ولهذا اسجدهم
عند تلك الايات وفي خبر مسند ان للقران ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا فقوله
ظهره لاهل العربية وبطنه لاهل اليقين وحده لاهل الظاهر ومطلعه لاهل
الاشراق وهم العارفون والمحبون والخايفون وقد قال عليه السلام يرى الشاهد
ما لا يرى الغايب فمن حضر شهد ومن شهد وجد ومن وجد وحد ومن وحد
عظم ومن غاب عمي ومن عمي فقد ومن فقد نسي ومن نسي نسي وقد قال الله تعالى
كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى قال ابن مسعود رضي الله عنه
لا يسال احدكم عن نفسه الا القران فان كان يحب القران فهو يحب الله تعالى وان لم يحبه فليس
يحبه تعالى وهذا كما قال الا ان من احب متكلما احب كلامه ومن كرهه كره كلامه وقال
سهل بن عبد الله من علامة الايمان حب الله ومن علامة حب الله حب القران ومن علامة
حب القران حب النبي عليه السلام ومن علامة حب النبي عليه السلام اتباعه فمن علامة اتباعه
الزهد في الدنيا قال بعض العارفين لا يكون المريد مريدا حتى يجد في القران كلما يريد
ويعرف منه النقصان من المزيد ويستغني بالمولى عن العبيد واقل ما قيل في العلوم
التي يحويها القران من ظواهر المعاني المجموعة فيه اربعة وعشرون الف علم وثمان مائة علم
اذ لكل اية علوم اربعة ظاهر وباطن وحد ومطلع وهذا على قول من قال ان عدد اياته
ستة الاف ومائتان وقيل ان فيه سبعة وسبعين الف علم ومائتي علم اذ لكل كلمة
علم وعدد كلماته هذا المقدار فسبحان الله العليم الفتاح الفصل الثاني من عشر قيل ان الله تعالى
نظر العبد لوجهه اذا تلى القران واستقام واذا اقراه وخلط في دينه ناداه الله تعالى عز وجل
ما لك والكلامي وانت معرض عني دع عنك كلامي ان لم تتب الي وروي ان الله تعالى
اوحى الى موسى وداود عليهما السلام مر عصاتي من بني اسرائيل ان لا يذكروني فاني اليت
على نفسي ان اذكر من ذكرني واني اذكر العصاة باللعنة قال بعض السلف ان العبد ليفتح السورة
فتصلي عليه حتى يفرغ منها وان العبد ليفتح فيها فتلعنه حتى يفرغ منها قيل وكيف ذلك
قال اذا احل حلالها وحرم حرامها صلت عليه والا لعنته وقال بعض العلماء ان العبد
ليتلوا القران فيلعن نفسه وهو لا يعلم يقول الا لعنة الله على الظالمين وهو ظالم
الا لعنة الله على الكاذبين وهو كاذب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عظمت امتي الدنيا
والدرهم نزع منها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حرموا
بركة الوحي قال الفضيل معناه حرموا فهم القران وقيل ليوسف بن اسباط اذا ختمت القران
باي شيء تدعوا فقال استغفر الله تعالى مائة مرة من تلاوة وكان يقول اني لاهم بقراءة القران

فاحتى

فاخشى المقت من قرأة فاعدل الى التسبيح والاستغفار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فضل قرأة السر على قرأة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية وفي الخبر العلا
يفضل عمل السر على عمل العلانية سبعين ضعفا وفي خبر آخر خير الرزق ما يكفي وخير
الذكر الخفي وكان رسول الله عليه السلام يسمع جماعة عن اصحابه يجهرون بالقران في صلوة الليل
فيصوب ذلك ويستمع اليهم وقال عليه السلام اذا قام احدكم من الليل يصلي فليجهر بقرأته
فان الملائكة وعمار الدار يستمعون الى قرأته ويصلون بصلوته ومر عليه السلام بابي بكر
وهو يصلي بالليل ويخافت فساله عن ذلك فساله عن ذلك فقال ان الذي اناجيه يسمعني
ومر بعمر وهو يجهر فسئله فقال اوقظ الوسنان وازجر الشيطان ومر ببلال وهو يقراء آيات
من هذه السورة وآيات من هذه فساله فقال اخلط الطيب بالطيب فقال عليه السلام كلكم قد
احسن واصاب واعلم ان المخافة افضل لانها اقرب الى السلامة وابعد عن دخول الآفة
الا لمن كانت له نية في الجهر فانه يكون افضل لان نفع المخافة لنفسه ونفع الجهر ولغيره
وخير الناس من ينفع الناس والنفع بكلام الله تعالى افضل المنافع فمتى صحت للعبد هذه
النيات وخلصت كان جهره افضل لان الاعمال انما تتفاضل بكثرة النيات الصالحة
ولهذا فضلت اعمال العلماء لمعرفتهم بوجوه النيات وقصدهم اياها وقد يجتمع في عمل واحد
عشر نيات يقصدها العالم بها فيعطى عشرة اجور وغيره يقصد منها نية واحدة او نيتين
فيعطى اجرا واحدا او اجرين وافضل الناس في العمل اكثرهم فيه نية صالحة واحسنهم
قصدا وادبا وقيل في قوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث ان المراد بالنعمة قرأة القران
وفي الخبر من استمع الى اية من كتاب الله تعالى كتب له عشر حسنات والتالي شريك المستمع
في الاجر لانه اكسبه ذلك وقيل للتالي اجر وللمستمع اجران وقيل وللمستمع اجور فاذا
اكسبه التالي هذه الاجور كان له بكل اجر اكسبه اخاه اجر واستمع رسول الله عليه السلام
ليلة الى قرأة ابن مسعود ثم قال عليه السلام من اراد ان يقراء القران غضا كما انزل فليقرأ
على قرأة ابن ام عبد وقال له رسول الله عليه السلام يوما اقرأ فقال يا رسول الله اقرأ
وعليك انزل فقال اني احب ان اسمعه من غيري حتى بلغ قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل
امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فبكى رسول الله عليه السلام وكان اصحاب رسول الله
اذا اجتمعوا امروا احدهم ان يقراء سورة من القران وكان عمر رضي الله عنه يقول لابي موسى
الاشعري ذكرنا ربنا فيقراء حتى يكاد وقت الصلوة يتوسط فيقال يا امير المؤمنين
الصلوة الصلوة فيقول اولسنا في صلوة كانه يتاول قوله تعالى ولذكر الله اكبر وقد يجد العبد
حلاوة الهوى في تلاوة وتدبر في صلوته ويظن ان ذلك حلاوة الاخلاص وذلك من دقيق الشهوة
الخفية التي تلتبس على الجهال او الضعفاء ولا يفطن لها الا العلماء الاقوياء فانما يجد حلاوة
الاخلاص حقيقة الزاهدون في الدنيا وفي مدح الناس هم المحبون لله الخايفون منه وعلامة
ذلك استواء المدح والذم عنده وهذا حال في مقام الزهد او خروج الخلق من القلب بشهادة



اليقين وهذا حال في مقام المعرفة وفي هذين المقامين يستوي السر والعلانية وقد يكون
العلانية افضل لايمة التقوي العدل واعلم ان السمعة مقرونة بالرياء محكوم لها بحكمه
من فساد العمل وهي ماخوذة من السمع لانه يسمع بعمله غير الله ليمدحه بذلك لغلبة هواه و
بقيته فهو مشرك في عمله جاهل بالتوحيد اذ لو تيقن انه لا نافع ولا ضار ولا مانع ولا معطي
الا الله تعالى لاخلص له عمله وكذا الرياء ماخوذ من راي العين وفي الخبر لا يقبل الله من سمع
ولا مراء واعلم ان الاكل والنوم مع الصدق افضل في الحال والمال من الصيام والقيام مع يسير
من التصنع والتزين للخالق ومعرفة هذا والقيام به هو موضع علم العلماء بالله قال
الحسن البصري رحمه الله تفقد الحلاوة في ثلاث فان وجدتها فابشر وامض لقصدك وان
لم تجدها فاعلم ان الباب مغلق عند تلاوة القران وعند الذكر وفي السجود وزاد غيره
وعند الصدقة وبالاسحار واعلم ان قراة القران في المصحف افضل من قراته على ظهر
القلب يقال ان الختمة بسبع ختمات لان النظر في المصحف عبادة وكان السلف يستحبون
ان لا يخرج يوم الا نظروا في المصحف وخرق عثمان رضي مصحفين من كثرة درسه فيهما

الفصل الحادي والعشرون في فضايل الجمعة قال النبي عليه السلام ثلث من غير عذر طبع الله
عز وجل على قلبه وفي الخبر ان اهل الكتابين اعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه فصرفوا
عنه وهدانا الله تعالى له اخره لهذه الامة وجعله عيدا لهم فهم اولى الناس به سبقا
واهل الكتابين لهم تبعا وعن النبي عليه السلام اتاني جبرئيل عليه السلام في كفه مراة بيضاء
وقال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولامتك من بعدك قلت
فما لنا فيها قال لكم فيها خير ساعة من دعا فيها بخير هو له قسم اعطاه الله تعالى او ليس له
قسم ذخر له ما هو اعظم منه او تعوذ من شر هو عليه مكتوب اعاذه الله تعالى من اعظم
منه وهو سيد الايام عندنا ونحن ندعوه في الاخرة يوم المزيد قلت ولم قال ان ربك
اتخذ في الجنة واديا افيح من مسك ابيض فاذا كان يوم القيمة نزل من عليين على
كرسيه فيتجلى لعباده حتى ينظروا الى وجهه وعنه عليه السلام خير يوم طلعت فيه الشمس
يوم الجمعة فيه خلق ادم وفيه ادخل الجنة وفيه اهبط الى الارض وفيه تقوم الساعة
وهو عند الله يوم المزيد كذلك تسميه الملائكة في السماء وهو يوم النظر الى الله عز وجل
في الجنة وفي الخبر ان جهنم تسعر في كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس في كبد السماء
فلا تصلوا في هذه الساعة الا يوم الجمعة فانه صلوة كله وان جهنم لا تسعر فيه وقال
ان الناس يكونون في قربهم من الله تعالى عند رؤيته على قدر بكورهم الى الجمعة وبكر ابن مسعود
يوم جمعة فراي ثلثة قد سبقوه فحزن لذلك وجعل يعاتب نفسه ويقول رابع اربعة
ببعيد ولا يدع غسل الجمعة الا من ضرورة فانه فرض عند بعض العلماء وقد روي
عنه عليه السلام غسل الجمعة واجب على كل محتلم والمشهور من اتى الجمعة فليغتسل وكان
من سب اهل المدينة لانت شر ممن لا يغتسل يوم الجمعة ولبس السواد يوم الجمعة

ليس من السنة ولا من الفضل ولا ينظر الى لابسه وقال بعض السلف ان لله تعالى
فضلا من الرزق سوى ارزاق العباد لا يعطى منه الا من سأله عشية الخميس ويوم الجمعة
وفي الخبر المشهور ان في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها شيئا
الا اعطاه وفي لفظ آخر لا يصادفها عبد يصلي واختلف فيها فقيل هي عند طلوع
الشمس وقيل عند الزوال وقيل مع الاذان وقيل اذا صعد الامام المنبر واخذ
في الذكر وقيل اذا قام الناس الى الصلوة وقيل بعد العصر في آخر اوقاتها
وقيل عند غروب الشمس اذا انى لحاجبها الاسفل وكانت فاطمة رضي الله عنها
تراعي ذلك الوقت وتشتغل فيه بالدعاء والاستغفار حتى تغرب الشمس وتخبر
ان تلك الساعة فيه وتنقل ذلك عن ابيها عليه السلام فليقصد العبد هذه
الاوقات وليتعهد الدعاء فيها والصلوة فيما صلح للصلوة منها وقال بعض
العلماء ان تلك الساعة مبهمة في جميع يوم الجمعة لا يعلمها الا الله كليلة القدر
في شهر رمضان والصلوة الوسطى في الصلوات الخمس قلت وكالاسم الاعظم في اسماء
الله والولي في عباد الله وقيل انها تنتقل في ساعات يوم الجمعة كتنقل ليلة القدر عند
بعضهم في ليالي شهر رمضان وانما ابهمت ليكون العبد طالبا وراغبا ومتضرعا ومبتهلا
الى الله تعالى في جميع ذلك اليوم وهو المقصود في جميع ما ابهم فمن واصل الاوراد فيه
وعمرها بالذكر كل ساعة منه صادفها باذن الله تعالى فان يواصل الساعات في يوم واحد
فليواصلها في جمع شيء وقتا بعد وقت على ترتيب اوقات يوم واحد فانه يظفر بها
لا محالة قلت الا على قول من قال بتنقلها فانه لا يلزم الظفر بها الا اذا واصل الساعات
في جمعة واحدة وليكثر الدعاء والتضرع في وقتين خاصة عند صعود الامام
الى المنبر الى ان تقام الصلوة وليشرع فيها وعند آخر ساعة من النهار وقت تدلي
الشمس للغروب فهذان الوقتان من افضل اوقات الجمعة ويقوى في نفسي ان
الساعة المرجوة في احدهما واجتمع كعب الاحبار وابو هريرة رضي الله عنهما فقال كعب
هي آخر ساعات يوم الجمعة فقال له ابو هريرة كيف تكون آخر ساعاته وقد قال النبي عليه السلام
لا يوافقها عبد يصلي ولات حين صلوة فقال له كعب الم يقل رسول الله عليه السلام من قعد
ينتظر الصلوة فهو في صلوة قال بلى قال فذاك صلوة فسكت ابو هريرة رض فكانه وافقه
وليكثر من الصلوة على النبي يوم الجمعة وليلتها واقل ذلك ان يصلي عليه ثمانين مرة فقد جاء
في الخبر من صلى علي في يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة قيل يا رسول الله
كيف الصلوة عليك قال عليه السلام يقول اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي
الامي وكيفما صلى عليه بعد ان يأتي بلفظ الصلوة عليه فهي صلوة والصلوة المشهورة
هي المروية في التشهد وان جعل من صلوته عليه ان يقول اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلوة تكون لك
رضا ولحقه اداء واعطه الوسيلة والمقام المحمود الذي وعدته واجزه عنا ما هو اهله

مطلب صلوة تحية المسجد

واجزه افضل ما جزيت نبيا عن امته وصلى على جميع اخوانه من النبيين والصالحين
يا ارحم الراحمين يقول هذا سبع مرات ففيه فضل عظيم يقال من قاله سبع جمع في كل جمعة
سبع مرات وجبت له شفاعة رسول الله عليه السلام وليكثر استغفار يوم الجمعة وليلتها
واي لفظ ذكر فيه سؤال المغفرة فهو مستغفر واذا دخل الجامع صلى تحية المسجد قبل
قبل ان يجلس فان دخل والامام يخطب صلوها ايضا وخففها وان كان قريبا بحيث
يسمع الخطبة لان النبي عليه السلام امر بذلك وقد جاء في حديث غريب ان النبي عليه السلام
سكت للجائي حتى صلاها فلهذا قال الكوفيون ان سكت له الامام صلاها والا فلا ولعل
سكوت رسول الله عليه السلام مخصوص له لوجوب قوله وليقطع الصلوة اذا قام المؤذنون
للاذان بين يدي الامام فقد جاء في الاثر خروج الامام يقطع الصلوة وكلامه يقطع الكلام
وكره بعض العلماء الصلوة في فناء المنبر لانه يقطع اتصال الصفوف وكان عندهم
ان تقدم الصفوف الى فناء المنبر بدعة وكان الثوري رحمه الله يقول الصف الاول هو
الخارج بين يدي المنبر ومن خشي الفتنة والافة في قربه من الامام بان يسمع او يرى ما يجب
عليه انكاره ويلزمه الامر فيه او النهي عنه او يرى من يصلي في سلاوح ثقيل شاغل عن الصلوة
فبعده عن الصفوف المقدمة اصلح لقلبه واجمع لهمه وكل ما كان اصلح للقلب واجمع
لهمه كان افضل وكان جماعة من العلماء والعباد يصلون في اواخر الصفوف ايثارا
للسلامة وقيل لبشر بن الحرث نراك تبكر يوم الجمعة وتصلي في آخر الصفوف فقال
انما يريد الله قرب القلوب لا قرب الاجساد ورأى سفيان الثوري شعيب بن حرب
عند المنبر يسمع خطبة ابي جعفر فقال له بعد الصلوة شغل قلبي قربك من هذا اهل
امنت ان تسمع منه كلاما يجب عليك انكاره ولا تقوم به ثم ذكر ما احدثوا من لبس السواد
فقال اليس في الخبر ادن واستمع فقال الثوري ويحك ذاك للخلفاء الراشدين المهديين
فاما هؤلاء فكلما بعدت عنهم ولم تنظر اليهم كان اقرب لك الى الله وصلى ابو الدرداء
في الصف المؤخر فقال له سعيد بن عامر اليس خير الصفوف اولها قال بلى الا ان هذه امة
مرحومة منظور اليها فاذا نظر الله الى عبد منهم في الصلوة غفر له ولمن وراءه من الناس فانما
تأخرت رجاء ان يغفر لي بواحد منهم ينظر اليه وعن ابي الدرداء انه سمع ذلك من رسول الله
والصدقة مفضلة يوم الجمعة فانها مضاعف فيه الا على من سال والامام يخطب فانها
مكروهة وقال ابن مسعود اذا سال الرجل في المسجد فقد استحق ان لا يعطى فاذا سال
على القران فلا تعطوه وقال بعض العلماء تكره الصدقة على سائل يتخطى رقاب الناس فان
سال قائما في مكان من غير ان يتخطى رقاب الناس او قاعدا لا تكره عليه وليحذر ان يمر
بين المصلي وان كان مروره لا يقطع الصلوة ففي الخبر لان تقف احدكم اربعين سنة خير له
من ان يمر بين يدي المصلي وقد جاء فيه وعيد شديد لان تكون الرجل رمادا رمددا
تذروه الريح خير له من ان يمر بين يدي المصلي وقد سوي في الوعيد بين المار والمصلي

قال

قال رسول الله عليه السلام لو يعلم المار بين يدي المصلي والمصلي ما عليهما في ذلك لكان ان يقف اربعين سنة خيرا له من ان يمر بين يديه وليدن المصلي من اسطوانة او جدار ثم يدفع المار بين يديه ما استطاع ففي الحديث فان ابي فليقاتله فانما هو شيطان وكان ابو سعيد الخدري يدفع من يمر بين يديه حتى يصرعه ويقول ان النبي عليه السلام امره بذلك فان لم يتفق له اسطوانة فلينصب بين يديه شيئا طوله عظم الذراع وقيل انه يجوز ان يكون حبلا ممدودا بين يديه بين المار وبينه وقيل اربع من الجفاء البول قائما والصلوة في الصف الثاني مع فراغ الاول ومسح الجبهة في الصلوة والصلوة على سبيل من يمر بين يديه قال بعض السلف اوفر الناس نصيبا منها من يصبح يوم الجمعة فيقول ايش وكان بعضهم يبيت ليلة الجمعة في الجامع لاجل الجمعة وبعضهم كان يبيت ليلة السبت لمزيد الجمعة وكثير من السلف كان يصلي الفجر يوم الجمعة في الجامع ليستوعب ببكوره فضل الساعة الاولى وليتمكن من ختم القران وعامة المؤمنين كانوا يخرجون من صلوة الغداة من مساجدهم فيتوجهون الى الجوامع وقيل اول بدعة حدثت في الاسلام ترك البكور الى الجوامع وكانت يوم الجمعة سحرا وبعد صلوة الفجر الطرقات مملوة من الناس يمشون في السرج الى الجوامع كما يرون اليوم في الاعياد ثم درس ذلك حتى كانه لم يعرف اولا يستحي المؤمن ان اهل الذمة يبكرون الى كنايسهم وبيعهم قبل خروجه الى جامعه

فصل في الصوم

قال الله تعالى واستعينوا بالصبر والصلوة قيل اراد بالصبر الصوم وسمى رسول الله عليه السلام شهر رمضان شهر الصبر وعنه عليه السلام الصبر نصف الايمان والصوم نصف الصبر وقيل كل عمل ابن ادم يقتص منه في رد المظالم الا الصوم يقول الله تعالى يوم القيمة هذا لي فلا يقتص منه احد شيئا وقيل كل عمل له جزاء معلوم الا الصوم فانه لا تعلم نفس ما جزاؤه بل يكون اجره بغير حساب يفرغ افراغا ويجازف مجازفة وهو احدي الوجوه في قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون قيل كان عملهم الصوم وقوله تعالى السايحون قيل الصائمون كانهم ساحوا الى ربهم بجوعهم وعطشهم وتركوا قرة اعين ابناء الدنيا من شهوة البطن والفرج فاخفي لهم مولاهم قرة اعين جزاء لعملهم وفي قوله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب اي الصائمون لان الصبر اسم من اسماء الصوم كما مر وفي الحديث عن الله تعالى فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي والصوم ذكر الله تعالى وهو سر فلما اخفاه العبد في نفسه اخفى الله تعالى جزاءه عن نفس العبد فقال فلا تعلم نفس الاية ولا استحب للعبد ان يزيد على افطار اربعة ايام متوالية لان ذلك يقسي القلب ويغير الحال ويولد العادات ويفتق الشهوات ولهذا لم يؤمر العبد بافطار اكثر من اربعة ايام متوالية وهي يوم النحر وايام التشريق ويستحب ان يصوم يوما ويفطر يوما او يصوم يومين ويفطر يومين وهو صوم



اي يصوم يوما ويفطر يومين

نصف الدهر او يصوم يومين ويفطر يوما او بالعكس هذه طريقة الصائمين وكره بعض
الصحابة صوم رجب كله لئلا يضاهي به شهر رمضان وكانوا يستحبون ان يفطروا منه اياما
وكره قوم صوم الدهر كله لورود اخبار في كراهته وقد تؤول ذلك على صوم كل السنة
مع الايام الخمسة المحرمة وقد روى ابو موسى الاشعري ان النبي عليه السلام قال من صام
الدهر ضيقت عليه جهنم وعقد تسعين معناه لم يكن له موضع وقد دلت الاصول على فضل
صوم الدهر وقد صامه طبقات من السلف الصالح من الصحابة والتابعين قال النبي عليه السلام
افضل الصوم صوم اخي داود كان يصوم يوما ويفطر يوما وامر النبي عليه السلام عبد الله
بن عمرو بن العاص بصوم داود فقال اريد افضل من ذلك فقال لا افضل من ذلك
ذكر صوم الخصوص من الموقنين الصوم عندهم هو صوم القلب اولا عن الهمم الدنيوية والافكار
الدنيوية ثم صوم السمع والبصر واللسان واليد والرجل وبقية الجوارح عن تعدي الحدود
ومباشرة المنهيات فمن صام على هذه الصفة فقد عمر يومه كله بالذكر وصار رسله
كأنه وقتا كاملا ولمثله قيل نوم الصائم عبادة ونفسه تسبيح وقد قرن الله تعالى
سماع الكذب والباطل باكل الحرام في الحرمة بل قدمه عليه فقال سماعون للكذب اكالون
للسحت فقال لولا ينهيهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت فسماع الكذب
والباطل والاثم من الكباير فالعبد الحافظ لحدود الله تعالى ان افطر بالاكل والشرب
والجماع فهو صائم عند الله في الفضل وان كان مفطرا عند نفسه لحفظه حدوده
واتباع اوامره وعلى العكس لان من عكس اضاع احب الى الله تعالى مما حفظ ومثل من صام
عن الاكل والشرب وافطر لمخالفة الامر بساير الجوارح مثل من مسح كل عضو من اعضائه في
وضوء ثلثا ثلثا ثم صلى فقد اتى بفضيلة العدد وترك فرض الغسل فردت عليه صلوته
لجهله واغتراره بفعله ومثل من افطر بالاكل والشرب وصام بجوارحه عن مخالفة الامر
مثل من غسل اعضاءه مرة مرة ثم صلى فقد ترك فضيلة العدد ولكن اتى بفرض الغسل
فقبلت صلوته لانه احكم الاصل وعمل بالعلم ومثل من صام عن الاكل والشرب وحفظ
جوارحه عن الاثام مثل من غسل كل عضو ثلاثا ثلاثا فقد تم الفرض واستكمل الفضل
ولهذا قال النبي عليه السلام في الوضوء على هذه الصفة هذا وضوئي ووضوء الانبياء
قبلي ووضوء ابي ابرهيم وقد قال الله تعالى ملة ابيكم ابراهيم اي عليكم بها فاتموا واقتدوا
به فيها وقال النبي عليه السلام الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر وفي الخبر ان امراتين
صامتا على عهد رسول الله فاجهدهما الجوع والعطش في آخر النهار حتى كادتا ان تتلفا
فبعثتا الى رسول الله عليه السلام تستاذنانه في الافطار فارسل اليهما قدحا وقال
قيئا فيه ما اكلتما فقاءت احديهما نصفه دما عبيطا ولحما غريضا وقاءت الاخرى
مثل ذلك حتى ملأتاه فعجب الناس من ذلك فقال رسول الله عليه السلام هاتان صامتا
عما احل الله سبحانه وتعالى لهما وافطرتا على ما حرم الله عز وجل عليهما فقعدت احديهما الى

الاخرى

الاخري فجعلنا نغتنا بان الناس فهذا ما اكلنا من لحومهم وكل ما حرم عليك قوله حرم
استماعه وكره لك ان تنظر اليه او يخطر ببالك وقد سوي الله تعالى بين السامع والقائل
بقوله انكم اذا مثلهم الاية وان النبي عليه السلام لما تلا قوله تعالى ان الله يامركم ان تودوا الامانات
الى اهلها وضع يده على سمعه وبصره وقال السمع امانة والبصر امانة ومن حفظها الامانة
ان يكتمها ~~الى اهله ووضع يده على سمعه وبصره وقال السمع~~ فان افشاها من غير حاجة فهو خاين
لان مودعها لا يحب اظهارها وحقيقة حفظ السر نسيانه وصيانته عن ان يكثر خزانه فالصايم حقيقة
هو الذي ينسى صومه ولا ينتظر الوقت شغلا عنه بالموقت الفصل الثالث والعشرون
في ذكر محاسبة النفس ومراعات الوقت قال الله تعالى ونضع الموازين القسط الاية اوصى
ابو بكر وعمر رضي الله عنهما عند موته فقال ان الحق ثقيل وهو مع ثقله مري وان الباطل خفيف
وهو مع خفته وبي وان لله تعالى حقا بالنهار لا يقبله بالليل وحقا بالليل لا يقبله بالنهار
وانك لو عدلت على الناس كلهم وجرت على واحد منهم لمال جورك بعدلك فان حفظت وصيتي
لم يكن شيء احب اليك من الموت وهو مدركك وان ضيعت وصيتي لم يكن شيء ابغض اليك
من الموت ولن تعجزه وقال عمر رضي الله عنه حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا
وتزينوا للعرض الاكبر قال الله تعالى يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية فمحاسبة النفس
يكون بالورع ووزنها بمشاهدة عين اليقين والتزين للعرض الاكبر بمخافة الملك الاكبر
وهو حقيقة الزهد وفي الخبر الكرم التقوي والشرف التواضع والغنا اليقين وفي
خبر آخر الايمان عريان ولباسه التقوي وزينته الحيا وثمرته العلم وفي خبر آخر كفى بالموت
واعظا وكفى بالخشية علما وكفى باليقين غنا وكفى بالعبادة شغلا وكان النبي عليه السلام
جالسا بين اصحابه يوما فسجد فاطال ثم رفع راسه ماذا يديه وقال اللهم اكرمنا ولا تهنا
وزدنا ولا تنقصنا واعزنا قالوا وما ذاك يا رسول الله قال انزلت علي من اقامهن دخل
الجنة ثم تلا عليهم قد افلح المؤمنون الى آخر العشر وفي حديث آخر ان رجلا ساله عليه السلام
متى اعلم اني من اهل الجنة وفي لفظ آخر متى اعلم اني مؤمن حقا فقال اذا كنت بهذه
الاوصاف وتلا عليه قد افلح المؤمنون الى اخر النعوت وسئل عليه السلام عمن صلح
لله تعالى من عباده بالاخلاص في توحيده وعمله فقال لو لم تنزل علي الا هذه الاية لكفت
تكفي وقرا قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه الاية فكان هذا فصل الخطاب وبلوغا لاولي
الالباب فالعمل الصالح الاخلاص بالعباده ونفي الشرك بالخلق هو اليقين بتوحيد
الخالق فصورة المحاسبة ان يقف العبد وقفة عند ظهور الهمة وابتداء الحركة ثم
يميز الخاطر وهو حركة القلب او الاضطراب وهو تصرف الجسم فان كان ما خطر بالخاطر
من نية او عقد او عزم او فعل لله تعالى وبر وفيه سارع الى امضائه وتنفيذه وان كان
لعاجل دنيا او عارض هوا او سهو وغفلة سري بطبع البشرية ووصف الجبلة سارع
الى نفيه ولم يمكن ذلك الخاطر من قلبه بالاصغاء اليه والمحادثة له فيولد فيه همًّا

وصية ابو بكر وعمر رضي الله عنهما

لا تزال جورك بعدلك

ردئيا ويكون دينويا يصعب طرحه ونفيه ويوثر في قلبه اثرا يظهر بعد حين ضرره ومعنى قولنا
الا كان لله اي خالصا لاجله ومعنى قولنا براي بمشاهدة قربه لا بمقاربة نفسه ووصفه
ومعنى قولنا فيه في سبيله وطلبا عنده لا لاجل عاجل حظه فان اشتبه عليه الخاطر
فلم ينكشف له المحمود من المذموم كان سبب الاشتباه اما ضعف يقين عن نقص
معرفة بالمبلي وقلة علم عن جهل بغامض الحكم الباطن او غلبه هو كامن في النفس وقال
بعض العلماء ليس العالم الذي يعرف الخير من الشر هذا العاقل يعرفه ولكن العالم من عرف
خير الشرين فيفعله اذا اضطر اليه وعرف شر الخيرين فيجتنبه لما يؤول اليه واعلم ان حكم الله
تعالى فيما اشتبه من الامور الامساك والتوقف وان لا يقدم العبد عليه بعقد ولا عزم ان
كان من افعال القلوب ولا يمضيه بسعي ولا فعل ان كان من اعمال الجوارح وهذا اصول الورع
لان الورع هو الجبن والتاخر عن الاقدام على المشكلات وعن الهجوم في الشبهات لا بعقد
ولا بقول ولا بفعل حتى تنكشف وانكشافها بغامض العلم لغموضها وبدقيق معرفة الله
لدقتها وخفائها كما جاء في الخبر اعلم الناس اعرفهم بالحق اذا اختلف الناس وقال النبي
عليه السلام ان الله تعالى يحب الصبر الناقد عند ورود السيئات والعقل الكامل
عند هجوم الشهوات وعن ابن مسعود في وصف كثرة الشبهات انتم في زمان خيركم
فيه المسارع وسياتي عليكم زمان يكون خيركم فيها المتثبت فمن لم يتوقف عند الشبهات
واقدم كان متبعا لهواه معجبا برايه وهذا من معنى الخبر الذي جاء في ذم من كان
هذا وصفه فاذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي راي برايه
فعليك بخاصة نفسك فلم يذم بوجود الشح لانه صفة النفس بل بطاوعة
النفس في شحها بايثار محبوبها وهو الامساك على محبوب الله تعالى وهو الانفاق والبذل
ومثله وهوى متبع فلم يعب بوجود الهوى لانه روح النفس مستكن فيها وانما عاب
باتباعه وكذا واعجاب كل ذي راي برايه لم ينقصه بنظره اليه واذلاله برده
سبق نظره الى مراده وسوره وبايثار رايه على راي من هو اعلم منه او بان يزري
على راي غيره افتخارا برايه وقد قال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم وقد وصف اهل الراي
من اوليائه بقوله تعالى ان في ذلك لايات للمتوسمين وقوله على بصيرة انا ومن اتبعني
وجاء في الاثر ما راه المؤمن حسن فهو عند الله حسن وما راه المؤمنون قبيحا فهو عند الله
قبيح وعن بعض السلف افضل العبادة الراي الحسن فما اشكل عليك لتجاذب
الامثال فلم يتبين لك الى اي مثل ترده فالورع فيه التوقف حتى يتبين وما اشكل
لقصور العلم بالاستدلال فطريقه ان تعلم اصليه من الحرام والحلال فترده الى
اشبههما به وهذا ظاهر مثل ما احلت طايفة النظر الى الغلام الجميل لانه ذكر وحرمته
طايفة لانه مظنة هيجان الشهوة فتحتاج ان ترده اما الى قوله تعالى انظروا الى ثمره اذا
اثمر فتقيسه على الثمرة واما الى قوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم فتقيسه

على النساء فكان بالاصل الثاني اشبه لوجود المجانسة وكذا سماع القران حلال وسماع الغناء
حرام والقصايد بالغناء اشبه فكرهنا سماعها لغير اهله وكذا تلحين القران اذا جاوز الحد
في مد المقصور وقصر الممدود مكروه لشبهه بالاغاني وكذا لبس القطن ولبس الحرير فكرهنا
لبس الملحم والمعيد لانه بالحرير اشبه واعلم ان الامور الغامضة التي لم تظهر للاسماع والابصار
فان القلوب تسال عن سوء الظن بها والقطع فيها بمجرد الظاهر وهو المنهي عنه بقوله تعالى ولا تقف
ما ليس لك به علم اي لا تتبع ولا تجسس اثر ما لم تعلم فتشهد عليه بسمع او رؤية او عقد قلب
اذ حقيقة العلم السمع او المشاهدة ولهذا قال الله تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك
كان عنه مسؤلا وقال النبي عليه السلام اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث فمن تفرس
في امر غاب عنه حقيقته فاضربه واظهره على صاحبه فقد اساء كمه وقد جاء في الخبر من حدث
بما رات عيناه او سمعت اذناه كتب الله تعالى من الذين ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا وهذا
لكشف ستر الله تعالى على عباده ومحبة للساترين منهم ولذلك كان من دعاء ابي بكر رضي الله اللهم ارنا
الحق حقا فنتبعه والباطل باطلا فنجتنبه ولا تجعل ذلك علينا متشابها فنتبع الهوى وعن
عيسى عليه السلام الامور ثلثة امر استبان رشده فاتبعه وامر استبان غيه فاجتنبه وامر اشكل
عليك فكله الى عالمه وكان من دعاء علي رضي الله اعوذ بك ان اقول في العلم بغير علم فنعمة الله تعالى
في كشف الباطل باطلا وبيان الضلال ضلالا مثل نعمته في اظهار الحق وبيان الصدق لانه
باب من اليقين ولذلك من الله تعالى به على نبيه عليه السلام في قوله تعالى وكذلك نفصل الايات
ولتستبين سبيل المجرمين على القراتين برفع السبيل ونصبه وقد وعد الله تعالى هذه النعمة
عباده المتقين وقدمها على نعمة المغفرة وتكفير السيئات فقال يا ايها الذين امنوا ان تتقوا
الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم اي نورا في قلوبكم تفرقون به بين
الشبهات ومثله ومن يتق الله يجعل له مخرجا اي من كل امر اشكل على الناس ويرزقه من
حيث لا يحتسب اي يرزقه علما بغير تعلم بل الهاما وتوفيقا الم تسمع قوله تعالى وعلم ادم الاسماء كلها
فادم هو المجتبى للتعليم والتفهيم بغير واسطة ثم قال يا ادم انبئهم باسمائهم فلما انباهم باسمائهم
ترك ذكر ادم ورد العلم الى نفسه فقال الم اقل لكم اني اعلم ولم يقل ان ادم يعلم فاخذ ادم
نصيبه من رازقه بقلبه لمكان رتبته واخذت الملائكة نصيبها من الله تعالى ثم نصيب ادم
بواسطته والله سبحانه وتعالى هو الرزاق كما هو الخالق هل من خالق غير الله يرزقكم والعبيد
والعبيد ياخذون انصبتهم واقسامهم من حيث طرق وسببهم وهذا حينئذ اول المحاسبة
عن مشاهدة حسيب والتحقق بالمحاسبة هو اول المراقبة عن رؤية رقيب والمقام من المراقبة
هو حال من احوال الموقنين وعلم اليقين هو آخر علم الايمان وآخر نصيب العبد من علم الغيب
اعني نهايته اول عين اليقين وهو شهادة المعرفة والمعرفة على هذا الوصف اول المشاهدة
وهنا هو مقام المقربين اعني بمشاهدة وصف قريب يحيط ببعد النفس فيستولي عليها
فيغيب بعدها في قرب رقيبه عقله تحت طيه فتنطوي حكمته في قدرته يمحو نور القمر في ضياء

اتباع الظن

دعاء ابي بكر

دعاء عيسى

دعاء علي



الشمس والله غالب على امره وعلم معاني الاسماء الصفات وتوريف الاخلاق وصا طن احكام الذات
يكون في مقامات القرب بمرآة نور الوجه فيرتفع حكم المكان ويشهد كان يرفع كون المرآة ويشهد
الوجه بنورها وتغيب المرآة عن كونها فيكون العبد قائما بقهر قيوميته مشاهدا بحيطة
قربه لا بكونه كما يشهد الوجه بنور المرآة لا بجسمها ولا يكون هذا الا بعد معاينة وصف وبعد
حسن المراقبة في جميع المعاملة وحسن الادب في محاضرة الرب سبحانه وتعالى بتنفيذ خواطر الخير
وسرعة نفي خواطر الشر حتى لا يبقى منه شي وهذا حال المشاهد المقرب وذلك يخرج العبد الى صفاء
القلب بعلم اليقين وصفاء القلب برفعه مقامات في مشاهدة العين حتى لا يخطر بقلبه الا خاطر
حق وان عصاه عصى الحق وفي ترك هذا والغفلة عنه كدر القلب وفي كدره ظلمته وذلك مقامات
في القسوة وهي اول البعد وبلغني ان كل فعلة وان صغرت ينشر لها ثلثة دواوين الاول
لم والثاني كيف والثالث لمن فمعنى لم اي لم فعلت وهو موضع الابتلاء عن وصف
الربوبية بحكم العبودية اي اكان عليك ان تعمل لمولاك ام ذلك منك بهواك فان سلم
من هذا الديوان بان كان عليه ان يعمله كما امر به سئل عن الديوان الثاني فقيل كيف
فعلته وهو موضع المطالبة بالعلم اي عملته بعلم او بجهل فان الله تعالى لا يقبل عملا الا
على طريقه وطريقه العلم فان سلم من هذا بان عمله بعلم نشر عليه الديوان الثالث
فقيل لمن فعلته وهو موضع التعبد بالاخلاص الذي اهله بقية الله تعالى من خلقه
الذي قال فيهم الا عبادك منهم المخلصين والاخلاص هو مقتضى كلمة التوحيد وليس
بعد الاخلاص الا الاشتياق الى وقت التلاق ومعناه فعلته لوجه الله خالصا فاجرك عليه
او لشخص مثلك فخذ اجرك منه او فعلته لعاجل حظ دنيوي فقد وفيناك اياه او فعلته
سهوا وغفلة فاحبطت عملك واسقطت اجرك لعدم النية فهكذا ورد في كل كلمة يتكلم بها
الانسان وكل عمل اردت به سوى مولاك استوجبت به المقت والعقاب لتركك ما عليك وجهلك
بمولاك اذ كنت عبد الله تتولى غيره وتاكل رزقه وتعمل لسواه واذ كان الدين له فجعلته لغيره
ويلك اما سمعت قوله تعالى الا لله الدين الخالص فلا قبلت امره اذ قال وما امروا الا ليعبدوا
الله مخلصين له ويقول الله تعالى له ويلك اما سمعتني اقول ان الذين تعبدون من دون الله
لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه فهذه امثال القرآن شهدت منها العلماء
امثالهم وهي اذكار الخطاب عند تدبره يفهم بها العارفون اذكارهم فيكون توبيخ الله تعالى
للغافلين بعزايم كلامه وغليظ خطابه اشد عليهم واوجع لهم من اليم عقابه وقوله تعالى
الا لله الدين الخالص اي الموحد غير المشرك الصافي عن الكدر فالاخلاص هو التصفية عن
اكدار الهوى والشهوة وضده الشرك وهو الخلط بغيره من النفس او الناس فلما انعم علينا
بالرزق الخالص من بين الفرث والدم فتمت به النعمة كما قال الله تعالى نسقيكم مما في بطونه من بين
فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين حتى لو وجد فيه ادنى خلط من احدهما لم تتم به
النعمة علينا وكرهته انفسنا ولم تقبله فكذلك ينبغي ان يكون عملنا له خالصا من الهوى

والشهوة المستحق به الاجر والحظوة مع انه قيام بواجب حقه علينا فالحكيم الخبير
اذا راي في عملنا خلطا من رياء وشهوة رده علينا ولم يتقبله كما نرد عليه اللبن
غير الخالص ولهذا قال الله تعالى كلوا من طيبات واعملوا صالحا وغير الخالص لله تعالى
ليس بصالح وفي تدبرها قلناه الهرب والبكاء على النفس الى لقاء الحق لمن اشهد
في وقت واريد بالحضور فلم يصرف وفقنا الله بالمزيد من القول والفعل

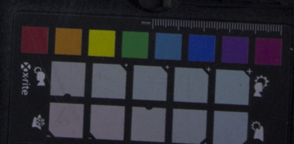
فصل في ذكرها ماهية الورد للمريد ووصف حال العارف بالمزيد الورد اسم لوقت
من ليل او نهار يرد على العبد فيقطعه في قربه الى الله تعالى ويودع محبوبا يرد عليه في الاخرة
والقربة امر فرض عليه او فضل ندب اليه فمتى فعل ذلك في وقت وداوم عليه فهو ورد
ومه بين يديه يرد عليه غدا اذا قدم وايسر الاوراد صلاة اربع ركعات او قراءة سورة
من المثاني او سعي في معاونة على بر او تقوى فمن العمال من جعل اوراده من اجزاء
القران ومنهم من جعلها من اعداد الركوع وفوق هؤلاء من العلماء من كان يجعلها
من اوقات الليل والنهار فان قطع الوقت باية او ركعة او فكرة او شهادة فذلك
ورده والعارفون لم يوقتوا الاوراد ولم يقسموا الاوقات بل جعلوا وقتهم كله وردا
واحدا لمولاهم وجعلوا حاجتهم من الدنيا ضرورتهم فالاوقات كلها سواء عندهم قد
وضعوا رقابهم في ربقة العبودية وصافوا اقدامهم في مصاف الخدمة فهم في كل وقت
بحكم ما به يستعملون وبوصف ما به يطالبون فذلك وردهم ونيل علاوتهم في حسن
اختيار الله تعالى لهم وجميل توليه اياهم لا يكلهم الى نفوسهم في اقل من الخير ولا يكلهم
غيره وهو يتولى الصالحين مشاهدتهم ذكرهم وقرب الحبيب حسبهم لا يشهدون فضيلة
في غير محبوبهم ولا يرجون قربة بغير معروفهم به يتقربون اليه واليه به يسعون له
وعليه يتوكلون له ومنه يخافون عنه واياه يحبون منه لو اسقطوا الاعمال كلها غير
ما تعلق ثبوته بالتوحيد ما نقص من توحيدهم ذرة ولو تركوا اوراد المريدين كلها ما
اثر في قلوبهم واحوالهم بالاوراد فيعرفون المزيد والنقصان منها ولا تجتمع همومهم
بسبب ولا يقوى يقينهم بطلب حتى تتشتت همومهم لفقد السبب ويضعف يقينهم
لعدم الطلب كما هو حال المريدين وسبب بعد المريدين شيان ضيقهم بالخالق فهربوا
منه واتساعهم بالخالق فاستراحوا اليهم ولو دام قربهم منه لدامت راحتهم به ولو
وقعت شهادتهم عليه لما نظروا الى سواه فاما العارفون فقد فرغ لهم من قلوبهم
واجتمعت المتفرقات بجامعها لهم واقاموا القايم لهم بشادتهم له فلهم بكل شيء مزيد
ومن كل شيء توحيد كل خاطر لهم يردهم اليه وكل منظور اليه يدلهم عليه وكل نظرة
وحركة طريق لهم اليه فتوحيدهم في مزيد ويقينهم في تجديد بغير تقتير ولا تصريد
وربما طلب احدهم التشتت بالاسباب فيجمعه بها رب الارباب لا انه مراد بالاجتماع
وانما استروح بالشتات لاستجمام ما هو في قلبه آت ثقة منه بحبيبه وتمكنا عند

اوراد العارفين

نفوسهم

صفة العارفين

قسوة ولا فترة لانهم لا يزيدون بالاعمال فينقصون بها ولا يتفقدون قلوبهم صح



محبوبه اذ علم انه طالبه فطرح في نفسه ليحمله فحمله بما تولاه ولم يكله الى نفسه وهوا
فهذه مقامات لاهلها لا يعرفها سواهم ولا تصلح الا لهم ولا يليق الا بهم لا يقاس غايتها ولا يد
مكانها ولا تنتظر فتترك لها الاوراد ولا تتوقع فيقصر لاجلها في الاجتهاد والمراد بها انها
محمولون اليها بواجهون بعلمها بسلوك بهم طريقا مزودون زادها وهي محبوسة عليهم مقصورة
لهم فهم لها سابقون فهم الذين علموا ان اخلاص الدين الذي امروا به هو العبادة لله
ولا عبادة له الا بمجانبة الهوى ثم الانابة الى المولى كما قال الله تعالى والذين اجتنبوا الطاغوت
ان يعبدوها وانابوا الى الله وهم الذين ايقنوا ان الصلوة عماد الدين ولا صلوة الا للمتقين
ولا تقوى الا بالانابة كما قال الله تعالى منيبين اليه واتقوه ثم قال واقيموا الصلوة
ولا تكونوا من المشركين فهذه عبادة العارفين على سنة النبيين فانابتهم مشاهدتهم
لمذكورهم لقولهم تعالى ووصف ضدهم الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري والغطاء فوق
اعينهم فكشف من ذكره وحقيقة ذكرهم نسيانهم سوى مذكورهم كما قال الله تعالى واذكر
ربك اذا نسيت فاخرجهم الذكر له الى الفرار اليه كما فهموا عنه ذلك من قوله لعلكم تذكرون
ففروا الى الله فلما هربوا اليه اواهم بتدبيره ووهبهم الهداية الى حبه ونشرهم من
رحمته فطواهم في قبضته فلم يرهم الا هم سواهم فقد قال الله تعالى واذا اعتزلتموهم
وما يعبدون الا الله فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته وقال اني ذاهب
الى ربي سيهدين ولكن بمواصلة الاوراد المرسومة والاعمال الموقتة المعلومة
يستبين المريد النقصان من المزيد ويعرف قوة عزمه وشدته من ضعف
العادة وفترتها وفي الاوراد فضيلة وهو ان العامل اذا اشتغل عنها بمرض
اوسفر كتب له مثل ثواب عمله في الصحة والحضر وقد يكون نوم العارف افضل
من صلوة الغافل لان هذا النايم سالم فان ذلك الزاهد الذي اذا استيقظ
فجد وهذا الصايم القايم لا تؤمن عليه الافات وتطرق الاعداء في العبادات
فهو الجاهل المغتر الذي اذا وجد فقد وفي خبر نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح
وفي الحديث عالم واحد اشد على الشيطان من الف عابد وفي خبر مقطوع
لو وقعت السماء على الارض ما ترك العالم عمله لشيء ولو فتحت الدنيا على عابد
ترك عبادته ولان العالم مقطوع قد يكاشف في نومه بالايات والعبر ويكشف
له الملكوت الاعلى ويخاطب بالعلوم ويشاهد القدرة كما يشاهد الانبياء
في يقظتهم فيكون نوم العارف من يقظه لان قلبه صياة وتكون يقظة الغافل
نوما لان قلبه سوات فيعدل نوم العالم يقظة الجاهل وتقرب يقظة الغافل
من نوم العالم وروي ان النبي عليه السلام قال ان من امتي من تكون التسبيحة
منه اوزن عند الله من جبل احد وقال ابن مسعود لعمر رضي الله عنه ما انكرت ان
يكون عمل عبد في يوم واحد اثقل من السموات والارض وهو العاقل عن الله تعالى

الموقن العالم بر وسئلت عن عايشه رضي الله عنها عن صلوة رسول الله عليه السلام في رمضان فقا
ماكان يخص في رمضان بشيء دون غيره ولا كان يزيد في رمضان على سايرسنته شيا وقال
انس رضي الله ما كانت تريد ان ترى رسول الله عليه السلام نائما من الليل الا رايته ولا تريد ان
تراه قائما الا رايته وكان عليه السلام ينام ثم يقوم قدر ما نام ثم ينام قدر ما قام ثم يقوم
قدر ما نام ثم ينام ثم يخرج الى الصلوة وقالت عايشه رضي الله عنها ما صام رسول الله شهرا كاملا
قط الا رمضان ولا قام ليلة الى الصبح حتى ينام منها وفي خبر اخر كان يصوم حتى نقول لا يفطر
ويفطر حتى نقول لا يصوم وكان يصبح صائما ثم يفطر ويصبح مفطرا ثم يصوم فكان ورده عليه السلام حكم
ما ورد عليه فعن هذا المعدن يكون تصريف العارفين ومن هذا المعنى يكون مشاهدة الموقنين
ليسوا مع الله تعالى بارادة توقيت ولا بقطع على تحديد كما قيل لبعضهم باي شيء عرفت الله تعالى
قال بفسخ العزايم وحل العقود ولكن الاوراد طرايق العمال والموظف احوال العباد منها دخلوا
وفيها يرفعون الى ان يشهدوا الواحد فتصير الاوراد كلها وردا واحدا ويكونون بشهادتهم
قائمين قال العالم من السلف الايمان ثلثمائة وثلاثة عشر خلقا وفي كل طريقة طبقة من
المؤمنين بعضهم اعلى مقاما من بعض وقال عالم آخر الطرق الى الله تعالى بعدد المؤمنين
وقال العارف الطرق الى الله تعالى بعدد الخليقة وفي الخبر الايمان ثلثمائة
وثلثة وثلثون طريقة من لقي الله تعالى بالشهادة على طريقة منها دخل الجنة ومن هذا قوله
تعالى قل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا فدل على ان كلهم مهتدون وبعضهم
اهدى من بعض اي اقرب الى الله تعالى وافضل وقد ندب الله تعالى الى القرب في الامر الذي
يطلب واخبر عن المقربين بالمنافسة في طلب القرب فقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا
الله وابتغوا اليه الوسيلة يعني القرب وقال اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم
الوسيلة ايهم اقرب فاقرب الخلق الى الله تعالى اعلاهم عنده واعلاهم عنده اعرفهم وافضلهم
لديه وروي في تفسير قوله تعالى قل كل يعمل على شاكلته اي على توحيده الذي يوحد الله
تعالى به ويعرف منه والشاكلة الطريقة والخلق الذي قد شاكله وقد شكل فيه ومنه قول
علي رضي الله عنه لكل مؤمن سيد من عمله فالسيد من العمل هو الذي يرجو به المؤمن النجاة
ويفضل عند مولاه وكان بعضهم يفضل عبادة النهار على عبادة الليل لما فيها من مجاهدة
النفس وكف الجوارح لان النهار مكان حركة الغافلين وموضع ظهور الجاهلين فاذا سكن
العبد عند حركة الغافلين وصبر واستتر في ظهور الجاهل كان هو التقي المجاهد والفاضل العابد
ولان افضل العبادة اداء الفرايض واجتناب المحارم وتقوى الله عند الكسب وعند المعاملة
بالدرهم وهذا من اعمال النهار وقد قال الله تعالى وهو الذي يتوفيكم بالليل ويعلم ما كسبتم
بالنهار وما جرحتم على الاجتراح بالنهار وقال ثم يبعثكم فيه فاذا لم يعلم من عبد اجتراحا بالنهار ولم
يبعثه فيه في مخالفة فمن افضل منه وقال الحسن رضي الله اشد الاعمال قيام الليل بالمداومة
عليه وحفظ الاوراد بالمداومة عليها من اخلاق المؤمنين وطرايق العابدين وهي من يد

عدد الطرق

تفضيل العبادة بالنهار

الايمان



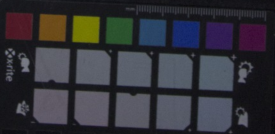
وعلامة الايقان وسئلت عايشة رضي الله عنها عن عمل رسول الله عليه السلام فقالت كان عمله ديمة وكان
اذا عمل عملا اثبته وهذا كان سبب ما نقل عنه صلاة بعد العصر ركعتين انه ترك مرة ركعتي النافلة
بعد الظهر شغله عنها الوفد فصلاها بعد العصر ثم لم يزل يصليها بعد العصر كما دخل منزله الا في المسجد
كيلا يستره الناس به وفي الخبر المشهور اكلفوا من الاعمال ما تطيقون فان الله تعالى لا يمل حتى تملوا وفي
آخر احب الاعمال الى الله تعالى ما ديم عليه وان اقل وفي خبر اخر من عقها الله عادة فتركها ملالة
مقته وفي خبر كل يوم لا ازداد فيه علما فلا بورك لي في صباح ذلك اليوم وسمع رسول الله عليه السلام
في المنام يقول من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من امسه فهو محروم ومن لم يكن
في مزيد فهو في نقصان فالموت خير له **فصل** في تعريف النفس وتعريف مواجيد العارفين اعلم
ان النقصان من الغفلة والغفلة تنشا من آفات النفس فالنفس مجبولة على الحركة وقد
امرت بالسكون ابتلاء لها لتفتقر الى مولاه وتتبرا من حولها وقواها وسل قوله تعالى ولا تموتن الا
وانتم مسلمون خوطبوا بذلك ليفزعوا اليه فيقولوا ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين
وقال الله تعالى خلق الانسان من عجل ثم قال سأريكم اياتي فلا تستعجلون وقال اتى امر الله
فلا تستعجلوه فاخبر عن وصفه بالعجلة ثم امره بتركها للابتلاء فان نزلت السكينة
على القلب وهي مزيد الايمان سكنت عن الهوى باذن منفسها وان حجب القلب عن الافتقار
والتضرع بالغفلة التي هي علاوة فتحركت النفس بطبعها فسكونها بالمنة والفضل وحركتها
بالابتلاء والعدل فاول الابتلاء اختلافها واول الاختلاف خلوها ومقدمته الهمة
وبابه السمع وهو طريق الى الكلام والنظر والكلام والنظر طريق الشهوة مفتاح
الخطيئة والخطيئة مقام من النار حتى يخرج عنها الجبار بالتوبة في الدنيا والعفو في العقبى
وقد تكون المخالفة على المحب العارف اشد من النار قال بعضهم لان ابتلى بدخول النار
احب الي من ان ابتلى بمعصية لان في المعصية مخالفته وسخط وفي النار اظهار قدرته وانتقام
لنفسه فتعذيب نفسي اهون علي من سخطه وقال ركعتان تتقبل مني احب الي من دخول
من دخول الجنة لان في الركعتين المقبولتين رضى ربي ومحبته وفي الجنة رضاي
وشهوتي ورضاه احب الي من رضاي وجملة وصف النفس من شيئين الطيش والشره
فالطيش ينشا عن الجهل والشره عن الحرص وهما فطرة النفس فمثلها في الطيش مثل كرة
او جوزة في مكان املس مصوب سكونها بالمنة فان اشرت اليها بادنى حركة تحركت بوضعها
وهو خفتها واستدارتها ومثلها في الشره مثل الفراشة التي تلقي نفسها في النار فانها جاهلة
شرهة تطلب بجهلها الضوء وفيه هلاكها فاذا وصلت الى شيء منه لم تقنع بيسيره لشرهها
عليه فتحرص على الغاية منه وهو جرم النار فتحترق ولو قنعت بقليل الضوء عن بعد سلمت
وللنفس اصول اربعة في اصل جبلتها التراب وضعفها مقتضى له والطين وبخلها مقتضى
له والحماة وشهوتها موجب لها والصلصال وجهلها موجب له والنفس مبتلاة باوصاف
اربعة متفاوتة اولها صفات الربوبية نحو الكبر والجبرية وحب المدح والعز والغنا

وثانيها

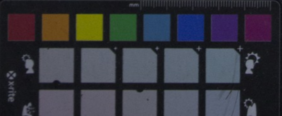
وثانيها اخلاق الشياطين نحو الخداع والحيلة والحسد والفطنة وثالثها طباع البهايم
وهي حب الاكل والشرب والجماع ورابعها ما هو مطالب بر من اوصاف العبودية كا الخوف
والتواضع والذلة ونحوها فلا يكون العبد عبدا مخلصا حتى يكون للمعاني الثلاثة متخلفا
فاذا تحقق باوصاف العبودية خلص من صفات الثلاثة الباقية فاخلاص العبودية للوحدانية
عند العباد الموحدين اشد من الاخلاص في المعاملة عند العاملين وبه رفعوا الى
مقامات القرب لان العبد لا يكون عندهم عبدا حتى يكون ما سوى الله تعالى حرا وكيف يكون عبد
رب وهو عبد عبد لان كل ما تاله اليه فهو الهه وما ترتب عليه فهو ربه وهذا شرك في الالهية
عند المتالهين ومزج بالربوبية عند الربانيين فهو منعوس منكوس بدعاء الرسول عليه السلام
حيث قال تعس عبد الدنيا تعس عبد الدرهم تعس عبد الزوجة تعس عبد الحلة فهولاء
عبيد العدد الذين قال فيهم مولاهم ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا ه
لقد احصاهم وعدهم عدا وهم اصحاب النفوس الامارة بالسوء المسولة الموافقة للهوى
المخالفة للمولى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا الى آخر صفاتهم فهم اصحاب
النفوس المرحومة المطمئنة المرضية وهم عباد الرحمن اهل العلم والحكمة علمهم من لدنه
واختارهم لنفسه ولا يصير المريد بذلك حتى يبدل صفات الربوبية بصفات العبودية
واخلاق الشياطين بالاخلاق المومنين وطباع البهايم بصفات الروحانيين وهي العلوم
والاذكار والطريق الى ذلك ان لا يملك نفسه عليه بموافقته هواها ولا يوسع مجالها
بل يضيقه بحبسها عن معتاد مناها فان النفس مطية ان لم يذللها جمحت به ولا يقوى عليها
الا بقطع اسباب الهوى وحبس مواد الشهوات ومن تذليلها ورياضتها ان لا يحاسبها
كل ساعة ويراقبها كل وقت ولا يمضي من همها وخطراتها الا ما كان لله فيبادر الى امضائه
وما كان لغير الله يسارع الى محوه كيلا يثبت وينبت فبمراعات ذلك يبارك له في اوقاته
كما قال النبي عم البر يزيد في العمر ويقول الناس في الدعاء جعل الله في عمرك البركة فمعنى
الزيادة في العمر والبركة فيه ان يدرك الانسان في عمره القصير بيقظته ما فات غيره
في عمره الطويل بغفلته فيرتفع له من العمل في سنة ما لا يرتفع لغيره في عشرين سنة وللخصوص
من المقربين في مقامات القرب عند التحلي بصفات الرب سمو الى رفيع الدرجات فكل ذرة من
ذكر بتسبيح او تهليل او حمد او تدبر وتبصرة او تفكر وتذكرة بمشاهدة قرب ووجد بروب
ونظرة الى حبيب ودنو من قريب افضل من امثال الجبال من اعمال الغافلين الذين هم بنفوسهم
واجدون وللخلق مشاهدون ومثل العارفين فيما ذكرناه من قيامهم بشاداتهم ورعايتهم
لاماناتهم وعهدهم في وقت قربهم وحضورهم مثل العامل في ليلة القدر العمل فيها خير
من الف شهر وقال بعض العلماء كل ليلة للعارف بمنزلة ليلة القدر وعن علي كرم الله وجهه كل يوم
لا يعصى الله تعالى فيه فهو لنا يوم عيد وكان الحسن يقول اذا تلا قوله تعالى كلوا واشربوا
هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية يا اخواتي هي والله ايامكم هذه فاقطعوها بالجد ولا اجتهاد

البر يزيد في العمر

اعمال المقربين



ولا تضيعوها فخلوها فراغها من حسن المعاملة وبطالتك فيها عن الشغل بمعاذك
الذي تحصل عليه منها كما قال المبطلون يا حسرتنا على ما فرطنا فيها يعني في ايام الاخرة التي
هي محصولهم ومثواهم وكما قالت النفس الامارة بالسوء يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله
يعني ايام الدنيا التي ضيعت العمر فيها فخلت من الثواب والجزاء غدا وهو احد الوجهين
في تفسير الايام الخالية والوجه الاخر الماضية خلت اوقاتها اي مضت وخلدت احكامها
وذهبت شهواتها وبقيت عقوباتها فان قصرت عن محاسبة المراقبة فلا يفوتنك مقام
الورعين وحال التائبين وهو ان تجعل لك وردين في اليوم والليلة لمحاسبة نفسك
وموافقتها مرة بعد صلوة الضحى على ما مضى ليلتك وما سلف من غفلتك فان رايت
نعمة شكرت وان رايت بلية استغفرت والطاعات من اهل النعم والخطايا من اعظم
البلويا ومرة بعد الوتر قبل النوم على ما مضى من يومك من طول غفلتك وسوء معاملتك
ما فعلته كيف فعلته ولمن فعلته وما تركته ولما تركته حتى السكون والسكوت
فبهذه المحاسبة تبين الزيادة والنقصان والربح والخسران وتميز الاخلاص عن الرياء
فما تحركت فيه او سكنت لله تعالى فهو الاخلاص فاشكر الله على نعمة التوفيق له وحسن العصمة
من التهلكة وما تحركت فيه او سكنت لهواك وعاجل دنياك فهو التكلف الذي قال فيه
النبي عليه السلام انا واتقياء امتي براء من التكلف فتب منه واستغفر وكان السلف يحاسب
احدهم نفسه اشد من محاسبة الشريك الشحيح شريكه وقيل من علامة المقت ان يكون
العبد ذاكرا العيوب غيره ناسيا لعيوب نفسه ماقتا للناس على الظن محبا لنفسه على اليقين
واعلم ان ترك محاسبة النفس طول الغفلة عن الله تعالى والغافلون في الدنيا هم الخاسرون
في العقبى قال الله تعالى واولئك هم الغافلون لا جرم انهم في الاخرة الاية وطول الغفلة طابع
القلب من الله تعالى والغفلة في الظاهر غلاف القلب في الباطن تقول العرب غفل وغلفه
بمعنى تقول جنب وجبذ وخشاف وخفاش وطابع القلب من تراكم الذنوب بعضها فوق
بعض فهو الرين الموصوف في قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قيل
اراد به المكاسب الخبيثة واكل الحرام وقيل هو الذنب على الذنب حتى يسود القلب
واصل الرين الغلبة والتغطية يقال ران عليه النعاس اي غلبه ورانت الخمر على
عقله اي غطته واصل تراكم الذنب من اغفال المراقب واهمال المحاسبة وتاخير
التوبة والتسويف بالاستقامة وترك الاستغفار والندم واصل ذلك كله حب
الدنيا وايثارها على امر الله سبحانه وتعالى وغلبة الهوى على القلب الم تسمع قوله تعالى ذلك
بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الاخرة الى قوله اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وقال
في موضع آخر اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم فاتباع الهوى عن طابع
القلب وطابع القلب عن عقوبة الذنب وميراث العقاب الصمم عن فهم الخطاب اما سمعته
سبحانه وتعالى يقول لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون واذا الزيت



غفلة القلب قبل الهام الملك العبد لان طول الغفلة تصم سمع القلب عن كلام الملك
الذي هو الالهام وعدم الهام الملك عقوبة الذنوب وتثبيت الملك للعبد على
الخير والطاعة وحي من الله تعالى الى الملك اما سمعت قوله تعالى اذ يوحي ربك الى
الملائكة انى معكم فثبتوا الذين امنوا وفى الخبر ان ادم عليه السلام حجب عن سماع
كلام الملائكة فاستوحش لذلك فقال يا رب مالي لا اسمع كلام الملائكة فقال
يا ادم خطيئتك حجبتك واذا لم يسمع العبد كلام الملك لم يستجب للمتكلم قال
الله تعالى انما يستجيب الذين يسمعون وقال الحسن رض ان بين الله تعالى وبين العبد
حدا محدودا من الذنوب اذا بلغه العبد طبع على قلبه فلم يوفق للخير ابدا وفي حديث
ابن عمر رض الطابع معلق بقايم العرش فاذا انتهكت المحارم بعث الله تعالى به على القلوب
فاعماها وهو القفل المذكور في قوله تعالى افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها
واعلم ان القسوة التى توعد الله تعالى عليها بالويل في قوله تعالى فويل للقاسية قلوبهم
من ذكر الله متولدة من طول الغفلة وقد قرن الله تعالى القسوة بالنفاق واخبر انه
يجعل القاء الشيطان فتنة لاهل النفاق والقسوة فالقاء الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض
والقاسية قلوبهم فالقسوة ثمرة البعد والبعد عقوبة الخيانة والله لا يحب الخائنين
ودليله قوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم فهذا خيانتهم لعناهم اى ابعدناهم وجعلنا قلوبهم
قاسية وجلاء طابع القلب التقوى والتقوى مفتاح السمع قال الله تعالى واتقوا
الله واسمعوا **الفصل** السادس والعشرون في ذكر مشاهدة اهل المراقبة اعلم
ان مشاهدة المراقبين هي اول مراتبة المشاهدين لان من كان مقامه المراقبة
كانت حاله المحاسبة ومن كان مقامه المشاهدة فان وصفه المراقبة فان اول شهادة
المراقبة ان يعلم يقينا انه لا يخلو في كل وقت وان قصر عن احد امور ثلثة اما ان يكون
عليه فيه فرض من فعل او ترك او له فيه امر ندب اليه او له فيه شى مباح فيه صلاح
جسمه او قلبه وليس ثم وقت رابع فان احدث وقتا رابعا فقد تعدى حدود
الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه الم تسمع قوله تعالى وهو الذي جعل الليل
والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا فهل ترى بين هذين وقتا لجهل او لهوى
كلا وكما لا ترى بين الليل والنهار وقتا ثالثا فالذكر الايمان والعلم وهما يعمان جل
اعمال القلوب والشكر العمل باخلاق الايمان واحكام العلوم وهما يعمان جل اعمال
الجوارح والوقت الثالث الذي للمباح داخل فيهما لانه معين عليهما وبه استقامة
العبد فيهما **قال** بعض العلماء لنا في معاصي الطاعات هم وشغل عن معاصي المخالفات
فيبدء العبد المراقب فينظر بيقظته في اول وقت له فيؤدي ما فرض عليه فيه
من فعل او ترك فاذا فرغ منه او لم يجده بدأ بافضل ما ندب اليه من الفضايل فان
لم يمكنه الافضل عمل المفضول وليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن يومه لامسه

وقت الطبع

عدد اوقات المراقب

جعل الليل والنهار خلفة

ترتيب افعال المراقب



ومن ساعته ليومه ومن دنياه لاخرته كما امره مولاه في قوله تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا
اي لا تترك ان تاخذ نصيبك في الاخرة من دنياك وذلك بان تحسن كما احسن الله
اليك ولا تطلب الفساد في الدنيا فتكون قد نسيت نصيبك من الاخرة فيتركك الله
تعالى من جزيل ثوابه الذي اعده لاحبابه كما قال الله تعالى نسوا الله فنسيهم اي تركوه فتركهم
وتركهم له ترك نصيبهم منه وتركه لهم ترك محابهم من الاخرة فالعبد الفطن ياخذ
من عمره وقته فيجعل لاخرته ثم ياخذ من وقته اعلى ما فيه مما يختص به الوقت ولا
يوجد الا فيه ويفوت بفوت الوقت واعلى ما فيه هو افضل ما يقدر عليه ثم
ان العبد لا يخلو في كل وقت وان قل عن احد مقامين مقام نعمة او مقام بلية
فحاله في مقام النعمة الشكر وحاله في مقام البلية الصبر ثم ليس يفقد احد شهود دين
شهود نعمة او شهود سقم من حيث لا يخلو من وجود مالك وحضور مملوك فعليه
الخدمة للموجود وعليه الحضور في خدمة المعبود والمراقبة علامة الحضور
والمحاسبة دليل المراقبة فيكون له في الوقت الثالث الذي هو ادنى احواله
شهود سقم او شهود نعمة كيلا يذهب وقته فارغا بغير نفع يعود عليه فان شهد
منها اقتطعه الحياء بالسكينة والوقار للهيبة وهذا للخصوص وان شهد نعمة
استغرقته بالشكر والاعتبار وهذا لعموم الخصوص قال الله تعالى في وصف الاولين
ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ففروا الى الله وقال في وصف الاخرين
ولا تجعلوا مع الله الها اخر وقال ايضا في وصف الاولين قل من بيده ملكوت كل
شيء الى قوله فانى تسحرون وقال في وصف الاخرين قل لمن الارض ومن فيها
الى قوله افلا تذكرون وفي حديث ابي الطويل ولا يكون المؤمن طاعنا الا في ثلث
تزود لمعاد او مرمة لمعاش او لذة في غير محرم وقيل على العاقل ان تكون له
اربع ساعات ساعة يناجي ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر في
صنع الله تعالى به وساعة يخلو فيها لطعامه وشرابه لان في هذه الساعة عونا له
على بقية الساعات وقيل من علامات العاقل ان يكون مقبلا على شانه حافظا
للسانه عارفا بزمانه واعلم ان الوقت الثالث وهو وقت المباح لا ينبغي ان يتكلف
العبد تعيينه لان النوايب والحاجات تطرقه فاذا تكلف تعيينه شغله عن
وقتيه الاخرين ثم ان العباد في مشاهدة الملك على اربعة مقامات كل عبد
يشهد الملك من مقامه بعين حاله فمنهم من ينظر الى الملك بعين التبصرة والعبرة
وهم اولوا الالباب الذين كشف عن قلوبهم الحجاب وهم اولوا الايدي والابصار
الذي اقامهم مقام الاعتبار وهذا مقام العلماء الذين هم ورثة الانبياء ومنهم
من ينظر الى الملك وما فيه بعين الرحمة والحكمة وهذا مقام الخائفين الى الملك
بعين الشهوة والغبطة وهذا مقام الهالكين وهم ابناء الذين لها يسعون

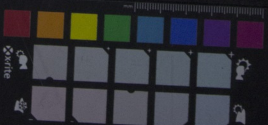
وعلى فوتها يتحسرون فان اعطى العبد النظر الى الملك بعين العبرة ادخله
الملك على الملك فاستغنى به عما سواه وان اعطى النظر اليه بعين الرحمة
اغتبط بمقامه وعظمت عليه النعمة وان اعطى اليه النظر بعين البغض
عوضه الملك بالملك الكبير عن الملك الصغير ومن ابتلى بالنظر اليه بعين الشهوة اوقعه
الملك في الهلاك فسلك طريق المهالك ومن شهد معنى خلق من اخلاق الذات او معنى وصف
من الصفات كان مقتضاه ما يوجبه الخلق او الوصف من شهود نعيم او عذاب وهو له مقام
في التعريف يرفعه الى مقام التعرف وهذه شهادة العارفين من كل ما شهدوه من الافعال
التي تدل على معاني الاخلاق والصفات لا ما ظهرها عنها ليستدل عليه بها وينظر اليه منها
ومن شهد شهوة من شهوات النفس بعين الهوى اخرجته الى الاهوال فتخطفته الشياطين
وهوت به الريح في مكان سحيق اي بعيد ففاته القرب ووقع في التيه والبعد فهو البائس
المغبون الحاير المفتون الذي يكون ابدا يومه شرا من امسه وغده شرا من يومه فالموت
خير له لان حياته عن الحبيب تبعده ووجوده لهواه يفقده وعن الخيرات يعقده فهو في
ادبار وادباره في اقبال فقد فاته عمره كله كموت وقت واحد وشيء واحد لان الحي
ليس ما ياتي موته دفعة واحدة لانه يشاء وقتا بعد وقت فانما يموت جزءا جزءا
بحكمة امهال من الله تعالى واستدراج كما يصعد او ينزل الدراج في الدرج درجة درجة
فيشغله في وقت وينزعه في وقت آخر لغيره ويذكره في وقت سواه وينسيه في وقت
سواه وينسيه في وقت آخر اياه فيكون شغله كفراغه وذكره كنسيانه على هذا تمضي سائر
اوقاته تارة يقطعه عنه وتارة يصله بغيره حتى تفنى ايامه بالفوت وتنقضي اوقاته
بالموت وفي كل ذلك يسبل عليه ستره ويسبغ عليه نعمه ويديم له العافية ليغتر ويبسط
له الامل ليزداد من سوء العمل ويقبض عنه الاجل ليقبض منه الوجل وينشر له الرجاء
ويطوي عنه الخوف حتى يبغته فجاة من حيث امنه وياخذه بغتة في حال غرته
كما قال الله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به الاية اي لما تركوا ما وعظوا به وخوفوا اسبغنا
عليهم النعم وانسيناهم الشكر فترادفت منهم الذنوب وانسينا الاستغفار حتى
اذا فرحوا بما اوتوا اي سكنوا اليه واطمانوا اخذناهم بغتة اي فجاة وقيل بعد
اربعين فاذا هم مبلسون متحيرون باهتون آيسون من كل خير ومن كانت حالته
الغفلة عن الوعد والوعيد فانه اذا كشف له الغطاء حاد بصره وبهت واحتد
وبرق لمعاينة ما غفل عنه وحسرة على ما فرط فيه كما قال الله تعالى لقد كنت في غفلة
من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد قيل تحدد الى اعمالك السيئة
التي اوبقتك وقيل الى لسان الميزان لتعرف النقص والرجحان وقال الله تعالى وانذرهم
يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة قيل جاء الموت وهم مشغولون بامور الدنيا
وقيل مشغولون بالنساء وقال وغرتكم الاماني بغي امانى الهوى حتى جاء امر الله اي

شهود معاني الافعال والصفات

شهود الشهوات

تفسير فلما نسوا ما ذكروا به

صفة الغافل



قدم الموت ولم تقدموا له شيئاً تقدمون عليه وقال سهل لا يبلغ العبد حقيقة
من هذا الامر حتى يكون فيه اربع خصال اداء الفرايض بالسنة واكل الحلال
بالورع واجتناب المنهي عنه في الظاهر والباطن والصبر على ذلك الى الموت وقال
الحسن رضي ما العمل المؤمن انتهاء دون الموت والله ما المؤمن من الذي يعمل الشهر
والشهرين والسنة والسنتين انما المؤمن المداوم على امر الله الخايف من مكره
سبحانه وتعالى انما الايمان شدة في لين وعزم في يقين واجتهاد في صبر وعلم في زهد
وكان عمر رضي الله اذا تلى قوله تعالى ثم استقاموا قال استقاموا والله لربهم ولم يروغوا
روغان الثعالب وقال بعض العلماء من كان طلب الفضايل احب اليه من اداء الفرايض
فهو مخدوع ومن شغل بغيره عن نفسه فقد مكر به وقال سفيان وغيره انما حرموا
الوصول بتضييع الاصول وقد تلتبس الفضايل بالفرايض لدقة معانيها وخفي علومها
فيقدم العبد النفل وهو يظن انه هو الواجب فمنه ما روي ان رافع المعلى كان
قايماً يصلي فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبه وظن ان وقوفه بين يدي الله
تعالى بالغيب افضل له فلما فرغ جاءه فقال له رسول الله ما منعك ان تجيبني حين
دعوتك قال كنت اصلي فقال الم تسمع الله سبحانه وتعالى يقول استجيبوا لله وللرسول
اذا دعاكم لما يحييكم فكان رسول الله دعاه وهو في الصلوة ليفيده باطن العلم
او ليظن ببلع علمه كيف يعمل ففضل استجابته لرسول الله على صلوته لفضيلة
كفضل الفرض على النفل وروي ان رجلين تواخيا على العبادة واعتزلا الناس
ولزما الصمت فمر بهما رسول الله فسلم عليهما فلم يرد عليه السلام فقال النبي عليه السلام
هلك المتعمقون هلك المتنطعون وروي ان عمر رضي الله عنه يعس ليلة مع ابن مسعود
فاطلع من خلل باب فراى شيخاً بين يديه خمر وقينة تغنيه فتسور عليه وقال ما اقبح
بشيخ مثلك على ان يكون على هذه الحالة فقال له الشيخ انصفني يا امير المومنين حتى اتكلم
قال قل قال ان كنت عصيت الله في واحدة فانت قد عصيته في ثلث تجسست
وقد قال الله تعالى ولا تجسسوا وتسورت وقد قال الله تعالى وليس البر بان تاتوا البيوت
من ظهورها ودخلت بغير اذن وقد قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتاً
غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها فقال عمر صدقت فهل انت غافر في
ذلك فقال غفر الله لك فخرج عمر وهو يبكي حتى على نشيجه ومن ذلك قوله عليه السلام اذا
دعي احدكم الى طعام فان كان مفطراً فليجب وان كان صايماً فليقل اني صايم فاره
باظهار عمله مع ان الاخفاء افضل ولكن اظهار عمله لدفع الوحشة عن قلب اخيه
افضل من اخفائه عمله لنفسه مع الحاشه قلب اخيه لفضل المؤمن وحرمته على الاعمال
اذ الاعمال موقوفة على العمال فانما يعطى الثواب على القدر العامل لا على قدر العمل
بدليل انه يضعف الجزاء لمن يشاء على غيره في العمل الواحد فدل على ان العامل ومنه

ما حكي عن بعض السلف انه كان يكون بين الجماعة فيقراء في نفسه سرًّا ليلا فيطلع عليه
احد فاذا مر باية السجدة سجد فكانوا يعرفون سجوده انه يقرا فلعل فارغا قليل
الفقه يقول ان هذا قد اظهر عمله بسجوده فلو ترك السجود ليخفي عمله كان
افضل وهذا القايل جاهل بالمعاملة قليل الفقه بدقايق الاخلاص وطريقة
العاملين من العارفين والذي نقل عنه السجود فقيه مخلص لانه جامع
الفضيلتين فضيلة اخفاء القراة منذ شرع فلما جاء السجود الذي
لا يكون الا ظاهرًا لم يصلح ان يترك قربة الى الله تعالى لاجل الناس فسجد كما امر
وهو الفضيلة الاخرى وقوا كما نعب فجاز الفضيلتين لانه اظهر لله تعالى كما اخفى
له وترك مراقبة الناس فلم يترك عمله لاجلهم ولو كان الفضل في ترك
السجود لاخفاء العمل كان الافضل لمن دخل منزله وهو يصلي ان يترك الصلوة
لاجلهم وقد وردت السنة في مثله ان له اجرين اجر السر واجر العلانية والسلف
رحمهم الله قالوا الرياء ترك العمل لاجل الناس فاما العمل لاجلهم فشرك وقيل لا تعمل
للرياء ولا تترك العمل للحياء والحياء من الخلق شرك كما ان الحياء من الخالق ايمان
وايضا لو اطاع الشيطان في ترك العمل لاجل الناس اطاعه مرة اخرى في العمل لاجلهم
ومنه من كان يصوم ويصلي في منزله يومه كله ولا يعلم به مخلوق فنوى الاعتكاف
لبعض الصوم فخرج الى المسجد فاقام فيه يصلي فظهر الناس على عمله فلم يدع
فضيلة الاعتكاف لاجل نظرهم اليه ولم يضره ظهور عمله لثباته على نيته وتمكنه
في علمه وايضا الامام المقتدى به لا يضره ظهور الناس على اعماله اذا لم يقصد
ذلك ولم يحب مدحهم وربما كان له في ذلك اجران لتنبيه الغافلين على الذكر
وتشويق العاملين الى البر ونحو هذا ما حكي انه قيل لبشر بن الحارث ان فلانا الغني
كثير الصوم والصلوة فقال انه مسكين ترك حاله ودخل في حال غيره لان حاله اطعام
الطعام للجياع والانفاق على المساكين فهذا افضل له من تجويعه لنفسه وصلوته
لنفسه مع جمعه الدنيا ومنعه للفقراء فالعالم عند العلماء من علم خير الخيرين
فسارع اليه قبل فوته وعلم شر الخيرين فاعرض عنه لئلا يشتغل عن خيرها وعلم
ايضا خير الشرين ففعله اذا اضطر اليه وابتلي به وعلم شر الشرين ما امعن
في الهرب منه ومعرفة ذلك كله انما يكون بادلة العقول وظاهر العلوم فصل
في ذكر اساس المريدين قال بعض العلماء الخلق محجوبون بثلاث حب الدرهم وطلب
الرياسة وطاعة النساء وقال بعض العارفين الذي قطع العباد من الله تعالى
ثلثة اشياء قلة الصدق في الارادة والجهل بالطريق ونطق علماء السوء بالهوى
وقال بعض العلماء اذا كان المطلوب محجوبا والدليل مفقودا والاختلاف موجودا
لم ينكشف الحق واذا لم ينكشف تحير المريد واعلم ان المريد لا بد له من سبع خصال

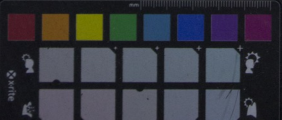
حجاب الخلق عن الله

الخصال التي لا بد للمريد منها



الصدق في الارادة وعلامته اعداد العدة ولابد له من التسبب الى الطاعات وعلامته ذلك
ذلك هجر قرناء السوء ولابد له من المعرفة على نفسه وعلامة ذلك استكشاف افات النفس
ولابد من مجالسة عالم بالله تعالى وعلامه ذلك ايثاره على ما سواه ولابد له من توبة نصوح
فبذ يجد حلاوة الطاعات ويثبت على المداومة وعلامة التوبة قطع اسباب الهوى والاذى
فيما كانت النفس راغبة فيه ولابد له من طعمة حلال لا يذمها العلم وعلامة ذلك الحلو
المطالبة عنه وحلول العلم فيه يكون بسبب مباح وافق فيه حكم الشرع ولابد له من قرين
صالح يوازن على حاله وعلامة القرين الصالح معاونته على البر والتقوي ونهيه اياه
عن الاثم والعدوان فهذه الخصال السبع قوت الارادة لا قوام لها الا بها ويستعين
على هذه السبع باربع هن اساس بنيانه وبهن قوة اركانه الجوع والسهر والصمت و
الخلوة فهذه الاربع سجن النفس وضيقها وضربها وتقييدها بهن تضعف صفاتها
وعليهن تحسن معاملاتها ولكل واحدة من هذه الاربع صبغة في القلب حسنة
فاما الجوع فانه ينقص من دم القلب فيبيض وفي بياضه نوره ويذيب شحم الفؤاد
وفي ذوبه رقته ورقته مفتاح كل خير لان قسوته مفتاح كل شر واذا انقص دم القلب
ضاقت مسالك العدو منه لان دم القلب مكانه فاذا دق القلب ضعف سلطان
العدو فيه لان في غلظ القلب سلطانه ذا الفلاسفة يقولون ان النفس كلية الدم
والعلماء منهم قالوا الدم مكان النفس وهو الصحيح لانه مواطئ لما في التورية فان فيها
يا موسى لا تاكل العروق فانها ماوي كل نفس ونظيره قوله عليه السلام ان الشيطان
يجري من ابن ادم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش والنفس في اللغة
عبارة عن الدم ومنه قولهم ما ليس له نفس سائلة وقال عيسى عليه السلام جوعوا بطونكم
وعطشوا اكبادكم واعروا اجسامكم لعل قلوبكم تري الله تعالى يعني بحقيقة الزهد
وصفاء القلب فالجوع مفتاح الزهد وباب الاخرة وفيه ذل النفس واسكانها
وضعفها وانكسارها وفي ذلك حياة القلب وصلاحه واقل ما في الجوع ايثار الصمت
وفي الصمت السلامة وهي غاية العقلاء وقال سهل رضي اجتمع الخير كله في هذه الخصال
الاربع وبها صار الابدال ابدالا الجوع والصمت والسهر والخلق وقال عبد الواحد بن
زيد والله ما تحول الصديق صديقين الا بالجوع والسهر فانه ينير القلب وبجلوه
وفي استنارته معاينة القلب كانه كوكب دري في مرآة مجلوة فيشهد الغيب بالغيب
فيزهد في الفاني لما عاين من الباقي فيصير الاجل عاجلا والعاجل غايبا والغايب
حاضرا والحاضر افلا فلا يحب الافل ولا يبتغيه ويطلب الاجل ويرغب فيه و
يصير مؤمنا حقا بوصف حارثة الانصاري اذ يقول عزفت نفسي عن الدنيا فكاني
انظر الى عرش ربي بارزا وكاني انظر الى اهل الجنة يتزاورون والى اهل النار يتعاوون
وبذلك وصف رسول الله عليه السلام قلب المؤمن في قوله القلوب اربعة قلب اجرد

فيه



فضيلة السهر

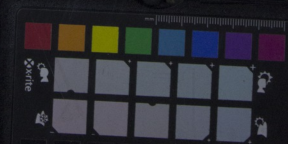
فيه سراج يذهب بذلك قلب المؤمن والتجرد القلب بالزهد في الدنيا وتجرده من
الهوى وسراجه الذي يزهر فيه هو نور اليقين به يبصر الغيب واما السهر فقال
بعض العلماء من سهر اربعين ليلة خالصا كوشف بملكوت السموات واعلم ان نوم
العلماء عن غلبة المنام بعد طول السهر بالقيام مكاشفة لهم وشهود وتقريبهم
من الحبيب وورود ومن صفة الابدال ان يكون اكلهم فاقة ونومهم غلبة
وكلامهم ضرورة ومن سهر بالليل للحبيب لم يخالفه بالنهار ومن راقب الرقيب
بالنهار اسهره بالليل في خدمته وفي الخبر قيلوا فان الشياطين لا تقيل واستعينوا
على قيام الليل بقائلة النهار وقيل في قوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلوة

فضيلة الصمت

معناه استعينوا بالصوم على قيام الليل وقيل استعينوا بالصوم وقيام
الليل على مجاهدة النفس واما الصمت فانه يلقح العقل ويعلم الورع ويجلب
التقوى ويجعل الله تعالى بر للعبد بالتاويل الصحيح والعلم الرجيح مخرجا ويوفقه

مطلب

بايثار الصمت للقول السديد والعمل الرشيد وقال سفيان يا رسول الله
اخبرني باضر شيء علي فقال هذا واوما بيده الى لسانه وفي الخبر لا يتقي العبد ربه
حق تقاته حتى يخزن من لسانه وفي الخبر لا يصلح العبد حتى يستقيم قلبه ولا
ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه وقال ابن ليس شيء احق بطول سجن من لسانه وقال
حكيم اذا كثر العقل قل الكلام واذا قل العقل كثر الكلام وقال احمد بن حنبل علماء الكلام
زنادقة وقال ذو النون الخوف يقلق والشوق يزعج والحياء يسكت وقال الضحاك ادركتهم
وما يتعلمون الا الصمت والورع وهم اليوم يتعلمون الكلام وقيل لبعض السلف العلم اليوم
اكثر او فيما مضى فقال الكلام اليوم اكثر والعلم فيما مضى كان اكثر وقيل كانوا ينتفعون
بصمت العالم كما ينتفعون بكلامه وقيل من لم ينتفع بسكوت المتكلم لم ينتفع بكلامه
وقيل لبعض العلماء فلان اعلم ام فلان فقال فلان اعلم وفلان اكثر كلاما وفي الخبر
الصمت زين للعلم وستر للجاهل وقيل ليس على الشيطان شيء اشد من عالم حليم
ان تكلم تكلم بعلم وان سكت سكت بحلم يقول الشيطان سكوته اشد علي من كلامه
وقال بعض السلف تعلم الصمت كما تتعلم الكلام فان يكن الكلام يهديك فان الصمت
يقيك ولك في الصمت فايدتان تدفع به جهل من هو اجهل منك وتتعلم به علم من هو اعلم
منك وقال بعض العلماء تعلم لا ادري ولا تتعلم ادري فانك ان قلت لا ادري علموك
حتى تدري وان قلت ادري سالوك حتى لا تدري وقال عيسى عليه السلام الخير كله في
ثلث الصمت والكلام والنظر فمن لم يكن صمته فكرا فهو سهو ومن لم يكن كلامه ذكرا
فهو لغو ومن لم يكن نظره عبرة فهو لهو وقال الحكيم الصمت نوم العقل والكلام يقظته
وكل يقظة تحتاج الى النوم وما صمت عاقل الا اجتمع عقله ولبه وفي الخبر من كثر كلامه
كثر سقطه مات قلبه وعن جماعة من السلف ان تسعة اعشار السلامة في الصمت ويقال



كل كلمة من هزل او مزح يوافق عليها العبد خسّ موافقات توبيخ يقال له كلمة كذا كانت مما
ما يعنيك انفعك قولها اكان يضرك تركها هلّا سكت فربحت السلامة من عاقبتها هلّا
جعلت مكانها قول سبحان الله والحمد لله فغنمت ثوابها وفي موعظة النبي عليه السلام طوبى لمن
شغله عيبه عن عيوب الناس طوبى لمن انفق الفضل من ماله وامسك الفضل من قوله
واما الخلوة فانها تفرّغ القلب من الخلق وتجمع الهم بامر الخالق عز وجل وتقوي العزم على الثبات
اذ في مخالطة الناس وهن العزم وشتات الهم وضعف النية والخلوة تقلّل الافكار في
عاجل حظوظ النفس لفقد النظر فان العين باب القلب ومنها تدخل عليه الآفات وحب
الشهوات واللذات وقيل من كثرت نظراته دامت حسرته والخلوة من اكبر العوان وقد
جاء في الخبر العزلة عن الناس عافية وجاء فيه ايضا سلوا الله العافية فما اعطي العبد
بعد اليقين افضل من العافية تحصل ذلك ان العزلة ما ندب الى سؤاله من الله تعالى
وما فضل على غيره بعد اليقين ولا يكون المريد صادقا حتى يجد في الخلوة من اللذة
والحلاوة والمزيد ما لا يجده في الجماعة ويجد في السر من النشاط والقوة ما لا يجده في
العلانية ويكون انسه في الوحدة وروحه في الخلوة ويكون احسن اعماله في السر ومثل
الخلوة في الاحوال من المخالطة للناس مثل الخوف في المقامات من المحبة فالخوف يصلح لجميع
العابدين والمحبة من بدلا لاهلها المخصوصين فكذا الخلوة ~~في المقامات من المحبة~~ تصلح
لجميع المريدين والانس بالناس مزيد لاهله خاصة من الائمة العالمين لان الخلوة تحتاج
الى عقل آخر والوحده والانفراد يحتاج الى ايمان ثان وقال سفيان الثوري ولبشر بن
الحارث اذا استوحشت من الوحدة واستانست بالخلق لم امن عليك من الرياء وقال
سهل مخالطة الولي للناس ذل وتفرده عز وقلما رايت وليا لله تعالى الا منفردا وقال بعض العارفين
الانس بالوحدة علامة وجود الطريق قال بعض الصحابة اول بدعة بعد رسول الله
عليه السلام الشبع وتجشّا ابو جحيفة عند رسول الله عليه السلام فقال له اكفف عنا جشاك
فان اطولكم شبعا في الدنيا اكثركم جوعا في الاخرة فما شبع ابو جحيفة بعد ذلك
فيستحب ان يكون جوع العبد في الدنيا اكثر من شبعه فان ذلك من علامات الاولياء
ومن كانت له اكلة متوسطة بين جوعتين بالغتين فجوعه اكثر من شبعه ومن
كانت له اكلة متوسطة بعد جوعه بالغة فقد اعتدل شبعه وجوعه ومن اكل بعد
في يوم مرتين او اكل من غير جوع فشبعه اكثر من جوعه وهو مكروه وكل من اكل
بعد الجوع الصادق ودفع يده قبل الشبع فجوعه اكثر من شبعه ايضا و
هذا اوسط الامور قال الثوري خصلتان تقسيان القلب كثرة الاكل
وكثرة الكلام واما النوم فان في كثرته طول الغفلة وبله العقل ونقصان
الفطنة وسهو القلب وفي هذا الاشياء الفوت وفي الفوت الحسرة بعد الموت
قال النبي عليه السلام قالت ام سليمان بن داود عليه السلام لابنها يا بني لا تكثر النوم

بالليل

مضرة الكلام

بالليل فان كثرة النوم تترك العبد فقيرا يوم القيمة قال لقمان لابنه يا بني لان تعيش اخرس يسيل لعابك على صدرك خير لك من ان تنطق في نادي القوم بما لا يعنيك وفي الخبر من افتتح بكلمة سوء ثم خاض الناس في مثلها كان عليه مثل اوزارهم وفي الخبر لا ياتي بخبر السوء الا رجل السوء وكان ابراهيم بن ادهم اذا صحبه رجل فجاء بخبر السوء فاذا قدد في الحديث من حدث بما سمعت اذناه ووادت عيناه كتبه الله من الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا وقال علي رض مذيع الفاحشة في الدنيا كفاعلها وقالت عايشة رض في امراة انها القصيرة وفي لفظ آخر ما اطول ذيلها فقال النبي عليه السلام اغتبتها وفي رواية اخري انك قلتها قد تكلمت لو مزج بها ماء البحر لامتزج وهو وصف مبالغة في الشدة وقال عليه السلام من قال اخيه ما فيه فقد اغتابه وعنه عليه السلام اشد من ذلك قال الغيبة ما ان قلته في اخيك لم تركه بر وقال عليه السلام الغيبة اشد من الزنا فلو لم يكن في الصمت الا السلامة من الغيبة لكان ذلك غنيمة وافرة كيف وقد

في الغيبة

عليه السلام كل كلام ابن آدم ابن ادم عليه لا له الا تلاوة امر بمعروف او نهيا عن منكر او ذكر الله تعالى واما مخالطة الناس فانها تضعف العزم الذي كان قويا في اعمال البر وتحل العقد الذي ابرمه العبد في الخلوة لقلة المعتادين على البر والتقوي وكثرة المعتادين على الاثم والعدوان وفي مخالطة الناس تقوّ الحرص على الدنيا لما يشاهد من اقبال اهلها عليها ومنها ايضا الفتور عن الخدمة بالنظر الى اهل الغفلة والملل للطاعة بمجالسة اهل البطالة ونقصان حلاوة المعاملة وذهاب نور العلم لسماع كلام الجهالة والنظر الى الموتى من ابناء الدنيا كما قال عيسى عليه السلام لا تجالسوا الموتى فتموت قلوبهم قيل من الموتى قال المحبون للدنيا الراغبون فيها وقال الحسن رض وما يستوي الاحياء ولا الاحياء اي الفقراء ولا الاغنياء وكان الفقراء حيوا بذكر الله والاغنياء ماتوا على الدنيا واعظم ما في مخالطة الناس ومجالسة اهل البطالة منهم واهل الغفلة ضعف اليقين برؤيتهم واضر ما ابتلي العبد واعمله في هلاكه واشده لحجبه وابعاده ضعف يقينه بما وعد بالضمن وتوعد عليه في الشهادة ولهذا قال النبي عليه السلام اخوف ما اخاف على امتي ضعف اليقين وذلك لان ضعف اليقين هو اصل الرغبة في الدنيا والحرص على الاستكثار منها والخضوع والذل لابنائها والطمع فيهم كما قال ابن مسعود رض ان الرجل ليخرج من بيته ومع دينه فيرجع الى بيته وما معه من دينه شيء يلقي هذا فيمدحه ويلقي هذا فيمدحه ولعله لا يحلى منهم بشيء ويرجع وقد اسخط ربه فقوة اليقين اصل كل عمل صالح وقال بعض التابعين ان العبد ليعقد قلبه في الخلوة على خصال من الخير فيخرج الى الناس فيحللون ما عقد عقدة عقدة حتى يرجع وقد انحلت العقدة كلها وضعف اليقين اصل كل عمل شيء الم تسمع قوله تعالى الهيكم التكاثر حتى زرتم المقابر اي شغلكم الجمع للمكاثرة حتى متم فحللتم في قبوركم ثم توعدهم وتهددهم حين تعلمون علم اليقين فقال كلا لو تعلمون

مضرة مخالطة الناس

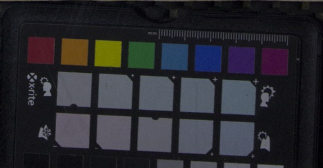
علم اليقين اى لشغلكم العمل الصالح للاخرة الذي هو مقتضى علم اليقين عن التكاثر وهو
مقتضى الشك كما قالوا اذا راوا الاخرة ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون
بعد ان قال بل هم في شك يلعبون ثم توعدهم بالسؤال عن نعيمهم بالتكاثر وهو الجمع والمنع
واعلم ان الذي قطع العباد عن التوبة وعوّج بالتائبين عن الاستقامة ثلثة اشيا
حب الكسب والانفاق والجمع وهذه الثلاثة متعلقة بالخلق فمن زهد فيها زهد فيهم
ومن رغب فيها رغب فيهم قال الثوري من خالط الناس داراهم ومن داراهم راآهم ومن راآهم
وقع فيما وقعوا فهلك كما هلكوا وقال بعض السائحين قلت لبعض الابدال كيف الطريق
الى الحق وفي رواية دلني على عمل احد فيه قلبي مع الله تعالى على الدوام فقال لا تنظر الي
الخلق فان النظر اليهم ظلمة قلت لا بد لي من ذلك قال فلا تسمع كلامهم فان كلامهم قسوة
قلت لا بد لي من ذلك قال فلا تعاملهم فان معاملتهم وحشة قلت لا بد لي من ذلك فقال
لا تسكن اليهم فان السكون اليهم هلكة قلت هذا لعلي اقدر عليه فقال يا هذا
تنظر الى الغافلين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتريد ان تجد قلبك
مع الله على الدوام هذا ما لا يكون **فصل** في مراقب المقربين ومقامات الموقنين
المقام الاولي من المراقبة اعلم ان العبد اذا قوي يقينه علم علم يقين ان اوقاته
هذه التي وكلت تربيته اليها وجعل سبب نمائه وحياته منها هي منقولة اليه في
البرزخ ومردودة عليه يوم القيمة ومعاده عليه في الجنة ان دخلها لا يجازي
الا بمقدار ما وفق له من العمل الصالح هذا يسال عن اوقاته ويحاسب بساعاته لا ترد عليه
اوقات غيره كما لا يعاد هو في صورة غيره واليه الاشارة بقوله تعالى كما بدأكم تعودون
ومثله قوله تعالى ليس بامانيكم الى قوله يظلمون نقيرا فنفى امانيهم بليس واثبت حكمه
بلكن وهي ضرة تقديره لكن من يعمل سوء يجز به وقال الحسن عباد الله اتقوا هذه
الاماني فانها اودية النوكى يحلون فيها والله ما اتى الله عبدا بامنيته خيرا من دنيا
والاخرة وقال بعض العلماء كلما قل العقل كثرت الاماني وقال الاخر تنقص العقل
قال بعض العلماء من ظن انه يدخل الجنة بغير عمل فهو متمني ومن ظن انه يدخلها بعمل فهو
متعن وفي الخبر ليس الايمان بالتحلي ولا بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ومثله
قوله تعالى ام حسبتم ان تتركوا الاية وقوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة وقيل في قوله
تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل الرجاء الخائب بالاغترار والظن الكاذب
وقيل عملوا اعمالا ظنوا انها حسنات فوجدوها عند الحساب سيئات قال عبد الرحمن
الواحد بن زيد ليس من الخائف من ظن انه لا يدخل النار ولا من ظن انه يدخلها ثم يخرج
منها يعني ان حقيقة الخوف خشية دخول بصفة الخلود وذكر عند الحسن ان
رجلا يعذب في النار الف سنة ثم يخرج منها فبكى ثم قال يا ليتني ذلك الرجل وعن
رسول الله عليه السلام من قال اني في الجنة فهو في النار ومن قال اني عالم فهو جاهل

وعن

وعنه عليه السلام من اراد ان يعلم كيف منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله من قلبه فان الله تعالى
ينزل العبد منه حسب ما انزله من نفسه المقام الثالث من المراقب اعلم ان لكل عمل صالح ومعرفة
خالصة نعيما في الجنة ومقاما وروحا في البرزخ وان لكل عمل سيئ وجهل قبيح عذابا في الآخرة
ومقاما في النار وكربا في البرزخ فتقسم كل ذلك جزأ وهناك لعمل هنا ثم ان الله تعالى اخفى الجزاء
من الخير والشر واظهر اعمالها واباًن طريقهما وقدم الاعمال واخر الاجزية حكمة منه واحكاما
لافعاله وابتلاء وامتحانا لعبيده لا يسال عما يفعل لانه ملك قهار عزيز جبار وهم يسئلون لانهم
عبيد مقهورون اذلاء مجبورون قال بعض العلماء ما في الجنة قصر ولا نهر ولا نعيم
الا عليه اسم صاحبه مكتوب واسم العمل الذي ذلك جزاؤه وما في جهنم غل ولا قيد ولا
سجن ولا عذاب الا عليه اسم صاحبه مكتوب واسم العمل الذي ذلك جزاؤه وقال
بعض العارفين الخلق اهون من ان يعصوه عز وجل بما لم يرد وهو اعز واعلى من ان
يرضيه الا ما يحب ولكنه غضب على قوم في القدم فلما اظهرهم استعملهم باعمال اهل
الغضب ليحلهم دار الغضب ورضي عن قوم في القدم فلما اظهرهم استعملهم باعمال اهل
الرضا ليحلهم دار الرضا وعن بعض العارفين قال كان في نفسي شيء من القدر فكنت
استكشفه من العلماء فلا ينكشف حتى قيض الله لي بعض الابدال فاستكشفته اياه
فقال ويحك نحن لا نحصل العلم بالاحتجاج بل يكشف لنا عن سر الملكوت فننظر الى الطاعات
تنزل صورا مصورة من الاسماء حتى تقع على جوارح قوم فتتحرك بها وكذا نرى المعاصي ايضا
قال فكشف الله تعالى ببركاته ما في نفسي من القدر واوقع فيه العلم بمشاهدة القدرة
قال بعض العابدين صليت ركعتين وقت السحر وغفوت بعدهما فرايت قصرا عاليا
اذا شرفات بيض كانها الكواكب فاستحسنته فقلت لمن هذا القصر فقيل هو لك
ثواب ركعتيك ففرحت به وطفت حوله فرايت شرفة من دفة من ركنه قد وقعت
فتاسفت فاغتممت وقلت لو كانت هذه الشرفة في موضعها لتم حسنه فقيل
انها كانت في موضعها الا انك التفت في صلوتك فسقطت وعن بعض الزهاد
انه كوشف بمقامه من الجنة فراى الحور والعين فقلن له نحن ازواجك فلما قام
ليذهب تعلقن به وقلن ننشدك الله الا حسنت اعمالك فانك كلما حسنتها
ازددنا لك حسنا وعن رابعة العدوية انها صلت في السحر ثم نامت فرات شجرة
خضراء نضرة لا يوصف حسنها وبهجتها وعظمها وعليها ثلثة انواع من الثمر التي
لا يعرف مثلها في الدنيا نوع ابيض ونوع احمر ونوع اصفر والثمر يلمع في خلال
خضرة الشجرة كالاقمار والشموس فاستحسنتها فقالت لمن هذه الشجرة فقيل هي
لك ثواب صلوتك فطافت حولها فرات تحتها ثمرة ساقطة في لون الذهب
فقالت لو كانت هذه الثمرة على الشجرة مع بقية الثمار لكانت احسن فقيل لها قد كانت
على الشجرة ولكنك لما سجدت تفكرت ام لا فسقطت هذه الثمرة المقام

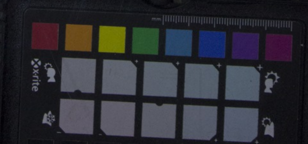
ابتلاء اهل الجنة والنار

اعمال اهل الغضب والرضا



الثالث من المراقبة روي ان كعب الاحبار قال لعمر رض لو لقيت الله تعالى بعمل لو لقيت الله تعالى
بعمل سبعين نبيا لخشيت انك لا تنجوا من هول ذلك اليوم وقال بعض السلف لو خر العبد
على وجهه ساجدا لله تعالى من اول خلق الدنيا الى قيام الساعة لاحتقر عمله يوم القيمة
لما يرى من الزلازل والاهوال وفي الحديث معالجة ملك الموت اشد من الف ضربة بالسيف
وان الم شعرة من الموت لو وضع على جميع الخلايق لماتوا وان بين الموت وبين دخول
الجنة مائة الف هول منها يزيد على الم الموت مائة الف ضعف لا ينجو العبد من كل هول منها
الا برحمة فيحتاج العبد الى مائة الف رحمة تنجيه من تلك الاهوال وكل رحمة جزاء الحسنة
فيحتاج الى مائة الف حسنة احسنها في الدنيا تكون مكانا لظهور الرحمة وظرفا لعطائها
غدا حكمة منه سبحانه وتعالى لان الصالحات ظروف الجزاء والحسنات كلها ناشية عن
الرحمة الواحدة التي سبقت للعبد بها النجاة الا انها قسمت في ظروف الاعمال فيعطي العمل
هذا اليوم وهو العطاء الاول بحسن توفيقه ولطيف عنايته ويعطي الجزاء هناك غدا
بفضل رحمته وتمام نعمته كما قال الله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان جاء في
الخبر ما جزاء من انعمنا عليه بالتوحيد الا الجنة وقال بعض العلماء ليس لقول لا اله
الا الله جزاء الا النظر الى وجه الله تعالى واما الجنة فجزاء العمل وقيل في قوله تعالى هو اهل
التقوى اي هو اهل ان يعطي التقوى في الدنيا ليعطي المغفرة في الاخرة فمن شهد ما
ذكرنا يقينا دامت مراقبته وحسنت معاملته واتصلت اوراده وكثرت من التقوى
زاده ومن الخير ازدياده ونفذت مشاهدته لصفاء يقينه ودوام مزيده فكان
ممن قال الله تعالى في وصفهم اولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون اي
يسارعون الموت ويسابقون الفوت ويسارعون الغافلين ويسابقون
البطالين ولعل بطالا من الشاطحين جاهلا بحكمة الحكيم يظن انا نقول انه
عز وجل لا يعطي شيئا الا بشيء ولسنا نقول ذلك بل نقول انه يعطي شيئين بلا شيء
لانه يعطي اولا الايمان والطاعة ثم يعطي ثانيا الجنة والنعيم المقام الرابع من
المراقبة ليعلم العبد يقينا انه تنشر وتبسط له سنوه في الاخرة شهورا وشهوره اياما
وايامه ساعات وساعاته انفاسها ثم يسال عن كل نفس وقال الله تعالى وان كان مثقال حبة
من خردل اتينا بها وقرئ آتينا بها بالمد اي جازينا بها وقال الله تعالى فمن يعمل مثقال
ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قيل هذه احكم اية في القرآن العزيز وهي محكمة
مبهمة عامة وكان رسول الله عليه السلام اذا سئل عن شيء لم يوح اليه فيه شيء يقول ما انزل علي
فيه الا هذه الاية الفاذة الجامعة فمن يعمل مثقال ذرة الاية ولما تعلم صعصعة
جد الفرزدق من اجزاء القرآن الا هذه السورة قال حسبي حسبي قد عرفت الخير والشر
فقال النبي عليه السلام انصرف الرجل فقيها ثم قيل الذرة قشرة الهباء الذي يظهر في شعاع
الشمس مثل رؤس الابر وعن ابن عباس رض اذا وضعت كفك على التراب ثم نفضتها فما
تعلق بها من التراب فهو الذرات وقيل اربع ذرات خردلة وقيل الذرة جزء من الف جزء

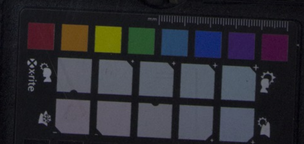
من المشيرة وينبغي للعبد ان يعمل ما عليه ولا ينظر اليه ثم يتوكل على الله ويرجو فضله لفضله ويخاف رده بعدله ولذلك مدح الله تعالى الصابرين المتوكلين في اعمالهم عليه فانعم اجرهم فقال نعم اجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ومن احسن انواع الصبر الصبر عن المعصية ومن احسن الحسنات التوبة النصوح بعد ما سلف من العصيان الى الابد ولا توبة الا منه كما قال الله تعالى واصبر وما صبرك الا بالله وقال توبة من الله ويسير من العبد اولية فيما من الله والا كان شريكا له في اسمه الاول جاء في الخبر ان فقراء الكفار يدخلون النار بعد اغنيائهم بخمسمائة عام بسبب فقرهم كما ان فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام بسبب فقرهم وفي الخبر ايضا ويدخل المرضى الجنة قبل الاصحاء باربعين خريفا ويدخل المقتول في سبيل الله مقبلا قبل المقتول في سبيل الله مدبرا باربعين خريفا ويدخل المماليك قبل الموالي باربعين خريفا ويدخل سليمان عليه السلام بعد الانبياء كلهم باربعين خريفا لمكان ملكه فالحسرة العظمى والفوت الاكبر الذي لا تدارك له هو حرمان ما اعطى غيرك من المزيد هناك للفوت او فاتك في الدنيا وادراكه باوقات العامرة في الدنيا من مزيد الجزاء في الاخرة وهذا هو التغابن غبن العاملون البطالين والسابقون المخلفين والمسارعون المتثبطين ولهذا قال النبي عليه السلام من ساعة تاتي على ابن ادم لا يذكر الله فيها الا كانت عليه حسرة وان دخل الجنة وفي لفظ آخر وهو اشد الا كانت عليه ترة يوم القيمة اي مطالبة ومؤاخذة فالحسرة بعد دخول الجنة والظفر بنعيمها هي حرمان من بذل العاملين في الساعة التي بطلت انت فيها ثم دوام ذلك الحرمان على التابيد فيكون العبد في نقصان درجة عن غيره مخليا في ذلك النقصان سرمدا ومع ذلك لا يفطن بذلك كيلا يتنغص عليه نعيمه **المقام** الخامس من مراقبة المؤمنين قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله اي لا تشغلكم عن طاعته ثم قال ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون اي المغبونون المنقوصون حظهم في الآخرة وفي الخبر لا يموت احد الا بحسرة او ندامة اذ كان مسيئا كيف لم يحسن واذا كان محسنا كيف لم يزدد لان الله تعالى جعل الشهداء على درجات متفاوتة وكذلك الاشقياء فصاحب الشمال يتحسر كيف لم يكن لان الله تعالى من اصحاب اليمين وصاحب اليمين يتحسر كيف لم يكن من المقربين والذي هو من المقربين يتحسر كيف لم يكن من الشهداء والشهيد يتحسر لم يكن من الصديقين فيوم القيمة هو يوم الحسرة الذي انذر الله تعالى به اهل الغفلة قال الله تعالى وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة وقيل انما يوزن من الاعمال خواتيمها والخواتيم هي السوابق وما بينهما زاهق والوزن يومئذ الحق وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا صدقا لاوليائه وعدلا على اعدائه **المقام** السادس من مشاهدة



المقربين للخيرات من ثمرات الايمان واليقين واللهو واللعب من ثمرات الشك والسمع والبصر
وصفات لليقين والعما والصم وصفات للشك قال الله تعالى مخبرا عمن ابصر وسمع فاحزن
فسال العمل الصالح ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون وقال تعالى
في وصف اللاعبين بل هم في شك يلعبون قال عليه السلام حبك الشيء يعمي ويصم
فالهوى يعمي عن الحق والشهوة تصم عن النصح والصدق فلهذا لو احببته لنظرت
اليه ولو نظرت اليه لعميت عما سواه ولو اقبلت عليه لاستمعت اليه ولو استمعت
اليه لصممت عن غيره ولو احبك لكان سمعك وبصرك وقلبك ويدك وناصرك
ومؤيدك تدعوه فيجيبك وتساله فيعطيك فاذا ايقن العبد يقين غير لا يقين
سمع بسرعة فوت الوقت وبفوت ادراكه شغله الهم والحزن على ما فات عن مثل
ما سلف ماندم عليه فلا يضم الى الفوت الاول فوتا ثانيا المقام السابع من مشاهدة
الموقنين اعلم ان ما ذكرناه من تدارك الاوقات خوف فوتها ليس هو بتمني مكان
دون مكان ولا بانتظار وقت ثان غير الوقت الذي انت فيه ولا بتوقع حال سوى الحال
التي انت عليها وانما هو في الوقت الحاضر بصيام يوم او بقيام ليلة او ذكر ساعة او جمع
هم عن شتات قلب او قطع حظ من حظوظ النفس كغض الطرف وصون السمع وكف
اللسان واليد والرجل وبقية الجوارح وترك لقمة شهية ونقصان من قوت وزيادة
في جوع وامر بمعروف ونهي عن منكر وعقد نية محمودة وحل نية مذمومة وتجديد
توبة وتبديل سوء ظن بحسن ظن وسعي فيما يصحح العزم ويقويه ومعاونة على
بر وتقوى وتبديل سوء ظن بحسن ظن وما اشبه ذلك وهذا كله يكون في الوقت
الحاضر من غير تسويف ولا تخصيص له بمكان دون زمان ولا بمكان دون مكان
فهنا يكون تدارك الاوقات خشية فوتها واياك التسويف والتمني والانتظار والتراخي
فان هذه الخصال من جنود ابليس التي يقطع بها الطريق على المريد وهي من صفات المغرورين
والبطالين الذين وكلوا الى نفوسهم وتركوا مع اهوائهم ولم يتداركوا بتوفيق ولم يهدوا
للطريق نسوا الله فنسيهم الوقت اعز الاشياء المملوكة للانسان لانه اذا انقضى
فقد فقده ولم يوجد الى يوم القضاء والساعة اذا مضت طويت ولم تنشر الى يوم النشور
وانما ينشا مثلها ويخلق شبهها فالموقن من علم ان عمره كله يوم ويومه كله ساعة
وساعته وقته الحاضر ووقته حاله وحاله قلبه فاخذ من حاله لقلبه ما يقربه الى
منقلبه بنهاية علمه فعمل افضل ما دله علمه عليه مما ندبه مولاه اليه وما يحب ان ياتيه
الموت وهو عليه ليكون خاتمة عمله الذي يلقى مولاه به ولا يزال مراعيا لوقته محافظا
على حاله قائما على قلبه حاما معاملته محصيا لانفاسه مراقبا لرقيبه مجالسا لحبيبه لا يخرج
عنه نفسا ولا طرفة عين الا في ذكر او شكر او صبر على بلاء او رضا عند قضاء ويكون
في ذلك كله مصغيا الى القريب ناظرا الى الرقيب سايحا الى الحبيب لا ينظر الا اليه ولا يعكف

لا عليه قد جعل العمر يوما واليوم ساعة والساعة وقتا والوقت حالا والحال نفسا
دا النفس مراقبة والمراقبة مواجهة فتوجّه في وجهه فلم ينفس وساح في قرب
فلم يبن وكان من الايمان على مزيد ومن صفاء اليقين في تجديد واعطي من
الحياة الطيبة بغير حساب وكشف له عن قلبه الحجاب وكانت المعرفة مقامه
وقصرت عليه ايامه فكان وقته واحدًا للواحد وقلبه واحدًا للموحد وهمّه
منفردًا وهذا حال الابدال الذين هم للرسل مثال وعددهم في الموقنين قليل
ونصيبهم من اليقين وافر جليل وهم المقربون والصديقون ومن علم ما ذكرناه
علم يقين فهو من الصالحين ومن بر ولم يشك فيه ايمان تصديق فهو
من الموقنين ومن شهد منه شهادة تكون له منها مطالعات وزيادة فهو
من الشاهدين وجميع ما ذكرناه من مراقبة الموقنين ومشاهدة المقربين
تدرك باحد مقامين من اقيم في احدهما جمع له ذلك استقامة في توبة
وعلى علم فمن كان مقامه التوبة وحاله الاستقامة دفع الى شهادة المحبين
ومن كان مقامه العلم وحاله العمل بعلمه تحقق بنعت الخائفين وهما حالا
العارف الدايم الوجد بقرب القريب القايم بالشهادة لحضور الشهيد
وعن بعض اهل المراقبة انه قال احصيت في اليوم والليلة من نعم الله
علي في نوع واحد اربعة وعشرون الف نعمة لاني حسبت انفاسي في اليوم
والليلة فوجدتها اربعة وعشرين الف نفس وقيل ان الطرفات ضعف
ذلك لان لكل نفس طرفتين وروى ان الله تعالى اوحى الى بعض الانبياء كيف
تؤدي شكر نعمتي عليك ولي في كل شعرة نعمتان ان لينت اصلها وان
طامنت رأسها وعن علي رضه ليس شيء اعز من الكبريت الاحمر الا ما بقي
من عمر العبد قال ولا يعرف مقدار ما بقي من عمره في العزة الا نبي صديق وقيل لا يعرف مقدار
ما بقي من عمره في العزة الا من عرف ينبوع الكبريت الاحمر فانه يقال انه عيون
تنبع في الظلمات لا يعرفها الا الابدال والكبريت الاحمر هو كيمياء الذهب الذي يعمل منه
الذهب الخالص واذا القي منه اليسير على كيمياء الذهب المستعمل ثبت على حاله ولا استحال
ولم يتغير بعد سنين ولا اعلم ان النبي عليه السلام ذكر الكبريت الا في حديث وصف فيه
الابدال فذكر عددهم ووصفهم وقال في آخر وصفهم هم في امتي اعز من الكبريت الاحمر
ولا ذكر الذهب الابريز الا في حديث الابتلاء ان الله سبحانه يجرب عبده بالبلاء كما يجرب
عبده بالبلاء كما يجرب احدكم ذهبه بالنار فمنهم من يخرج كالذهب الابريز ومنهم من
يخرج اسود محترقا ومنهم من يخرج بين ذلك فصل في ذكر فضل اهل المقامات من المقربين
وتمييز اهل الغفلة المبعدين اعلم اذا كان بالصفة التي ذكرنا كان كما قال الله تعالى والذين
هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون وقال بعض العارفين

عزة بقية العمر



عم العبد امانة لله تعالى عنده يساله عنه عند موته فان كان فرط فيه فقد ضيع امانته
ونقض عهده وان كان حفظ اوقاته فلم يقطعها الا بالطاعة فقد حفظ امانته واوفى
بعهده فله الوفاء من الله تعالى كما قال الله تعالى واوفوا بعهدي اوف بعهدكم واياي فارهبون
اي في تضييع العهد وترك الوفاء به ولا يكون ذلك الا لاولياء المتقين وحزب المفلحين
وعبادة الصالحين وهم اهل القلوب السليمة الطاهرة والجوارح الخاشعة الذاكرة والالباب
الراجحة وهم ثلثة طبقات من منزلة اصحاب اليمين اهل العلم بالله واهل الحب لله واهل الخوف
من الله فهولاء خصوص اولياء المقربين استحضرهم فحضروا واستحفظهم العلم فحفظوا
واستشهدهم عليه به فشهدوا وافهم الادلة منه عليه وهو دليلهم اليه وهم جامعوا العباد
به اليه وهو جامعهم عنده فهم ابدال الانبياء والربانيون العلماء ائمة المتقين واركان الدين
واولوا القوة والتمكين الذين كشف لهم الكتاب المستبين وهداهم اليه الصراط المستقيم
ومن سواهم من عموم المومنين من القراء والعباد واهل المجاهدة والاوتاد قد اعطاهم
الولايات وقرّقهم في الاعمال الصالحات واظهرهم الايات لتسكينا لقلوبهم لئلا تدخل
عليهم الشبهات فيهلكوا ولا تجذبهم الشهوات فيرجعوا فشغلوا بالاظهار عن الظاهر فحجبوا
بالظواهر عن البواطن واغتبطوا بالحجاب وسكنوا الى الاسباب وعكفوا على المقامات
واستتروا بالملكوت والايات فهم مغبطوا الاموات من اهل الدنيا وهم مرحوموا الاحياء
من اهل العلي الاعلى لان قربهم بعد عند المقربين وكشفهم حجب عند المشاهدين وعطاهم
رد عند المواجهين الا ان الله نظر اليهم لما نظروا لنفوسهم حكمة منه فيهم ورحمة منه لهم
فسكنهم في حالهم ورضاهم بمقامهم كيلا تتشتت قلوبهم ولا تتحير عقولهم والسابقون
الاولون هم الوجهة العلياء والمتمسكون بالعروة الوثقى نظروا اليه به ونظر اليهم منه فهم
كما وصفهم سبحانه وتعالى بقوله ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله لا يرجعون الى مال
ولا ينظرون الى حال يحبهم ويحبونه رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه
فهم كما وصفوا في الكتب السالفة قال الحواريون يا روح صف لنا اولياء الذين لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون وقال هم الذين بهم نطق الكتاب وبه نطقوا وبهم علم الكتاب وبه
علموا وبهم قام الكتاب وبه قاموا نظروا الى باطن الدنيا حين نظر الناس الى ظاهرها
وعاينوا آجل الدنيا حين ابى الناس عاجلها فاماتوا منها ما خشوا ان يميتهم وتركوا
منها ما علموا انه سيتركهم فصار ادراكهم لها فوتا وفرحهم بها حزنا ما عارضهم منها رفضوه
وما اشرف لهم بغير الحق وضعوه خلقت الدنيا عندهم فلم يجددوها وخربت فلم يعمروها
وماتت في صدورهم فلم يحيوها قد هدموها فبنوا بها آخرتهم احيوا ذكر الموت واماتوا ذكر
الحياة يحبون الله تعالى ويحبون ذكره ويستضيئون بنوره ويضيئون به وقد قال الله
في وصفهم والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء واعلم
ان هذه المقامات السبعة من المراقبة المشاهدة يجمعها حالان عن مقامين مثلا ان المقامات

بها ومستخرج المزيد من الكرامات منهما احدهما الخوف عن مقام العلم والثاني الرجاء
عن مقام العمل فمن كان مقامه العلم بالله تعالى كان حاله الخوف منه ومن كان حاله الرجاء
لله تعالى كان مقامه المعاملة له الم تسمع قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقوله تعالى فمن كان
يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك الاية **فصل** في تفضيل الخواطر لاهل معاملة
القلوب وصفة القلب وتمثيله بالانوار والجواهر وعن عثمان بن العاص انه قال يا رسول الله
حال الشيطان بيني وبين صلوتي وقرائتي فقال ذلك شيطان يقال له خنزب اذا احسسته
فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا قال ففعلت ذلك فاذهبه الله تعالى عني وفي
الخبر ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله منه وقال ابن مسعود
وقد رويناه مسندا في القلب لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق ولمة
من العدو وايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير وعن الحسن رضي انما هما همان
يجولان في القلب هم من الله تعالى وهم من العدو فرحم الله عبدا وقف عند همه فان كان
لله تعالى ايضا وان كان لعدوه جاهده وقال مجاهد في قوله تعالى من شر الوسواس الخناس
هو منبسط على قلب الانسان فاذا ذكر الله تعالى خنس وانقبض واذا غفل انبسط على قلبه
وقال عكرمة الوسواس محله من الرجل في فؤاده وعينيه ومن المراة في عينيها اذا اقبلت
وفي عجيزتها اذا ادبرت وعن رسول الله عليه السلام انه قال ان العبد اذا اخطأ
خطيئة نكت في قلبه نكتة فان هو نزع واستغفر وتاب صقل وان عادت زيد فيها
حتى تعلو قلبه فهو الران الذي ذكره الله تعالى بقوله كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
وقال ميمون بن مهران ان العبد اذا اذنب ذنبا نكت في قلبه بذلك الذنب نكتة سوداء
فان تاب محيت من قلبه فترى قلب مجلوا مثل المرآة ما ياتيه الشيطان من ناحية
الا ابصره واما الذي تتواصل ذنوبه فلا يزال ينكت في قلبه بكل ذنب نكتة سوداء حتى
يسود قلبه فلا يبصر الشيطان من حيث ياتيه وعن النبي عليه السلام انه قال القلوب اربعة
قلب اجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب اسود منكوس فذلك قلب الكافر
وقلب اغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل
الايمان فيه مثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق مثل القرحة يمدها
القيح والصديد فاي المدتين غلبت عليه حكم له بها وفي رواية اخرى غلبت عليه
ذهبت به وقال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون
فاخبر ان حلوٓء الذكر به يبصر القلب وان باب الذكر التقوى به يذكر العبد فالتقوى
باب الاخرة كما ان الهوى باب الدنيا وقدام الله تعالى بالذكر واخبر انه مفتاح التقوى
لانه سبب الاتقاء وهو الاجتناب والورع فقال الله تعالى واذكروا ما فيه لعلكم تتقون
واخبر ايضا انه اظهر البيان للتقوى فقال تعالى كذلك يبين الله اياته للناس لعلهم يتقون

شيطان الصلوة والوضوء والقراءة

تفسير الوسواس الخناس

تقسيم القلوب

اذهاب الذكر الوسوسة

في التقوى



وقال الله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك وقال الله تعالى
لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وقال الله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم
تذكرون فمن التسوية والتعديل والتقويم والازدواج ادوات الظاهر واعراض الباطن
حواس الجسم والقلب فادوات الجسم هي الصفات الظاهرة واعراض القلب هي المعاني الباطنة
قد عيّنها الله تعالى بحكمته وسوّاها على مشيئته وقوّمها اتقانا لصنعه واحكاما لصنعه
اولها النفس والروح وهما مكانان للالقاء والعدو والملك وهما شخصان ملقيان
للفجور والتقوى ومنها عرضان متمكنان في مكانين وهما العقل والهوى عن حكمين من
مشية حاكم وهما التوفيق والاغواء ومنها نوران ساطعان في القلب على تخصيص من رحمة
راحم وهما العلم والايمان فهذه ادوات القلب وحواسه ومعانيه الغايبة والآلة في القلب
في وسط هذه الادوات كالملك وجنوده تؤدي اليه او كالمرآة المجلوة وهذه الالة حوله
تظهر فيها وتقدح فيه فيجدها وتفصيل ذلك على الايجاز ان جمل الخواطر ستة هي حدود
القلب وقوادحه ومن ورائها خزاين القلب وملكوت القدرة وهي جنود لله تعالى عتيدة
وسلطان منه مبين والقلب خزانة من خزاين الملكوت قد اودعه متقلبه من لطايف
الرغبوت والرهبوت وشعشع فيه من انوار العظمة والجبروت ما شاء لاهل الرفيق
الاعلاء وذوي الملكوت الادنى فاول التفضيل خاطر النفس وخاطر العدو وعموم
المؤمنين يجدونها وهما مذمومان سيان لا يردان الا بالهوى وضد العلم وخاطر الروح
وخاطر الملك خصوص المؤمنين يجدونها وهما محمودان لا يردان الا بالحق وبما دل عليه العلم
وخاطر العقل متوسط بين هذه الاربعة يصلح للمذمومين فيكون حجة على العبد لمكان
تمييز العقل وتقسيم المعقول لان العبد يدخل في هواه بشهوة جعلت له واختيار لا
يصر عليه من حيث لا يعقل ولا اختيار ويصلح ايضا للمحمودين فيكون شاهدا للملك ومؤيد
للخاطر الروح ولاثبات العبد في حسن النية وصدق المقصود وانما كان خاطر العقل
تارة مع النفس والعدو وتارة مع الروح والملك حكمة من الله تعالى واتقان الصنعة ليدخل
العبد في الخير والشر بوجود معقول وصحة شهوة وتمييز فيكون عاقبة ذلك من الجزاء
والعقاب عايدة له وعليه لان العقل مطية للخير والشر وهو مكان التكليف سبب
تعرف عاقبة الخير والشر من النعيم المقيم والعذاب الاليم فلو كان العقل غايبا لكان العبد
عن الفعل ذاهبا ولو كانت الشهوة عازبة لكان النفس مفقوده وفي هذين ضعف
حجة الله تعالى ودحض برهانه لان العقل شاهد الحجة والشهوة في النفس مكان الابتلاء
والنية في القلب طريق الحجة وذلك عود جزاء الامر والنهي فالعقل مطبوع على التمييز مجبول
على التحسين والتقبيح والنفس مجبولة على الشهوة مطبوعة على الامر بالهوى وهذا نصيبهما
من عطائه وهداه لهما الى ارشاده واغوائه كما قال الله تعالى اعطى كل شيء خلقه ثم هدى والخاطر
السادسة خاطر اليقين وهو روح الايمان ومزيد العلم يردان اليه ويصدران عنه

وهنا

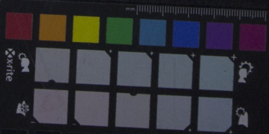
وهذا الخاطر مخصوص لخصوص لا يجده الا الموكلون وهم الشهداء والصديقون ولا يرد الا الحق
وان خفي وروده ودق ولا يقدح الا بعلم اختيار المراد مختار وان لطفت ادلته وبطن وجه
الاستدلال به ولكن ليس يخفى هذا الخاطر على مقصود به مراد له وهم الذين وصفهم الله تعالى
بالذكرى ورد النبي عليه السلام اليهم الفتيا فقال تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب اي لمن
تولى الله تعالى حفظ قلبه وقال عليه السلام ما حاك في صدرك فدعه فان الاثم حواز القلوب
يعني ما يؤثر فيها فيحزها لوقتها وصافاتها ولينها ولطفها وقال للرجل الذي ساله عن البر
والاثم الذين هما اصلا اعمال الخير والشر استفت قلبك وان افتاك المفتون وفي رواية
اخرى وان افتوك وافتوك اى ان المفتين يعلمون بحالنا ويل والرخصة من علمهم العلانية
وانت على علم ويقين فوقهم مطالب بالتحقيق والعزيمة عن عملك السر وايضا فان اهل الظاهر
يعلمون حكم الله تعالى الظاهر عن علم اللسان الظاهر الذي هو حجة على اهل العلم الظاهر
وقلبك ففيه سنور بالايمان ينظر به حكم الله تعالى الباطن عن علم الغيب الباطن
الذي هو حقيقة الايمان ومنفعة لاهل العلم الباطن ولا يصلح ان يرد رسول
الله عليه السلام سائله الى فقيه فلولا ان علم القلب هو حقيقة الفقه وان القلب
موافقة الفقهاء ما رد النبي عليه السلام صاحب علم القلب من فتيا اهل الظاهر اليه
ولا حكم على المفتين به فصار علم القلب هو علم العلم اذ جعله النبي عليه السلام
قاضيا على المفتين بالحكم وصار عالم الباطن هو العالم العلماء اذ لم يسعه
تقليد العلماء وفي الحديث الاخر العلم ما اطمان اليه القلب وسكنت اليه
النفس وان افتوك وافتوك وقال عليه السلام التقوى ههنا واشار الى القلب
وفي الخبر اذا اراد الله بعبد خيرا جعل له زاجرا من نفسه وواعظا
من قلبه وفي خبر اخر من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ
وقيل في تفسير قوله تعالى اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان اي سمعناه من
قلوبنا وقال تعالى في ضده لاعدائه اولئك ينادون من مكان بعيد اى بعيد
من قلوبهم وجميع ما ذكرناه من الخواطر يجدها المؤمنون والقلب خزائن الله
تعالى من خزائن الغيب وهذه المعاني جنود لله تعالى مقيمة حوله يخفي منها
ما يشاء ويظهره ويبدي ما يريد ويعيد ويبسط بما يشاء منها ويقبضه
فيما يشاء عنها وكل قلب اجتمع فيه ثلثة معان لم تفارقه خواطر اليقين
ولكن تضعف الخواطر وتخفى لضعف المعاني ووقتها ويقوى اليقين
ويظهر بقوتها لان هذه الثلاثة اماكن اليقين احدها الايمان وموضعه
من اليقين مكان حجر النار والثاني العلم ومكانه موضع الزناد والثالث
العقل وهو مكان الحراق فاذا اجتمعت هذه الاسباب قدح خاطر اليقين
في القلب ومثل القلب في قوته بقوة مدد وفي صفائه بجودة عدده مثل

استفت القلب

ه

القلب الذي فيه ثلاثة خواطر اليقين

مثل القلب بالمصباح



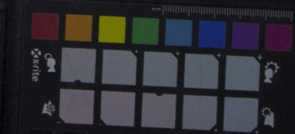
المصباح في القنديل الماء مكان العقل منه والزيت مكان العلم وهو روح المصباح و
يكون ظهور اليقين كما قال تعالى وايدهم بروح منه اي بعلم والفتيلة مكان الايمان
منه هي اصله وقوامه الذي يظهر بها نعلى قدر قوة الفتيلة وجودة جوهرها بعوي
وهو مثل الايمان في قوته بالورع وكماله بالخوف وعلى مقدار صفاء الزيت ورقته اتساع
تضيء النار التي هي اليقين وهو مثل العلم في معدا الزهد وفقد الهوى فصار العلم مكانا
للتوحيد فتمكن الموحد في التوحيد على قدر المكان وقد قال الله تعالى فاعلم انه لا اله الا هو
وقال وعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فقدم العلم على التوحيد فصار اوله
فكلما اتسع القلب بالعلم وزهد في الدنيا ازداد ايمانا وعلوا لانه يرى في علوه ما لا يراه
غيره ويعلم في اتساعه ما لا يعلمه سواه فيكثر ما يؤمن به فيكون ذلك مزيدا لايمانه
وقوة ثم ليشهد كل ما امن به فيكون بذلك قوة يقينه وسعة شاهدته وكلما قصر علم
القلب بالله ومعاني صفاته واحكام ملكوته قل ما يؤمن به العبد فقل ايمانه ثم اشهد
ما آمن به من وراء حجاب لما عليه من حب الاسباب وسمع الكلام من خلف ستر يحجزه
عن المسارعة الى البر فيضعف بذلك ايمانه ويكون مشاهدته تخيلا لا تحققا فليس من علم
من صفات الله تعالى وقدرته واياته مائة الف معنى ثم شهدها كلها من قرب عن كشف
مثل من عرف منها عشرة معان ثم شهدها من بعد عن حجاب فهما مؤمنان معا ولكن
بين ايمانهما في القرب والعلو وفي النقصان والزيادة كما بين العشرة الى مائة الف فيكون
ايمان قلب المسلم بعشا رمعشار عشر قلب المؤمن والمعشار هو عشر العشر جزء من مائة
جزء ويكون ايمان قلب المؤمن فيما بينهما من الزيادة على العشرة والنقصان عن مائة
الف على قدر ما قسم له وعن النبي عليه السلام ليس شيء خيرا من الف مثله الا الانسان
فقلب المؤمن خير من الف قلب مسلم لان ايمانه فوق ايمان مائة مؤمن وكذا علمه بالله
مع تفاوت ما بين المسلم والمؤمن ويقال ان واحدا من الابدال الثلثمائة قيمته ثلثمائة
مؤمن وقال سهل رحمه الله يعطي الله تعالى بعض المؤمن من الايمان بوزن جبل احد ويعطي
بعضهم مثل ذرة وقد قال الله تعالى وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين وصف المؤمنين
بالعلو ولا نهاية لعلو الايمان فصار علو كل قلب بقدر ايمانه وكذلك رفع العلماء
على المؤمنين درجات في قوله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات
قال ابن مسعود رضي الذين اوتوا العلم فوق المؤمنين بسبع مائة درجة بين كل درجتين
كما بين السماء والارض وفي الخبر اكثر اهل الجنة البله وعليون لذوي الالباب وعن
النبي عليه السلام فضل العالم على العابد كفضل القمر على ساير الكواكب وفي رواية اخرى البلغ
من هذا فضلي على امتي فالموقنين من المؤمنين اعلى ايمانا والعالمون من الموقنين ارفع
مقاما ثم على قدر بياض الماء يستبين حسنه وصفاؤه من القنديل وهذا مثال العقل
في صحته من الاعتدال وصفائه من كدر الاموال ويجمع ذلك كله القنديل وهو القلب بفطنه

قدر دقته ولطف جوهره وصفاه من كدره وطهارته عن الاقذار تكون هذه العلوم فيه
والانوار وجوهر الزجاجة في الصفاء وتحتاج الى صفاء الماء كما ان صفاء الماء تحتاج الى
صفاء جوهر الزجاجة وبحيا لها يكون القلب والعقل ووقود النور يحتاج الى قوة له
الفتيلة ومدد الزيت وبموضعهما في القوة والمدد يكون العلم بالله تعالى واليقين وكل قلب
اجتمع فيه ثلثة معان لم تفارقه خواطر الهوي الجهل والطمع وحب الدنيا ثم تضعف
خواطر الهوي وتقوى على قدر ضعف هذه الثلثة وقوتها ويظهر الهوي في القلب ويخفى
على قدر تمكن هذه الثلثة من النفس وخفائها على مثال ما ذكرنا من تمكن خواطر
اليقين وضعفها لوجود مكانها وهو العلم والايمان والعقل وفي القلب يظهر سلطان
ذلك اجمع فاي جند كانت المشية معه غلب وقال زيد بن اسلم في قوله تعالى
في لوح محفوظ هو قلب المؤمن وقال سهل رحمه مثل القلب والصدر مثل العرش
والكرسي وعن ابي عمر رضه قال قيل يا رسول الله اين الله في الارض قال في قلوب
عباده المؤمنين وقال بعض العارفين في قوله تعالى الا من اتى الله بقلب سليم
معناه سليم مما سوي الله تعالى ليس فيه غيره وقال اهل التفسير سليم من الشرك
والنفاق وقد قال النبي عليه السلام الشرك في امتي اخفى من دبيب النمل وهنا
وهذا لا ينجو منه احد من المؤمنين الا الصديقون ومن خواطر اليقين ما يرد
بشيء الا نظهر دلايله في الظاهر لخفائه وغموض شواهده فلا يعلم الا بباطن
العلم وغامض الفهم والغوص على لطايف معاني السر وباطن الاستنباط من
فهم التنزيل وتاويل التاويل كما قال النبي عليه السلام لابن عباس اللهم فقهه في الدين
وعلمه التاويل وكما قال علي رضه ما عندنا شيء اسره الينا رسول الله عليه السلام
سوى كتاب الله تعالى الا ان يؤتي الله عز وجل عبدًا فهمًا في كتابه وكما قال تعالى
يؤتي الحكمة من يشاء قيل الفهم في كتاب الله تعالى وقيل كلما ازداد العبد عبادة
واجتهادا ازداد القلب قوة ونشاطا وكلما مل العبد وفتر ازداد القلب ضعفا
ووهنا وعلم اليقين لا يقدح من معدن العقل لا علوم العقل مخلوقات ولا ينتجه
الفكر ولا يخرجه التدبر لان ما نتجته الافكار واستخرجته الفطر من خواطر العلوم
فتلك علوم العقل وهي كشوف المؤمنين ومحمودات لاهل الدين واما خاطر
اليقين فانه يظهر من عين اليقين ينادي به العبد مناداة ويبغته مناجاة لانه
مخصوص به مراد مقصود محبوب متولى به مطلوب لا يجده الا عارف او خايف او محب
ومن سوي هؤلاء فحاله محجوب وبعباداته مطلوب والى مقامه ناظر وفي طريقه
بعقوله ساير واما العارفون المواجهون بعين اليقين المكاشفون بعلم الصديقين فاول
نصيبهم من مطلوبهم علم اليقين وهو صفاء المعرفة بالله تعالى وآخر علم الايمان واول علم التوحيد
وهو مشاهدة وصف معروف وهذه وجهة التوحيد ولا اخر لاول عين اليقين ولا انقطاع

العلل التي يلزمه خواطر الهوى

خواطر النفس الخفية

معدن علم اليقين



لاخر نصيبهم شهاداتهم وظاهر التوحيد توحيد الله تعالى وفي كل شيء وتوحيده بكل شيء ومشا هده
اتخاده قبل كل شيء ولا نهاية لعلم التوحيد ولا غاية لمزيد عطاء الموحدين ولكنهم نهايات
يوقفون تحتها وغايات يصدرون عنها بجعل اماكن لمزيدهم ويزادون في وسعها
ويمدون بعلوم يطلبون بها ما يكاشفون به لما وراها ابد الابد بلا آخر ولا امد ولا
يصل العبد الى مشاهدة علم التوحيد الا بعلم المعرفة وهو نور اليقين ولا يعطى نور اليقين
حتى يمخض الجوارح بالاعمال الصالحات كما يمخض الزق باللبن حتى تظهر الزبدة وهذه مثل
علوم القلب فينقل العبد الى اعمال القلوب اذا ظهرت الزبدة وهي علم اليقين وليست هذه
الزبدة غاية الطالبين ولا بغية الصديقين لان وراها صفوها وخالصها ثم تذاب هذه
الزبدة حتى يخلص سمنها وهو صفوها ونهايتها وهذا مثل لعين اليقين بعد علمه وبعد مشاهدة
الوجه بمرآة القرب وهو نور خينئذ لا يفارق وجده وحظوره فيرتفع العبد من خواطر
اليقين الى مشاهدة الصفات بعد ذوب علوم الخواطر بتجوهر نور الشعاع الذات وهذا
مقام الاحسان وان الله لمع المحسنين بعد مجاهدتهم لنفوسهم فيه وبيعها مع الاموال منه
فاحسن اليهم باشترائها منهم فكان معهم كما قال الله تعالى سيجزيهم وصفهم وانما كانوا
محسنين لان المحسن معهم كما كانوا اعلين لان الاعلون معهم كما قال تعالى وانتم الاعلون
والله معكم قال بعض المكاشفين ظهر لي الملك فسالني ان املي عليه شيئا من ذكري الخفي
عن مشاهدي من التوحيد وقال ما كتبت لك عملا ونحن نحب ان نصعد لك بعمل نتقرب به
الى الله تعالى قلت اليس تكتبان الفرايض قال بلى قلت يكفيك ذلك وحدثنا بعض العارفين
قال سالت بعض الابدال عن مسالة من مشاهدة علم اليقين فالتفت الى شماله فقال له
ما تقول رحمك الله ثم التفت الى يمينه فقال لها تقول رحمك الله ثم اطرق الى صدره
فقال ما تقول رحمك الله ثم اجابني اعذب جواب واعلوه فقلت له رايتك التفت
عن شمالك ويمينك ثم اقبلت على صدرك فما ذاك فقال لم يكن عندي جواب عتيد فسالت
صاحب الشمال فقال لا ادري فسالت صاحب اليمين وهو اعلم منه فقال لا ادري فسالت
قلبي فحدثني بما اجبتك به فاذا هو اعلم منهما وقال ابو يزيد وغيره ليس العالم الذي يحفظ
من كتاب فاذا نسي ما حفظ صار جاهلا انما العالم الذي ياخذ علمه عن ربه عز وجل اي وقت
شاء بلا يحفظ ولا درس فهو الذي لا ينسى علمه بل هو ذاكرا ابدا لا يحتاج الى كتاب وهو
العالم الرباني وهذا وصف قلوب الابدال من الموقنين ليسوا اقفين مع حفظ اماتهم فالون
بحافظ وسئل بعض العلماء عن العلم الباطن اي شيء هو فقال سر من اسرار الله تعالى يقذفه في
قلوب احبابه لم يطلع عليه ملكا ولا بشرا وهذا كان على طريق السلف من الصحابة وخيار
التابعين اذا سئلوا وفتوا والهموا الصواب بقربهم من حسن التوفيق وسلوكهم حقيقة
محجة الطريق فخاطر اليقين اذا ورد على قلب موقن اضطر بمشاهدته الى القيام به وان خفي
على غيره وحكم عليه تبيانه وبرهانه بصحة دليله وان التبس على سواه وقد قال الله تعالى في تخصيص الموقنين

في اليقين والتوحيد

في ذكر الخفي

تفضيل القلب على الملك

العالم الرباني

قد

قد بيّنا الايات لقوم يوقنون وقال في نعت المتقين وما خلق الله في السموات والارض لايات
لقوم يتقون وقال في فضل العلماء بل هو ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم فحقيقة العلم
انما هو بين التقوى واليقين وهذا هو علم المعرفة المخصوص به المقربون والفقه صفة للقلب
لا للسان لا نزل في لغة العرب الفهم وكذا فسّر ابن عباس رضي الله الفقه في كتاب الله
بالفهم فخاطر اليقين والروح والملك من خزائن السموات وخاطر العقل والنفس
والعدو من خزاين الارض كما قيل النفس ترابية خلقت من الارض فهي تميل
الى التراب والروح روحاني خلق من الملكوت فهو يرتاح الى العلو والقلب خزانة
من خزائن الله كالمرآة يقدح هذه الخواطر عن اوساطها من خزاين الغيب
فتؤثر في القلب فيتلألأ فيه التاثير فمنها ما يقع في سمع القلب فيكون فهما ومنها
ما يقع في بصر القلب فيكون نظرا وهو المشاهدة ومنها ما يقع في لسان القلب فيكون
كلاما وهو الذوق ومنها ما يقع في سهم القلب فيكون علما وهو الفكر وهو العقل
المكتسب بتلقيح العقل الغريزي وهذا اقلها لبثا واسيرها غنا وما وقع في باطن
القلب وحبته فخرق شغافه ووصل الى سويدايه وهو المباشرة كان وجدا
وهذا هو الحال عن مقام المشاهدة ومن هذا قوله عليه السلام اسالك ايمانا يباشر
قلبي وقال بعض العارفين اذا كان الايمان في ظاهر القلب كان العبد محبا للآخرة
وللدنيا وكان مرة مع الله تعالى ومرة مع نفسه واذا دخل الايمان باطن القلب ابغض
العبد الدنيا وهجر هواه وقال عالمنا ابو محمد سهل رحمه الله للقلب تجويفان احدهما باطن وفيه
السمع والبصر وهذا التجويف قلب القلب والاخر ظاهر وفيه العقل ومثل العقل في
القلب مثل النظر في العين وهو مثال الموضع مخصوص فيه بمنزلة الصقال الذي في
سواد العين فاذا كانت الخواطر عن وسايط الهداة وهما الملك والروح كانت تقوى
وهدى ورشدا وكانت من خزاين الخير ومفاتيح الرحمة فتحت في قلب العبد نورا
وطيبا ادركه الحفظة من املاك اليمين واثبتوها حسنات وان كانت الخواطر عن وسايط
الغواة وهما العدو والنفس كانت فجورا وضلالا وكانت من خزاين الشر ومغالق
الاعراض فقدحت في القلب ظلمة ونتنا ادركه الحفظة من املاك الشمال واثبتوها
سيئات وكل ذلك الهام والقاء من خالق النفس ومسويها وجبار القلوب ومقلبها حكمة
منه وعدلا لمن يشاء ومنة وفضلا لمن شاء كما قال تعالى وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا اي
بالهداية صدقا لاوليائه بما وعدهم من ثوابه وبالاضلال عدلا على اعدائه مما اعلمهم من
عقابه ثم قال لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فالخواطر كلها جنود منقادة لامره فهو تعالى
قادر على كل شيء حكيم في كل شيء والعبد ضعيف عاجز جاهل لا يقدر على شيء قد ابتلي
بالاسباب ووقع عليه الحجاب وجعل مكانا للاحكام بالعقاب والثواب فالاحكام وسايط
البلاء والعبد موضع الابتلاء فالاول سبحانه هو المبتلي كما قال الله وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا

في الفقه

خزائن السموات والارض

الايمان في ظاهر القلب وفي باطنه

خواطر الخير

خواطر الشر

فالاسباب

٤

وليس يشهد العبد الا ما اشهد فلذلك تفاوت العباد في المشاهدة ولا يستبين له الا
ما ابين له واريد به فلذلك اختلفوا في الادلة فاذا اراد الله تعالى اظهار شر من خزاين
الغيب حرك النفس بلطيف القدرة فتحرك باذنه فقدح من جوهرها بحركتها ظلمة نكتت
في القلب همة سوء فينظر العدو الى القلب اذ هو مرصد ينتظر والقلوب له مبسوطة
والنفوس لديه منشورة يرى ما فيها مما كان من عمله المبتلى به المصرف فيه فاذا رأى
همة قد قدحت من النفس فاثرت ظلمة في القلب ظهر بمكانه فقوى بذلك سلطانه والهمة
ترد عن احد ثلثة معان لا يحصى فروعها الا انه همة كل عبد على قدر بغيته اما هوى
وهو عاجل حظ النفس او امنية وهو عن الجهل الغريزي او دعوى حركة او سكون
وهو آفة العقل ومحنة القلب واي هذه الثلثة قدح في القلب فهو وسوسة نفس
وخطوة عدو منسوب اليهما محكوم عليها بالذم ليست تصدر الا باحد ثلثة اصول
بجهل او غفلة او طلب فضول دنيا وهي مما لا يعني او ما يتعلق بالدنيا واعمالها
واذا اراد الله تعالى اظهار خير والهام تقوى من خزاين الملكوت حرك الروح بخفي اللطف
فتحرك بامره فقدح من جوهرها نور يسطع في القلب همة عالية وهمة الخير ترد باحد ثلثة
معان لا تحصى فروعها الا ان كل عبد همته في الخير مبلغ علمه ومنتهى مقامه احدها مسارعة
الى امر بفرض او ندب لفضل يكون عن علم حال العبد او علم يكون فطنة له اظهر عليه
من مكاشفة غيب من ملك او ملكوت والمعنى الثالث عمل مباح فيما يعنيه مما يعود
صلاحه عليه او على غيره او اراحة لنفسه او ترويح لقلبه من الفكر فهذه كلها رفق
للعبد وفي كلها رضى المعبود وامضاؤها افضل للعبد وبعضها افضل من بعض و
واذا سطع النور في القلب فاثرت ينظر الملك الى القلب فيرى ما احدث الله تعالى فيه
فيظهر مكانه فيتمكن كما يفعل العدو في خزانة الشر فيلقي الملك الالهام وهو خطوره
على القلب يامر بتنفيذ ذلك ويحسنه ويحثه عليه وينظر الملك الى النفس كما نظر
العدو اليها فتشهد النفس للملك بذلك فيظهر العقل ويسكن الى شهادة اليقين
فيكون العقل باذن الله مع الملك كما كان مع النفس اول مرة فيقوى سلطان اليقين
فتضعف صفات النفس فتظهر الطاعة لغلبة الحق والله غالب على امره نوع آخر
من البيان وقد تختلف اللمتان من الملك والعدو ويتفاوت الالهام والوسوسة
في المعاني من الخير والشر فربما تقدمت لمة العدو بالامر بالشر وتقدح بعدها
لمة الملك نصرة للعبد وتثبيتا على الخير وعناية من الرب تعالى فتنهى عن ذلك وقد
يكون الامر بالعكس فاذا شهد العارف ذلك لم يقطع بخير ولم يدل به ابدا لانه
لا يأمن مكر الله تعالى بتقليب خزاين الشر من خزانة الخير عليه ابدا ولم ييأس من
من شر عليه ابدا لانه يرجو تقليب خزاين الشر فيكون ابدا بين الخوف والرجا ولا يدرك
ذلك الا بحقايق العلوم ولطايف الفهوم وغوامض الفطن وصفاء الانوار من تعليم الرحيم

الجبار

كيفية تولد الخواطر

الجبار وقد تترادف خواطر الخير والبر من الروح والملك ويعاني العبد من خاطر
الهوى وهذا غالوه القرب وهو حال المقربين وقد ترد خواطر العدو ووسا[وس] دعه
بالخير ابتلاء من الله تعالى لعبده وحيله من العدو ومكراً من النفس يريد
بذلك الشر او ليخرجه آخره الى اثم او ليقطعه بذلك عن واجب او ليشغله بر
عن الافضل له في الحال فيكون ظاهراً ابراد باطنه اثما ويكون اوله خيراً و
وآخره شراً وبغية العدو وهذا من ادق ما يبتلى به العاملون ولا يوقف
بواطنه وسرايره الا العالمون ولا يزال العبد مع الهام الملك ما دام في مقا[م] ٢
الايمان فاذا دفع الى مقامات اليقين تولاه الله بواسطة انوار الروح فكان
الروح مكان القاء الحق سبحانه حتى يرد من الله تعالى من السراير ما لا يطلع
عليه الملك ولا يكون ذلك حتى تفنى خواطر النفس بالهوى ولا يبقى منها
باقية وتنطوي النفس فتندرج في الروح فلو تظهر منها داعية ثم يتولاه
الله تعالى بنور اليقين فيسطع له نور اليقين من خزائن الغيب بمكاشفة الجبروت
فيشهد العبد شهادة الحق بالحق معاينة الغيب بفقد كونه ووجود كينونة
المحبوب وما يصلح بعد ذلك كشفه الا لاهله او لمن سال عنه وهذا يكون في مقام
التوحيد وهو نصيبة المقربين نوع آخر من تفضيل المعاني كل عمل وان قل لا بد
فيه من ثلثة معان قد استاثر الله سبحانه وتعالى بتوليها اولها التوفيق وهو الاتفاق ان
يجمع بينك وبين الشيء ثم القوة وهو اسم لثبات الحركة التي هي اول الفعل ثم الصبر وهو
تمام الفعل الذي به يتم وقد رد الله تعالى هذه الاصول التي يظهر عنها كل عمل اليه فقال تعالى
وما توفيقي الا بالله وقال ما شاء الله لا قوة الا بالله وقال واصبر وما صبرك الا بالله
وقد اجل الله تعالى ذكر تقليب الكون بمشيئة في قوله تعالى يقلب الله الليل والنهار
المعنى يقلبهما بما فيهما لانهما ظرفان للاشياء فعبر عن الاشياء كلها بهما كقوله تعالى بل مكر الليل
والنهار المعنى بل مكركم في الليل والنهار وكقوله تعالى وله ما سكن في الليل والنهار رفيه و[جهان]
احدهما ما اقام فهو من السكنى والثاني ما قر فهو من السكون ضد الحركة وانما خص
السكون بالذكر دون الحركة لانه هو الاصل في كل جسم حتى يحرك فالتحرك حادث
ويجوز ان يكون الاكتفاء بذكر الساكن لولالته على المتحرك كما قال سرابيل تقيكم
الحر مع انها تقي البرد ايضا وقال تعالى ونقلب افئدتهم وابصارهم وكان قسم
رسول الله عليه السلام ومقلب القلوب لما شهد من عظم القدرة ولطيف الصنع
في التقليب ولما راى من سرعة نفاذ القدرة بالمراد في المقلبات مما لم يشهد سواه
فجعله قسما له تعظيما لقدرة الخالق بر وخوفا من سابق العلم بالتقليب وكان
عليه السلام يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالوا وتخاف يا رسول الله
قال وما يؤمنني والقلوب بين الاصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء

تقليب الله تعالى القلوب

خوف رسول الله من التقليب

وفي رواية اخرى ان شاء ان يقيمه اقامه وان شاء ان يزيغه ازاغه وعنه عليه السلام
مثل القلب مثل العصفور يتقلب في كل ساعة وعنه عليه السلام مثل القلب في تقلبه
مثل القدر اذا استجمعت غليانا وفي الخبر المشهور مثل القلب كمثل ريشة بارض
فلوة تقلبها الرياح ظهرا لبطن فالقلب مكان للتقليب بما فيه من خزاين الغيب
كالليل والنهار مكان للاحكام بالتصريف من اختلاف الزمان في الاوقات والايمان
بتقليب القلوب وبان المقلب يحول بين القلب وصاحبه واحب وقدم ذكر الله تعالى
بالايمان البعث وامرهما في قوله تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون
وفسره ابن عباس فقال يحول بين المومن وبين الكفر ويحول بين الكافر وبين الايمان
وقيل يحول بين العبد وبين الاستجابة لله وللرسول وقيل يحول بين المومن وبين
ان يلقيه في كبيرة تهلك فيها وبين المنافق وبين ان يوفقه لطاعة ينجو بها بين الموحد
وبين الخاتمة بالتوحيد وهذه مخاوف للمومنين بتحقيق الوعيد وكذلك الكون بما
عند الموحدين في القدرة بالتقليب كمثل ريشة في ريح عاصف تقلبه القدرة على مشية القادر
وليس في القدرة وزنان فلو جل الحكمة والصنع والاتقان وما خفي من الملكوت وتقلب
بصائر القلوب فبلطيف تمن التوحيد بقدر قسمه من اليقين وقسمة من اليقين بقدر
قربه من القريب بقدر قرب الله تعالى من قلبه وقرب الله تعالى من قلبه بقدر علمه بالله عز وجل
واتساعه في العلم بالله بقدر مكانه وعلم الله تعالى من مزيد الايمان ومزيد ايمانه بقدر
لحسان الله تعالى اليه واحسانه اليه بقدر عنايته به وايثاره له وعلم الله تعالى من وراء
ذلك وهو سر القدر المحجوب المخزون ونصيب كل عبد من الجهل بقدر نصيبه من الغفلة
ونصيبه من الغفلة بقدر رغبته للدنيا وحبه للدنيا بقدر قوة الهوى وقوة هواه بقدر علبه
سلطان النفس ولترصفاتها عليه وقوة صفات النفس بقدر ضعف اليقين وضعف
اليقين عن كثافة الحجاب وبعد البعد بينه وبين الله تعالى والحجاب والبعد ميراث الكبر
وقسوة القلب والقسوة تورث الانهماك في المعاصي وادمان المعاصي عن الاعراض
والمقت والاعراض من قلة عناية المولى بعبده وسوء نظره له ومن وراء ذلك سر القدر
الذي به عن الخلق ودا استا ثم هذه الاوصاف المذمومة العبد مبتلى بها على ضد تلك
الاوصاف المحمودة التي هي من المنعم بها ولكل وجهة هو موليها فاذا كان الهادي هو المضل
فمن يهدي وقد قال الله تعالى فان الله لا يهدي من يضل اي فان الله من شاء ان لا
يهدي لاحد من اضله ومن كان اضله في سابق علمه فكيف يهديه الان لذلك قال
تعالى على الحرف الاخر فان الله لا يهدي من يضل فاذا كان المعطي هو المانع فمن يعطي
ولو كان الخير كله في قلب عبد ما قدر ان يوصل الى قلبه ذرة ولا استطاع ان ينفع نفسه
بنفسه خردلة لان قلبه وان كان جارحته فهو من خزائن مولاه وله فيه ما لا يعلمه
العبد فهو لا يطلع على ما فيه كما قال معجبا لمن جهله وضلله اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن

القدرة وقهر السلطان ونصيب كل عبد من مشاهدة القدرة بقدر نصيبه من التوحيد ونصيبه ع

عهدا

عهداً فكيف بران يملك ما فيه فيصرفه بما يحب وقد قال عليه السلام سبحان مصرّف القلوب
وقد خاطب الله تعالى سيّد البشر وامره ان يخبر فقال قل لا املك لنفسي نفعاً ولا ضرًّا
الا ما شاء الله وقال ايضاً قل اني لا املك لكم ضرًّا ولا رشداً الى قوله ملتحداً فاذا كان
المالك عزيزاً جبّاراً وكان كل شيء بيده ولم يوصل الى عنده بقوة ولا حيلة فليس الطريق
حجب العقل
اليه الا الصدق والاخلاص والذل والافتقار وقد حجب العقل الكبير عن النظر الى
المبدئ المعيد بما اظهر له من صورته وحركته فستره ذلك عن الاول المصوّر وعن القادر
المحرّك فادّعى عن نظره الى حركته وسكونه التي هي حجبة له عن المحرك الغيب ادعاء
الحركة والسكون بنفسه لوقوف نظره على نفسه اذ كان مشهوداً وعمي عن النظر الى الشاهد
المحرك المسكن لبعد مقامه لانه غيب من وراء الحركة والغيب لا يشهد الا بغيب وهو اليقين
كما لا تدرك الشهادة الا بشهادة وهو العين فمن عمي بصره لم ير من الملك شيئاً كذلك
من حجب قلبه لم ير من الملكوت شيئاً فلعدم اليقين عمي عن المشاهدة ولايقاع الحجب
والحجاب ادرك بالمعقول الشهادة ولو كان من اولي الابصار لاعتبر الحركة الغيبية
بالمتحرك المشاهدة فكما ان الحركة غيب في الجسم ظهر عنها المتحرك فاظهر سبحانه تعالى
المتحرك واخفى الحركة فيه واظهر الصنعة واخفى الصنع فيها لتفصيل حكمته
كذلك الصانع والصنعة الاول والحاكم الاعلى ذو الحكم الاغلب غيّب الحركة التي
اخفاها هو من ورائها بلطايف القدرة فشهد المعقول منها ما اشهد بما اظهر له
ووُجّه به لانه معقول عليه محدود له وعمي عما غيّب عنه لفقد اليقين منه فعندها
ادعى الحركة والسكون للشاهد فحجبه ذلك عن الشهيد وشهد الموحّد شهادة
التوحيد فوجد لما كشف له الملكوت بنور اليقين فافرد وقال بعض العارفين من
عدم نفع التوحيد بالعقل
نظر في توحيده الى عقله لم ينجه توحيده من النار ومن كان توحيده في الدنيا معلقاً
بمعقوله لم يحمل توحيده معه الى القبر احسب هذا الايمان الذي يقال فيه اخرجوا من
النار من كان في قلبه مثقال من الايمان فما زاد على هذا فهو متصل باليقين وهو مؤيّد
بالروح يمدّه روح التاييد فلا ينطفي فهو المزحزح عن النار وقال بعض علمائنا من
ظن انه يصل الى الله تعالى بغير الله قطع به ومن استعان على عبادة الله تعالى بنفسه
وكل الى نفسه فجعل تسليط العدو وتسلطانه كشفاً واظهاراً لما اخفاه من سابق علمه
كما جعل افعال العباد الظاهرة كشفاً واظهاراً لما اخفاه من سابق علمه كما جعل افعال
العباد الظاهرة كشفاً واظهاراً لما اخفى من ارادته الباطنة وعن النبي عليه السلام سبق
العلم وجفّ القلم وقضي القضاء وتم القدر بالسعادة من الله تعالى لاهل طاعته وبالشقاء
من الله تعالى لاهل معصيته **ذكر تقسيم** الخواطر وتفصيل اسمائها اعلم ان ما وقع في
القلب من عمل الخير وما وقع فيه من عمل الشر فهو وسواس وما وقع فيه من الحاد ف
فهو ايجاس وما كان من بعد الخير وتاميله فهو نية وما كان من تدبير الامور للمباحات

وترجيها والطمع فيها فهو امل وامنية وما كان من تذكر الاخرة والوعد والوعيد
فهو ذكر وفكر وما كان من معاينة الغيب بعين اليقين فهو مشاهدة وما كان من تحدث
النفس بمعاشها وتصريف احوالها فهو هم وما كان من خواطر العبادة ونوازع الشهوات
فهو لمم ويسمى جميع ذلك خاطرا لانه خطور همة نفس او خطور عدو بحدس او خطور ملك
بهمس ثم ان الخواطر الناشئة من خزائن الغيب القادحة في القلب ستة ثلثة منها
معفو عنها وثلثة مطالب بها فاولها الهمة وهي اول ما يبد من وسوسة النفس
بالشيء يجده العبد بالحس كالبرقة فان صرفها بالذكر امحت وان تركها بالغفلة
صارت خطرة وهي خطور العدو بالتنزيل ثم ان نفى الخاطر ذهب وان ونى عنه قوي
فصار وسوسة تامة وهي محادثة النفس للعدو واصغاؤها اليه فان نفى العبد هذه
الوسوسة بذكر الله تعالى خنس العدو وضعفت النفس وهذه الثلثة معفو
عنها بفضل الله تعالى ورحمته وان امرج العبد النفس وهذه الثلثة في محادثة العدو
واصغائها اليه قويت الوسوسة فصارت نية فان ابدلها العبد بنية خير واستغفر
منها وتاب والا قويت فصارت عقدا فان حلة بالتوبة والا قوي فصار عزما وهو
القصد وهذه الثلثة ماخوذ بها العبد ومسؤل عنها فان تداركه الله تعالى برحمته
بعد العزم والا تمكن العزم فصار طلبا وسعيا وظهر العمل على الجوارح من خزانة
الغيب والملكوت فصار من اعمال الجسم في خزانة الملك والشهادة وهذه المعاني
توجد في اعمال البر والاثم فما كان منها من البر همة ونية وعزما كتب في ديوان
حسنات وليس شيء مجانسا للعدو ومواخيا له الا النفس ولهذا جمع الله تعالى
بينهما في نسبة الوسوسة اليهما بقوله تعالى من شر الوسواس الخناس وقوله تعالى
قال ونعلم ما توسوس به نفسه وكل شيء خلقه الله تعالى فله مثل وضد
فمثل النفس الشيطان وضدها الروح ثم ان الاعمال الجوارح من البر والاثم
اعظم في الاجر والوزر من هذه الخواطر الا ما لا يتأتى ان يعمل بظاهر الجسم من شهادة
التوحيد او وجود شك او كفر او اعتقاد بدعة نوع آخر من الباب اذا لاح في القلب
لايح من معصية ثم انقلب ولم يلبث فهو نوع من العدو واذا وجد فيه هوى
ثابت او حال مزعج دايم لابث فهو من النفس الامارة بطبعها او بمطالبة منها بالسوء
عاداتها وقال بعض العلماء اعمال العباد لا تخلو من ثلثة انواع فرض ونفل
ومعصية فالفرض بامر الله تعالى ومحبته ومشيته والنفل لا بامره بل بمحبته ومشيته
والمعصية لا بامره ولا بمحبته لانه يكرهها بدليل انه ما امر بها ولا ندب اليها ولكنها بمشيته
اذ لا يخرج شيء عن ارادته لا يخرج شيء عن علمه والارادة والمشية اسمان لمعنى واحد
والله عز وجل عالم بما ارادة فسبق علمه بمريد لما علمه اظهرت ارادته سابق علمه وكشف
علمه الغيب بظهور ارادته الشهادة فهو عالم الغيب والشهادة فالغيب علمه والشهادة معلومه

فيكشف

فيكشف بخالف المعلوم العلم وهو اجراه ولا ارادة تقتضى العلم في المعلومات الخلق
وهذا فرض التوحيد فخرجت المعاصي عن المحبة في تفصيل الاحكام وتبيين الحلال
والحرام ولم تخرج معصية عن المشية وقد فرق عالمنا بين الامر والارادة فقال لطيفاً
فانه سئل ان الله تعالى لما امر ابليس بالسجود لادم اراد سجوده ام لا فقال اراد له ولم
يرده منه يعني اراده له شرعا وعليه ايجابا ولم يرد منه وقوعا ولا كونا اذ لو اراد
كونه ووقوعه لكان ووقع لقوله تعالى انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون
فقد وجد الامران معا ارادته التكليف والتعبد وارادته ان لا يسجد فلم يقدر
ان يمتنع من ان يؤمن كما لم يقدر ان يمتنع من ان لا يسجد وكذا القول في نهيه
تعالى ادم عليه السلام عن اكل الشجرة انه اراد الاكل منه ولم يرده له اى اراده وقوعا
وكونا بدليل وجوده ووقوعه ولم يرده شرعا ولا امرا لانه لم يأمره به ولا شرعه له
وكذا القول في كل امر ونهي خولف فيه وهذا اصل الابتلاء واراده ظهور البلوى
بان يأمر بالشيء ويريد وقوع ضده وقد اراد الامر به فقط وينهى عن الشيء ويريد
وقوعه وقد اراد النهي عنه فقد يظهر الامر بالقول ويظهر النهي بالفعل ويظهر الا
لوقوع البلوى ويقهر الجوارح بالجبر على ارادته للابتلاء وقد فرق للحسن البصري رحمه الله
قبله وهو امامنا في هذا العلم بين التعذيب على جريان العلم والتعذيب على مخالفة
الامر لما بلغه ان امام المعتزلة وهو عمرو بن عبد الله تنسبوا اليه لما اعتزل الحسن
بعد ان صحبه ولم ينفعه الله بصحبته يقول ان الله تعالى لا يقضي بالشيء ثم يعذب
عليه فقال ويلك ان الله تعالى لا يعذب على جريان حكمه وانما يعذب على مخالفة امره
وتفسير ذلك ان ما حكم الله تعالى منفردا به لم يجعل فيه امرا ولا نهيا فلا يعذب عليه
لانه لم يجعل للعبد فيه مدخلا بشهوة ولا فعل وما قضاه على العبد مما ادخل فيه
بقصده وشهوته عذبه عليه وهذا من شؤم النفس ونكد الخلق انها اذا دخلت
في شيء انقلب عليها شره والامة مجمعة على قول ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ومجمعة
على قول لا حول ولا قوة الا بالله وكلاهما عام والحول الحركة والقوة الثبات بعد الحركة
وهو اول الصبر حتى يظهر الفعل بقوة الله تعالى وعن رسول الله عليه السلام انه قال معناه
لا حول عن معصية الله الا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله الا بعون الله وهذا التفصيل في هذه المعاني من الاحكام
وهو ظاهر العلم وفرض لقدر وفحوى التنزيل والشرع والجبر الملك الجبار سبحانه وتعالى
يجبر خلقه على ما شاء كما خلقهم لما شاء ويردهم الى ما شاء كما ينشأهم فيما شاء فله
الحجة البالغة والعزة القاهرة والقدرة النافذة والمشية السابقة بوصف
الربوبية ولحكم الجبرية وعليهم الاستسلام والانقياد والطاعة والاجتهاد طوعا
وكرها بوصف العبودية ولحق الملكة ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم ان تعذبهم
فانهم عبادك وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهديكم اجمعين لله الامر

احكام

بكث

من قبل ومن بعد فصل في العلم وله تفسير قوله عليه السلام طلب العلم فريضة على كل مسلم
وفي الحديث الاخر اطلبوا العلم ولو بالصين قال عالمنا ابو محمد سهل رحمه الله اراد به علم
حال العبد في مقامه الذي اقيم فيه بان يعلم حكم حاله الذي بينه وبين ربه في
دنياه وآخرته خاصة فيقوم باحكام الله تعالى عليه وقال بعض العارفين معناه طلب علم
الوقت وقيام العبد بحكم ساعته وما يقتضي منه في كل ساعة من نهاره وليله
وقال بعض علماء الشام معناه طلب علم الاخلاص ومعرفة آفات النفس ووساوسها
ومعرفة مكايد العدو وخدع غروره ومكره وما يصلح الاعمال ويفسدها وقال بعض
البصريين معناه طلب العلم القلب ومعرفة الخواطر وتفصيلها لانها رسل الله تعالى
الى العبد ووساوس العدو والنفس وهي اول النية التي هي اول كل عمل وعنها تظهر
الافعال وبقدرها تضاعف الاعمال فيحتاج الى التفرقة بين لمة العدو ولمة الملك
وبين خاطر الروح ووسوسة النفس وبين علم اليقين وقوادح العقل ليميز
بذلك الاحكام وهو مذهب مالك بن دينار وفرقد السبخي وعبد الواحد بن زيد واتباعهم
وكان استاذهم الحسن البصري يتكلم في ذلك وعنه حملوا علوم القلب وقال بعض العباد
معناه طلب علم الحلال لان الله تعالى امر به واجمع المسلمين على تفسيق اكل الحرام وقد
جاء في خبر مسند طلب الحلال فريضة بعد الفريضة وبه قال ابرهيم بن ادهم ويوسف
بن اسباط ووهيب بن الورد وشعيب بن حرب وقال بعض العارفين معناه طلب علم
الباطن فريضة على اهله فيكون مخصوصا باهل القلوب ممن استعمل به واقتضى منه
دون غيرهم من عوام المسلمين ولا تفرقة جاء في حديث آخر تعلموا اليقين فمعناه اطلبوا
علم اليقين وعلم اليقين لا توجد الا عند الموقنين وهو من اعمال الموقنين مخصوص
في قلوب العارفين وهو العلم النافع الذي هو حال العبد ومقامه من الله تعالى
كما شهد له الخبر الاخر وهو قوله عليه السلام وعلم باطن في طلبه لا يسع جهله من علم
التوحيد واصول الامر والنهي والفرق بين الحلال والحرام وقال بعض فقهاء الكوفة
معناه طلب علم البيع والشرى والنكاح والطلاق اي ذلك اراد الدخول فيه
افترض عليه مع دخوله فيه طلب علمه لقول عمر رضي الله عنه لا يتجر في سوقنا هذه الا
من تفقه والا اكل الربا شاء ام ابى والى هذا مال ابو حنيفة وسفيان الثوري
واصحابهما وقال بعض المتقدمين من علماء خراسان وهو ان يكون الرجل
في منزله فيريد ان يعمل شيئا من امور الدين او يخطر على قلبه مسالة لله تعالى فيها
حكم وتعبد وعلى العبد في ذلك اعتقاد او عمل وهو لا يعلم فلا يسعه ان يسكت
على ذلك ولا ان يعمل فيه برايه ولا يحكم بهواه بل عليه ان يخرج فيسال عن نازلته
اعلم اهل بلده وحكي هذا القول عن ابن المبارك وبعض اصحاب الحديث ٥
وقال آخرون معناه طلب علم التوحيد ثم اختلفوا في كيفية الطلب فقيل من طريق

الاستدلال والاعتبار وقيل من طريق البحث والنظر وقيل من طريق التوفيق والاثر وقال
آخرون معناه طلب علم الشبهات والمشكلات اذا ابتلى بها العبد فسمعها فاثرت في قلبه
ولم يكن عنده ما يقطعها به ويميز به الحق من الباطل فلا يحل له ان يسكت على ذلك لئلا
يعتقد باطلا او ينفي حقا او يقيم على شبهة ان يكون شاكا في الدين او يعتقد بدعة او يفارق
سنة فيفترض عليه ان يطلب علم ذلك من العلماء لينكشف له ما اشتبه عليه وما
اشكل ليصير على يقين من امره فيعتقد الحق وينفي الباطل ولهذا المعنى كان ابو بكر رضي
يقول في دعائه اللهم ارنا الحق حقا فنتبعه وارنا الباطل باطلا فنجتنبه ولا تجعل ذلك
متشابها علينا فنتبع الهوى واما اذا لم يسمعها وكان غافلا عنها على اصل التسليم
ومعتقد جملة المسلمين لا يحيك في صدره شيء من الشبهات فانه لا يلزمه طلب ذلك
والبحث عنه وهذا مذهب ابي ثور وابرهيم بن خالد وداود بن علي والحسين الكرابيسي
والحارث المحاسبي ومن تابعهم من المتكلمين فهذه اقوال العلماء في معنى الخبر وهذا كله
حسن ومحتمل وكلهم في تفسيرهم متقاربين في المعنى الا ان اهل الظاهر منهم حملوه على
ما يعلمون واهل الباطن حملوه على ما يعلمون ولعمري ان الظاهر والباطن علمان لا يستغني
احدهما عن صاحبه بمنزلة الاسلام والايمان كل واحد منهما مرتبط كالجسم والقلب لا ينفك
احدهما عن صاحبه واجمع الامة على انه عليه السلام لم يرد بذلك علم القضاء والفتوى ولا
علم اختلاف المذاهب ولا كتب الاحاديث مما لا يتعين فرضه وان كان الله تعالى لا يخلي ذلك ممن يقيمه
ويحفظه والذي عنده في حقيقة معنى الخبر والله اعلم انه عنى به علم الفرايض الخمس التي بني
عليها الاسلام لانه فرضنا من حيث توقف عليه ما هو فرض وعلم التوحيد داخل فيها لانه في
اولها وهو قول شهادة ان لا اله الا الله باثبات صفاته المتصلة بذاته ونفي صفات سواه
المنفصلة عنه وعلم الاخلاص داخل في صحة الاسلام لانه لا يكون مسلما الا باخلاص
العمل لقوله عليه السلام ثلث لا يغل عليهن قلب مسلم اخلاص العمل لله تعالى فبدا به
واشترطه للاسلام ولم يرد به عليه السلام كل علم باجماع الامة فانه لم يعن به علم
الطب والنجوم والنحو والشعر والمقاريء والخبر جاء بلفظ العموم بذكر الكلية فلو بذل
من حمله على علم يكون فرض عين لتبت الفريضة على العموم كما جاء بها الخبر وعلم القضاء
والفتوى ونحوهما ما ذكرناه ليس فرض عين بل بعضها ليس بفرض اصلا وبعضها فرض
كفاية فصح ان معناه طلب علم ما بني عليه الاسلام وافترض على كل مسلم عمله لانه
لا عمل الا بعلم فمتى كان العمل فرضا كان علم ذلك العمل فرضا قال الله تعالى الا من شهد
بالحق وهم يعلمون وروي ان النبي عليه السلام مر برجل والناس مجتمعون عليه فقال
ما هذا فقالوا رجل علامة بالشعر والانساب وايام العرب فقال عليه السلام هذا علم
لا يضر جهله وفي لفظ آخر قال علم لا ينفع وجهل لا يضر وفي خبر غريب كل شيء يحتاج
الى توفيق وفي خبر ان الشيطان ربما سبقكم بالعلم قيل يا رسول الله كيف سبقنا بالعلم

لم يفرض على المسلمين غيرها والعمل لا يصح الا بالعلم فان العلم فرض على علم ...

علم الشعر والانساب

الاشتغال بطلب العلم عن العمل

قال يقول اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم فلا يزال في العلم قانا وللعمل مسوفا حتى يموت
وما عمل والمراد بهذا الخبر طلب فضول العلم الذي لا نفع فيه في الاخرة ولا قربة في طلبه
وفيه دليل ان العلم المفضل المندوب اليه انما هو الذي يقتضي العمل لان النبي عليه السلام
لا يامر بعمل بغير علم ولا يكره طلب علم للعمل به بدليل قوله عليه السلام فضل من علم احب الي
من فضل من عمل وخير دينكم الورع ذكر فضل علم المعرفة واليقين على ساير العلوم وكشف
طرايق علماء السلف الصالح قبض رسول الله عليه السلام عن الوف من صحابة رضي الله عنهم كلهم
علما بالله تعالى فقها عنه اهل رضوان منه ولم ينصب نفسه للفتيا ولا حملت عنه الاحكام
والقضايا منهم الا بضعة عشر رجلا وكان ابن عمر رحمه الله اذا استل عن فتيا قال اذهب
الى الامير الذي تقلد امور الناس فضعها في عنقه وروي مثل ذلك عن انس وجماعة
من الصحابة والتابعين رضي وقال ابن مسعود ان الذي يفتي الناس في كل ما يستفتونه
لمجنون وكان ابن عمر يسال عن عشر مسائل فيجيب عن مساله ويسكت عن تسع وكان
ابن عباس رضي على ذلك وكان سفيان الثوري ومالك بن انس واحمد بن حنبل والفضيل بن
عياض وبشر بن الحرث وغيرهم من الفقهاء يقولون لا ادري اكثر مما يقولون ادري
وقال عبد الرحمن بن ابي ليلى ادركت مائة وعشرون من اصحاب رسول الله عليه السلام
ما منهم احد يسال عن حديث او فتيا الا ود ان اخاه ذلك وفي لفظ آخر كانت المسئلة
تعرض على احدهم فيردها الى الاخر ويردها الاخر الى آخر حتى ترجع الى الذي سئل عنها
وروي مسندا لا يفتي الناس الا ثلثة اميرا ومامورا ومتكلف والمراد بالمامور الذي
يامره الامير بذلك ويقيمه مقامه فيه لاشتغاله بامور الرعية والمتكلف هو القاص الذي
يتكلم في القصص السالفة ويقص اخبار الامم الماضية لانه لا يحتاج اليه في الحال و
يدخله الزيادة والنقصان والاختلاف فلذلك كره القصص وفي خبر آخر لا يتكلم
على الناس الا ثلثة اميرا ومامورا ومرائي والمراد بالمامور هنا العالم بالله تعالى الزاهد
في الدنيا يتكلم في علم الايمان واليقين وفي علم القران والحث على صالح اعمال الدين
بامر من الله تعالى اذن له في ذلك بقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب
لتبيننه للناس ولا تكتمونه وكان ابو هريرة رضي وغيره يقولون لولا آيتان في
كتاب الله تعالى ما حدثتكم بحديث ابدا ثم يتلو هذه الاية والاية التي مثلها وقال النبي
عليه السلام ما اتى الله تعالى عالما علما الا اخذ عليه من الميثاق ما اخذ على النبيين ان يبينه
ولا يكتمه والمرائي المتكلم في علوم الدنيا الناطق عن الهوى يستميل بذلك قلوب الناس
ويجتلب بكلامه المزيد من الدنيا والرفعة فيها قيل كان الصحابة والتابعين رضي الله عنهم
يتدافعون اربعة اشياء الامامة والوديعة والوصية والفتيا وقيل كان اسرعهم
الى الفتيا اقلهم علما واشدهم دفعا لها وتوقفا عنها اورعهم ورأى بعض اصحاب الحديث
بعض فقهاء الكوفة من اهل الراي بعد موته في المنام فقال له ما فعلت فيما كنت عليه

من الفتيا والراي قال فكره وجهه واعرض عني وقال ما وجدناه شيئا ولا احدنا عاقبته ورأى
بعضهم خليل بن ابرهيم في النوم بعد موته فساله عن حاله ارايت ما كنا فيه فاني لم اره شيئا ما
رايت انفع من قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقال بعض الشيوخ رايت
بعض العلماء في المنام فقلت له ما فعلت تلك العلوم التي كنا نجادل فيها ونناظر عليها فبسط
يده ونفخ فيها وقال طاحت كلها هباء منثورا ما انتفعت الا بركعتين خلصتا لي في جوف الليل
وعن ابي داود السجستاني قال رايت بعض اصحابنا الصالحين في المنام بعد موته فقلت له
اي الاعمال وجدتها هنالك افضل قال قراءة القران والصلوة جوف الليل قلت فانما افضل ما
كنت تقراء وتقرئ فقال ما كنت اقراء وعن السري قال كان عندنا شاب يطلب علم الظاهر
ويواظب عليه كثيرا ثم تركه واشتغل بالعبادة فاجتمعت به وسالته عن سبب ذلك فقال رايت
في النوم قايلا يقول لي كم تضيع العلم ضيعك الله فقلت اني لاحفظه ليلا ونهارا فقال
ان حفظ العلم هو العمل به فتركت الطلب واشتغلت بالعمل وقال ابن مسعود رض ليس العلم
بكثرة الرواة انما العلم نور يقذفه الله في القلب وكان الحسن البصري رض يقول اعملوا ما شئتم
ان تعلموا فوالله لا يأجركم الله عليه حتى تعملوا فان السفهاء همتهم الرواية وان العلماء همتهم
الرعاية وعنه ايضا ان الله عز وجل لا يعبأ بذي قول ورواية انما يعبأ بذي فهم ودراية
وقال ابو حصين احدهم ليفتي في مسالة لو وردت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع لها بدر
وكان الصحابة والتابعون رضي الله عنهم يدفعون من يفتي او يقضي وليس باهل ولا مما سود
ولم يفعلوا مثل ذلك في علم القلوب ولا في علم الايمان وكان عمر يجلس الى المريدين فيستمع
اليهم وفي الخبر اذا رايتم الرجل قد اوتي صمتا وزهدا فاقتربوا منه فانه يلقى الحكمة وقال
الحسن رض يتعلم هذا العلم قوم لا نصيب لهم منه في الاخرة يحفظ الله تعالى بهم العلم على
الامة لئلا يضيع وقال المامون لولا ثلثة لخربت الدنيا لولا الشهوة لانقطع النسل
ولولا حب الجمع لبطلت المعايش ولولا طلب الرياسة لذهب العلم فهذا كله وصف
علماء الدنيا اهل علم الالسنة فاما علماء الاخرة واهل المعرفة واليقين فكانوا
يهربون من الامراء ومن اتباعهم واشياعهم ومن علماء الدنيا ايضا ويطعنون عليهم
ولا يجالسونهم وقال ابن ابي ليلى ادركت ثلثمائة يسال احدهم عن الفتيا والحديث فيرده
الى الاخر ويرده الاخر الى الاخر ولم يكونوا اذا سئل احدهم عن مسالة من علم القران او علم
اليقين والايمان يحيل على صاحبه ولا يسكت عن الجواب وقد قال الله تعالى فسئلوا
اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون فهم اهل الذكر لله تعالى واهل التوحيد والعقل عنه ولم
يكونوا يتلقنون هذا العلم دراسة من الكتب ولا يتلقا بعضهم من بعض بالالسنة انما
كانوا اهل عمل وحسن معاملات فاذا انقطع احدهم الى الله تعالى واشتغل به فاستعمله
بخدمته باعمال القلوب وكانوا عنده في الخلوة بين يديه لا يذكرون سواه ولا يشتغلون
بغيره فاذا ظهروا للناس فسالوهم الهمهم الله تعالى رشدهم ووفقهم لسديد قولهم واتاهم الحكمة

سرا ثالا عمالهم الباطنة عن قلوبهم الصاعقة وعقولهم الزاكية وهممهم العالية والهمهم
حقيقة العلم واطلعهم على مكنون السر فتكلموا بعلم القدرة واظهروا وصف الحكمة
ونطقوا بعلوم الايمان وكشفوا بواطن الايمان وكتب عمر بن عبد العزيز الى
الحسن رضي الله عنهما اما بعد فاشر علي بقوم استعين بهم على امر الله تعالى فكتب اليه
اما اهل الدين فلن يريدوك واما اهل الدنيا فلن تريدهم ولكن عليك بالاشراف
فانهم يصونون شرفهم عن ان يدنسوه بالخيانة هذا مع ان عمر بن عبد العزيز
كان من افضل الامراء بعد الخلفاء الاربعة قال سليمان الداراني اذا
طلب الرجل الحديث او تزوج او سافر في طلب المعاش فقد ركن الى الدنيا ثم ان
المعرفة على مقامين معرفة سمع ومعرفة عيان فمعرفة السمع في الاسلام وهي انهم
سمعوا به فعرفوه وهذا هو التصديق من الايمان ومعرفة العيان في المشاهدة وهي عين
اليقين والمشاهدة ايضا على مقامين مشاهدة استدلال ومشاهدة دليل فمشاهدة
الاستدلال قبل المعرفة وهذه معرفة الخبر وهو في السمع لسانها القول والواجد بها عالم
واجد بعلم وعنها علم اليقين من قوله تعالى بنبأ يقين اي وجدت فهذا العلم قبل الوجد
وهو علم السمع وقد يكون سببه التعليم ومنه قوله عليه السلام تعلموا علم اليقين اي جالسوا
الموقنين منهم اليقين لانهم علماؤه واما مشاهدة الدليل فهي بعد المعرفة التي هي العيان
والواجد بها واجد برب وبعد هذا الوجد علم من عين اليقين وهنا يتولاه الله بنوره
عن يده بقدرته ومنه قوله عليه السلام فوجدت بردها فعلمت فهذا العلم بعد الوجد من عين اليقين
باليقين وهذا من اعمال القلوب وهؤلاء هم علماء الاخرة واهل الملكوت وارباب القلوب وهم
المقربون من اصحاب اليمين وعلم الظاهر من علم الملك وهو من اعمال اللسان والعلماء به موصوفون
بالدنيا وصالحوهم اصحاب اليمين وقال رجل لمعاذ اخبرني عن رجلين احدهما مجتهد في
العبادة كثير العمل قليل الذنوب الا انه ضعيف اليقين يعتوره الشك في اموره فقال معاذ
ليحبطن شكه اعماله قال والاخر قليل العمل كثير الذنوب الا انه قوي اليقين فسكت معاذ
فقال الرجل والله لئن احبط شك الاول اعمال بره ليحبطن يقين هذا ذنوبه كلها فاخذ
معاذ بيد الرجل وقال ما رايت افقه من هذا وسئل رسول الله عليه السلام فقيل يا رسول
الله رجل حسن اليقين كثير الذنوب ورجل مجتهد في العبادة قليل اليقين فقال لهما من ادمي الا وله ذنوب
ولكن من كان غريزته العقل وسجيته اليقين ثم تضره الذنوب لانه كلما اذنب تاب
واستغفر وندم فتكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة وقال النبي عليه السلام من اقل ما
اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطي حظه منهما لم يبل ما فاته من قيام الليل وصيام
النهار وفي وصية لقمان لابنه يا بني لا يستطاع العمل الا باليقين ولا يعمل المرء الا بقدر يقينه
ولا يقصر عامل حتى يقصر يقينه ومن ضعف يقينه غلبته محقرات الاثام وقال يحيى بن
معاذ الرازي ان للتوحيد نورا وللشرك نارا وان نور التوحيد احرق لسيئات الموحدين

فوائد علماء الاخرة من الخلفاء

تقسيم المعرفة والمشاهدة

مدح اليقين

من نار الشرك لحسنات المشركين فاعلا العلوم علم المشاهدة عن عين اليقين وهذا
مخصوص للمقربين في مقامات قربهم ومحادثات مجالستهم ومأوى انسهم ولطيف تملقهم
وادنى العلوم علم التسليم والقبول بعدم الانكار وفقد الشكوك وهذا لعموم المؤمنين
وهو من علم الايمان ومزيد التصديق وهذا لاصحاب اليمين وبين هذين مقامات لطبقات
من اعلى طبقات المقربين الى اوسط المقامات ومن ادنى طبقات اليمين الى اعالي اوسط
الاعلين ذكر طريق الورعين في العلم وتفضيل علوم الصمت روينا في الخبر العلم ثلاث
كتاب ناطق وسنة قائمة ولا ادري وقال الشعبي لا ادري نصف العلم يعني اثر الورع
وهو الجبن عن الاقدام والهجوم على الشبهات والوقوف عند المشكلات بسكون او سكوت
واليقين هو الاقدام على الاشياء ببصيرة وتمكين والقطع بالامر على علم وخبر فهذا
صنعة العلماء الموثوق بعلمهم لا يحسنه والمرء اذا قال لا ادري فقد عمل بعلمه وقام
بحاله فله من الثواب بمنزلة من درى فقام بحاله وعمل بعلمه فاظهره فلذلك كان
قول لا ادري نصف العلم ولاحسن من سكت لاجل الله تعالى تورعا كحسن من نطق
لاجله بالعلم تبرعا وقال بعض العلماء علمان علم الاراء وهو علم القضايا وعلم التقدير
وهو علم اليقين والمعرفة وقال المهدي لسفيان بن الحسين اعالم انت فسكت فاعاد
فقيل له الا تجيب امير المؤمنين فقال سالني عن مسالة لا جواب لها ان قلت لست بعالم
كتاب الله تعالى كنت كاذبا وان قلت اني عالم كنت جاهلا ومما خص الله تعالى به هذه
الامة وفضلها به ثلثة اشياء احدها تبقية الاسناد فيهم ياثره خلف عن سلف متصلا
الى النبي عليه السلام والى من مضى من العلماء وساير الامم لم يكن لهم ذلك بل كانوا يستنسخون
الصحف كما اخلقت صحيفة جددت الثانية حفظ كتاب الله تعالى عن ظهر غيب وانما كانوا
يقراون كتبهم نظرا الا عزيرا فانه حفظ التورية الهاما من الله تعالى بعد ان احرقها
كلها بخت نصر عند تخريبه بيت المقدس ولذلك قال قوم من اليهود انه ابن الله لما خصه به
وافرده الثالثة ان كل مومن من هذه الامة يتسال عن علم الايمان ويسمع قوله
ويؤخذ من رايه وعلمه مع حداثة سنه ولم يكونوا فيما مضى يسمعون العلم الا من الاحبار
والرهبان والقسيسين لا من غيرهم وخصهم برابعة ايضا على امة موسى عليه السلام وهي
ثبات الايمان في قلوبهم لا يعتوره شك ولا يختلجه شرك مع تقلب الجوارح في المعاصي
وكانت امة موسى عليه السلام تتقلب قلوبهم في الشك والشرك كما تتقلب جوارحهم في المعاصي
فلذلك قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة بعد ما راوا الايات العظيمة من
انفلاق البحر وسلوكهم فيه طرقا وانجائهم من الغرق واهلاك فرعون وفي الخبر
من عمل بما يعلم ورثه الله تعالى علم ما لم يعلم واعلم ان من عمل بعلم او نطق فاصاب
الحقيقة عند الله تعالى فله اجران اجر التوفيق واجر العمل وهذا مقام العادين
ومن نطق بجهل او عمل به واخطا الحقيقة فعليه وزران وهذا مقام الجهال ومن

قال او عمل بعلم واخطا الحقيقة فله اجر لاجل العلم وهذا مقام علماء الظاهر ومن قال
او عمل بجهل واصاب الحقيقة فعليه وزر لترك طلب العلم وهذا مقام جهلة العابدين
وقد قسم النبي عليه السلام الحكام ثلثة اقسام فقال القضاة ثلثة قاض قضى بالحق وهو يعلم
بذلك في الجنة وقاض قضى بالجور وهو يعلم او قضى بالجور وهو لا يعلم فهما في النار ومن
احسن ما سمعت في قوله تعالى يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سواتكم يعني ورشا
يعني اليقين ولباس التقوى يعني وعن وهب بن منبه في معناه الايمان عريان ولباسه
التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم وقال بعض العلماء اعلم الناس اورعهم
وخيرهم انصحهم لهم وقد جعل الله تعالى مفتاح القول السديد والعلم الرشيد
والسمع المكين التقوي وهي وصية الله تعالى لمن قبلنا وايانا قال سبحانه وتعالى
ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وهذه الاية
قطب القران مداره عليها كمدار الرحى على القطب وعن عيسى عليه السلام كيف يكون
من اهل العلم من مسيره الى آخرته وهو مقبل على دنياه وكيف يكون من اهل العلم من
يطلب الكلام ليخبر به ولا يطلبه ليعمل به وقال بعض العلماء لو قيل لي من احمق الناس
لاخذت بيد القاضي وقلت هذا وفي الحديث ما ضل قوم بعد هدى كانوا
عليه الا اوتوا الجدل ثم قرا ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون وفي الحديث
فاما الذين في قلوبهم زيغ الاية هم اهل الجدل ثم قرا ما ضربوه لك الا جدلا
بل هم قوم خصمون الذين عنى الله تعالى فاحذروهم وفي الخبر انكم في زمان الهمتم
فيه العمل وسياتي قوم يلهمون الجدل وعن بعض العلماء اذا اراد الله تعالى
بعبده خيرا فتح له باب العمل واغلق عنه باب الجدل واذا اراد الله بعبده
شرا اغلق عنه باب العمل وفتح عليه باب الجدل وفي خبر اخر ما اوتي قوم
المنطق الا منعوا العمل وقال ابو يوسف رحمه الله من طلب العلم بالكلام تزندق
وقال احمد بن حنبل علماء اهل الكلام زنادقة بيان فضل علم الباطن على
الظاهر قال ابن مسعود لما مات عمر رضي اني لاراه ذهب بتسعة اعشار
العلم فقيل له تقول هذا وفينا جلة الصحابة فقال لست اعني العلم الذي
تريدون انما اعني العلم بالله تعالى ففضل العلم بالمعلومات غير حقيقة العلم
وفضل العلم بالله تعالى على غيره يجعله تسعة اعشار العلم وليس مزيد علم
الظاهر على الاعمال كثير زيادة اذ هو من الاعمال الظاهرة لانه صنعة اللسان
ولانه العموم من المسلمين فاعلا مقاماته الاخلاص فان فاته الاخلاص
فهو شهوة دنيا كساير الشهوات والاخلاص هو اول حال العالم بالله
بالعلم الباطن ولا نهاية لمقاماته الى اعلا مقامات العارفين ودرجات
الصديقين وقال سهل العلماء ثلثة عالم بالله وعالم لله وعالم بحكم الله

تفسير آية الكسوة

ويعني

ونعني بالعالم بالله العارف الموقن وبالعالم لله العالم بعلم الاخلاص والاحوال والمعاملة
وبالعالم بحكم الله العالم بتفصيل الحلال والحرام وحدثت عن ابي يوسف انه كان اذا
صار راس الحول وهب ماله لامرأته واستوهبها مالها لتسقط عنهما الزكوة فذكر ذلك
لابي حنيفة رحمه الله فقال من فقهه فانما يطلب العلم للورع والاحتياط في الدين حتى يكون
علما نافعا اما اذا طلب لهذا وما اشبهه من التاويل بمقتضى الهوى كان الجهل خيرا منه
وصار هو العلم الذي استعاذ منه رسول الله عليه السلام وفي خبر مسندا اتقوا كل
منافق عليم اللسان يقول ما تعرفون ويعمل ما تنكرون وقال الفضيل بن عياض انما هما
عالمان عالم وعالم آخرة فعالم الدنيا علمه منشور وعالم الاخرة علمه مستور فاطلب عالم
الاخرة واحذر عالم الدنيا لا يصدنك بشكره ثم قرأ يا ايها الذين امنوا ان كثيرا
من الاحبار والرهبان لياكلوا اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله قال
فالاحبار العلماء والرهبان الزهاد واعلم ان كل ناطق بعلم اذا كان محبا للدنيا
فانه آكل بالمال بالباطل وكل من اكل اموال الناس بالباطل فانه يصد عن سبيل الله لا
محالة وان لم يظهر ذلك في مقاله فانه يعرف في لحن معناه بدقايق صده عن مجالسة غيره
وبلطايف منه عن طرقات الاخرة لان حب الدنيا وغلبه الهوى يحكمان عليه بذلك
شاء أو أبي وقال بعض العلماء الله تعالى يحب العالم المتواضع ويبغض الجبار من العلماء
ومن تواضع ورثه الله عز وجل الحكمة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغض الحبر السمين
وهكذا في التورية وقيل ما اتى الله عبدا علما الا اتاه معه حلما وتواضعا وحسن خلق
ورفقا وذلك علامة العلم النافع وقال بشر بن الحارث من طلب الرياسة من العلماء فتقرب
الى الله تعالى ببغضه فانه مقيت في السماء والارض وروي الاوزاعي عن بلال بن سعد انظر الى
عالم الدنيا الذي يتصنع للخلق ويتشوف للطمع والرياسة احق بالمقت من الشرطي وقال سهل
العلماء هم الذين يؤثرون الاخرة على الدنيا ويؤثرون الله تعالى على نفوسهم قال علي رضي الله
الناس ثلثة عالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة يعني مريدا طالبا للعلم متعلما من العلماء بالله
على طريق معاملة واخلاص بطلب السلامة وان ينجو من الجهل في الدنيا ومن العذاب في الاخرة
وهمج رعاع الهمج الفراش الذي يتهافت في النار لجهله واحدته همجة والرعاع الخفيف الطياش
لا عقل له يستفزه الطمع ويستخفه الغضب ويزدهيه العجب ويستطيله الكبر ثم بكي علي رضي
وقال هكذا يموت العلم بموت حامليه ثم تنفس عند وصف الربانيين وقال واشوقاه الى
الى رؤيتهم وهؤلاء هم الذين اشتاق اليهم رسول الله عليه السلام فقال واشوقاه الى لقاء اخوانه
عليه السلام لتشابه القلوب والاخلاق في معاني صفات الايمان فهم اقرب الناس شبها
بالانبياء وهم ابدال هذه الامة جاء في وصفهم ما يجل عن الوصف وهم على ثلث طبقات
صديقون وشهداء وصالحون منهم من قلبه على قلب ابراهيم الخليل عليه السلام ومنهم من قلبه
على قلب موسى الكليم عليه السلام ومنهم من قلبه عيسى الروح ومحمد الحبيب عليهم السلام ومنهم من

طالب الرخص بالعلم

صفة الاكل بالعلم

عالم سهل

شوق رسول الله الى لقاء [illegible] اخوانه

من قلبه على قلب جبرئيل واسرافيل وميكائيل عليهم السلام والاخوة تقع بين اثنين بالمجانسة المعنوية
وقرب الشبه في الافعال والاخلاق وهم الغرباء بين الملاء الذين قال فيهم فطوبى للغرباء
قيل ومن الغرباء قال عليه السلام يصلحون اذا افسد الناس وفي لفظ آخر الذين يصلحون
ما افسد الناس من سنتي والذين يحيون ما امات الناس من سنتي يعني انهم يظهرون طريقته
التي تركها الناس وجهلوها وفي خبر آخر هم المتمسكون بسنتي وما انتم عليه اليوم وفي حديث آخر
الغرباء ناس قليلون صالحون بين ناس سوء كثيرين من يبغضهم اكثر ممن يحبهم فهؤلاء الغرباء
الذين انعم الله تعالى عليهم بمرافقة النبيين في اعلى عليين فقال تعالى فاولئك مع الذين انعم
الله عليهم من النبيين الاية وقال الثوري اذا رايت العالم كثير الاصدقاء فاعلم انه مخلط
واذا رايت الرجل محببا الى اخوانه محمودا في جيرانه فاعلم انه مراء وقد وصف الله تعالى
علماء السوء وبأكل الدنيا بالعلم ووصف علماء الاخرة بالخشوع والزهد وروي ان رجلا
من اهل خراسان جاء يوما الى الحسن بعد ما انصرف من مجلسه ووضع بين يديه خمسة الاف درهم
وعشرة اثواب من رفيع بز خراسان وقال له استعن بهذا على حاجتك فقال له ارفعها فلا
حاجة لي فيها انه من جلس مثل مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله تعالى يوم القيمة ولا
خلاق له وفي خبر آخر ان العبد لينشر له من الثناء ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله تعالى
جناح بعوضة وعلماء الدنيا الطالبون لها بالعلم الآكلون لها بالدين المتخذون الاخلاء
والاصدقاء من ابنائها المكرمون المحبون لهم المقبلون بالبشر والبشاشة عليهم معروفون
في كل زمان باوصافهم ولحن قولهم وسيماهم وقد روينا مسندا من طريق ورويناه ايضا
موقوفا على معاذ بن جبل وانا اذكره موقوفا احب الي قال من فتنة العالم ان يكون
الكلام احب اليه من الاستماع وفي الكلام تنميق وزيادة ولا يؤمن على صاحبه الخطأ
وفي الصمت سلامة وعلم ومن العلماء من يخزن علمه فلا يحب ان يوجد عند غيره فذلك
في الدرك من النار ومن العلماء من يكون في علمه بمنزلة السلطان فان رد عليه شيء
من علمه او تهون بشيء من حقه غضب فذلك في الدرك الثاني من النار ومن العلماء
من يجعل حديثه وغرائب علمه لاهل الشرف واليسار ولا يرى اهل الحاجة له اهلا فذلك
في الدرك الثالث من النار ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا فيفتي بالخطأ والله تعالى
يبغض المتكلفين فذلك في الدرك الرابع من النار ومن العلماء من يتكلم بكلام اليهود والنصارى
ليغزر علمه فذلك في الدرك الخامس من النار ومن العلماء من يتخذ علمه مروءة ونبلا وذكرا في
الناس فذلك في الدرك السادس من النار ومن العلماء من يستفزه الزهو والعجب فان وعظ
عنف وان وعظ انف فذلك في الدرك السابع من النار عليك بالصمت فبه تغلب الشيطان
وايّاك ان تضحك من غير عجب او تمشي في غير ارب وقال ابن عباس رض علماء هذه الامة رجلان
رجل اتاه الله علما فبذله للناس ولم يأخذ عليه طمعا ولم يشتر به ثمنا فذلك يصلي
عليه طير السماء وحيتان الماء ودواب الارض والكرام الكاتبون يقدم على الله تعالى يوم القيمة

سيدا

سيد اشريفا حتى يدافن المرسلين ورجل اتاه الله تعالى في الدنيا فضن به على
عباد الله عز وجل واخذ عليه طمعا واشترى به ثمنا ياتي يوم القيمة ملجما
بلجام من نار ينادي مناد على رؤس الخلايق هذا فلان بن فلان اتاه الله
علما في الدنيا فضن به على عباد الله واخذ عليه طمعا واشترى ثمنا فيعذب
حتى يفرغ الله تعالى من حساب الناس ومن اغلظ ما سمعت وفيمن اكل الدنيا
بالعلم ما روي ان رجلا كان يخدم موسى عليه السلام ويقول حدثني
موسى بكذا حدثني موسى عليه السلام بكذا حدثني موسى بكذا حتى اثرى
وكثر ماله وفقده موسى فسال عنه فلم يعلم له خبرا حتى جاءه انسان
يوما ومعه خنزير في عنقه حبل اسود فساله عن خادمه وقال اتعرف فلان
فقال نعم هو هذا الخنزير فقال موسى يا رب اسئلك ان ترده الى حاله
حتى اساله بما اصابه هذا فاوحى الله تعالى اليه لو دعوتني بالذي دعا به آدم
من دونه ما اجبتك فيه ولكني اخبرك صنعت به هذا لانه كان يطلب الدنيا بالدين
فاما العلم الموسوم في الكتب المستودع في الصحف الذي ينقله من خلف عن سلف
ويسمعه من غبر عمن قدم فهو علم الاحكام والفتيا والقضا وطريقة السمع ومفتاحه
الاستدلال وخزانته العقل والته الالسنة وهو باق ببقاء الاسلام موجود بوجود
المسلمين لانه حجة الله تعالى على عباده ومحجة العموم من خلقه وقد ضمن الله تعالى
اظهار دينه بقوله تعالى ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ولم يكن ليظهره
الا بحملة تظهره ونقلة تحمله وقد قال النبي عليه السلام وعلم ظاهر على اللسان
فذلك حجة الله عز وجل على خلقه وكان مالك بن انس رض يقول ادركت سبعين شيخا
من التابعين منهم عباد ومنهم من يستسقى بهم وما حملت عنهم علما قط لانهم لم يكونوا
اهل هذا الشان وفي رواية لانهم لم يكونوا يدرون ما يحدثون به ولم يكن لهم فقه
فيما يسالون عنه قال وتقدم علينا الزهري وهو حدث السن فكنا نزدحم حتى نصل
اليه لانه كان عالما بما يحدث به وهذا بمعنى ما روي عنه عليه السلام رب حامل
حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو افقه منه وكان الزهري رض
يقول حدثني فلان وكان من ادعية العلم ولا يقول وكان عالما وقال
بعض السلف ما كانوا يعدون علم من لا يعرف اختلاف العلماء علما وقال
آخر من لم يعرف اختلاف العلماء لا يحل له ان يفتي ولا يسمى عالما وقال
قتاده وسعيد بن جبير اعلم الناس اعرفهم باختلاف الناس وقيل لاحمد
بن حنبل اذا كتب الرجل مائة الف حديث له ان يفتي قال لا قيل فمائتي
الف قال لا قيل فثلثمائة الف قال ارجو في التودية الطبيب الحاذق يصلح للعلة
الباطنة وكتب سلمان الى ابي الدرداء رض عنهما وقال قد اخا بينهما رسول الله عليه السلام

يا اخي بلغني انك اقعدت طبيبا تداوي المريض فانظر فان كنت طبيبا فتكلم فان كلامك
شفاء واذ كنت متطببا فالله الله لا تقتل مسلما فكان ابو الدرداء يتوقف بعد ذلك فيما
يسئل عنه فاذا اسئل عن شئ فاجاب وانصرف الرجل قال ردوه فيقول له اعد علي
فيعيد سؤاله فيقول متطبب والله فيرجع في جوابه وعن رسول عليه السلام من تطبب ولم
يعلم منه طب فقتل فهو ضامن وكان ابن عباس يقول سلوا جابر بن زيد فلو نزل اهل
البصرة على فتياه لوسعهم وكان من صالحي التابعين وكان ابن عمر اذا سئل عن شئ
يقول سلوا سعيد بن المسيب رض وكان انس بن مالك رض يقول سلوا مولانا الحسن فانه
قد حفظ ونسينا وقال بعض البصريين قدم علينا رجل من اصحاب رسول الله عليه السلام
فاتينا الحسن رض فقلنا له الا نذهب اليه فنسأله عن حديث رسول الله عليه السلام ويحدث
معنا قال نعم فذهبنا وجعلنا نسئله فيحدثنا حتى يحدثنا عشرين حديثا والحسن
ساكت يستمع اليه ثم قال له يا صاحب رسول الله اخبرنا بتفسير ما رويت عن رسول الله
حتى نتفقد فيه فسكت وقال ما عندي الا ما سمعت فاخذ الحسن تفسير ما رواه على
الترتيب حتى سرد الاحاديث كما رواها الصحابي وفسرها قال الراوي فلم نر اعجب
من حسن حفظه لها او من غزارة علمه في تفسيره اياها فاخذ الصحابي كفا من حصى وحصبنا به
ثم قال تسالوني عن العلم وهذا الحبر بين اظهركم فهؤلاء اصحاب رسول الله عليه السلام كانوا يردون
امور الفتيا وعلم اللسان الى من هو دونهم في القدر والمنزلة وهم في علم اليقين والمعرفة
وايمان فوقهم درجا فلا يرجعون اليهم في الشبهات ولا يردون اليهم علي علم اليقين
والمعرفة وهذا كما قيل انما العلم نور يقذفه الله تعالى في قلوب اوليائه فقد يكون
ذلك تفضيلا للنظراء بعضهم على بعض وقد يكون تخصيصا للشباب على الشيوخ
ولمن جاء بعد السلف من التابعين وربما كان تكرمة للخاملين المتواضعين لينبه
عليهم ويعرف شانهم فيعظموا ويرفعوا كما قال الله تعالى ونريد ان نمن على الذين
استضعفوا في الارض الاية والنور اذا جعل في الصدور انشرح القلب بالقلم وظهر
باليقين فنطق اللسان بحقيقة البيان وهو الحكمة التي يودعها الله قلوب اوليائه
كما جاء في قوله تعالى واتيناه الحكمة وفصل الخطاب قيل الاصابة في القول فكانه يوفقه
للحقيقة عنده وقال الله تعالى يؤتى الحكمة من يشاء قيل الفهم والفطنة وسئل رسول الله
عليه السلام عن الشرح في قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام فقال
ان النور اذا قذف في القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل فهل لذلك من علامة
قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل
نزوله فذكر ان سببه الزهد في الدنيا والاقبال على خدمة المولى ومن الدليل
على فضل هذا العلم على سائر العلوم ما جاء في الاخبار المتفرقة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم في مجالس الذكر وفضل الذاكرين وانما عنوا

بذلك

بذلك علم الايمان والمعرفة وعلوم المعاملات والتفقه في بصاير القلوب والنظر بعين اليقين
الى ساير الغيوب ولم يعنوا بر القصاص ومجالسهم لانهم كانوا يرون القصص بدعة
لانه لم يقص في زمن ابي بكر وعمر رضي الله عنهما حتى ظهرت الفتنة فظهر القصاص ولما دخل علي
البصرة اخرج القصاص من المسجد حتى انتهى الى الحسن رض وهو يتكلم في هذا العلم
فاستمع اليه ثم انصرف ولم يخرجه وقيل لابن سيرين لو قصصت على اخوانك فقال
قد قيل لا يتكلم على الناس الا احد ثلثة اميرا او مامور او احمق ولست باميرا ولا
مامور واكره ان اكون الثالث وعن الحسن ان القصص بدعة فلو كانت مجالس
القصاص في مجالس والقاصون من الذاكرين لما كرهها السلف وذموها و
نهوا عنها مع ان الحسن رض كان يدعو الناس الى الله عز وجل بالتوحيد ويتكلم
في علم المعرفة واليقين ويحث على الذكر ومجالسه وعرض عليها وقد رفع الله تعالى
مقام الذاكرين فوق مقامات المسلمين كلها المذكوره في قوله تعالى ان المسلمين والمسلمات الاية
وفي الحديث ابي ذر حضور مجلس علم افضل من صلوة الف ركعة وحضور مجلس علم
افضل من عيادة الف مريض وحضور مجلس علم افضل من شهود الف جنازة قيل
يا رسول الله ومن قراءة القران قال وهل تنفع قراءة القران الا بعلم وقال بعض السلف
حضور مجلس ذكر يكفر عشرة مجالس من مجالس الباطل وقال عطا مجلس ذكر يكفر سبعين
مجلسا من مجالس اللهو وكانت مجالس الحسن رض من مجالس الذكر يخلو فيها في بيته
مع اخوانه واتباعه من النساك والعباد كمالك بن دينار وثابت البناني وايوب
السختياني ومحمد بن واسع وفرقد السبخي وعبد الواحد بن زيد فيقول هاتوا انشروا النور
ويتكلم عليهم في هذا العلم من اليقين والقدرة وفي خواطر القلوب وفساد الاعمال ووساوس
النفوس وربما تقنع بعض اصحاب الحديث راسه فاستخفى من ورائهم ليسمع ذلك فاذا راه
الحسن قال له يا لكع وانت ما تصنع هنا انما خلونا مع اخواننا نتذاكر والحسن رحمه الله هو
امامنا في هذا العلم نقفو فيه اثره ونتبع سبيله ونستضي من مشكاته اخذنا ذلك
باذن الله تعالى وتوفيقه اماما عن امام حتى ينتهي اليه وكان رحمه الله من خيار التابعين
باحسان قيل ما زال يحي الحكمة اربعين سنة حتى نطق بها لقي سبعين بدريا وراى
ثلثمائة من الصحابة رضي الله عنهم وولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر سنة عشرين
من الهجرة ولد بالمدينة وكانت امه مولاة لام سلمة زوج النبي عم وقيل انها القمته
ثديها تعلله حين بكاء فدر ثديها عليه وكان كلامه يشبه بكلام رسول الله عليه السلام
وراى عثمان وعليا ومن بقي في وقته من العشرة رضي الله ثم راى من اصحاب رسول الله
عليه السلام واحدا بعد واحد من عهد عثمان الى سنة نيف وتسعين من الهجره ودخلت سنة
مائة من الهجرة ولم يبق على وجه الارض عين رات رسول الله عليه السلام في جميع اطراف البلاد
ثم توفي الحسن في سنة عشر ومائة وكان ابو قتاده العدوي يقول عليكم بهذا الشيخ فو الله

ما راينا احدا لم يصحب رسول الله عليه السلام اشبه باصحابه منه وكانوا يقولون كنا
نشبهه بهدي ابرهيم الخليل عليه السلام في حلمه ووقاره وسكينته لانه كان على شمايله وقالت
امراة بالبصرة ان كان كنا ان تكسو من غزلها ثوبا بالخير اهل البصرة فلزمها ذلك فسالت
من خير اهل البصرة فقالوا الحسن رحمه الله وكان الحسن اول من نهج سبيل هذا العلم وفتق
الالسنة به ونطق بمعانيه واظهر انواره وكشف قناعه وكان يتكلم فيه بكلام لم يسمعوه
من احد من اخوانه فقيل له يا ابا سعيد انك تتكلم في هذا العلم بكلام لم نسمعه من
احد غيرك فممن اخذت هذا فقال من حذيفة اليماني وروي انه قيل لحذيفة نراك تتكلم
في هذا العلم بكلام لم يسمعه من احد من اصحاب رسول الله عليه السلام فمن اين اخذته فقال
خصني به رسول الله عليه السلام كان الناس يسالونه عن الخير وكنت اساله عن الشر مخافة
ان اقع فيه وعلمت ان الخير لا يسبقني وقال مرة اخرى وعلمت ان من لا يعرف الشر
لا يعرف الخير وفي لفظ آخر قال كان الناس يقولون يا رسول الله ما لمن عمل كذا
فيسالونه عن فضايل الاعمال وكنت اقول يا رسول الله ما يفسد كذا وكذا فلما رآني
اسال عن آفات الاعمال خصني بهذا العلم وكان حذيفة رضي الله عنه خص بعلم المنافقين
وافرد بمعرفة علم النفاق وبسراير العلم ودقايق الفهم وخفايا الفتن فكان عمر وعثمان
واكابر اصحاب رسول الله عليه السلام يسالونه عن الفتن العامة والخاصة وعن المنافقين
هل بقي منهم احد ام لا فكان يخبر بعدد من بقي منهم ولا يذكر اسماءهم وكان عمر رضي
اذا دعي الى جنازة ليصلي عليها لا يصلي عليها الا ان يرى حذيفة حاضرا فيها
وكان حذيفة يسمى صاحب السر فكان اصحاب رسول الله عليه السلام عن علم يقول
احدهم تسالون عن هذا وصاحب السر فيكم يعني حذيفة وعن انس بن مالك
رضي الله عنه لما روي قوله عليه السلام لان اقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة الى
طلوع الشمس احب الي من ان اعتق اربع رقاب قال لم تكن مجالس الذكر مثل
مجالسكم هذه يقص احدكم ويخطب على اصحابه ويسرد الحديث سردا انما كنا نقعد
فنذكر الايمان ونتدبر القران ونتفقه في الدين ونعد نعم الله تعالى علينا
وكان عبد الله بن رواحة يقول لاصحاب رسول الله عليه السلام تعالوا حتى نؤمن ساعة
فيجلسون اليه فيذكرهم العلم بالله والتوحيد والآخرة وكان يخلف رسول الله
عليه السلام بعد قيامه فيجتمع الناس اليه فيذكرهم عز وجل وايامه ويفقههم
فيما قال رسول الله عليه السلام وربما خرج عليهم رسول الله عليه السلام وهم مجتمعون
عنده فيسكتون فيقعد اليهم ويامرهم ان ياخذوا فيما كانوا فيه ويقول
بهذا امرت والى هذا دعوت وروي مثل هذا عن معاذ بن جبل رضي الله عنه وقد كان يتكلم في هذا
العلم وروي ان النبي خرج يوما فرأى مجلسين احدهما يدعون الله فيه ويرغبون اليه
والآخر يتفقهون في الدين ويعلمون فيه الناس فوقف بينهما ثم قال اما هؤلاء فيسالون
الله

الله تعالى فان شاء اعطاهم وان شاء منعهم واما هؤلاء فيعلمون الناس ويفقهونهم في
الدين وانما بعثت معلما ثم عدل الى الذين يفقهون الناس في الدين ويذكرون الله تعالى
فجلس معهم وحقيقة الذكر هو العلم بالله تعالى الم تسمع قول النبي عليه السلام افضل الذكر
لا اله الا الله ثم ان العلم من الذكر علم المشاهدة والمشاهدة صفة عين اليقين فاذا كشف
غطاء الغيب شهدت معاني الصفات بانوارها وهو مزيل نور اليقين الذي هو كمال
الايمان وحقيقته هناك ذكرت للموصوف بمشاهدة المذكور بنوره وصفه السمع تر
قوله تعالى ان الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري فمن كانت عينه في كشف من ذكره
شهد المذكور فعندها ذكره ثم وجد حقيقته العلم بعد نسيان الخلق كقوله تعالى واذكر
ربك اذا نسيت فحق الذكر نسيان ما سواه كما ان حقيقة الايمان الكفر بكل اله سواه
وقال احمد بن حنبل رض اكذب الناس القصاص والسؤال وقال ايضا ما احوج
الناس الى قاص صدوق لانه يذكر الناس الميزان وعذاب القبر فقيل له لو وجدت ايضا
صدوقا كنت تحضر مجلسه قال لا وعن زياد النميري قال اتيت انس بن مالك فقال لي
قص فقلت كيف اقص والناس يقولون انه بدعة فقال ليس شيء من ذكر الله تعالى بدعة
قال فقصصت عليه وجعلت اكثر قصصي دعاء رجاء ان يؤمن فكنت وادعوا
وهو يؤمن فكانوا يعدون الدعاء قصصا وقال بعض العلماء المتكلمون ثلثة
اقسام اصحاب الكراسي وهم القصاص واصحاب الاساطين وهم المفتون واصحاب الزوايا
وهو اهل المعرفة فمجالس اهل العلم بالله واهل التوحيد والمعرفة هي مجالس الذكر
التجاءات فيها الاثار وقال مالك بن دينار رض خرج الناس من الدنيا ولم يذوقوا
اطيب شيء فيها قيل وما هو قال المعرفة وانشد • ان عرفان ذي الجلال لعز •
وضياء وبهجة وسرور • وعلى العارفين ابصارها • وعليهم من المحبة نور • فهنيئا
لمن عرفك الهي • هو والله دهره وسرور • وقال يحيى بن معاذ الرازي في الدنيا جنة
من دخلها لم يشتق الى الجنة قيل وما هي قال معرفة الله تعالى وقال علماؤنا سهل رض
العلماء والعباد والزهاد من الدنيا وقلوبهم مقفلة ولم تفتح الا قلوب الصديقين
والشهداء ثم تلا وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو يعني مقفلة عن مفاتح
المعرفة وشهادة عين التوحيد وفي الخبر العلم خزائن مفاتحها السؤال فسالوا

السؤال عن العلم

فانه يؤجر فيه اربعة السائل والعالم والمستمع والمحب لهم وقال ذو النون
المصري حسن سؤال الصادقين مفاتح قلوب العارفين وقيل اذا تكلم بالعلم عنه
ذهب ثلثا نوره فالعالم اذا تكلم بعد السؤال فكلامه لحاجة وربما كان فرضا لقوله
عليه السلام من سئل عن علم فكتمه الجم بلجام من النار وليست الحاجة ولا القيام بالفرض
من الشهوات والابتداء بالكلام قد يكون من خفايا الشهوات والشهوات من الدنيا وهذا
قيل في وصف الابدال اكلهم فاقة وكلامهم ضرورة ومن لم يتكلم حتى يسال فليس بعد

فرضية الجواب

لا عيا ولا متكلما فيما لا يعنيه لان الجواب بعد السوال كالفرض بمنزلة رد السلام
قال ابن عباس رضه انى لارى رد الجواب واجبا كرد السلام وقال سهل رح العالم
يقعد فيسكت ويرفع قلبه الى مولاه فيفتقر اليه في حسن توفيقه ويسال الله
يلهمه الصواب فاي شئ سيل تكلم بما فتح له مولاه وقال بعضهم انما العالم الذي
ان اسيل عن المسئلة كانما يقلع ضرسه ومن ههنا كان ابن عمر رض اذا سيل
عن عشر مسائل يسكت عن تسع ويجيب عن واحدة ويقول تريدون ان تجعلونا
جسرا تعبرون عليه في جهنم تقولون افتانا ابن عمر بهذا وكان ابرهيم التيمي
اذا سيل عن مسئلة يبكى ويقول لم تجد من تساله غيري او احتجم الي
واجتهد وابا براهيم النخعي ان يسندوه الى سارية فابى وكان اذا سيل عن
شئ بكى وقال قد احتاج الي وكان سفيان بن عيينة منفردا في زمانه بمعرفة
علوم شتى وكان مع ذلك يضرب المثل لنفسه فيقول خلت الديار فسدت غير مسود
ومن الشقاء تفردى بالسودد وكان ابو العالية الرياحي يتكلم على الاثنين والثلثة
فاذا صاروا اربعة قام وكذلك كان يفعل ابرهيم النخعي والثوري وابرهيم بن ادهم
يتكلمون على النفر القليل فاذا كثر الناس انصرفوا وكان سهيل رح يجلس اليه خمسة او ستة
الى العشرة وقيل ان مجلس الجنيد رح لم يتم عشرين قط واعلم ان العالم وقته في خلوته
اعز عليه فان وافق خصوص اخوانه اثرهم على نفسه فكان ذلك مزيد لهم وان لم يوافق
خصوص اخوانه بل عمومهم لم يؤثر على خلوته ووقته غيره فيكون مناخا للبطالين
واهل هذا العلم يرون ان علمهم لا يصلح الا للخصوص والخصوص قليل فلم يكونوا
ينطقون به الا عند اهله وعن نبينا وعيسى عليهما السلام لا تضعوا الحكمة عند غير
اهلها فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم كونوا كالطبيب الرفيق الذي
يضع الدواء في مواضع الداء وفي لفظ اخر من وضع الحكمة في غير اهلها جهل
ومن منعها اهلها ظلم ان للحكمة حقا وان لها اهلا فاعط كل ذي حق حقه وعن
عيسى عليه السلام لا تعلقوا الجواهر على عنق الخنازير فان الحكمة خير من الجوهر ومن
كرهها فهو شر من الخنزير وقال يحيى بن معاذ رضه اعرف لكل واحد من نزه واسقه
بكاسه ونحن نقول بمعناه كل لكل عبد بمعيار عقله وزن له بميزان علمه
حتى تسلم منه وينتفع بك والا وقع الانكار لتفاوت المعيار وعن النبي عليه السلام
ان لكل شئ عند الله تعالى حرمة ومن اعظم الاشياء حرمة الحكمة فمن وضعها في غير
اهلها طالبه الله تعالى بحقها ومن طالبه خصمه وقال بعض السلف اذا استند
الرجل الى سارية واحب ان يسال فلا تجلس اليه ولا ينبغي ان يساله فلم يكن
في مجلس العلم فيما سلف ثلثون رجلا ولا عشرون الا نادرا وانما كانوا بين الاربعة
والعشرة وبضع عشرة وكان يجتمع في مجالس القصاص والوعاظ والمذكرين مئون



من عهد الحسن الى وقتنا هذا وقيل كان في البصرة مائة وعشرون متكلما في الوعظ والتذكير
ولم يكن فيها من يتكلم علم المعرفة واليقين والمقامات الا ستة منهم سهل والصبيحي
وعبد الرحيم رحمهم الله وقال بشر الحارث حدثنا واخبرنا باب من ابواب الدنيا وقال الحدث
ليس من ازاد الاخرة وكان يقول انا اشتهي ان احدث ولو ذهبت عني شهوة الحديث
لحدثت وانا اجاهد نفسي في ذلك منذ اربعين سنة وقال هو وغيره اذا اشتهيت
لا تحدث واذا لم تشته ان تحدث وقال الثوري قبله فتنة الحديث اشد من فتنة
الاهل والمال والولد وقالت رابعة نعم الرجل سفيان لولا انه يحب الحديث وقالت
مرة لولا انه يحب الدنيا تعني اجتماع الناس حوله للحديث وقيل كل ادرك علما
غير العلم بالله فقد استدرك ومن ادرك العلم بالله فقد تدورك ثم تلا قوله تعالى لولا ان تداركه
نعمة من ربه لنبذ بالعراء اي لولا ان تدورك بعلم المعرفة لطرح في بعد الهوى فالعراء البعد
وعلم المعقول بعد في جنب اليقين وقال تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا
اي ولولا ان ثبتناك بالمعرفة لقد كدت تسكن الى علوم العقل وقال سهل رحمه الله في قوله تعالى
واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا اي لسانا ينطق عنك ولا ينطق عن سواك وقال النبي عليه السلام
كفى باليقين غنا ففي علم اليقين غنية عن جميع العلوم لان حقيقة العلم خالصه وليس
في جميع العلوم غنى عن علم اليقين ولان الفقر بالحاجة الى اليقين في علم التوحيد والايمان
اشد من الفقر بالحاجة الى علم الفتيا والاحكام فلذلك صار الغنى باليقين اعظم من الغنا
ساير العلوم فهذا العلم نظير فاتحة الكتاب بالنسبة الى ساير القران كما جاء في الخبر فاتحة الكتاب
تجزئ من كل القران وليس القران كله يجزئ من فاتحة الكتاب فكذا في العلم بالله تعالى عوض
عن كل العلوم وليس في كل العلوم عوض عن العلم بالله من حيث كان في الله تعالى عوض عما سواه
وليس فيما سوى الله عوض عن الله تعالى ولان كل علم موقوف على معلومه وعلم اليقين معلومه الله تعالى
فتفضيله على ساير العلوم كفضل الله تعالى على ما سواه وفي معناه قال بعض الحكماء من عرف الله تعالى
لم يجهل شيئا ومن جهل الله تعالى لم يعرف شيئا وقال بعض السلف العلماء يحشرون في زمرة الانبياء
والقضاة يحشرون في زمرة السلاطين وكان اسمعيل بن اسحاق القاضي من سادة القضاة
وعقلائهم وكان مواخيا لابي الحسن بن الورد وكان هذا من اهل المعرفة فلما ولي القضاء
هجره ابو الحسن ثم اضطر يوما فدخل عليه لشهادة فاداها ثم ضرب يده على يد القاضي وقال
له يا اسمعيل علم اجلسك هذا المجلس لقد كان الجهل خيرا منه فوضع اسمعيل رداه على وجهه
وبكى حتى بله فعلماء الظاهر زينة الارض والملك وعلماء الباطن زينة السماء والملكوت
وعلماء الظاهر اهل الخبر واللسان وعلماء الباطن ارباب القلوب والعيان وقيل لما خلق الله
اللسان قال له هذا المعقل خبري ان صدقني نجيته ولما خلق القلب قال هذا موضع نظري
ان صفا لي صافيته وقيل الجاهل ينجو بالعلم والعالم ينجو بالحجة والعارف ينجو بالجاه وكان
علماء الظاهر اذا اشكلت عليهم مسئلة لاختلاف الادلة سالوا اهل العلم بالله تعالى لانهم اقوى

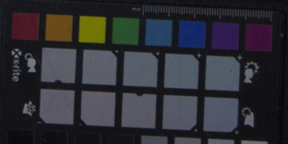
نفي مجرم لولا ان تداركه
واجعل لي من لدنك
باليقين
مدح سورة الفاتحة
حكاية قاضي اسمعيل
فضل القلب على اللسان
رجوع علماء الظاهر الى علماء الباطن

اقرب الى التوفيق وابعد الى الهوي والعصبيه وهكذا كان يفعل الشافعي رحمه الله فيما اختلف
فيه العلماء وتكافات فيه الادلة فيرجع فيه الى علماء المعرفة وكان يجلس بين يدي
شيبان الراعي كما يجلس الصبي بين يدي المعلم ويسئله عما يشكل عليه فقيل له مثلك في
علمك وفقهك يسال هذا البدوي فيقول انه وفق لما علمناه واعتل الشافعي رحمه الله
علة شديده فكان يقول اللهم ان كان هذا رضاك فالاولي بنا ان نسال الرفق والعافية
ورجع الشافعي عن قوله ذلك واستغفر وتاب فكان يقول بعد ذلك اللهم اجعل خيري
فيما احب وكان احمد بن حنبل ويحيى بن معين يختلفان الى معروف الكرخي فيسالانه
ولم يكن يحسن من العلم والسنن ما يحسنانه وقيل للنبي عليه السلام يا رسول الله كيف
نصنع اذا جاءنا امر لم نجده في كتاب الله ولا في سنة رسول الله فقال سلوا الصالحين واجعلوه
شوري بينهم ولا تقضوا فيه ارادونهم وعن الجنيد قال كنت اذا قمت من عند سري
السقطي قال لي اذا فارقتني من تجالس قلت الحارث المحاسبي فقال نعم خذ من علمه وادبه
ودع عنك تشقيقه للكلام ورده على المتكلمين ثم قال جعلك الله صاحب حديث صوفيا
ولا جعلك صوفيا صاحب حديث يعني انك اذا ابتدات بعلم الحديث والاثر ومعرفة
الاصول والسنن ثم تزهدت وتعبدت تقدمت في علم الصوفيه فكنت صوفيا عارفا واذا
ابتدات بالتعبد والتقوي والحال شغلت به عن العلم والسنن فخرجت اما شاطحا
او غالطا لجهلك بالاصول والسنن فاحسن احوالك ان ترجع الى العلم الظاهر وكتابة
الحديث لانه هو الاصل الذي تتفرع عنه العبادة والعلم فقد بدات بالفرع قبل الاصل
فلا جرم انك رددت اليه وقيل انما حرموا الوصول بتضييع الاصول وهي كتابة الحديث
ومعرفة الاثار والسنن وقال سفيان الثوري كان الناس اذا طلبوا العلم عملوا فاذا
عملوا اخلصوا فاذا اخلصوا هربوا وقال غيره العالم اذا هرب من الناس فاطلبه واذا طلب
الناس فاهرب منه وقال سهل رحمه الله العلم كله دنيا والاخرة منه العمل به والعمل هبا
الا الاخلاص وقال ايضا الناس موتى الا العلماء والعلماء سكاري الا العاملين والعاملون
مغرورون الا المخلصين والمخلص على وجل حتى يختم له به وقال ذو النون جالس من
تكلمك صفاته ولا تجالس من تكلمك لسانه وقال الحسن رحمه الله قبله جالس من تكلمك
افعاله ولا تجالس من يخاطبك مقاله وقال حكيم وعظ واحد لا لم يفعل انفع
من وعظ الف لواحد بقول ولم يكن العالم عندنا العلماء من كان عالما بعلم غيره
ولا حافظا لفقه سواه بل هذا كان اسمه راذيرو واعيا وحاملا وناقلا لان كل عالم
بعلم غيره فانما صار عالما بمجموعهم العلماء وكل فاضل بوصف سواه فموصوفهم
الفضلاء فاذا تركهم وانفرد سكت ولم يرجع الى علم لنفسه يختص به فصار في الحقيقة
موصوفا بالجهل واصفا لطريق اهل الفضل موسوما بعلم السمع والنقل فمثل العالم
غيره مثل الواصف لاحوال الصالحين العارف بمقامات الصديقين ولا حال له ولا مقام

قوله فكتب اليه الشافعي
من مصر يا ابا عبد الله لست
واياك من رجال البلاء فنسال
الله الرضا

فليس

فليس يعود عليه من وصفه الا الحجة بالعلم والكلام وسبقة العلماء بالله تعالى فالحجة بالاعمال والمقام
فمثله كما قال الله تعالى ولكم الويل مما تصفون وكان الجنيد ينشد كثيرا علم التصوف علم
الا اخو فطنة بالحق معروف وليس يبصره من ليس يشهده وكيف يشهده ضوء الشمس
ولان الكتب والقول بمقالات الناس والفتيا بمذهب الواحد منهم وانتحا قوله واقتفاء
اثره في كل شيء والتفقه على مذهبه كل ذلك محدث لم يكن الناس عليه قديما في القرآن
الاول والثاني وانما حدثت المصنفات من الكتب بعد سنة عشرين ومائة من الهجرة
وبعد وفات جميع الصحابة رض وقيل ان اول كتاب صنف في الاسلام كتاب ابن
جريج في الاثار وكان ذلك بعد موت الصحابة والطبقة الاولى من التابعين
انصار رضي الله اجمعين وكانوا يكرهون كتاب الحديث وتصنيف الكتب لئلا يشتغل
عن الله تعالى برسم ولا وسم ولهذا كره ابو بكر واكابر الصحابة رضي الله عنهم جمع القرآن
في مصحف وقالوا كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول عليه السلام وخشوا اتكال الناس
على المصاحف وقالوا نترك القرآن يتلقاه الناس بعضهم من بعض تلقيا بالتلقين
والاقراء ليكون هو شغلهم وهمهم حتى اشار عليه عمر وبقية الصحابة رضي الله عنهم
ان يجمع القرآن في مصحف لا احفظ له ليرجع الناس اليه خوفا من اشتغالهم عنه باسباب الدنيا
فشرح الله عز وجل صدر ابي بكر رضي الله لذلك فجمعه في مصحف واحد من الصحف المتفرقة
وانما كان يتلقون العلم بعضهم من بعض ويحفظونه حفظا لطهارة قلوبهم من الشك
وفراغها من اسباب الدنيا وقوة الايمان وصفاء اليقين وعلو الهمة وحسن النية
وثبات العزيمة ثم ظهرت بعد سنة مايتين في القرن الرابع المرفوض مصنفات الكلام
وكتب المتكلمين بالراي والمعقول والقياس وذهب علم المتقين وغابت معرفة
الموقنين من علم التقوي والهام الرشد واليقين فصار المتكلمون يدعون علماء
والقصاص يسمون عارفين والرواة النقلة يقال لهم علماء من غير فقه في دين
ولا بصيرة من يقين وكانوا يكرهون ان يسموا العلم الا من اهله ويقولون اي
اهل العلم بالله تعالى ان يسمعوا هذا العلم الا من اهله الزاهدين في الدنيا وكرهوا
ان يسمعوه من ابناء الدنيا لانه لا يليق بهم واعلم ان العبد اذا كوشف بالمعرفة وعلم
اليقين لم يسعه تقليد احد من العلماء وكذلك كان المتقدمون اذا اقيموا في هذا المقام
خالفوا من حملوا عنه العلم لمزيد يقينهم قال ابن عباس قد تعلم الفقه من زيد بن ثابت
وقرا القرآن على ابي بن كعب ثم خالف زيدا في العلم وابيا في القراءة وقيل لعلي رضي الله عنه انك
خالفت فلانا في كذا خيرنا اتبعنا لهذا الدين وقيل لسعد ان سعيد بن مسيب يقرا
ما ننسخ من اية من ايات فقال ان القرآن لم ينزل على المسيب ولا على ابنه ثم قرا او ننسها
وقال بعض فقهاء السلف ما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال قالوا ونقول
ولاجل ذلك كان العلماء يكرهون التقليد ويقولون لا ينبغي للرجال ان يفتي حتى يعرف



اختلاف العلماء اي فيختار منها الاحوط للدين والاقوى باليقين ولهذا قيل ان العبد يسال غدا فيقال له ماذا اعملت فيما علمت ولا يقال له ماذا اعملت فيما علم غيرك ثم درست معرفة هذا وجهل فصار كل من نطق بكلام غريب لا يعرف حقه من باطله سمي عالما وكل كلام مزخرف لا اصل له يسمى علما الجهل العامة بالعلم اي شيء هو وبوصف علماء السلف كيف كانوا فصار كثير من متكلمي الزمان فتنة وكثير من كلام الراي والمعقول الذي حقيقته جهل علما عند الجهال فلا يعرفون بين المتكلمين والعلماء ولا بين الكلام والعلم وقد سبق ان خصوص الجهال يشبهون العلماء فيشبهون على مجانسيهم في الحال فاعلم الناس في زماننا اعرفهم بسيرة السلف وطريقهم ثم اعرفهم بالعلم اي شيء هو وبالعالم من هو والمتعلم والمتعالم وهذا كله كالفرض على طالبي العلم ان يعرفوه لقوله عليه السلام طلب العلم فريضة يقتضي فرضية ذلك كله اذ لا يصح طلب ما لا يعرف وما يعرف الا بعد معرفة صاحبه ليطلب منه اذ العلم عرض لا يقوم الا بجسم واقربهم من التوفيق والرشد اتبعهم لمن سلف واشبههم بشمايل صالحي الخلف وقال حذيفة رضي الله انّ معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى وان منكركم اليوم معروف زمان ياتي وانكم لن تزالوا بخير ما عرفتم الحق وكان العالم فيكم غير مستخف وقال ايضا ياتي على الناس زمان يكون العالم بينهم بمنزلة الحمار الميت لا يلتفتون اليه يستخفي المؤمن فيهم كما يستخفي المنافق فينا اليوم المؤمن فيه اذل من الامة وعن علي رضه ياتي على الناس زمان ينكر الحق تسعة اعشارهم لا ينجو منه يومئذ الا كل مؤمن نومة يعني صموتا متغافلا واولئك مصابيح العلم وايمة الهدى ليسوا بالمذاييع البذر يعني المتكلمين كثيرا المتظاهرين بالكلام افتخارا وفي الخبر ياتي على الناس زمان من عرف فيه الحق نجا قيل فاين العمل قال لا عمل يومئذ لا ينجو فيه الا من هرب بدينه من شاهق الى شاهق وفي حديث ابي هريرة رضه ياتي على الناس زمان من عمل منهم بعشر ما امر به نجا وفي لفظ آخر بعشر ما يعلم وقال يوسف بن اسباط ذهب الطاعة ومن يعرفها وقال ايضا ما ظنك بزمان مذاكرة العلم فيه معصية قيل ولم قال لانك لا تجد اهله وقد كان للمتقدمين علوم ومقامات واحوال يجمعون عليها ويتفاوضون فيها ويتساءلون عنها فقد درست في زماننا وعفت اثارها وخفيت معالمها ورسومها لقلة الطالبين لها والسالكين طرقها منها علم طلب الحلال وعلم الورع في المكاسب والمعاملات وعلم الاخلاص وعلم افات النفوس وفساد الاعمال وعلم نفاق العلم والعمل والفرق بين نفاق القلب ونفاق النفس وبين الخفيات النفس شهواتها واخفائها ذلك والفرق بين خاطر الايمان واليقين والعقل وعلم حقايق الاحوال واحوال طرايق العمال وتفاوت مشاهدات العارفين وتلوينات الشواهد على المريدين وعلم القبض والبسط والتحقق بصفات العبودية والتخلق باخلاق الربوبية وتباين مقامات العلماء والى غير ذلك مما يطول ذكره من علم التوحيد ومعرفة معاني الصفات

الجسم ان تدخلوا الجنة

سكون القلب بالله وسكون النفس الى الاسباب والفرق بين خواطر الروح والنفس



وعلوم المكاشفة بتجلي الذات واظهار الافعال الدالة على معاني الاوصاف الباطنة
وظهور المعاني الدالة على النظر والاعراض والتقريب والابعاد والنقص و
المزيد والعقوبة والمثوبة والاختيار وقد ذكرنا من جميع هذه المعاني
فصولا ورسمنا جملا واصولا تنبه على فروعها وتدل على اشكالها لمن
وفق لتدبرها واريد بتذكرها وجعل الله له نصيب منها وقال بعض علمائنا
اعرف للمتقدمين سبعين علما في هذا العلم كانوا يتحاورونها ويتعارفونها
لم يبق منها اليوم علم واحد يعرف واعرف في زماننا علوما كثيرة من الاباطيل
والدعاوي والغرور قد ظهرت وسميت علوما لم تكن نعرف فيما مضى فهي
كالسراب الذي وصفه الله فقال يحسبه الظمآن ماء الاية وكان الجنيد قبله يقول
علمنا هذا الذي نتكلم فيه قد طوي بساطه منذ عشرين سنة وانما نتكلم في
حواشيه وقال ايضا كنت اجالس قوما سنين يتحاورون في علوم لا افهمها
ولا ادري ما هي وما بليت بانكارها قط بل كنت اقبلها واحبها من غير ان اعرفها
وقال ايضا كنا نتجارى مع اخواننا قديما في علوم كثيرة ما نعرف وقتنا هذا
ولا سالني عنها احد وهذا باب قد اغلق وردم وقال شيخنا ابو سعيد بن الاعرابي
في كتابه المسمى طبقات النساك وآخر من تكلم في هذا العلم صاحبنا جنيد
القواريري وكانت له فيه بصيرة ومنه حقيقة وما بقي لهذا الا من مجالسته
غبط وقال في لفظ آخر وما بقي بعده الا من يستحيى من ذكره وقال امامنا سهل
رحمه الله بعد سنة ثلثمائة لا يحل ان يتكلم بعلمنا هذا لانه يحدث قوم يتصنعون
للخلق ويتزينون بالكلام تكون مواجيدهم لباسهم ومعبودهم بطونهم وطينتهم كلامهم مهم
وقال ايضا بعد سنة ثلثمائة لا يكاد يصح لاحد توبة لانه يفسد خبزهم وهم
لا يبصرون عن الخبز يعني ان اول التوبة اكل الحلال وفي الخبر يأتي على الناس زمان
يضلون دينهم فلا يعرفونه يصبح الرجل على دين ويمسي على دين يظل من امره على غير
يقين تسلب عقول اكثر اهل ذلك الزمان واول ما يرفع منهم الخشوع ثم الامانة ثم الود ع
وقيل اول ما يرفع من الناس الالفة كان الناس قديما اذا التقوا يقول احدهم
لصاحبه ما خبرك وما حالك يعنون بذلك ما خبر نفسك في مجاهدتها وصبرها وما حال
قلبك من مزيد الايمان وعلم اليقين ويعنون ايضا ما خبرك في المعاملة لمولاك وما
حالك في امور الدنيا والاخرة هل ازددت فيها ام انتقصت فيتذاكرون احوال
قلوبهم واعمال علومهم وما وهب الله تعالى لهم من حسن المعاملة وما فتح لهم من غرايب
الفهوم فكان ذلك من تعديد نعم الله تعالى عليهم ومن جميل شكرهم فيكون مزيدا لهم
في المعرفة والمعاملة وقد جهل هذا اليوم وترك فهم اذا التقوا ساءلوا عن الخبز والحال انما تريدون
بها امور الدنيا واسباب الهوى ثم يشكو كل واحد مولاه الجليل الى عبد ذليل ويتسخط

احكامه ويتبرم بقضائه وينسى نفسه وما قدمت يداه وكما قال الله تعالى ان الانسان لربه
لكنود قيل كفور لنعمه يعدد المصايب وينسى النعم كل ذلك جهلا بالله تعالى وغفلة عنه
ومنه قولهم كيف اصبحت وكيف امسيت فانه محدث وانما كانوا اذا التقوا قالوا
السلام عليكم ورحمة الله وفي الخبر من بدأكم بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه وانما
احدث هذا زمن طاعون عمواس بالشام اصابهم فيه موت ذريع فكان احدهم اذا
امسى لم يصبح واذا اصبح لم يمس فكان احدهم يلقى اخاه فيقول له كيف اصبحت او كيف
امسيت يعني من الطاعون فبقي هذا السؤال الى اليوم ونسي سببه وكان من عرف
حدوثه من المتقدمين يكرهه فروي ان رجلا قال لابي بكر بن عياش كيف اصبحت
ام كيف امسيت فلم يجبه وقال دعونا من هذه البدعة ومنه ابتداء الرجل في عنوان
كتابه باسم المكتوب اليه وانما السنة ان يبتدئ بنفسه فيكتب من فلان
الى فلان وكتب علاء بن الحضرمي الى رسول الله عليه السلام من العلاء بن الحضرمي الى رسول الله
عليه السلام وقيل اول من احدثه زياد فتابعه العلماء عليه وعدوه من احداث بني امية
وقد بقيت السنة في هذا في كتب الخلفاء والامراء الى اليوم على نحو ما مضى فهم يقدمون
اسماءهم في كتبهم ومنه قول الرجل اذا جاء منزل اخيه يا غلام او يا جارية وفيه مخالفة
لامر الله تعالى وامر رسوله عليه السلام قال الله تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا
وتسلموا على اهلها قال اهل التفسير الاستيناس الدق والتنحنح والحركة ليؤذن بذلك
ان وراءها اناسا وقال عليه السلام اذا جاء احدكم منزل اخيه ثم يسلم ثلاثا فان اذن له
فليدخل والا فليرجع وكان السلف يقرع احدكم باب اخيه ثم يسلم ثلاث يقف بعد
كل تسليمة هنيئة فان اذن له دخل والا انصرف وكان صاحب المنزل اذا لم يحب
دخول اخيه عليه في ذلك الوقت لسبب او لعذر يقول وعليكم السلام ورحمة الله
ارجع عفاك الله فاني على شغل فيرجع عزة كاره لرجوعه ولا يؤثر رده له في نفسه
شيئا بل قد يكون قوله ارجع احب اليه لانه افضل له لامتثال امر الله تعالى وحصول
التزكية في قوله تعالى وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم وربما رجع احدهم
في اليوم مرتين او ثلاثة واخوه يرده وهو يعود لان ذلك لم يؤثر في قلبه شيئا
ولو فعل مثله مرة بواحد من اهل عصرنا لكرهه ولم يعد في يومه ذلك واما
العلماء فقد كان من الناس من لا يستاذن عليهم الا لمهم لا بد منه بل كانوا
يقعدون على ابوابهم او في مساجدهم ينتظرون خروجهم للصلوة اجلالا للعلم وهيبة
للعلماء قال ابو عبيد ما قرعت على عالم بابه قط بل كنت اقعد على بابه انتظر
خروجه من تلقاء نفسه اتاول قوله تعالى ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم
وكان ابن عباس رضه ينام على باب العالم من الانصار تسفي عليه الرياح فيقال له
ما اجلسك هنا يا ابن عم رسول فيقول انتظر صاحب المنزل فيخرج الرجل فيقول يا ابن

عم

عن رسول الله لو ارسلت الي لجئتك فيقول لا انا كنت احق ان آتيك فيساله عما يريد
من حديث بلغه انه يرويه عن رسول الله عليه السلام لم يكن هو سمعه منه ومنه استقصاء
احدهم في المسئلة عن حال اخيه وخبره فقد كره ذلك روي ان سلمان الفارسي رحمه الله
تزوج فلما دخل على اهله خرج الى الناس من الغد فقال له رجل كيف انت قال بخير احمد الله تعالى
قال كيف حالك وكيف بت البارحة وفي لفظ آخر كيف وجدت اهلك فغضب سلمان
وقال لم يسال احدكم فيحفي المسألة ويسال عما وارت البيوت يكفي احدكم ان
يسال عن ظاهر الامر وقال الاعمش يلقى احدكم اخاه فيسال عن شي حتى عن الدجاج
في بيته ولو ساله درهما ما اعطاه وكان من مضى من السلف اذا لقي اخاه لا يزيد على
قوله كيف انتم او حياكم الله بالسلام ولو ساله شطر ماله اعطاه ومنه قول الرجل
لاخيه اذا لقيه ذاهبا في الطريق الى اين تريد ومن اين جئت وقد كره هذا وليس
من السنة ولا من الادب وهو داخل في التحسس والتجسس لان التحسس في الاثار
والتجسس في الاخبار وهو السوال عنهما وقد لا يحب الرجل ان يعلم اخاه
اين يذهب ولا من اين جاء وقد كره ذلك مجاهد وعطا وقالا اذا لقيت اخاك
في طريق فلا تساله من اين جئت ولا اين تذهب فلعله يصدقك فيكره ذلك
او يكذبك فتكون انت قد حملته على الكذب ومنه بيع المصحف وشراها
وكان بعضهم لبيعها اكره منه لشراها ومن البدع المحدثة علم الكلام و
الجدل وعلوم المقاييس والنظر والاستدلال على سنن الرسول عليه السلام
بادلة الراي والمعقول وايثار علم العقل والراي والقياس على ظواهر القرآن
والاخبار ومنها اظهار الاشارات بالمواجيد من غير علومها ولا بيان تفصيلها
وفي ذلك تحيير للسامعين واضلال للعاملين وانما كان ايمة هذا العلم يظهرون
علوم المواجيد ويخفون الاشارات بالوجد فيظهرون للناس ما ينفع ويخفون
ما يضر ولان المواجيد احوال قلوبهم فكتمها افضل وعلومها انصبة المريدين والعاملين
فاظهارها هو بغيتهم فاظهروها واخفوا وجدهم لانه سرهم فسلموا من التصنع
والدعوي واعطوا السامعين نصيبهم ومنعوهم ما ليس لهم فعد لوا في الوصفين
فجهل هذا الان فاظهروا اضده فكان الى الضرر اقرب ومن السلامة ابعد فمن
لم يحسن التفصيل ولم يرزق العبارة فانه يحسن الصمت فهو واسع لان من
لم يتكلم بعلم على سنة فسكوته اقرب له الى الله سبحانه وتعالى ومثله في ذلك كما قال الله تعالى
ومن قدر عليه رزقه الاية ومنها اظهار علوم المرفه بمعاني الرغبة ليتميزوا بها عن
الفقراء تكبرا منهم وتوقفا كيلا ينزلوا منزلتهم وليصرف اليهم من الاسباب على مقدار
لبسهم واحوالهم وهذا من اكبر ابواب الدنيا واضرها على مريد الاخرة والطفها غورا
في الدين ومنها الكلام في التوحيد بمخالفة علم الشرع وان الحقيقة تخالف العلم والحقيقة

ای مباشرة

اظهار الاشارات بالمواجيد

اظهار علوم الرغبة

الكلام في التوحيد بمخالفة علم الشرع



هي علم وهي احد طرقات الشريعة وعلم الشريعة عنها نكيف ينا فيها وهي التي اوجبته
وانما هي عزيمته وضيقه وعلم الظاهر هو الرخص والسعة فمن تكلم في العلم الباطن
على غير قواعد العلم واصوله وذلك الحاد في الشريعة وولجة بين الكتاب والسنة
وقال بعض العارفين نظرت الى هؤلاء الشاطحين فما وجدت الا جاهلا او مغرورا او خاسئا
حسيرا او مستظهرا باو شئ ومنها الكلام في الدين بالوسواس والخطرات من غير
مواجيدها الى الكتاب والسنه اذ في المواجيد ضلول وغرور وفي المشاهدات باطل
وزور مع دعواهم المحبة وبامكا رهم الاوصاف التي جاءت بها السنة ومن غير
شهادة موصوف وادعائهم المعرفة من غير تعرف بمعروف ومنها السجع في الدعاء
والتعزيب فيه بما لم يرد به الكتاب ولا السنة ولا النقل عن الصحابة رضي الله عنهم بل كانوا
ينزعون عن الاعتدال في الدعاء ويجتنبون مجاوزة ادعية القران وعن النبي عليه السلام
عليه السلام اياكم والسجع في الدعاء بحسب احدكم ان يقول اللهم اني اسئالك الجنة
وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل وفي الخبر
سياتي قوم يعتدون في الدعاء والطهور وقيل في قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية
انه لا يحب المعتدين اي لا يحب المعتدين في الدعاء والاعتداء في الدعاء هو ترك ما ذكر الله
في كتابه من ادعية اوليائه الصالحين بالمغفرة والرحمة والتوبة وما اشبه ذلك
من الدعاء المعروف والقول المشهور والاخذ بالتنطع والتعمق والتقريب والتدقيق
وقيل ان العلماء والابدال لا يزيد احدهم في الدعاء على سبع كلمات ووجدت تصديق
ذلك في الكتاب ان الله تعالى ما اخبر عن عباده من الدعاء في مكان واحد باكثر
من سبع دعوات وهي التي في اخر سورة البقرة ومر بعض السلف بقاص يدعو
ويسجع في دعائه ويتعمق فقال له ويلك اعلى الله تتبالغ لقد رايت حبيبا العجمي يدعو
وما يزيد على قوله اللهم اجعلنا جيدين اللهم لا تفضحنا يوم القيمة اللهم وفقنا
للخير والناس يبكون من كل ناحية وكنا نتعرف اجابة دعائه وقال ابو يزيد البسطامي
سله بلسان الحاجة لا بلسان لا بلسان الحكمة وقال غيره ادع بلسان الذلة والافتقار
لا بلسان الفصاحة والانطلاق ومنها التلحين في القران حتى لا يفهم التلاوة وتغير
بناء الكلمة بمد المقصور وقصر الممدود وادغام المظهر واظهار المدغم ليستوي بذلك
التلاوض ولا يبالي باعوجاج الكلم واحالتها عن حقيقتها وهذا بدعة فعله ومكروه
استماعه ومنها التلحين في الاذان وهو من البغي فيه والاعتداء قال المؤذن لابن عمر رضي الله عنه
اني لاحبك في الله فقال له لكني ابغضك ~~وهو من البغي فيه والاعتدال~~ في الله قال
ولم قال لانك تبغي في اذانك وتاخذ عليه اجرا وخرج ابو بكر الاجري من بغداد
وقال ما يحل لي المقام بها قد ابتدعوا في كل شئ حتى في قراة القران والاذان يعني الادارة
والتلحين وقدم علينا مكة في سنة ثلثين ومنها انهم شددوا في اشياء كان السلف

يسهلون

يسهّلون فيها وسهّلوا في اشياء كانوا يشدّدون فيها فمثلهم في ذلك كالخوارج شدّدوا
في الصّغاير من الذنوب وسهّلوا في الآثار والسّنن وفي مذهب الجماعة حتى فارقوهم
فما شدّدوا فيه كتب الاحاديث من انواع طرقها وتتبع غرايب طرقاتها وتحرّي الالفاظ
فيها وقال ابن عون ادركت ثلثة يرخّصون في المعاني ابرهيم والشعبي والحسن رحمهم الله
وعن جماعة من علماء السّلف والصحابة التوسعة في معاني الاحاديث وان لم تؤدّ الفاظها

التدقيق في علوم العربية

ومنه التدقيق في القياس والنظر والتبحّر والتقعّر في علوم العربيّة والنحو كما قال ابرهيم
بن ادهم رحمه اعربنا في الكلام فلم نلحن ولحنّا في الاعمال فلم نعرب فليتنا لحنّا في الكلام
واعربنا في الاعمال وذكرت العربيّة عند القسم فقال اوّلها كبر وآخرها بغي وقال بعض السلف
النحو يذهب الخشوع من القلب وقال بعضهم من اراد ان يزدري الناس كلّهم فليتعلم

التشديد في الطهارة

النحو ومنه تشديدهم في الطهارة وتنظيف الثياب وكثرة غسلها من عرق الجنب
ومن لبس الحايض ومن بول ما يوكل لحمه وغسل لسبيل الدم ونحو ذلك وكان
السّلف يرخّصون في كل هذا ومنه تسهيلهم النظر الى الزور واللهو ومجالسة البطالين
والمشي في الهوى والتعصب وشدّة الحرص على الدنيا والغيبة والنميمة والكلام فيما
لا يعني وسوء الظنّ وكل هذا كان السّلف يشدّدون فيه وممّا احدثوه دخول
النساء الحمام من غير ضرورة ودخول الرّجال في غير ميزر وهو فسوق قال ابرهيم الحربي
يصلّى خلف من شرب النبيذ ولم يسكر منه لانه مختلف فيه ولا يصلى خلف من دخل
الحمام بغير ميزر لانه محرم بالاجماع وقال بعض العلماء يحتاج داخل الحمام

القعود على الكرسي

الى ميزرين ميزر لوجهه وميزر لعورته والا لم يسلم في دخوله وقال ابن عمر رحمه
الحمام من النعيم الذي احدثوه واوّل من قعد على الكرسيّ من اهل هذا العلم
يحيى بن معاذ الرّازي بمرو وتبعه ابو حمزه ببغداد فعاب الاشياخ عليهما
ذلك وكان يجلس مرتفعا النحويّون واهل اللغة وابناء الدنيا من المفتين

في العلوم القديمة والحادثة

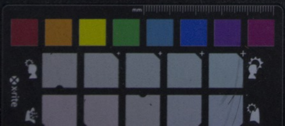
وهي جلسة المتكبرين ومن التواضع الاجتماع في الجلسة اعلم انّ العلوم
تسعة اربعة منها سنّة معروفة من الصحابة والتابعين رضي وهي علم الايمان
وعلم القران وعلم السنن والاثار وعلم الفتاوي والاحكام وخمسة محدثة
لم تكن تعرف فيما سلف وهي علم النحو وعلم العروض المقاييس والجدال في
الفقه وعلم المعقول بالنظر وعلم علل الحديث وتطريق الطرقات فيه وتقليل
الضعفاء وتضعيف النقلة للاثار فهذا العلم من المحدث الا انه علم لاهله يسمعه
اصحابه منهم وكانوا يرون القصص بدعة وقيل مثل القصاص في الفقهاء
مثل اصحاب الحكايات في اهل المعرفة وقيل مثل القصاص في العلماء مثل اهل السّواد

اخذ الدنيا بالدين

في اهل المدن فاما اكل الدّنيا بالدين واخذها على الصّلاح وبيع العلم بالدّنيا
والتصنع والتزيّن للعموم فمن قبيح ما احدث وهو اعظم واظهر من ان يدل على

فساده

عند من عرف ظاهر العلم واعلم ان الكلام سبعة اقسام العلم منها قسم واحد وسائر
الستة لغو مطوّح يلتقطه من لا يعرفه ولا يفرق بين العلم والجهل والعرب تقول
لكل ساقطة لاقطة ولكل قايلة ناقلة فالستّة افك وسفه وخطا وظنّ وزخرف
ووسوسة هذه اسماؤها عند العلماء يفصّلون ذلك بما فصّل الله تعالى لهم من بيانه
واستحفظهم كتابه وجعلهم شهداء على دينه وعباده والقسم السابع هو العلم
وهو ما عدا هذه الستّة ولم يقع عليه اسم منها وهو نصّ القران او ما دلّ عليه
واستنبط منهما او وجد فيهما اسمه ومعناه من قول او فعل والتاويل اذا لم يخرج
عن الاجماع داخل في العلم والاستنباط اذا كان مستودعا في الكتاب يشهد له
المجمل ولا ينافيه النصّ فهو علم وكان ابن مسعود رضه يقول انتم اليوم في زمان
الهوى فيه تابع للعلم وسياتي عليكم زمان يكون العلم فيه تابعا للهوى وقد جمع
الله تعالى بين رونق القول ومتعة الدنيا بتسمية الزخرف فقال ولبيوتهم ابوابا وسررا
عليها يتكئون وزخرفا كما قال تعالى زخرف القول غرورا فذهاب الجاهل الى استحسان
زخرف القول المموّه من علماء الدنيا كمتعة الجاهل من ابناء الدنيا بزخرف الذهب ذاهبا
عن حقيقة الامر والزخرف بما يموّه على الذهب فيشبه به يحسبه الجاهل والصبي على الذهب
كذلك الزخرف من القول ما يموّه ويشبّه على العلم يحسبه المستمع من الجهال علما فلذلك جمع
بينهما بتسمية الزخرف وقيل الزخرف هو الذهب فعلى هذا اشبه قول الغرور بالذهب
الذي يذهب بقاؤه وتقل حقيقته عند الديانين واهل حقيقة الزاهدين اذا شبّه
الانبياء والصدّيقون بل داوه كالحجر والمدر وقال مالك ابن انس رضه لم يكن الناس فيما
مضى يسالون عن هذه الامور كما يسال الناس اليوم ولم يكن العلماء يقولون حرام ولا حلال
في اكثر الامور ادركتهم يقولون مكروه ومستحب وكان مالك رحه كثير التوقف في الاجوبة
اذا سئل وكان يقول كثيرا لا ادري سل غيري وقال رجل لعبد الرحمن بن مهدي الا ترى
الى قول مالك اذا سئل احسب احسب فقال ويحك قول مالك احسب احب الي
من قول فلان اشهد اشهد وكان هشام بن عروه يقول لا تسالوهم اليوم عما احدثوا فانهم
قد اعدوا له جوابا ولكن سلوهم عن السنن فانهم لا يعرفونها وقال النبي عليه السلام
ان الله عز وجل كره لكم البيان كل البيان قال ابو سليمان الداراني لا ينبغي لمن الهم شيئا
من الخير ان يعمله حتى يسمع به في الاثر فيحمد الله تعالى اذ وافق ما في نفسه وقال بعض
العارفين ما قبلت خاطرا من قلبي حتى لي شاهدين من كتاب وسنة وكان امامنا
سهل رحمه يقول لا يبلغ العبد حقيقة الايمان حتى يكون فيه هذه الاربع اداء الفرائض
بالسنة واكل الحلال بالورع واجتناب النهي من الظاهر والباطن والصبر على ذلك
الى الممات وكانوا يعيبون على من يتكلم بعد طلوع الفجر الى طلوع الشمس بغير ذكر الله عز وجل
قال رسول الله عليه السلام ما اوتي امرؤ شرا من طلاقة في لسانه قال عليه السلام لعبد الله بن



وكان
رواحه حين سجع قوالي بين ثلث كلمات وقال ايضا اياك والسجع يا ابن رواحة
السجع ما زاد على كلمتين والخطبة على المنبر في صلوة العيد وخطبة الاستسقاء
على المنبر بدعة محدثة كان النبي عليه السلام يخطب متوكئا على قوس او عصا وعن
عمر رضي الله عنه انه اخر صلوة المغرب ليلة حتى طلع نجم فاعتق رقبة وكذا فعله
عمر بن عبد العزيز فاعتق رقبة استينانا بعمر لانه كان جده لامه وعن عمر رضي الله انه
اخر صلوة المغرب حتى طلع كوكبا فاعتق رقبتين وفي الخبر لا تزال امتي على مسكة
من دينها ما لم يؤخروا صلوة المغرب الى اشتباك النجوم تشبها باليهودية ولم يؤخروا
صلوة الصبح الى افتراق النجوم تشبها بالنصرانية وهجر احمد بن حنبل ابا ثور
صاحب الشافعي رحمهم لما سئل عن معنى قول النبي عليه السلام ان الله تعالى خلق آدم
على صورته فقال الهاء عايدة على آدم فغضب احمد وقال ويله واي صورة
كانت لآدم تخلقه عليها ويله يقول ان الله تعالى خلق على مثال فكيف يصنع في
الخبر المشتهر ان الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن فبلغ ذلك ابا ثور فجاءه
واعتذر اليه وحلف انه ما قاله عن اعتقاد وانما هو راى رآه وقال القول ما
قلت وهو اعتقادي وهجر ايضا يحيى بن معين حين قال لو اعطاني السلطان
شيئا اخذته وقال مالك بن انس رض ليس من السنة ان تجادل عن السنة ولكن
تخبر بها فان قبل منك والا فاسكت ومما احدثوا البيع والشري على الطريق
وكان الورعون لا يشترون شيئا ممن قعد يبيعه على الطريق ويكرهون البيع
والشري من الصبيان لانهم لا يملكون وكلامهم غير مقبول وكذا اخراج
الرواشن من البيوت وتقديم العضايد بين يدي الحوانيت الى الطريق
مكروه وطين بعض جلساء ابن احمد بن حنبل حايط داره من خارج
فاعرض عنه احمد في المجلس فسأله هل بلغك عني حدث احدثته قال
قال نعم طينت حايط دارك من خارج قال ولا يجوز ذلك قال لا لانك قد اخذت
من طريق المسلمين بقدر ثخانة الطين قال فكيف اصنع قال اما ان تكشط ما طينته
واما ان تهدم الحايط وتؤخره الى خلف بقدر ثخانة الطين ثم تطينه من خارج فهدم
الحايط وفعل كما قال له فاقبل عليه كما كان ومما كرهوه طرح السنور والدابة
الميتة على المزبلة في الطريق فتاذى المسلمون بروايحها فكان شريح وغيره اذا مات
لهم سنور دفنوها في دورهم وكذا اخراج الماء اذيب وصبها الى الطرقات وكان احمد
بن حنبل وغيره من اهل الورع يجعلون ماء اذيبهم الى داخل بيوتهم وكانوا يكرهون
تزويق المساجد وتلوين القبلة بالزخرف وتحلية المصاحف وهذا من البدعة
وفي الحديث اذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدبار عليكم وكانوا يكرهون
كثرة المساجد في المحلة الواحدة حتى روي ان انس بن مالك رضي الله عنه لما دخل جعل كلما خطا
خطوتين

البصرة في

خطبة العيد والاستسقاء على المنبر

تاخير صلوة المغرب

ان الله تعالى خلق آدم على صورته

الجدال عن السنة

البيع والشرى في الطريق

[illegible]

تطيين الحايط من الخارج

دفع الميتة الى الطريق

تزويق المساجد وتحلية المصاحف

رأى مسجداً فقال هذه البدعة لما كثرت المساجد قل المصلون اشهد لقد كانت القبيلة
ليس فيها الا مسجد واحد واختلفوا اذا اتفق في محلته مسجدان في ايهما يصلي فقيل في
اقدمهما واليه ذهب انس بن مالك وغيره من الصحابة رضي كانوا يجاوزون المساجد المحدثة
الى المساجد العتيقة وكان الحسن يصلي في اقربهما منه وقيل اول
ما احدث من البدع اربع الموائد والمناخل والاشنان والشبع وكانوا يكرهون ان يكون
اواني البيت غير الخزف وكان لا يتوضأ اهل الورع في اواني الصفر وقال الجنيد رحمه الله
قال لي السري اجتهد ان تشتري هذه البواري التي يصلي عليها المصلون وقد كانوا يستحبون
السجود على الارض والتراب تواضعاً لله وخشوعاً وكل الى غير ذلك من البدعة التي لم
نقصد لتعديدها عليه وجعلها في اليوم سنن معروفة وشرائع مالوفة مع ما احدثه
غيره مما يكثر عدده وكل منكر عند من عرف المعروف من سيرة المتقدمين وشمائل السلف
وقد قال ابن مسعود رض يظهر المنكر والبدع حتى اذا غير منها شيء قيل غيرت السنة
وقال في اخر حديثه اكيسهم في ذلك الزمان الذي يروغ بدينه روغان الثعالب وكره
ان لا يستعمل آنية بيت الا من خشب يعني من الطين ويقال لا حساب عليه وكره
السلف تشييد البناء بالجص والآجر وقيل اول من طبخ الآجر هامان امر به فرعون وقيل هو
بناء الجبابرة وكرهوا النقوش والتزويق في السقوف والابواب وكانوا يغضون من النظر
الى ذلك وغاب الاحنف بن قيس غيبة فرجع وقد زوقوا قبته بالخضرة والصفرة فلما رآه
خرج منه وحلف ان لا يدخله حتى يقلعوا ذلك ويعيدوه كما كان وقال يحيى بن يمان كنت
امشي مع الثوري فمررنا بباب منقوش مزوق فنظرت اليه فجذبني سفيان حتى جزت
فقلت له ما يكره من النظر فقال انما بنوه لينظر اليه ولو كان كل من مر به لا ينظر اليه
ما بنوه فكأنه خشي ان يكون بنظره معاوناً له على بنائه ومما احدث الناس مما كان السلف
يكرهونه الثياب الرقاق مثل القصب ودقيق مصر وكانوا يقولون الثياب الرقاق ثياب
الفساق ومن رق ثوبه رق دينه ويقال اول النسك الزي وقال ابن مسعود رض لا يشبه الزي الزي
حتى يشبه القلب القلب وخطب بشر بن مروان وعليه ثوب دقيق فجعل رافع
بن خديج يهزه ويقول انظروا الى اميركم يعظ الناس ~~وعليه ثوب رقيق فجعل~~
وعليه ثياب الفساق وجاء عبد الله بن عامر في بزته الى ابي ذر وسأله عن الزهد واخذ
يتكلم فيه فجعل ابو ذر يضع راحته في كمه ثم اعرض عنه ولم يكلمه فغضب ابن عامر
وشكاه الى ابن عمر فقال له انت فعلت بنفسك تأتي اباذر في هذه الثياب وتسأله
عن الزهد وفي الخبر عن رسول الله عليه السلام وقد وصف نساء يكن في اخر الزمان
فقال كاسيات عاريات مائلات مميلات على رؤوسهن امثال اسنمة البخت يعني المعاجر
والاكوار لا يجدن رائحة الجنة والثياب الرقاق للنساء اكره وكرهوا غليظ وكان
ابن عباس يفسر التبرج ان منه لبسها ادق من الثياب وانما كانت ثياب السلف

السلف

السنباوني والقطواني وعصب اليمن ومعافري مصر والقباطي مثل كسوة الكعبة والثياب
السحولية اليمانية والكرابيس والحضرمية وكلها غلاظ كثيفة اثمانها من خمسة دراهم الى ثلثين
درهما ثم احدثوا بعدها الثياب الرقيقة من كتان مصر وقطن خراسان وكان طول ميزر رسول الله
عليه السلام اربع اذرع ونصفا وثمنه ما بين اربعة الدراهم والخمسة وكانت اثمان قمصانهم
من الخمسة الى العشرة ثم تغير ذلك كله وقد جاء في الخبر لا تقوم الساعة حتى يصير المعروف منكرا
والمنكر معروفا وقال ابن عباس رض لا يأتي على الناس عام الا اماتوا فيه سنة واحيوا
فيه بدعة حتى تموت السنن وتحيى البدعة وانما سمي المنكر منكرا لانه لا يعرف فلهذا اذا اخفي
الحق فلم يعرف سمي منكرا وانما سمي المعروف معروفا لانه مشهورا ما لوف فلهذا اذا افشا الباطل
وكثر الجهل حتى الف وعرف سمي معروفا وكذلك قد يكثر الجور في وقت حتى يولد فيه من لا
يعرف العدل ما هو وكان الشعبي يقول يأتي على الناس زمان يصلون فيه على الحجاج ابتدع
اشيا انكرها الناس عليه في زمانه هي اليوم سنن معروفة واعمال مستحسنة يترحم الناس
على من احدثها ويقبطونه ويحسبون منه ما جور عليها مشكور سعيه فيها الا انهم لا يعرفون
ان الحجاج احدثها فهم وان لم يقوموا بالصلوة عليه قولا فان استعمالهم لما احدث
فاستحسانهم لما ابتدع ترحم منهم عليه والترحم صلوة وايضا فانه ابتدع اشيا
من الخير وداخلة في ابواب الاخرة ثم ظهرت بعده ولاة احدثوا احداثا من
الجور وابتدعوا بدعا من الفسوق صارت سننا بعدهم فوجبت بذلك الصلوة
على الحجاج الى جنب ما اظهروا بعده فمما احدث الحجاج المحامل والقباب التي على
الرواحل والزوامل فيضحون للشمس ويضبون في سبيل الله تعالى ويشعثون
ويغبرون فيقل اكلهم ونومهم وتكثر رفاهة الابل وتقل مشقتهم وتخف احمالها
فيكون ذلك اثوب لهم وازكى لحجهم وادنى الى سلامة ابلهم واوفق لسنة نبيهم عليه السلام
فصاروا بسبب بدعتهم يحجون في بيوتهم ظليلة مع حملهم على الابل ما لا تطيق فيكون
سبب تلفها ويكون هو شريكهم في الاثم لانه هو المبتدع لذلك وابتدع ايضا الاخماس
ورؤس الاي وحمر السواد وصفرة وخضرة فادخل في المصحف ما ليس فيه من الزخرف
وكان السلف يقولون جردوا القران كما انزله الله تعالى ولا تخلطوا به غيره وانكر
العلماء عليه ذلك حتى ان بعضهم كان لا يرى القراة في مصحف منقوط بحمرة وبعضهم
كان يراها اذا كان غير القاري قد نقطه بالحمرة كما نقل ان بعضهم كان يرى شرى
المصحف ويكره بيعه وقال خالد الحذا دخلت على ابن سيرين فرايته يقراء في مصحف
منقوط وهو كان يكره النقط والشعبي كان يكره النقط ويرى القراءة في مصحف
نقطه غير القاري وكان السلف يكرهون اخذ الاجر على تنقيط القران لانه
مبتدع وسئل الحسن عن تنقيط المصاحف بالاجر فقال وما تنقيطها قيل يعربون
الكلم بالعربية فقال اما اعراب القران فلا باس به وابتدع ايضا انه جمع ثلثين قاريا

الاخماس والاعشار

فاذا بيعدون كلم المصحف وحروفه شهرا ولو راهم ابوبكر او عمر او عثمان او على يفعلون ذلك
لاوجعوا رؤسهم ضربا وهذا الذي وصف الصحابة رضه به قراء آخر الزمان انهم يحفظون حروفه
ويضيعون حدوده فكان الحجاج اقراء القراء واحفظهم لحروف القران فكان يختم في كل ثلث
وكان اضيع الناس لحدوده . وابتدع ايضا اخراج الرمل والحصاص المساجد وفرشها
بالبواري حتى روي ان قتادة سجد وكان ضريرا فدخلت في عينه قصبة فقال لعن الله الحجاج
ابتدع هذه البواري يؤذي بها المصلين وقد كانوا يستحبون السجود على الارض والتراب
تواضعا لله تعالى وخشوعا وذلك الى غير ذلك من بدعه التى لم نقصد تعديدها عليه وجميعها
اليوم سنن معروفة وشرايع مالوفة مع ما احدث غيره مما يكثر عدده وكله منكر عند من عرف
المعروف من سيرة المتقدمين وشمايل السالفين وقد قال ابن مسعود رضه يظهر المنكر والبدع
حتى اذا غير منها شيء قيل غيرت السنة وقال في اخر حديثه اكيسهم في ذلك الزمان الذي
يروغ بدينه روغان الثعالب وكان انس بن مالك رضه في سنة ثمانين في ايام الحجاج
يقول ما اعرف شيئا كان على عهد رسول الله عليه السلام الا وقد غير الا شهادة ان لا
ان لا اله الا الله قيل فالصلوة قال اوليس قد احدثوا في الصلوة ما علمتم يعني تاخيرها
والتثويب قبلها وهو السلام على الامراء يضاهون به الاقامة فجعلوه كالسنة وكان
يقول للقراء اذا دخلوا عليه مثل يزيد الرقاشي وزياد النميري وفرقد السبخي ما اشبهكم
باصحاب رسول الله عليه السلام فيفرحون ثم يقول نعم رؤسكم واللحى فهذا كما قال المجنون
اما الخيام فانها كخيامهم واري نساء الحي غير نسائها وعن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم انهم قالوا
لو نشر اصحاب رسول الله عليه السلام وراوكم لما عرفوا شيئا مما انتم عليه الا الصلوة في جماعة
وقال الحسن رحمه صحبت طوايف لو رايتموهم لقلتم مجانين ولو رأوكم لقالوا ما لهؤلاء من
خلاق وقال ابو حازم ادركت القراء وهم القراء حقا لو كان حامل القران في مائة رجل لعرف
بشدة تواضعه وحسن سمته وخشوعه قد وقرة القران واخشعه فما هؤلاء والله باهل
بالقراء ولكنهم الخزاء وقال كنا نشهد الجنازة فلا نعرف صاحب المصيبة ولا نفرق بين من نعزى
من شدة حزن القوم وكان احدهم يبقى بعد شهود الجنازة ثلاثا لا ينتفع به وكان الفضيل
يحذر من قراء زمانه يقول اياك وصحبة هؤلاء القراء فانك ان خالفتهم في شيء كفروك وقال
الثوري ما شيء احب الى من صحبة فتى ولا شيء ابغض الى من صحبة قاري وكان يقول كثيرا
من لم يحسن يتغنى لم يحسن يتقرا قال بشر بن الحارث لان اصحب فتى احب الي من ان اصحب قاريا
واياك وصحبة القراء فانهم يذمون غير مذموم وان تركت الصلوة معهم في جماعة لشاهدوا
عليك بكل ذلك لانهم يجاوزون الحد في الشرع ويسرعون الى الانكار في كل شيء لغلبة الجهل عليهم
وقلة مجالستهم للعلماء ومعاناتهم للعلم ولانهم موصوفون بدقايق الرياء والتصنع للعامة
فينكرون غير منكر ويتعصبون بالبغضة والحجر في اليسير الذي مثله يغتفر وهم غير موصوفين
بمحاسن الاخلاق ولا موسومين بالبشاشة والانطلاق بل فيهم كزازة وتغيظ على الناس ولولا

ولزازة وحنق على الاغنياء حتى كانهم ياكلون ارزاقهم اوكانهم يعملون العبادة لهم
وفيهم كثرة مقت لاهل الطلاوة والبشر قال بعضهم الشريف اذا تقرا تواضع والوضيع
اذا تقرا تكبر وقال اخر السفلة اذا تقرا اكثر الامر بالمعروف واعترض على جيرانه في كل شيء
وانما يكثر الامر بالمعروف ليعرف به فمن اجل هذه الصفات رفضهم العلماء وذمهم الحكماء لان
العلم يبسط ويوسع وتكون منه الاخلاق الحسنة والاداب والمروات الراسعة ومن صفة
العالم الانقباض في ضمن بسط الخلق كما قال الشافعي رح الانقباض عن الناس مكسبة لعداوتهم فكن
بين المنقبض والمنبسط وفي الخبر انكم لا تسعون الناس باموالكم فليسعهم منكم وجه طلق وخلق
حسن وفي لفظ اخر وبشر وبشاشة وهذا كله معدوم في القراء لا يعرفونه وقد جعل الله لكل شيء
قدرا فمن تعدى حد الشيء فقد افسده ولهذا قال بعض السلف قليل التواضع يكفي من كثير العلم
ومن اخلاق السلف مما تهاون به الخلف انهم كانوا يعدون من النفاق ان يتكلم الرجل فيمن يكلمه
او يكلم من تكلم فيه لانهم كانوا اذا كلموا احدا او سلموا عليه سلمت له قلوبهم ولم يتكلموا فيه واذا
تكلموا في احد لبدعته او لظهور فسقه وظلمه لم يكلموه وكانوا اذا مدحوا احدا بقول لم يذ
بفعل واذا ذموا احدا بفعل لم يمدحوه بقول لان في ذلك اختلاف لسانين ووجهين واختلاف
سر وعلانية وكانوا يقولون معنى سلام عليك اذا لقيت اخاك سلمت مني ان اغتابك
اذمك فكان مخالفة ذلك عندهم من ابواب النفاق وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم شر الناس
ذو الوجهين الذي ياتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وفي حديث آخر من كان ذا لسانين في الدنيا
جعل له يوم القيمة لسانان من نار وقال بعضهم ما ذكر عندي انسان قط الا مثلته جالسا
فقلت في غيبته ما يحب ان يسمع وقال اخر ما ذكرت عند رجل الا تصورت نفسي في مثاله فكل ما احب
ان يقال لي قلته له فهذه كانت صفات المسلمين الذي يسلم الناس من ايديهم وقلوبهم كان
احدهم اذا ذكر عنده غيره بسوء فكر في نفسه فان كان فيه مثل ذلك السوء منعه الحياء عن الكلام
في اخيه وان لم يكن فيه مثله حمد الله تعالى وشكره على العافية ورحم اخاه هذا كانت سيرة السلف
مع اخوانهم وقيل في بعض كتب الله عز وجل عجبا لمن قيل فيه الخير وليس فيه كيف يفرح ولمن قيل
فيه الشر وهو فيه كيف يغضب واعجب من ذلك من احب نفسه على اليقين وابغض الناس على
الظن ومما كان السلف يشددون فيه حب المدح والحمد حتى قال بعضهم من احب المدح وكره
الذم فهو منافق وقال عمر رض لرجل من سيدقومك قال انا قال لو كنت سيدهم لم تقل وقال
الثوري ان كنت اذا قيل لك بئس الرجل تغضب فانت بئس الرجل وقال آخر لا يزال فيك
خير ما لم تر ان فيك خيرا وسئل بعض العلماء ما علامة المنافق قال الذي اذا مدح بما ليس فيه
ارتاح لذلك قلبه وقال سفيان الثوري اذا رايت الرجل يحب ان يحبه الناس كلهم ويكره ان يذكره
احد بسوء فاعلم انه منافق وقد وصف الله تعالى المنافقين بهذا فقال يحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا وآخرين يريدون
ان يامنوكم ويامنوا قومهم فينبغي لمن امن اهل السنة ان يخاف اهل البدعة وهذا ايضا مما دخل
على القراء ولعل جاهلا مغرورا يتاول الحديث اذا مدح المؤمن ربا الايمان في قلبه على غير تاويله

ويحله على غير محله فانه انما قال زدنا الايمان ولم يقل زدنا المومن فزيدوا الايمان زيادته وزيادته
بالخوف والاشفاق من الكبر والاستدراج وفيه طريق للعارفين بان يعلو الايمان العلي
الى المومن الاعلى فيفرح العبد بذلك لمولاه ويضيفه الى سيده الذي به تولاه فيرد الصنعة
الى صانعها وليشهد الفطرة في فاطرها فيكون ذلك مدحا للصانع ووضعا للفاطر لا ينظر الى نفسه
ولا يعجب بوصفه وهذه طرقات قد درست وانقطع سلاكها الا من رحم ربك تفضيل
علم الايمان واليقين على ساير العلوم ان لكل علم من العلوم قد يتاتى حفظه ونشره لمنافق
او مبتدع او مشرك اذا رغب فيه وحرص عليه لانه نتيجة الذهن وثمرة العقل الا علم
الايمان واليقين فانه لا يتاتى ظهور شاهدته والكلام في حقايقه الا المومن موقن من قبل
ان ذلك مزيد الايمان وحقيقة العلم والايقان فهو ايات الله تعالى وعهده عن مكاشفة قدرته
وعظمته وايات الله جل تعالى لا يكون للفاسقين وعهده لا ينال الظالمين وعظمته وقدرته لا تكون
شهادة للزايغين ولا وجد المبطلين ان في ذلك توهين لاياته وحججه وانتقاص لبراهينه وقدرته
ودخول الشك في اليقين الذي هو حججه المخلصين والذين هم بينة الله جل تعالى من عباده واشتباه الباطل
بالحق الذي هو وصف اهل الصدق الذين هم ادلته عليه من اهل وداده وهذا من ادنى دليل
على فضل علم المعرفة على غيره قال الله جل تعالى اولم يكن لهم اية ان يعلمه علماء بني اسرائيل وقال تعالى
بل هو ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وقال جل تعالى ان في ذلك لايات للمتوسمين وقال تعالى
قد بينا الايات لقوم يوقنون وقال تعالى ولنبينه لقوم يعلمون فهولاء العلماء بالله الناطقون
عنه جعل لهم نصبة منه ومكانا عنده ولا يكون ذلك لمن لبس اهلا له ولا حقيقا به لانهم ايات الله سبحانه
وبيناته وشهوده وبصايره كاشفوا طريقه ومظهروا بيانه اذ يقول سبحانه ثم ان علينا بيانه ثم
قال تعالى خلق الانسان علمه البيان بعد قوله وكان حقا علينا نصر المومنين مع قوله تعالى
وكانوا احق بها واهلها فنصروه بما نصرهم به فتحققوا بما حققهم منه وشهدوا بما شهدهم عنه
فكانوا للمتقين اماما والى الهداية اعلاما وقال بعض اهل المعرفة من لم تكن له مشاهدة من هذا
العلم لم يعر من الشك او نفاق لانه عار من علم اليقين ومن عري من اليقين وجدت فيه دواعي
الشك وقال بعض العارفين من لم يكن له نصيب من هذا العلم اخاف عليه سوء الخاتمة وادنى
النصيب منه التصديق به وتسليمه لاهله وقال اخر من كان فيه خصلتان لم يفتح له من هذا
العلم شيء بدعة او كبر وقالت طايفة من اهله من كان محبا للدنيا ومصرا على هوى لم يتحقق به
وقال سهل رحمه الله اقل عقوبة من انكر هذا العلم ان لا يرزق منه شيئا ابدا واتفقوا على انه علم
الصديقين وان من كان له نصيب منه فهو من المقربين فوق درجة اصحاب اليمين واعلم ان علم التوحيد
ومعرفة الصفات مباين لساير العلوم فالاختلاف في علم الظاهر رحمة والاختلاف في علم
التوحيد ضلال وبدعة والخطا في علم الظاهر مغفور وربما كان حسنة اذا اجتهد والخطا في
علم التوحيد وشهادة اليقين كفر من قبل ان العباد لم يكلفوا حقيقة العلم عند الله سبحانه وطلب
علم الظاهر وعليهم موافقة الحقيقة عند الله تعالى في التوحيد ومن ابتدع ردت عليه بدعته وكان

مسئولة

العالم الداخل في الدنيا

المبتدع في الدين

زلة العالم

مسئولا عنها ولم يكن حجة لله تعالى على عباده ولا غيثا نافعا في بلاده بل كان موصوفا بالدنيا و
بنها من الراغبين ولم يكن دليلا على الله تعالى ومن دعاة الدين ولا اماما للمتقين كما جاء في الخبر
العلماء امناء الرسل مالم يدخلوا في الدنيا فاذا دخلوا في الدنيا فاحذروهم على دينكم
وفي الخبر المشهور من احدث في ديننا ما ليس فيه فهو رد وفي حديث غريب من غش امتي فعليه لعنة
الله عز وجل والملائكة والناس اجمعين قيل يا رسول الله وما غش امتك قال ان يبتدع
بدعة يحمل الناس عليها وعن عيسى عليه السلام انه قيل له من اشد الناس فتنة فقال زلة العالم
اذا زل بزلته عالم وقد روينا معناه عن نبينا صلى الله عليه وسلم مما اخاف على امتي
زلة عالم وجدال منافق في القران وقال بعض السلف مثل العالم اذا زل مثل السفينة اذا غرقت
يغرق معها خلق كثير ومثل كسوف الشمس يصيح الناس يا غافلين الصلاة اي انها عند
العامة اية يفزع منها ولا اعلم احدا اعظم جرما ممن ابتدع في دين الله تعالى فنطق في كتاب
الله تعالى في علم المعرفة بما لم ياذن به الله تعالى ثم لم يعبا بسنن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
الذي هو حجة الله تعالى على جميع خلقه وطريق اوليائه من عباده فاضل بذلك عباد الله عز وجل
ومثل من ابتدع في الدين واتخذ وليجة دون الكبار والسنة وباين طريق المومنين
الى جنب من تكاثر في امور الدنيا وارتكب فيها شهوات الاهواء كمثل من اجترح المظالم
بين الناس في الاموال والدماء الى جنب من ظلم نفسه بكسب الذنوب بينه وبين ربه تعالى
فان مظالم العباد اعظم وهو الديوان الذي لا يترك كذلك التمويه في الدين اعظم لانها مظالم
الاخرة وقطع طرقات المومنين ومحو شريعة المرسلين وعن النبي عليه السلام ان الله تعالى
ملكا ينادي كل يوم من خالف سنة رسول الله عليه السلام لم تنله شفاعته وقال علي رضي الله عنه الهوى
شريك العمى وقال النبي عليه السلام العالم والمتعلم شريكان في الاجر وقال عيسى عليه السلام المستمع شريك القايل
فجعل الله تعالى العلماء يردون على الشاطحين والمبتدعين اهل الجهالة بالدين الحدة
عن سبيل المومنين بما اراهم من علم اليقين وبما شهد لهم النبي عليه السلام بالعلم والتعديل في قوله
يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتاويل الجاهلين
فالغالون هم الشاطحون لانهم قد جاوزوا العلم ومحوا الرسم واسقطوا الحكم والمبطلون هم
المدعون المبتدعون لانهم جادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق وافتروا بالدعوى وابتدعوا
بالراي والهوى والجاهلون هم المنكرون لغرايب العلم المغترون بما عرفوا من ظاهر العقل
وقد قال النبي عليه السلام ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا اهل المعرفة بالله تعالى فاذا انطقوا به
لم يجهله الا اهل الاغترار بالله تعالى فلا تحقروا عالما اتاه الله تعالى علما فان الله لم يحقره
اذ اتاه وكل من تاول السنن بالراي والمعقول او نطق بما لم يسبق اليه السلف من القول او
بمعناه فهو متكلف مبطل فاهل العلم بالله تعالى يردون علم المعقول بعلم اليقين وعلم الراي
بعلم السنة ويثبتون اهل الاثار ويؤيدون نقلة الاخبار بما يفصلون من اخبارهم
ويفسرون من حديثهم ما لم يجعل للنقلة طريق اليه ولم يهتدوا الرواة الى كشف منهم بما اشهدهم الله تعالى

واستودعهم ونور قلوبهم ونطقهم فهم ينطقون عن الله تعالى فيما يخبرون به وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا باياتنا يوقنون وقال بعض العلماء ما تكلم عنه السلف فالسكوت عنه جفاء وما سكت عنه السلف فالكلام تكلف وقال النبي عليه السلام عليكم بالنمط الاوسط الذي يرجع اليه الغالي ويرتفع عنه القالي وكان من سنة السلف ان لا يستمع الى مبتدع لانه منكر ولا يرد عليه بالجدال والنظر لانه بدعة ولكن يخبر بالسنة ويحتج عليه بالاثر فان قبل وجبت موالاته وان ردت عرف ببدعته وحقت عداوته وهذا طريق لا يسلكه في وقتنا هذا الا من عرف فضله وطريقة السلف فيه واما الرد على المبتدعة بعلم الراي والمعقول فبدعة محدثة حدثت ان ابليس بث جنوده في وقت الصحابة رضوان الله عنهم فرجعوا اليه محسورين فقال ما شانكم قالوا ما راينا مثل هؤلاء القوم ما نصيب منهم شيئا قد اتعبونا فيقول انكم لا تقدرون عليهم قد صحبوا نبيهم وشهدوا تنزيل ربهم ولكن سياتي بعدهم قوم تنالون منهم حاجتكم فلما جاء التابعون بث جنوده فيهم فرجعوا اليه منكسرين فقال ما شانكم قالوا ما راينا اعجب من هؤلاء القوم نصيب منهم الشيء بعد الشيء من الذنوب فاذا كان من اخر النهار اخذوا في الاستغفار فتبدل سياتهم حسنات فقال انكم لن تنالوا من هؤلاء شيئا لصحة توحيدهم واتباعهم سنة نبيهم ولكن سياتي بعد هؤلاء قوم تقر اعينكم بهم تلعبون بهم لعبا وتقودونهم بازمة اهوائهم كيف شئتم ان استغفروا لم يغفر لهم ولا يتوبون فتبدل سياتهم فجاء قوم بعد القرون الاول فبث فيهم الاهواء وزين لهم البدع فاستحلوها واتخذوها دينا لا يستغفرون منها ولا يتوبون الى الله تعالى فتسلط عليهم الاعداء وقادوهم اين شاؤا كما قال الله تعالى اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وقال تعالى افمن زين له سوء عمله فراه حسنا كما قال تعالى افمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه فالعلم هو الذي كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم والعالم هو الذي يدعو الناس الى الله تعالى بلسان حاله حتى يصير واشكله فاذا نظروا اليه زهدوا في الدنيا كزهده فيها كما قال ذو النون رحمه الله جالس من يكلمك عمله لا من يكلمك لسانه وقال الحسن رحمه الله عظ الناس بفعلك ولا تعظهم بقولك وقيل لرسول الله عليه السلام اي جلسائنا خير فقال من ذكركم بالله رؤيته وزادني علمكم منطقه وذكركم بالاخرة عمله فاما الذي يطلب دنياهم حتى يصير غنيا مثلهم فاذا راوه طالبا للدنيا مغتبطا بحالهم فهو شر منهم لانه يدعوهم الى نفسه لا الى مولاه لانه طامع فيهم وهم زاهدون فالعلماء الذين هم ورثة الانبياء هم الورعون في دين الله تعالى الزاهدون في فضول الدنيا الناطقون بعلم اليقين والقدرة لا بعلم الراي والهوى والصامتون عن الشبهات والاراء لا يختلف هذا الى يوم القيمة عند العلماء الشهداء على الله سبحانه وتعالى براي قايل ولا بقول مبطل جاهل كما روي عنه عليه السلام صلح اول هذه الامة بالزهد واليقين ويهلك اخرها بالبخل والامل وقال يوسف بن اسباط كتب الي حذيفة المرعشي ما ظنك بمن قد بقي لا يجد احدا يذكر الله معه الا كان اثما وكانت مذاكرته معصية لا يجد اهله وقيل ان الابدال انما انقطعوا في اطراف الارض واستتروا عن اعين الجمهور لانهم لا يطيقون النظر الى علماء الزمان ولا يصبرون

على سماع كلامهم لانهم عندهم جهال بالله تعالى وهم عند انفسهم وعند الجاهلين علماء فقد صاروا
من اهل الجهل واهل الجهل بالجهل كما قال سهل رحمه الله ان من اعظم المعاصي الجهل بالجهل والنظر الى العامة
وسماع كلام اهل الغفلة ايسر عند الابدال لانهم لا يعدمون ذلك حيث كانوا من اطراف الارض
لا يموهون في الدين ولا يدعون انهم علماء لانهم متعلمون وبالجهل معترفون فهم الى الرحمة اقرب
ومن المقت ابعد وقال سهل قسوة القلب بالجهل بالعلم اشد من قسوته لان الجاهل تارك ومتبع
والعاصي بفعله معترف بالعلم ولان العلم دواء به تصلح الادواء فهو يزيل فساد الاعمال بالتدارك
والجهل داء يفسد الاعمال بعد صلاحها فهو يبدل الحسنات فيجعلها سيئات فكم بين ما يصلح الفاسدات وبين
ما يفسد الصالحات وقال الله تعالى ان الله لا يصلح عمل المفسدين وقال الله تعالى انا لا نضيع اجر المصلحين
فهنا ادل دليل على فضل العالم المقصر على العابد الجاهل المجتهد واعلم ان العبد اذا باين الناس
في شيء من احوالهم اعتزل عن جميعهم ولم يالف احدا منهم وان باينهم احوالهم اعتزل عن اكثرهم
وان باينهم في بعض احوالهم ووافقهم في بعضها خالط اكثرهم وفارق اهل الشر **تفصيل الاخبار**
في بيان طرايق الاثار اعلم ان جميع ما ذكرناه في هذا الكتاب من الاخبار عن النبي عليه السلام
وعن الصحابة والتابعين وتابعيهم رضي الله وسمعنا حفظا على المعنى الا يسيرا من اخبار فيها
طول فانا نقلناها من مواضعها فما كان فيه من صواب وبيان وتثبت فمن الله تعالى بحسن توفيقه
وقوة تاييده وما كان من خطاء وعجلة وهوى فمنا بالسهو والغفلة ومن عمل الشيطان بالعجلة
والنسيان كما قال رسول الله عليه السلام البيان والتثبت من الله والعجلة والنسيان
من الشيطان يعني بواسطته وبقلة التوفيق ولم اعتبر الفاظ الاخبار في اكثره ولم آل
في سياق المعنى في كله اذ ليس تحرير الالفاظ عندنا واجبا اذا اتيت بالمعنى بعد ان تكون عالما
بتصريف الكلام وتتفاوت وجوه المعاني مجتنبا لما يكون دبر تحريفها او احالة بين لفظين
وقد رخص في نقل الحديث بالمعنى دون اللفظ جماعة من الصحابة رضي الله عنهم منهم علي وابن
عباس وانس بن مالك وابو الدرداء وواثلة بن الاسقع وابو هريرة رضي الله عنهم وجماعة
من التابعين يكثر عددهم منهم امام الائمة الحسن البصري ثم الشعبي وعمرو بن دينار وابرهيم
النخعي ومجاهد وعكرمة رضي عنهم وقال ابن سيرين كنت اسمع الحديث من عشرة بالفاظ مختلفة
والمعنى واحد ولذلك اختلفت الفاظ الصحابة رضي الله عنهم في رواية الحديث عن رسول الله عليه السلام
وقال سفيان اذا رايت الرجل يتشدد في الفاظ الحديث فاعلم انه يقول اعرفوني وجعل رجل
يسال يحيى بن سعيد القطان عن حروف في لفظ الحديث فقال له يا هذا ليس في الدنيا اجل من
كتاب الله تعالى وقد رخص في قراءة الكلمة منه على سبعة احرف فلا تشدد وفي بعض ما روينا
من اسيل ومقاطيع ومنها ما في سنده مقال وربما كان المقطوع والمرسل اصح من بعض المسند
اذا رواه الائمة وجاز لنا رسم ذلك في الورع لمعان احدها انا لسنا على يقين من بطلانها الثاني
ان معنا حجة بذلك وهو سماعنا لها وروايتنا فان اخطانا الحقيقة عند الله تعالى فذلك ساقط
عنا اذ لم نتعمد الكذب وقد قال الصحابة رضي الله عنهم انما الكذب على من تعمده وقال الاسباط ومما شهدنا

ولان العامة

بالتدارك

ستاويين

هم

نقل الحديث بالمعنى

في المرسل والمقطوع والمطعون في سنده

الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين في قولك ان ابنك سرق فاخطو الحقيقة عند الله تعالى الا
انهم كانوا معذورين لوجود الدليل وهو مشاهدتهم للصاع مستخرجا من رحل اخيهم الثالث
ان الاخبار الضعاف غير مخالفة في الكتاب والسنة فيلزم منازعتها بل فيهما ما يدل عليها
الرابع انا متعبدون بحسن الظن منهيون عن كثير من الظن بنص الكتاب مذمومون
بظن السوء الخامس انه لا يتوصل الى حقيقة ذلك الا بطريق المعاينة ولا سبيل اليها فما
فاضطررنا الى التقليد والتصديق بحسن الظن ولا ما ينبغي ان نعتقد في سلفنا المؤمنين
انهم خيرتنا ثم نحن لا نكذب على رسول الله عليه السلام ولا على اصحابه وتابعيهم فكيف نظن بهم
انهم يكذبون عليه وهم فوقنا على انه قد جاءت احاديث ضعاف باسانيد صحاح فكذا يمكن
ان ترد احاديث صحاح باسانيد ضعاف لاحتمال ان يكون قد رويت من طريق صحيح ولم
نقف عليه اذ نحن لم نحط بجملة العلم ولان بعض من يضعفه اهل الحديث يقويه بعضهم
وبعض من يجرحه واحد يعدله آخر فصار مختلفا فيه فلم يرد حديثه بقول واحد دون
من فوقه او مثله ولان بعض ما يضعف به رواة الحديث وتعلل به احاديثهم لا يكون تعليلا
ولا جرحا عند الفقهاء ولا عند العلماء بالله تعالى مثل ان يكون الراوي مجهولا لا اشاده الخمول
المندوب اليه او لقلة اتباعه او متفرد ا بلفظه او بحديث حفظه دون غيره او سمعه دون غيره
من الثقات او ناقلا للحديث بمعناه او متكلما بكلام او لا بسا لباسا لا يجرحه عند الفقهاء و
اشباه هذا كثيرة وقال بعض العلماء الحديث وان كان شهادة فقد وسع فيه بحسن الظن
كما جوز فيه قبول شاهد واحد للضرورة كشهادة القابلة والحديث اذا لم ينافه الكتاب او سنة
وان لم يشهد له ولم يخرج تاويله عن اجماع فانه يوجب المتقبل والعمل والحديث الضعيف عندي
اثر من الراي والقياس وهذا مذهب احمد بن حنبل رحمه الله والحديث اذا تداوله عصران او رواه
القرون الثلاثة او راد في العصر الواحد ولم ينكره علماؤه او كان مشهورا لا ينكره الطبقة
من المسلمين احتمل ووقعت به الحجة وان كان في سنده قول الا ما خالف الكتاب او السنة
الصحيحة او اجماع الامة او ظهر كذب ناقليه بشهادة الصادقين من الائمة وذكر الرجل عند الزهري
حديثا فقال لها سمعنا بهذا فقال اكل حديث رسول الله سمعت به قال لا قال فثلثاه قال لا قال فنصفه
فسكت فقال عد هذا من النصف الذي لم تسمعه وقال وكيع ما ينبغي لاحد ان يقول هذا الحديث
باطل لان الحديث اكثر من ذلك وقال ابو داود قال ابو زرعة قبض رسول الله عليه السلام عن عشرين
الف عين نظرت كل واحد قد روي عنه ولو حديثا ولو كلمة ولو رؤية فحديث رسول الله عليه السلام
اكثر من ان يحصو وسئل احمد بن حنبل عن الضعفاء فقال قد يحتاج اليهم كانه لم ير بالكتاب عنهم
باسا ومما يدل على مذهبه في التوسعة انه اخرج حديثه كله في مسنده ولم يعتبر الصحيح منه
وفيه احاديث كثيرة يعلم النقاد انها ضعيفة وهو اعلم بضعفها وانما ادخلها في مسنده لانه
قصد تخريج المسند لا تخريج صحيح السند فرواها كما سمعها وقد كان قطع ان يحدث الناس سنة
ثمان وعشرين وتوفي سنة احدى واربعين فلم يسمع منه احد في هذه المدة الا ابن منيع جزءا واحدا

يحصى

بعد شناعة جدّه منبع وكان وكيع لا ينكر حديثا بل يقول اذا سئل عنه لا احفظه وقال
وقال ابن اخت عبد الرحمن بن مهدي كان خالي قد خط على احاديث ثم صححها بعد
بعد ذلك فقلت له قد كنت خططت عليها فقال نعم اني تفكرت فرايت اني اذا و
اذا ضعفتها فقد اسقطت عدالة ناقلها فان جاء ثاني بين يدي الله تعالى وقال الله
لم اسقطت عدالتي وما رأيتني ولا سمعت كلامي لم تكن لي حجة فهذا كان مذهب الورعين
الورعين من السلف وقال بعضهم كنا نترك مجالسة شعبة لانه كان يدخلنا في الغيبة
وانما كان كلامه في التضعيف وقال في تضعيف الرواة ان خلصت نيتك في ذلك فارجو
الله تعالى والدين لم يكن لك ولا عليك فهذه الفصول التي ذكرناها هي اصول في معرفة
الحديث وهو علم لاهله وطريق هم سلكوه ثم حدث قوم لم يكن لهم علم يخصون به ولا
حال من علم يوصفون به ولا شغل من عبادة تقطعهم فجعلوا لنفوسهم علما تشاغلوا به
وشغلوا به من استمع اليهم فصنفوا كتبا وتكلموا في نقلة الاثار بالتعليل وتتبع العثار فطرقوا
لاهل البدع الى رد السنن بالرأي والمعقول لما يرون من طعن اولئك فيها وفي ناقليها واغتبطوا
بالقياس والنظر وزهدوا في السنة والخبر لا سيما في زماننا واعلم ان الاحاديث المروية في الترغيب
في الاخرة والتزهيد في الدنيا والترهيب من وعيد الله تعالى وفي اهوال القيمة ووصف نارها لاذ
وعظايمها وفي فضايلها الاعمال وتفضيل الصحابة رضي الله عنهم متقبلة محتملة على كل حال مقطوعها
ومراسيلها لا تعارض ولا ترد بل تتقبل بالتصديق والتسليم ولا تنكر لاجل معقول كذلك
كان السلف يفعلون لان العلم ذلك على ذلك والاصول قد روت بروودوي ان من بلغه
عن الله تعالى او عن رسول الله عليه السلام فضيلة فعمل بها اعطاه الله عز وجل ثوابه لذلك و
وان لم يكن قاله وفي خبر آخر من روي عني حقا فانا اقول وان لم اكن قلته ومن روي
عني باطلا فاني لا اقول الباطل وفي كل ما رسمناه من هذا الكتاب نقول الله اعلم واحكم
وعلمه واحكم وعلمه المقدم عنده حقايق العلوم واليه ترجع الامور وما شاء كان وهو
المستعان واليه المآب واحوال المؤمنين واصولها تسعة
اولها التوبة ثم الصبر ثم الشكر ثم الرجاء ثم الخوف ثم الزهد ثم التوكل ثم الرضا ثم المحبة
وفيها الكلام في السماع والوجد والفرق بين الاغاني والمصايد وذكر الشوق والغيرة
ذكر فرض التوبة وشرح فضائلها ووصف التوابين قال الله تعالى في خطاب العموم وتوبوا الى الله
جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون معناه ارجعوا اليه من هوى نفوسكم ومن وقوفكم
مع شهواتكم عسى ان تظفروا ببغيتكم في المعاد وهي البقاء في نعيم الابد والفوز بالجنة و
والنجاة من النار فهذا هو الفلاح وقال تعالى في خطاب الخصوص يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله
توبة نصوحا الاية فنصوحا من النصح جاء على وزن فعول للمبالغة في النصح وقرئ نصوحا
بضم النون فيكون مصدرا يقال نصحت له نصحا ونصوحا ومعناه خالصة وقيل اشتقاقه
من النصاح وهو الخيط اي مجردة لا تتعلق بشيء ولا يتعلق بها شيء وهي الاستقامة على الطاعة

الباعث عن ... في التعديل

الاحاديث في الترغيب

تفسير التوبة النصوح

من غير روغان الى معصية كما تروغ الثعالب وان لا يحدث نفسه بذنب متى قدر عليه وان ترك
الذنب لاجل الله تعالى خالصا لوجهه كما ارتكبه لاجل هواه مجمعا عليه بقلبه وشهوته فمتى لقى الله تعالى
بقلب سليم من الهوى وعمل صالح خالص مستقيم على السنة فقد ختم له بحسن الخاتمة وادركته الحسنى
السابقة فهذه هي التوبة النصوح وهذا العبد هو التواب المتطهر الحبيب الموصوف بقوله تعالى ان الله
يحب التوابين ويحب المتطهرين وبقوله عليه السلام التائب حبيب الله وقال الحسن التوبة النصوح ندم
بالقلب واستغفار باللسان وترك بالجوارح واضمار ان لا يعود وقال سهل رح لا شيء اوجب
على الناس من التوبة ولا عقوبة اشد عليهم من فقد علم التوبة وقد جهل الناس علم التوبة وقال من يقول
ان التوبة ليست بفرض فهو كافر ومن رضي بقوله فهو كافر وقال ايضا التائب من يتوب من غفلته
في الطاعات في كل طرفة ونفس فاصل التوبة الذي لا يكون التائب محققا صادقا الا به الاقرار
بالذنب والاعتراف بالظلم ومقت النفس على الهوى وحل الاصرار الذي كان عقد على عمل السيئات
والانابة الغداء بغاية ما يقدر عليه لان طيب الطعمة اساس الصالحات ثم الندم على ما فات
من الجنايات وحقيقته الندم ان كان حقا اذ لكل حق حقيقة ان لا يعود الى مثل ما ندم عليه
ثم اعتقاد الاستقامة على امتثال الامر واجتناب النهي بحيث لا يقابل ما بقي من عمره بمثل ما
وقع الاعوجاج به ولا يصحب جاهلا ولا ينزو دبره ويتبع طريق من اناب الى الله تعالى ثم الاشتغال
باصلاح ما افسد في ايام بطالته ليكون من المصلحين الذين تابوا واصلحوا ما افسدوا فان الله
لا يصلح عمل المفسدين كما لا يضيع اجر المصلحين ثم استبدال السيئات بالحسنات ليكون ممن
تبدل سيئاته حسنات كما قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فانا غيروا ما بهم
من سيء نبدل سيئاتهم حسنات ثم الندم ودوام الحزن وحقيقة الندم والحزن على ما فات
ان لا يفرط ولا يني في وقت تداركه ولا يرجع ولا ينثني في حين استبداله فيفوت على نفسه وقتا
ثانيا لانه عامل في تدارك ما فات فلو يفوت ما ادرك فتكون يقظته شبيهة بغفلته انكا يزيد
الفوت بالفوت ولا النعيم بالنعيم قال ابو سليمان الداراني رح لو لم يبك الغافل فيما بقي من عمره
الا على فوت ما مضى منه في غير الطاعة لكان خليقا ان يحزنه ذلك الى الممات فكيف بمن يستقبل ما بقي
من عمره بمثل ما مضى من جهله ولا يتم للتائب ما ذكرنا الا باستعمال علم اليقين في كل شيء ثم
متابعة الاعمال الصالحات ليكون ممن قال الله تعالى في حقهم ويدرؤن بالحسنة السيئة الآية
اي يدفعون ما سلف من السيئات مما يعملون من الحسنات وكذا قال النبي عليه السلام في وصيته
لابي ذر رضي واذا عملت سيئة فاعمل بعدها حسنة السر بالسر والعلانية بالعلانية وفي
لمعاذ رض اتبع السيئة الحسنة تمحها وليدخل في الصالحين بعمل الصالحات والمسارعة الى الخيرات
كما قال الله تعالى والذين امنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين وفي هذا المقام يصلح لمولاه
فيحفظه كما قال الله تعالى وهو يتولى الصالحين فجملة ما على العبد في التوبة وما يتعلق بها عشر
خصال اولها فرض عليه ان لا يعصى الله تعالى والثانية ان ابتلي بمعصية ان لا يصر عليها والثالث
التوبة الى الله تعالى منها والرابعة الندم على ما فرط منه والخامسة عقد الاستقامة على

الطاعة الى الموت والسادسة خوف العقوبة والسابعة رجاء المغفرة والثامنة الاعتراف
بالظلم والتاسعة اعتقاد ان الله تعالى قدر عليه ذلك وانه عدل منه والعاشرة متابعة الاعمال
الصالحات لتعمل في الكفارات وقيل ان ملك الموت اذا ظهر للعبد اعلمه انه قد بقي من عمرك ساعة
وانك لا تستاخر عنها طرفة عين فيبدو للعبد من الحسن والاسى ما لو كانت له الدنيا كلها لخرج منها
على ان يضم الى تلك الساعة ساعة اخرى ليستعيب فيها فلا يجد الى ذلك سبيلا وهذا اول قوله
تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون قيل التوبة وقيل الزيادة في العمر وقيل حسن الخاتمة فا
فاذا كل ساعة تمضي على العبد هي بمنزلة تلك الساعة قيمتها الدنيا كلها ولذلك قيل ليس لما بقي
لما بقي من عمر العبد قيمة وقيل في قوله تعالى من قبل ان ياتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني
الى اجل قريب الاجل القريب هو ان العبد يقول عند كشف الغطاء يا ملك الموت اخرني يوما
اعتب فيه ربي واتزود فيه صالحا لنفسي فيقول فنيت الايام فلا يوم فيقول اخر ساعة
فيقول فنيت الساعات فلا ساعة قال فتبلغ الروح الحلقوم فيوخذ بكظمه عند الغرغرة فيغلق عنه
باب التوبة وتنقطع الاعمال وتذهب الاوقات ويبقى عدد الانفاس ليشهد فيها المعاينة عند كشف
الغطاء فيحتد بصره فاذا كان في آخر نفس زهقت نفسه فيدركه ما سبق له من السعادة فيخرج
روحه على التوحيد فذلك حسن الخاتمة او يدركه ما سبق له من الشقاوة فيخرج روحه على
الشك فذلك سوء الخاتمة وهو الذي قال الله تعالى فيه وليست التوبة للذين يعملون السيئات الاية
وقيل المراد به المنافق وقيل المصر على المعاصي وقيل في قوله تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون
السيئات السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب قيل قبل الموت وقبل ظهور ايات الاخرة وقيل
الغرغرة وهي ان تغرغر النفس في الحلقوم لانه سبحانه قد حكم ان التوبة بعد ظهور آيات الاخرة
لا تنفع وقيل اي عن قرب عهد بالخطيئة لا يتمادون فيها ولا يتباعدون بالتوبة عنها وذلك بان
يعقب الذنب عملا صالحا ولا يردف ذنبا آخر وقيل اول من يسال الرجعة من لم يكن ادى زكاة
ماله او لم يكن حج بيت ربه فذلك تاويل قوله تعالى فاصدق واكن من الصالحين وقال ابن عباس رضي
قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله الاية من اشد شيء على اهل التوحيد
وقيل تعالى لا يسال الرجعة عند الموت من له عند الله تعالى مثقال ذرة من خير وروينا بمعناه من كان له
في الاخرة مثقال ذرة من خير لو ان له الدنيا بما فيها لم يحب ان يعود اليها وقال بعض العارفين ان الله تعالى
الى عبده سرين يسرهما اليه الهاما احدهما اذا ولد يقول له عبدي قد اخرجتك الى الدنيا ظاهرا نظيفا
واستودعتك عمرك ايتمنتك عليه فانظر كيف تحفظ الامانة وانظر كيف تلقاني طاهرا نظيفا كما اخرجتك
وسر عند خروج روحه يقول عبدي ماذا صنعت في امانتي عندك هل حفظتها حتى تلقاني على
العهد والرعاية فالقاك بالوفاء والجزاء او اضعتها فالقاك بالمطالبة والعقاب وهذا
داخل في قوله تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون وفي قوله تعالى واوفوا بالعهد اوف
بعهدكم فعمر العبد امانة عنده ان حفظه فقد ادى الامانة وان ضيعه فقد خان والله لا يحب
الخائنين وفي خبر ابن عباس رضي من ضيع فرايض الله خرج من امانة الله وعند وجود التوبة

تفسير وليست التوبة

واول من يسال الرجعة

ان السر الله تعالى الى العبد عند الولادة وعند الموت

بكفير السيئات ودخول الجنات وقال بعضهم انا اعلم متى يغفر الله تعالى لي قيل متى قال اذا تاب علي
لقوله تعالى فتاب عليكم وعفا عنكم وقوله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات
فقدم التوبة على العفو وقال آخر انا من ان احرم التوبة اخوف مني ان احرم المغفرة وقال
بعض العلماء لا تصح توبة عبد حتى ينسا شهواته ويكون حزينا ابدا ولا يخطر الذنب في سره وقال
بعض علماء الشام لا يكون المريد تائبا حتى يكتب عليه صاحب الشمال معصية عشرين سنة
وسال بعض الانبياء ربه قبول توبة عبد بعد ان اجتهد سنين في العباد ولم ير قبول توبته
فاوحى الله اليه وعزتي لو شفع فيه اهل السماوات والارض ما قبلت توبته وحلاوة ذلك
الذنب الذي تاب منه في قلبه ومن بقيت حلاوة المعصية في قلبه اذ نظر اليها بفكرة اذا ذكرها
خيف عليه العود فيها الا اشدة بل ينبغي كارها لها نافيا لخاطرها عن سره لا يذكرها
الا بالخوف والاشفاق منها وقال سهل رحمه الله اول ما يؤمر المبتدي بالتوبة تحويل الحركات
المذمومة الى حركات محمودة ويلزم نفسه الخلوة والصمت ولا تصح له توبة الا باكل الحلال ولا يقدر
على الحلال حتى يؤدي حق الله تعالى في الخلق وفي نفسه ولا يصح له هذا حتى يبرا من كل حركة
وسكون الا بالله وحتى لا يامن الاستدراج بالاعمال الصالحات وحقيقة التوبة ان يدع ماله حتى لا
فيما عليه ولا يكون سويا ابدا انما يلوم نفسه الحال في الوقت وقال سري السقطي من شرط التوبة
ان يباين التائب المنيب مباينة اهل المعاصي ثم بنفسه التي كان يعصي الله تعالى بها فلو بقيها الا انه
ويعزم ان لا يعود في معصية ابدا ويلقي على الناس مؤنته ويدع كل ما يطيق له ويجيبه ولا
يطيع الهوى ويتبع من نهى وينبغي لاهل التوبة ان يجالسوا انفسهم في كل طرفة ويدعوا كل شهوة
ويتركوا فضول ستة اشيا فضول الكلام والنظر والمشي والطعام والشراب واللباس ولا يقوى
على ترك الشبهات الا من ترك الشهوات ومن علامة صدق التوبة رقة القلب وغزارة الدمعة
وفي الخبر جالسوا التوابين فانهم ارق افئدة ومن التحقق بالتوبة ان يستعظم ذنوبه فاذا صغر
استعظم العبد ذنبه صغر عند الله تعالى وقيل ان استصغار الذنوب كبيرة كما جاء في الخبر
المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف ان يقع عليه والمنافق يرى ذنبه كذباب مر على
انفه فاطاره وقيل الذنب الذي لا يغفر قول العبد ليت كل شيء عملته مثل هذا وقال بلال بن
سعد لا تنظر الى صغر الخطيئة ولكن انظر الى عظمة من عصيته ومن هذا قول الصحابة
للتابعين والله انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الموبقات فاوحى الله تعالى الى بعض اوليائه كم من ذنب رايته مثل قد هلكت في دونه
امة من الامم وعن رسول الله عليه السلام ان الله تعالى اهلك امة من الامم كانوا يعتبون بذنوبهم
وقد اختلف العارفون في ذكر الذنب ونسيانه فقال بعضهم حقيقة التوبة ان لا تنسى ذنبك
بل يجعله نصيب عينك وقال بعضهم خلاف ذلك ووجهة هؤلاء شهادة التوبة وهي مقام في التعرف
ووجهة الاولين مشاهدة التوفيق والتجديد وهي مقام في التعريف فيا للمقامين اقيم العبد فانه شاهد
وجهه وعمل بحكم حاله ومقام شهادة التوحيد افضل عند العارفين من مقام مشاهدة التعرف

وهذا احد الوجهين في قوله تعالى ومن يعظم حرمات الله فذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب

وان كان

التعريف وان كانت هذه اوسع واكثر الا انها في اصحاب اليمين وفي عموم المقربين
وشهادة التوحيد اضيق واقل واهلها اعلاو وافضل وهي في المقربين وخصوص
العارفين وقد يعترض المريد بقصة داود عليه السلام في تذكره ذنبه ونوحه على خطيئته
وجوابه ان الانبياء لا يقاس عليهم لمجاوزتهم حدود من دونهم فقد يقلبون في احوال
المريدين ويسلك بهم سبيل المتعلمين لاجل الامة وليكونوا طريقا للائمة واعلم انه
لا يؤمن على ضعيف اليقين قوي النفس عند تذكر الذنوب نظر القلب اليها بشهوة
او ميل النفس معها بحلاوة فيكون ذلك سبب فتنته فيفسد من حيث صلح كما لا
يؤمن على معتاد خطيئة في النظر الى سببها حركة النفس اليها وان كان الافضل
الابقاف معها ما لم يكن الاتقان معصية لاجل مجاهدة النفس بالصبر عنها الا ان ذلك عزم
وفيه خطر فترك الاجتماع وقطع الاسباب حينئذ اسلم وما كان اسلم للمريد فهو افضل
في نسيان الذنوب الذكر لما يستقبل والانكماش على ما يفوت من الوقت خوف فوت وقت
ثان وقد كان بعض العارفين يكره للمريد ان تكون وساوسه الجنة او تذكر ما فيها من
النعيم واللباس والازواج وكان يستحب له ان تكون وساوسه ذكر الله تعالى وخواطره وهمه
متعلقة بالله تعالى لا بسواه واذا تذاكر نعيم الجنة لم امن عليه لضعف قلبه ان يشتهي مثله في الدنيا
واختلف العلماء في عبد ترك ذنبا وعمل في الاستقامة ولنفسه تنازع اليه وهو يجاهدها او آخرتك
الذنب وانكمش في الاصلوح فلم تكن نفسه تطالبه بالذنب ولا تنازع اليه ولا على قلبه منه
ثقل ولا مجاهدة ايهما افضل فقال بعض علماء الشام الاول افضل لانه في مجاهدة واليه ذهب
احمد بن ابي الحواري واصحاب ابي سليمان الداراني وقال علماء البصرة الثاني افضل لسكون
نفسه بشاهد من شواهد اليقين والطمانينة حتى لم يبق فيه فضل لعود ولا طلب كمقاد
واليه ذهب رباح بن عمرو القيسي من كبار علماء البصريين لان الثاني اقرب الى السلامة ولم
يؤمن على الاول الرجوع واختلفوا ايضا في عبدين سئل كل واحد منهما بذل شيء من ماله في سبيل
الله تعالى احدهما بذل بمجاهدة وثقل والاخر بذل بلا ثقل ولا مجاهدة فقيل الاول افضل كما ...
واليه ذهب ابن عطاء واصحابه وقيل الثاني افضل لان مقامه في سخاء النفس والتحقق بالزهد
افضل من جميع اعمال الاول وهي المجاهدة او الاكراه والبذل ولان الاول ان غلب نفسه في هذه
المرة لا يامن غلبتها له في مرة ثانية او ثالثة اذ ليس السخاء من مقامها واليه ذهب الجنيد رح
وهو عندي كما قال وسئل سهل رح عن الرجل يتوب عن الشيء ويتركه ثم يخطر بقلبه او يراه
او يسمع به فيجد حلاوة فقال الحلاوة طبع البشرية ولا بد من الطبع وليس له حلاوة الا ان
يرفع الى مولاه بالشكوى وينكره بقلبه ويلزم نفسه الانكار ولا يفارقه ويدعو الله تعالى
ان ينسيه ذكره ويشغله بغيره من ذكر وطاعة قال فان غفل عن الانكار طرفة عين اخاف
عليه ان لا يسلم وتعمل الحلاوة في قلبه فاما اذا الزم نفسه الانكار والحزن على الدوام لا يضره
وجدان الحلاوة وهذا عندي وهكذا لان التوبة تصح مع بقاء الشهوة ويكون العبد مرادا بالمجاهدة



وهذا حال المريدين ومحو الشهوة من القلب وصف العارفين وام التولي ورُبما تعلق بالذنب
ذنوب كثيرة هي اعظم منه مثل الاصرار عليه والاغتباط به وتسويف التوبة بعده ووجدان
حلاوة الظفر بمثله او وجدان الحزن والكراهة على فوته والسرور بفعله او حمل غيره عليه
ان كان ذنبا بين اثنين او انفاق مال الله تعالى فيه فهو كفر النعمة به وقيل من انفق
درهما في حرام فهو مسرف ومن ذلك ان يستصغر الذنب او يتهاون بستر الله تعالى
عليه في ستره واظهار ضده كما قال في الدعاء يا من اظهر الجميل وستر القبيح يا من لم يهتك
الستر وقيل كل عاص تحت كنف الرحمن سبحانه فاذا رفع عنه يده انهتك ستره ومن ذلك
المجاهرة بالذنب والصول به والتظاهر وهذا من الطغيان وفي الخبر كل الناس معافى الا
المجاهرون يبيت احدهم على ذنب قد ستره الله تعالى فيصبح فيكشف ستر الله عنه ويتحدث
بذنبه وربما سن العاصي بالذنب سنة اتبع عليها فتبقى سيئات ذنبه عليه ما دام يعمل به
ولهذا قيل طوبى لمن لم يعد ذنبه غيره وقد يعيش العبد اربعين سنة ثم يموت فتبقى ذنوبه بعده
مائة سنة يعاقب عليها في قبره اذا كان قد سنها سننا واتبع عليها الى ان تندرس او يموت
كل من يعمل بها ثم تسقط عنه ويستريح منها وقال بعضهم لا تذنب فان كان ولا بد فلا تحمل غيرك
على الذنب فتكتسب ذنبين وقد جعل الله تعالى هذا المعنى وصفا من اوصاف المنافقين في قوله
تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض الاية فمن حمل اخاه على ذنب معه فقد امر
بالمنكر ونهى عن المعروف وفي الخبر من سن سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه مثل وزر من
عمل بها لا ينقص من اوزارهم شيء وفي خبر اسرائيلي ان عالما كان يضل الناس بالبدع ثم تاب واصلح
عمله دهرا فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل له ان ذنبك لو كان فيما بيني وبينك لغفرته لك بالغا ما بلغ
ولكن كيف بمن اضللت من عبادي فادخلتهم النار واما استحلال المعصية واحلالها للغير فليس
من هذه الابواب في شيء انما ذلك خروج عن الملة وتبديل للشريعة وهو كفر بالله تعالى كما قال صلى الله عليه وسلم
ما امن بالقران من استحل محارمه وقيل ان العرش يهتز ويغضب الرب عز وجل لثلاثة اعمال قتل
النفس بغير نفس واتيان الذكر الذكر واتيان الانثى الانثى وفي الخبر لو اغتسل اللوطي بالبحار لم
يطهره الا التوبة ولو لم يكن في المعصية من الشوم الا حرمان الطاعة وفقد حلاوة
الخدمة ومقت المولى لكان هذا من اعظم العقوبات وسئل وهيب بن الورد وهل يجد العاصي
حلاوة الطاعة قال لا ولا من هم بمعصية ولهذا سمى الله تعالى يحيى عليه السلام سيدا لانه
لم يهم بمعصية فصار من لا يهم بالمعصية سيد العباد الله وفي الخبر من لبس ثوب شهرة
وفي لفظ آخر من نظر الى عطفيه فاختال اعرض الله تعالى عنه وان كان عنده حبيبا وفي
خبر آخر ان ادم عليه السلام لما اكل من الشجرة تطايرت الحلل عن جسده وبدت عورته فاستحيى
التاج والاكليل من وجهه ان يرتفعا عنه فجاء جبرئيل عليه السلام فاخذ التاج عن رأسه وحل ميكائيل
الاكليل عن جبينه ونوديا من فوق العرش اهبطا من جواري فانه لا يجاورني من عصاني فالتفت
ادم الى حوا باكيا وقال هذا اول شوم المعصية اخرجنا من جوار الحبيب وروي ان سليمان عليه

ما يتبع الذنب من الذنوب

من سن سنة سيئة

استحلال الحرام

شوم المعصية

لما عوقب على خطيئته لمثال عبد في داره اربعين يوما وقيل لان امرأة سالته ان يحكم
لابيها على خصمه فقال نعم ولم يفعل وقيل بل لانه احب بقلبه ان يكون الحاكم لابيها على خصمه
لمكانها منه فسلب ملكه اربعين يوما فهرب تائها على وجهه وكان يسال بكفه فلا يطعم فاذا
قال اطعموني فاني سليمان بن داود شج وضرب وروي انه استطعم من بيت فطرد وبزقت
امرأة في وجهه وفي رواية فاخرجت عجوز جرة بول فصبته على راسه ولم يزل هكذا الى ان
اخرج له الخاتم من بطن الحوت فلبسه فعادت الطير والجن والانس الى خدمته فلما عرفه الصبيا
كفروا بين يديه واعتذروا مما شجوه وطردوه فقال لا الومكم فيما صنعتم قبل هذا ولا احمدكم
الآن فيما تصنعون هذا امر من السماء ولا بد منه وروي انه كان في مسيرة والريح تحمله في
جنوده فنظر الى قميص حديد كان عليه نظرة فاعجبه فوضعته الريح فقال لها لم فعلت ولم
آمرك فقالت انما نطيعك اذا اطعت الله تعالى ولهذا قيل من خاف الله خافه كل شيء ومن خاف
غير الله اخافه من كل شيء وكذلك من اطاع الله سخر له كل شيء ومن عصاه سخره لكل شيء او سلط
عليه كل شيء وفي الخبر ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه قيل اراد به رزق الاخرة وهو
التوفيق للاعمال الصالحة وقال ابن مسعود رض اني لاحسب ان العبد ينسى العلم بالذنب يصيبه
وكل شيء من قلت معاذيره قلت خطاياه وقال بعض السلف ليست اللعنة سواد الوجه ونقص المال
انما اللعنة ان لا تخرج من ذنب الا وقعت في مثله او شر منه لان اللعنة هي الطرد والابعاد فاذا
طرد عن الطاعة فلم تتيسر له وابعد عن القربات فلم يوفق لها فقد لعن وقيل في معنى الخبر
الذي ذكرناه يحرم الحلال ولا يوفق له بوقوعه في المعصية وقيل يحرم مجالسة العلماء ولا
ينشرح قلبه لصحبة اهل الخير وقيل بمقته الصالحون واهل العلم بالله تعالى فيعرضوا عنه وقال
وقال الفضيل رحمه ما انكرت من تغير الزمان وجفاء الاخوان فذنوبك ورثتك ذلك وقال بعضهم
اني لاعرف عقوبة ذنبي في سوء خلق حماري وقال اخر اعرف العقوبة حتى في فار بيتي وقيل النسيان
القران بعد حفظه من اشد العقوبات والمنع في تلاوته وضيق الصدر بقراءته والاشتغال
عقوبة الاصرار وقال صوفي شامي نظرت الى غلام نصراني حسن الوجه فوقفت انظر اليه فمر بي
ابن الجلا الدمشقي فاخذ بيدي فاستحييت فقلت يا ابا عبد الله سبحان الله تعجبت من هذه الصورة
الحسنة والصنعة المحكمة كيف خلقت للنار فغمز يدي وقال لتجدن عقوبتها بعد حين قال فعوقبت
بعد ثلثين سنة بان نسيت القران وعن منصور الفقيه قال رايت ابا عبد الله السكري في النوم
فقلت له ما فعل الله بك قال اوقفني في العرق حتى سقط لحم خدي قلت ولم ذاك قال نظرت الى
غلام مقبلا ومدبرا والعقوبة موضعها الشدة والمشقة فعقوبة كل عبد من حيث يشتد عليه
فاهل الدنيا يعاقبون بحرمان رزق الدنيا من تعذر الاكساب وتلوف الاموال واهل الاخرة
يعاقبون بحرمان رزق الاخرة من قلة التوفيق للاعمال الصالحة وتعذر فتوح العلم الصالح
ذلك تقدير العزيز العليم وقال ابو سليمان الداراني الاحتلام عقوبة وقال ايضا لا يفوت احدا
صلوة في جماعة الا بذنب يحدثه فدقائق العقوبات على قدر جلائل الدرجات وقد جاء في الخبر

اثر

ما اكرمتم من زمانكم فيما غيرتم من اعمالكم وفي الخبر يقول الله تعالى ان ادنى ما اصنع بالعبد اذا
شهوته على طاعتى ان احرمه لذيذ مناجاتى فهذه عقوبة اهل المعاملات ولو ظهر تغير القلب
بعد المعصيه على وجه العاصى لاسود وجهه لكن الله تعالى سلمه بحلمه فغطى ذلك في القلب مع
تاثيره فيه وحجابه لصلحه وقسوته عن الذكر وعن طلب البر والمسارعة الى الخيرات وذلك
من اكبر العقوبات وقيل ان العبد اذا اعصى اظلم قلبه ظلمة يثور على العقل منها دخان ليشهد
الايمان فهو مكان حزن العبد الذي تسوءه سيئته ويكون ذلك الدخان حجابا له عن العلم
والبيان كما يحجب السحاب الشمس ويصير ذلا يجده في نفسه للخلق فاذا تاب العبد واصلح انكشف
الحجاب فيظهر الايمان قيامه بالعلم كما تبرز الشمس من تحت السحاب ومن هنا قوله تعالى كلا بل
ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون هو الذنب على الذنب حتى يسود القلب فلا يعرف معروفا ولا
ينكر منكرا فعند هذا ينكس اعلاه واسفله اذا استكمل سواده فحينئذ مرد على النفاق فاسكن فيه
واطمان به وثبت الى ان ينظر الله تعالى اليه ويعطف بفضله عليه وقال الحسن رحمه الله ان بين
العبد وبين الله تعالى حدا من المعاصى معلوما اذا بلغه العبد طبع على قلبه فلم يوفقه بعدها
لخير وفي حديث ابن عمر رضى الله عنه الطابع معلق بقائم العرش فاذا انتهكت الحرمات واستحلت
المحارم ارسل الله تعالى الطابع فطبع على القلوب بما فيها وفي حديث مجاهد رضى الله القلب مثل
الكف المفتوحة كلما اذنب العبد ذنبا انقبضت اصبع حتى تنقبض الاصابع كلها فتشتد
على القلب فلذلك هو القفل وقيل لكل ذنب نبات ينبت على القلب فاذا كثرت الذنوب تمام
النبات حول القلب مثل الكم للثمرة فانضم على القلب فذلك هو الغلاف ويقال هو الكنان واحد
الاكنة التى ذكرها الله تعالى ان القلب لا يسمع معها ولا يفقه ولكل ذنب عقوبة الا ان يعفو الله
والعقوبة ليست على قدر الذنب ولا من حيث يعلم العبد بل على تقدير المشية وسابق
علم الربوبية فقد تكون مرضا من امراض القلب وقد تكون نقص المال او الاهل وقد تكون سقوط
الجاه والمنزلة من عيون المؤمنين وقد تكون مؤجلة في الاخرة وهى اعظم العقوبات وهى لاهل
الكباير من الموقبات الذين يموتون عن غير توبة ولاهل الاصرار والغرة والاستكبار لان
العقوبة اذا كانت ذنبا في الدنيا كانت يسيرة على قدر الدنيا واذا اخرت كانت عظيمة
على قدر الاخرة وفي الخبر اذا اراد الله بعبد خيرا عجل له عقوبة ذنبه واذا اراد الله بعبد شرا اخره
حتى يوافى به يوم القيمة واعلم ان الغم على ما يفوت من الدنيا والهم بالحرص عليها من العقوبات
وكذا الفرح والسرور بما ينال منها مع قلة المبالات بما ينقص من الدين وقد تكون عقوبة الذنب
ذنبا مثله او اعظم منه كما يكون ثواب الطاعة طاعة مثلها او افضل منها وقد يكون دوام العافية
واتساع الغنا من عقوبات الذنوب اذا كانا سببين الى المعاصى وفي احد الوجوه من معنى قوله تعالى
وعصيتم من بعد ما اريكم ما تحبون قيل الغنا والعافية فضاد الفقر والمرض رحمة من الله تعالى
اذا كانا سببين للعصمة وهما امهات المعاصى اذا كانا سببين لها ومطرقين اليها واعلم ان
الحلم لا يرفع العقوبة ولكن يؤخرها من شان الحلم ان لا يعجل بالعقوبة وقد يعاقب بعد حين

وقيل

وقيل في قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء اي من الرخص والرغد
حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة قيل بعد سنين سنة وفي الخبر من الذنوب ذنوب لا يكفرها
الا الهم بطلب المعيشة وفي لفظ اخر لا يكفرها الا الهموم فالهموم والاحزان في تحصيل المباحات
من حاجات الدنيا للفقراء كفارات وهي على حب الدنيا وجمعها والحرص عليها عقوبات وقال
بعض السلف كفى به ذنبا لا يستغفر منه حب الدنيا وفي حديث عايشة رضي الله عنها انه اذا كثرت
اذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له من الاعمال الصالحة ما يكفرها ادخل الله تعالى عليه الغموم والهموم فتكون
كفارة لذنوبه وقيل ان الهم الذي يعرض للقلب في وقت ولا يعرف العبد سببه وهو كفارات
الهم بالخطايا وقيل هو حزن العقل عند تذكره الوقوف والمحاسبة لاجل جنايات الجسد
الجسد وروي ان الله تعالى اوحى الى يعقوب عليه السلام انه كان قد سبق لك عندي منزلة لم تكن تقدر ان
تنالها بشيء من عملك لا يحزنك على يوسف فاردت ان ابلغك اياها وروي ان جبرئيل دخل
على يوسف عليه السلام في السجن فقال له يوسف كيف تركت الشيخ الكئيب قال قد حزن عليك
حزن مائة ثكلى قال فما ذا له عند الله قال اجر مائة شهيد وفي خبر آخر ما من عبد يعصي الا استاذن
مكانه من الارض ان يخسف به واستاذن سقفه من السماء ان يسقط عليه كسفا فيقول
الله تعالى للارض والسماء كفا عن عبدي وامهلاه فانكما لم تخلقاه ولو خلقتماه لرحمتماه لعله
يتوب الي فاغفر له لعله يستبدل صالحا فابدل له سيئاته حسنات فذلك معنى قوله تعالى ان الله يمسك
السماوات والارض ان تزولا اي من معاصي العباد وقوله انه كان حليما اي عن معاصيهم غفورا
اي لمساويهم وقيل فيه وجه ان الله تعالى اذا نظر الى معاصي العباد ترجف الارض وتضطرب
السماء فتنزل ملايكة السماء فتمسك اطراف الارض وتصعد ملايكة الارض فتمسك اطراف
السماء ولا يزالون يقرؤن قل هو الله احد حتى يسكن غضبه سبحانه وتعالى وقال بعض السلف اذا طرب
الناقوس في الارض ودعي بدعوى الجاهلية اشتد غضب الرب عز وجل فاذا نظر الى صبيان المكاتب
وعمار المساجد وسمع اصوات المؤذنين ونظر الى المتحابين فيه والمتزاورين فيه حلم وعفى
فاذا اتبع العبد الذنب بالذنب ولم يجعل بينهما توبة ضيف عليه الهلكة لاصراره وهذا مقام
المقت والبعد نعوذ بالله منه وروي ان موسى قال للخضر عليهما السلام باي شيء اطلعك الله تعالى
على علم الغيب فقال بترك المعاصي لاجل الله فالجزاء من الله تعالى يجعله غاية العطاء لا على قدر
العمل بل اذا عمل عبده له شيئا اعطاه اجره بغير حساب وعلى العبد ان يتوب له من الغفلة واذا عرف
هذا لم تنقطع توبته ابدا وقد جعل الله تعالى اهل الغفلة في الدنيا اهل الخسران في العقبى
فقال سبحانه وتعالى اولئك هم الغافلون لا جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون ولكن غفلة
دون غفلة وخسران دون خسران ولا تستحقرن الغفلة فانها اول المعاصي وهي عند الموقنين
اول الكباير وقد جعل علي رضي الله عنه الغفلة احد مقامات الكفر وقرنها بالعمى والشك واحال صاحبها
عن الرشد ووصفه بالحسرة في قوله رضي الله عنه بني الكفر على اربع دعايم الجفا والعمى والغفلة والشك
من جفا احتقر الحق وجهر بالباطل ومقت العلماء ومن عمي نسي الذكر ومن غفل حاد عن الرشد

وعزيز الامانى فاخذته الحسرة والندامة وبدا له من الله ما لم يحتسب وقال بعض العلماء من صدق
فى ترك شهوة وجاهد نفسه لله تعالى سبع مرات لم يبتل بها وقال آخر من تاب من ذنب واستقام
سبع سنين لم يرجع اليه ابدا وقال اخر كفارة الذنب المعتاد ان تقعد عليه عدد اتيته ثم لا تقع
فيه فيكون كل ترك كفارة لفعل وهذا حال الاقوياء من التوابين دون الضعفاء من المريدين
بل حال الضعفاء الهرب والبعد ومن حدثت نفسه بمعصية عند عدمها لم يملك نفسه عند
وجودها فليعمل المريد فى قطع وساوس النفس بالخطايا والا وقع فيها لان الخواطر تقوى بتقصير
وسوسة فاذا كثرت الوساوس صارت طرقا للعدو بالتزيين والتسويل فاضر شئ
على التايب تمكينه خاطر السوء من قلبه بالاصغاء اليه فانه يرتب فيه ويذكر وكل سبب يؤل
الى ذنب ويؤدي اليه فهو ذنب وان كان مباحا وقطعه طاعة وهذا من دقائق الاعمال
وقيل من اتى عليه اربعون سنة وهى العمر وهو مقيم على ذنب لم يتب منه الا قليل من المتداركين
وفى الخبر المؤمن مفتن تواب وان للمؤمنين ذنبا قد اعتاده الغينة بعد الغينة يعنى الحين
بعد الحين وفى الحديث كل بنى ادم خطاء وخير الخطائين المستغفرون وفى خبر آخر المؤمن
واه راقع فخيرهم من مات على رقعه اى واه بالذنوب راقع بالتوبة والاستغفار
وقد قال عليه السلام حبيب الله وسئل سهل رحمه الله حتى يكون التائب حبيب الله فقال حين
يكون كما قال الله تعالى التائبون العابدون الاية الى آخرها ثم قال الحبيب لا يدخل فى شئ لا يحب
الحبيب وقال لا تصح توبة العبد حتى يتوب من الحسنات وقال غيره من العارفين العامة
يتوبون من سيئاتهم والصوفية يتوبون من حسناتهم يعنى من تقصيرهم فى ادائها العظيم
ما يشهدون من حق الملك العزيز المقابل بها ومن نظرهم اليها او نظرهم الى نفوسهم بها وهى منه
اليهم واصلة وقال سهل رحمه الله التوبة من افضل الاعمال لان الاعمال لا تصح الا بها ولا تصح التوبة الا بترك
كثير من الحلال مخافة ان يجر الى غيره والاستغفار قوت التوابين ومفزع الخطائين قال الله تعالى
استغفروا ربكم ثم توبوا اليه وقال تعالى افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه فابتدا التوبة بالاستغفار
وعقب الاستغفار بالتوبة فالاستغفار مع الذنب سؤال الستر من الله تعالى ومغفرة الله تعالى لعبده
فى حال ذنبه ستره عليه وحلمه عنه وقيل ما من ذنب ستره الله على عبده فى الدنيا الا غفره فى الاخرة
فانه اكرم من ان يكشف ذنبا ستره وما من ذنب كشفه فى الدنيا الا جعل ذلك عقوبته فى الاخرة فانه
اكرم من ان يثنى عقوبته على عبده وروي عن علي وابن عباس رضى الله عنهما نحو ذلك وقد اسنداه
من طريق والاستغفار بعد التوبة هو سؤال العبد مولاه العبد عن المواخذة ومغفرة الله تعالى لعبده
بعد التوبة تكفيره لسيئاته وتجاوزه عنها بالعفو الكريم وهو تبديل السيئات حسنات كما جاء
فى الخبر ان تفسير قول العبد يا كريم العفو هو انه اذا عفا عن السيئات برحمته بدلها حسنات بكرمه
وفى الخبر التائب من الذنب كمن لا ذنب له والمستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزئ بايات الله
وكان بعضهم يقول استغفر من قولى استغفر الله اي من قولى ذلك من غير توبة بالقلب وندم وقيل
الاستغفار باللسان توبة الكذابين وقالت رابعة العدوية رحمها الله استغفارنا هذا يحتاج

الى استغفار فكم من توبة تحتاج الى توبة في صحتها واخلوصها من النظر اليها والسكون والادلال بها
فمن عقب السيئات بحسنات وخلط الطالحات بصالحات طمع له في النجاة ورجيت له الاستقامة
قبل الوفاء قال الله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان
يتوب عليهم اي يعطف عليهم وينظر اليهم وقيل عملهم الصالح الاعتراف بالذنب والتوبة منه
والسيئ ما سلف من غفلتهم وجهالتهم وقال ابن عباس رض في هذه الاية عفو لمن تاب بعد ان حرض
نحص في التوبة فلا طريق لاحد الا من التوبة ولا وصول الى المحبة والرضا الا بها وقال الله تعالى واني
لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى اي تاب من الشرك وامن بالتوحيد وعمل صالحا ادى
الفرايض واجتنب المحارم ثم اهتدى كان على السنة وقيل استقام على التوبة فهذه صفات المؤمن
وقد قرن الله تعالى بين الاستغفار وبقاء الرسول في الامة في دفع العذاب عنهم بكل واحد منهما فضلا
منه ونعمة فقال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وقال بعض السلف
كان لنا امانان وذهب احدهما وبقي الاخر فان ذهب الاخر هلكنا يعني بالذاهب الرسول وبالباقي الاستغفار
وسئل سهل رح عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب فقال اوله الاستجابة ثم الانابة ثم التوبة
فالاستجابة اعمال الجوارح والانابة اعمال القلوب والتوبة اقباله على مولاه فيترك الخلق ثم يستغفر
من تقصيره الذي هو فيه ومن الجهل بالنعمة وترك الشكر فعند ذلك يغفر له ويكون عنده مأواه
فينقل الى الانفراد ثم الثبات ثم البيان ثم القرب ثم المعرفة ثم المناجات ثم المصافات ثم الموالاة
ثم محادثة السر وهو الخلة ولا يستقر هذا في قلب عبد حتى يكون العلم غذاه والذكر قوامه والرضا
زاده والتفويض رزق والتوكل صاحبه ثم ينظر الله تعالى عز وجل اليه فيرفعه الى العرش فيكون مقامه
مقام حملة العرش وقال ايضا العبد لا بد له من مولاه على كل حال واحسن حاله ان يرجع اليه في
اليه في كل شيء فاذا عصى يقول يا رب استر علي فاذا فرغ من المعصية يقول يا رب تب علي واذا
تاب قال يا رب ارزقني العصمة واذا عمل قال يا رب تقبل مني ومن احسن ما يتعقب الذنب
من الاعمال الجوارح بعد التوبة وحل عقدة الاصرار فيرجى به تكفير الخطيئة ثمانية اعمال اربعة
من اعمال الجوارح واربعة من اعمال القلوب فاعمال الجوارح ان يصلي العبد ركعتين ثم
يستغفر سبعين مرة ويقول سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة ثم يتصدق بصدقة ويصوم
يوما واعمال القلوب هي اعتقاد التوبة من الذنب وحب الاقلاع عنه وخوف العقاب عليه
ورجاء المغفرة له ثم يحتسب على الله تعالى بحسن الظن وصدق يقينه كفارة ذنبه
فهذه الاعمال قد وردت بها الاثار انها مكفرة للزلل والعثار وشرط في بعضها اداء الركعتين
في المسجد وفي بعضها اربع ركعات وقيل اذا اذنب العبد امر صاحب اليمين صاحب
الشمال وهو امير عليه ان يرفع القلم عنه ست ساعات فان تاب واستغفر لم يكتبه عليه وان
لم يستغفر كتبه عليه وقيل صدقة الليل تكفر ذنوب النهار وصدقة السر تكفر ذنوب الليل وفي
خبر اذا عملت سيئة فاتبعها حسنة السر بالسر والعلانية بالعلانية وفي خبر اخر ما من يوم
طلع فجره ولا ليلة غاب شفقها الا وملكان يتجاوبان باربعة اصوات يقول احدهما يا

ليت هذا الخلق

فضيلة التوبة

فضيلة الاستغفار

الاستغفار يكفر الذنوب

رجوع العبد الى مولاه في كل شيء

رهين الاعمال بعد التوبة بعد الذنب

ما يكفر الذنب

دعا الملكين



لم يخلقوا ويقول الاخر ويا ليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا ويقول الاخر ويا ليتهم اذ لم يعلموا لما
ذا خلقوا اعملوا بما علموا وفي لفظ آخر تجالسوا فتذاكروا ما عملوا ويقول الاخر ويا ليتهم اذ لم يعملوا
بما علموا تابوا مما عملوا وفي خبر آخر غريب اوحى الله تعالى الى يعقوب عليه السلام اتدري لم فرقت بينك
وبين يوسف قال لا قال لقولك لاخوته اخاف ان ياكله الذئب لم خفت عليه الذئب ولم ترجني له
ولم نظرت الى غفلة اخوته عنه ولم تنظر الى حفظي له وهذا على معنى قول يوسف عليه السلام للساقي
اذكرني عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين فهذا مما يعتب على الخصوص
من خفي سكونهم ولحظ نظرهم الى ما سوى الله تعالى ولا يكبر عن التوبة نبي فمن دونه ولكل مقام توبة
من مقام توبة ولكل مشاهدة ومكاشفة توبة فهذا حال التائب المنيب الحبيب روي عن النبي عليه السلام
من وعده الله تعالى على عمل ثوابا فهو منجزه له لا محالة ومن وعده على عمل عقابا فهو فيه بالخيار
ان شاء عفى عنه شرح مقام الصبر ووصف وهو المقام الثاني من مقام اليقين قد جعل الله
الصابرين ائمة المتقين وتمم كلمته الحسنى عليهم في الدين فقال الله تعالى وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا
وقال وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقال النبي عليه السلام في وصية فان في الصبر على ما تكره
خيرا كثيرا وقال عيسى عليه السلام انكم لا تدركون ما تحبون الا بصبركم على ما تكرهون قال ابن مسعود رض
الصبر نصف الايمان وقال علي رض بني الاسلام على اربع دعائم على اليقين والصبر والجهاد والعدل
وقال رض الصبر من الايمان بمنزلة الراس من الجسد لمن لا راس له ولا ايمان لمن لا صبر له قال النبي عليه السلام
من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطي حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل
وصيام النهار ولان تصبروا على مثل ما انتم عليه احب الي من ان يوافيني كل امرئ منكم
عمل جميعكم ولكني اخاف ان يفتح عليكم الدنيا بعدي فينكر بعضكم بعضا وينكركم اهل
السماء عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه ثم قرا ما عندكم ينفد وما عند الله باق
الاية وسئل رسول الله عليه السلام عن الايمان فقال الصبر والسماحة وقال تعالى اولئك
يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا وقال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وكان عمر رض يقول
نعم العدلان ونعمت العلاوة للصابرين ويعني بالعدلين الصلوة والرحمة وبالعلاوة الهدى
اصل العلاوة ما يحمل فوق العدلين على البعير كعدل ثالث وقد اخبر الله تعالى انه مع الصابرين
وقال الله تعالى وانتم الاعلون والله معكم وقال سهل رح الصبر تصديق وافضل من ذلك الطاعة
الصبر عن المعصية ثم الصبر على الطاعة وعن ابن عباس رض قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
على الانصار فقال امؤمنون انتم فسكتوا فقال عمر رضي الله عنه نعم يا رسول الله وما علامة ايمانكم قال
نشكر في الرخاء ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء فقال مؤمنون انتم ورب الكعبة والصبر ينقسم على
عملين احدهما لا صلاح في الدين الابه والثاني هو اصل لفساد الدين فالصبر على ما فيه صلاح الدين
يكمل به الايمان والصبر عما فيه فساد الدين يحسن به اليقين وروي ان عليا رض عنه كان يخرج القصاص
من جامع البصرة ويقول القصص بدعة فراى شابا يتكلم فاعجبه كلامه فقال يا فتى اسالك عن شيئين
فان اجبت عنهما تركتك تتكلم على الناس والا اخرجتك كما اخرجت اصحابك فقال سل يا امير المؤمنين

فقال

فقال أخبرني ما صلاح الدين وما فساده قال صلاحه الورع وفساده الطمع قال صدقت تكلم
فمثلك يصلح ان يتكلم على الناس وقيل ان الشاب كان اما منا في هذا العلم وهو امام الائمة
الحسن البصري رحمه الله وقيل اول معصية عصى الله بها الطمع وهو ان آدم طمع في الخلود فاكل
من الشجرة وابليس طمع في اخراج آدم عليه السلام من الجنة فوسوس اليه والطمع هو تصديق
الظن ومنه قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه والظن ضد اليقين ولا يغني من الحق شيئا
وقال بعض العلماء ما كنا نعد ايمان من لم يوذ فيحتمل الاذى ويصبر عليه ايمانا وقد فعل الله
ذلك بالمومنين اختبارا لهم وامتحانا رحمة منه باطنه للموذي وخيرا له لا عذابا وعقابا
قال الله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا اوذي في الله جعل فتنة الناس كعذا......
له ونظيره قوله تعالى واما اذا ما ابتليه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن كلا اعلم انه اهانه
بالفقر كما لم اكرم الآخر بالغنا وفي خبر يوتى باشكر اهل الارض فيجزيه الله تعالى جزاء الشاكرين
ويوتى باصبر اهل الارض فيقال له اترضى ان نجزيك كما جزينا هذا الشاكر فيقول نعم يا رب
فيقول الله تعالى كلا انعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لاضعفن لك الاجر عليه فيعطى
اضعاف جزاء الشاكرين وعزى رجل رجلا فقال ان احق من عرف حق الله تعالى فيما اخذ منه من عظم
حقه فيما ابقى له واعلم ان الماضي قبلك هو الباقي لك والباقي بعدك هو الماجور فيك واعلم
ان اجر الصابرين فيما يصابون به اعظم من النعمة عليهم فيما يعافون فيه وفي خبر ما من عبد الا
اجره بحساب وحد الا الصابرين فانهم يجازفون مجازفة بغير ميزان ولا حد وفي الاثر ابواب
الجنة مصراعان ياتي عليها زحام كثير الا باب الصبر فانه مصراع واحد لا يدخل منه الا الصابرون
اهل البلاء في الدنيا واحد بعد واحد امامهم ايوب عليه السلام ومن الصبر كف الاذى عن الخلق
وهو مقام العادلين يدخل في قوله تعالى ان الله يامر بالعدل ثم احتمال الاذى منهم وهو مقام
المحسنين يدخل في قوله تعالى والاحسان ومن الصبر الصبر على الانفاق واعطاء اهل الحقوق
حقوقهم الاقرب فالاقرب وهو مقام المنفقين يدخل في قوله تعالى وايتاء ذي القربى ومنه الصبر
عن الفحشاء وهو الامر الفاحش في العلم والايمان والصبر عن المنكر وهو ما انكره العلماء والصبر
عن البغي وهو التطاول والعلو ومجاوزة الحد بالكبر والاسراف في امور الدنيا فهذه الآية
كلها جامعة لمعنى الصبر وهو قطب القرآن ثلث منها وهي الاول الصبر على العدل والاحسان
والاعطاء وثلث منها وهي الاخر الصبر عن الفحشاء والمنكر والبغي وقال ابن مسعود رضه
هذه الاية اجمع في كتابه تعالى لامر ونهي والصبر يحتاج اليه قبل العمل ومعه وبعده فيحتاج
في اول العمل ان يصبر على تصحيح النية وعزم العقود والوفاء بها حتى العمل تصح العمل لقوله عليه السلام
انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى وقال الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له
الدين وحقيقة النية الاخلاص ولان الله تعالى قدم الصبر على العمل فقال سبحانه وتعالى الا الذين
صبروا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة واجر كبير والصبر الثاني في العمل حتى يتم ويفرغ
لقوله تعالى نعم اجر العاملين الذين صبروا والصبر بعد العمل هو الصبر على كتمه وترك التظاهر به

ذم الطمع

الصبر على الاذى

الله يعني جعل فتنة الناس كعذاب الله صح

جزاء الشاكرين والصابرين

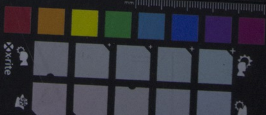
تعزية

يعطى

تفسير ان الله يامر بالعدل الآية

قطب القرآن

اوقات الحاجة الى الصبر



فالنظر اليه ليخلص من السمعة والعجب كما خلص من الريا فيكمل ثوابه ولا يبطل قال الله تعالى ولا
تبطلوا اعمالكم وقال لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذي وقال بعض السلف لا يتم المعروف الا
بثلثة تعجيله وتصغيره وكتمه ومن الصبر حبس النفس عن المكافات على الاذي توكلا على المولى
قال الله تعالى ولنصبرن على ما اذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وهذا صبر الخصوص وقال
بعض اهل المعرفة لا يثبت لعبد مقام في التوكل حتى يوذي فيصبر على الاذي وقد ذكر الله
ذلك في هذه الاية وقوله تعالى ودع اذاهم وتوكل على الله وقوله تعالى فاتخذه وكيلا واصبر على
على ما يقولون وهنا هو اول النهار والمقام الثاني من الرضاء هو الصبر على الاحكام وهو
صبر اهل البلاء الامثل فالامثل بالانبياء لقوله عليه السلام نحن معاشر الانبياء اشد الناس
بلاء ثم الامثل فالامثل ومن الصبر حبس النفس على التقوي والتقوي اسم جامع لكل خير
والصبر معني داخل في كل بر فاذا جمعها العبد فهو من المحسنين والتقوي والصبر معنيان
احدهما منوط بالاخر لا يتم كل واحد منهما الا بصاحبه فمن كان التقوي مقامه كان الصبر حاله فصار
الصبر افضل الاحوال من حيث كان التقوي اعلى المقامات اذ الاتقى هو الاكرم عند الله تعالى
والاكرم عنده هو الافضل وقد شرف الله تعالى الصبر باضافته اليه بالباء واللام بعد الامر به
فقال تعالى واصبر وما صبرك الا بالله وقال تعالى ولربك فاصبر وان كان كل شئ به وكل عمل صالح
له وقيل لسفيان الثوري رحمه الله ما افضل الاعمال فقال الصبر عند الابتلاء وقال بعض العلماء
واي شئ افضل من الصبر وقد ذكره الله تعالى في كتابه في نيف وتسعين موضعا ولا نعلم شيئا
ذكره الله تعالى هذا العدد الا الصبر فلو يطمعن طامع في مدح الله تعالى وثنائه عليه قبل ان يبتليه
فيصبر ولا يطمعن احد في حقيقة الايمان وحسن اليقين قبل ان يمدحه الله تعالى ويثني عليه
ولو اظهر على جوارحه سائر الاعمال لم يمدحه بوصف ولم يثن عليه بخير لم يومر عامه سوال الخاتمة
ومن الصبر الصبر على العوافي وهو ان لا يخرجها في مخالفة والصبر على الغنا وهو ان لا يبذله في هوي
الى الصبر على المكاره والفقر والشدايد والضر وقيل ان البلاء والفقر يصبر عليه المومن والعوافي
لا يصبر عليها الا الصديق وقال سهل رحمه الله الصبر على العافية اشد من الصبر على البلاء وكذا قالت
الصحابة رضي الله عنهم لما فتحت عليهم الدنيا فنالوا من العيش والسعة ابتلينا بفتنة الضراء
فصبرنا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر فعظموا الاختبار بالسراء وهو مباشر على الاختبار بالضراء
وهو مباشر وقال تعالى الذين ينفقون في السراء والضراء فمدحهم بوصف واحد في حالين مختلفين
لحسن يقينهم وسخاوة نفوسهم وحقيقة زهدهم ومن هذا قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تلهكم
اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله لان فيهما ما يسر فيشتغل عن الذكر ثم قال ان من ازواجكم واولادكم
عدوا لكم فاحذروهم لان في الازواج والاولاد ما يفرح به ثم قال فيوافق فيهما الهوي ويخالف
بوجودهما المولى فصارا عدوين في العقبى لما يوول اليه بسببهما وروي انه عليه السلام نظر الى الحسن رضي
يتعثر في قميصه فنزل عن المنبر واحتضنه ثم قال صدق الله انما اموالكم واولادكم فتنة اني لما
رايت ابني هذا لم املك نفسي ان اخذته ففي هذا عبرة لاولي الابصار وروي عنه عليه السلام

شرف الصبر

الصبر على العوافي

الولد

الولد مَحْزَنة مَبْخَلة مَجْبَنة اى مصدر للحزن والبخل والجبن يعني ان حُبّ الاولاد يحمل
على ذلك كله ومن الصبر كتمان المصايب والاوجاع وترك الاستراحة الى الشكوي منهما
وذلك هو الصبر الجميل وهو الذي لا شكوي فيه والاظهار وعن ابن عباس رضي الله
ان الصبر في القران على ثلثة اوجه صبر على اداء فرايض الله تعالى وله ثلثمائة درجة
وصبر عن محارم الله تعالى وله ستمائة درجة وصبر في المعصية عند الصدمة الاولي
وله تسعمائة درجه واعلم ان ابن عباس لم يفضل الصبر في المعصية على الصبرين الاخرين
لانه افضل منهما بل لان الصبرين الاولين من احوال المسلمين والصبر في المصيبة من مقامات
اليقين فهو انما فضل المقام في اليقين على مقام الاسلام ولهذا كان من دعائه عليه السلام
اسالك من اليقين ما تهون به علي مصايب الدنيا فاحسن الناس صبرا عند المصايب
اكثرهم يقينا واكثرهم جزعا وسخطا فيها اقلهم يقينا وانما اشتراط كونه الصبر في
المعصية عند الصدمة الاولي في قوله عليه السلام انما الصبر عند الصدمة الاولى
فلان كل شئ يبدو صغيرا ثم يكبر الا المصيبة فانها تبدو كبيرة ثم تصغر فاشترط لعظم
ثوابها وقت كبرها قبل صغرها وهو صدمة القلب اولما يبغته الامر فينظر الى نظر الله اليه فيستحي
ويحسن الصبر كما قال الله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وهذا مقام المتوكلين على الله تعالي
والصبر ايضا عن اظهار الكرامات وعن الاخبار بكشف العقدة والايات داخل في حسن الادب
من المعاملة وهو من معنى الحيا من الله وهذا طريق المحبين لله تعالى وهو حقيقة الزهد ومن
افاضل الصبر حبس النفس عن حب الحمد والمدح والرياسه وعن رسول الله عليه السلام في حديث
مقطوع الصبر في ثلث الصبر عن تزكية النفس والصبر عن شكوي المصيبة والصبر على الرضا
بقضاء الله خيره وشره ومنه ايضا حبس النفس على الخمول والتواضع والذلة ايثارا للاخرة
على الدنيا وتقربا الى الله تعالى تحققا بوصف العبودية وترك المنازعة والتشبه بمعاني اوصاف
الربوبية تسليما للالهية واستسلاما للوحدانية فلو يخرجنك قلة الصبر عن ذلك الى طلب
شئ منه فتزل قدم بعد ثبوتها ومن الصبر على العيال في الكسب لهم والانفاق عليهم و
احتمال الاذي منهم فانه في العبادة طرقات الى الله تعالى ادناها الاهتمام بهم واعلاها الرضا
عن الله تعالى والتوكل عليه فيهم واوسطها الانفاق وحبس عليهم واعلم ان اكثر معاصي العباد
في شيئين قلة الصبر عما يحبون وقلة الصبر على ما يكرهون وقد قرن الله تعالى الكراهة
بالخير والمحبة بالشر في قوله تعالى عسى ان تكرهوا شيئا وهو خير وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم
وحد الصبر وهو اوله فريضة كاول الاخلاص والصبر حيلة من لا حيلة له لان الامر اذا
كان بيد غيرك لم يكن الا الصبر عليه ولا يصبر العبد الا باحد معنيين مشاهدة العوض
وهو ادناها وهذا حال المؤمنين ومقام اصحاب اليمين او النظر الى المعوض وهذا حال
الموقنين ومقام المقربين وقال بعض العارفين الصبر على ثلثة معان وهو في اهل ثلثة
مقامات اوله ترك الشكوي وهذه درجة التائبين والثاني الرضاء بالمقدور وهذه

كتمان المصايب والاوجاع

اقسام الصبر

الصبر عند الصدمة الاولي

الصبر عن اظهار الكرامات

الصبر عن حب المدح

الصبر على الخمول

الصبر على العيال

حد اول الصبر

درجة الزاهدين والثالث المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصادقين وقد اختلف
الناس في الصبر والشكر ايهما افضل وظاهر الكتاب والسنة يدلان على تفضيل الصبر اما الكتاب
فقوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا والشاكر يؤتى اجره مرة فاشبه مقامه مقام
الصبر مقام الخوف ومقام الشكر مقام الرجاء وقد قال الله تعالى ولمن خاف مقام ربه
جنتان وقد اتفق اهل المعرفة على تفضيل الخوف على الرجاء من حيث اتفقوا على فضل العلم على
العمل فالصبر حاله من مقامه الخوف لقرب الصابر في الفضل من مقامه والشكر حاله من مقامه الرجاء
لقرب حال الشاكر من مقامه واما السنة فقوله عليه السلام من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر
الحديث الذي رويناه في اوايل شرح مقام الصبر فقد قرن عليه السلام الصبر باليقين الذي لا شيء
اعز منه ولا اجل وانتفاع العمل وعلو العلوم به ولان الصبر حال البلاء والشكر حال النعم
والبلاء افضل لانه اشق على النفس وقد قال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب
والشاكر اجره بحساب لان انما للتحقيق للوصف ونفي لما عداه وايضا فان الله تعالى امر بالصبر وبالغ
وبالغ فيه بالمصابرة واكدهما بالمرابطة في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا
قيل في احد الوجوه ورابطوا عليهما فهذه ثلثة اوامر في مكان واحد تجمعن الصبر يدل على تعظيم
الصبر ومحبته له وايضا فالصبر مقام اولي العزم من الرسل الذين امر الرسول عليه السلام بالاقتداء بهم
في قوله تعالى فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل وقد افرد الله تعالى الصبر لنفسه والشكر عباده معه
في الشكر قال تعالى ولربك فاصبر وقال تعالى واصبر لحكم ربك وقال تعالى ان اشكر لي ولوالديك
وقال تعالى على لسان نبيه عليه السلام من لم يشكر الناس لم يشكر الله وكان الجنيد يفضل
الفقير الصابر على الغني الشاكر وخالفه ابو العباس بن عطاء في ذلك فقيل ان
الجنيد رحمه دعا عليه فاصابه بلوء فقتل فيه اولاده وتلف ماله وزال عقله اربع
عشر سنة فكان يقول دعوة الجنيد اصابتني ثم رجع عن قوله الى موافقة الجنيد
شرح مقام الشكر ووصف الشاكرين وهو المقام الثالث من مقامات اليقين قال الله تعالى
ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم فقرن الشكر بالايمان ودفع العذاب
بوجودهما وقال تعالى وسنجزي الشاكرين وقال النبي عليه السلام الطاعم الشاكر بمنزلة
الصايم الصابر وقال ابن مسعود رضي الشكر نصف الايمان وقد امر الله تعالى بالشكر وقرنه
بالذكر وقال الله تعالى واذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون وقد عظم الله تعالى الذكر بقوله
ولذكر الله اكبر فصار الشكر اكبر ايضا لاقترانه به وقد جعل الله تعالى الشكر مفتاح كلام اهل الجنة
وختام تمنيهم في قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وقال وآخر دعويهم ان الحمد لله
رب العالمين ولولا انه احب الاعمال اليه ما بقاه عليهم لم يبروا وحى الله تعالى الى داود عليه السلام
في صفة الصابرين دارهم دار السلام اذا دخلوها الهمتهم الشكر وهو خير الكلام وعند الشكر
استزيدهم وبالنظر الى ازيدهم وهذا غاية الفضل فاول الشكر معرفة النعم انها من المولى وحده
لا شريك له فيها ولا ظهير له عليها لان تجعل السراء والضراء منه اليه جاريين على عباده قال الله

ايهما افضل في الصبر والشكر

اول الشكر

وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجئرون وقال الله تعالى وان يمسسك الله
بضر فلا كاشف له الا هو الاية وقال الله تعالى وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه
فالاسباب والوسايط مع صحتها وثبوتها انما هي حكمه واحكامه وظروف العطاء واني
المعطي لا تؤثر حكما ولا جعلا لانها محكومات ومجعولات فكيف تحكم وتجعل فلو حاكم الا الله
وحده كما قال ولا يشرك في حكمه احدا وفي مقرا اهل الشام ولا تشرك بالتاء والجزم بلفظ النهي
فهو اكد فمشاهدة المنعم في النعمة وظهور المعطي عند العطاء حتى ترى النعمة منه والعطاء عنه
هو شكر القلب لان الشكر عند الشاكرين معرفة القلب ووصفه لا وصف اللسان وقد
اخبر النبي عليه السلام بذلك وامر باقتناء الشكر واتخاذه مالا في الاخرة عوضا عن اقتناء الاموال
في الدنيا فقال عليه السلام لما نزلت اية الكنز وساله عمر رضي الله عنه اي المال نتخذ فقال ليتخذ
احدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وفي خبر موسى وداود عليهما السلام يا رب كيف اشكرك وانا لا
استطيع ان اشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك وفي لفظ اخر وشكري لك نعمة اخرى منك
توجب علي الشكر لك فاوحى الله تعالى اليه اذا عرفت هذا فقد شكرتني وفي لفظ آخر اذا عرفت
ان النعم مني فقد رضيت منك بذلك شكرا وشكر اللسان حسن الثناء على الله تعالى وكثرة الحمد
والمدح له واظهار انعامه واكرامه ونشر اياديه واحسانه وان لا يشكو المالك عز وجل الى
المملوك ولا المعبود الجليل الى العبد الذليل وفي الخبر ان النبي عليه السلام قال لرجل كيف اصبحت
فقال بخير فاعاد عليه عليه السلام ثانيا فقال بخير فاعاد عليه ثالثا فقال بخير احمد الله واشكره فقال
هذا الذي اردت منك يعني اظهار الشكر والثناء وانما كان السلف يتساءلون عن احوالهم
اذا التقوا ليستخرجوا بذلك حمد الله وشكره فيكونوا شركاء في ذلك لانهم سبب له فمن
علمت انه يشكو مولاه عز وجل ويتكره قضاه اذا سالته عن حاله فلو تساله فتكون انت
سبب شكواه وشريكه في جهله ومن الشكر ان يشكر الله على اليسير لان القليل من الحبيب كثير
ولان الله تعالى حكيم فمنعه مع وجوده وقدرته على العطاء حكمة فصار منعه عطاء والقليل
من عطائه كثيرا وقد قال الله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض الاية واعلم
ان الشكر في اللغة الكشف والاظهار يقال كشر وشكر اذا كشف عن ثغره وفي الخبر ليس شيء من
الاذكار يضاعف ما يضاعف الحمد وفي الحديث من قال سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا اله الا الله
فله عشرون ومن قال الحمد لله كتب له ثلثون حسنه وليس ذلك لان الحمد اعلى من التوحيد
ولكن يفضل بتمام الشكر ولان الله تعالى افتتح بالحمد كتابه وفي الخبر الحمد رداء الرحمن وفي الحديث
افضل الذكر لا اله الا الله وافضل الدعاء الحمد لله وقد يكون شكر الله تعالى لعبده كشفه له
ما ستره عنه واظهاره له ما حجبه منه من العلوم والقدر وهو المزيد فيفيده ذلك حسن معرفة
بر وعلو مشاهدة منه وكله يرجع الى معنى الكشف والاظهار واما شكر الجوارح فهو ان لا يعصى
المنعم بنعمة من نعمة بل يستعين بها على طاعته ومتى استعان بها على معصيته فقد كفرها كما قال تعالى
بدلوا نعمة كفرا قيل استعانوا بنعمه على معاصيه لان الخلق لا يقدرون على تبديل نعمة الله تعالى

شكر القلب

شكر اللسان

الشكوى الى العبد

الشكر على القليل

الشكر في اللغة الكشف

شكر الجوارح



فمعناه بدلوا شكر نعمة الله كفرا ومثله قوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون
اي تجعلون شكر رزقكم تكذيبكم برسل الله وفي قراءة النبي عليه السلام وتجعلون شكركم
ومثله قوله تعالى ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب وكذا
قوله تعالى ولئن كفرتم ان عذابي لشديد يحتمل معنا ولئن كفرتم النعمة فقد يكون العذاب
في الدنيا بتبديل النعمة عقوبة وهوانا ومذلة وقد يكون في الآخرة كما قال تعالى ان
عذابها كان غراما قيل طالبهم على النعم بالشكر فلم يكن عندهم فاغرمهم ثمن النعم بحبسهم
في جهنم وقد قال تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ثم قال وذروا ظاهر الاثم

تفسير واسبغ عليكم نعمه

وباطنه ففيه تنبيه لذوي الالباب الذين وصل لهم القول ليتذكروا ان يذروا
ظاهر الاثم شكرا لظاهر النعم ويذروا باطن الاثم شكرا لباطن النعم وظاهر النعم عوافي
الاجسام ووجود الكفايات من الاموال وغيرها وظاهر الاثم اعمال الجوارح من معاني
حظوظ النفس وباطن النعم معافات القلوب في سلامة العقود وباطن الاثم اعمال القلوب
السيئة مثل الاصرار وسوء الظن ونيات السوء وقال مطرف بن عبد الله لان اعافى فاشكر
احب الي من ان ابتلى فاصبر لان مقام العوافي اقرب الى السلامة والصبر حال اهل البلاء
ولهذا قال النبي عليه السلام لعلي لقد سالت الله تعالى البلاء فاسأله العافية لما سمعه
يقول في مرضه اللهم اني اسئلك الصبر ونظيره قوله عليه السلام وعافيتك احب الي وقال
الحسن البصري رحمه الله الخير الذي لا شر فيه العافية مع الشكر والصبر عند المصيبة

ترجيح العافية على البلاء

ومن الشكر الاعمال الصالحة لان الله تعالى فسر الشكر به وكذا رسوله عليه السلام قال
الله تعالى اعملوا آل داود شكرا اي للشكر وقال عليه السلام لما عوتب في اجتهاده وقيامه
حتى تورمت قدماه افلا اكون عبدا شكورا وفي الشكر مقامات عن مشاهدتين

مقامات الشكر

اعلاهما مقام الشكور وهو الذي يشكر على المكاره والبلاء والشدائد واللأواء
ولا يكون كذلك حتى يشهد ذلك نعماء توجب عليه الشكر لصدق يقينه وحقيقة
زهده وهذا مقام في الرضاء وحال من المحبة وفي الخبر ينادي يوم القيمة ليقم الحامدون
فيقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة ومن الحامدون قال الذين يشكرون
الله عز وجل على كل حال وفي لفظ آخر على السراء والضراء وقيل في قوله تعالى واسبغ عليكم
نعمه ظاهرة وباطنة الظاهرة العوافي والباطنة البلوى والفقر فهذه نعم الآخرة
كما قال عليه السلام لا عيش الا عيش الآخرة والمقام الثاني في الشكر ان ينظر العبد الى
من دونه ممن فضل عليه في امور الدنيا والدين فيشكر نعمة الله تعالى عليه في سلامة
قلبه ودينه مما ابتلي الآخر به وفي اغنائه اياه عما احوج الآخر اليه ثم ينظر الى من فوقه
في الدين ممن فضل عليه بعلم الايمان وبحسن اليقين فيمقت نفسه ويزري عليها
وعن رسول الله عليه السلام من نظر في الدنيا الى من هو دونه ونظر في الدين الى من هو
فوقه كتبه الله تعالى صابرا شاكرا ومن نظر في الدنيا الى من هو فوقه ونظر في الدين الى

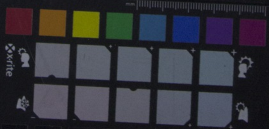
شكر المحبين

من

من هو فوقه ونظر في الدين الى من هو دونه لم يكتبه الله تعالى صابرا ولا شاكرا وعلى العبد ان يشكر
ربه لشرف صفاته واخلاقه من الكرم والجود والحلم والافضال وغيرها من صفات الجلال
والكمال التي لا نهاية لها لا لاجل نعمه وافعاله وهذا شكر المحبين اذ لو كان على غير هذه الصفات
والاخلاق التي عرفها العارفون ولا يعلم منه اي شيء كان يصنع العباد واي حيلة
كانت لهم فله الحمد والشكر كما هو مستحقه واهله بحمده لنفسه ولا ينبغي ذلك الا له لانه
سبحانه سبحانه كما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله اذ لم يزل ولا يزال ابدا على ما هو الان
عليه من الاوصاف الكاملة والنعوت التامة والاسماء الحسنى ومعرفة هذا هو شكر
العارفين ومشاهدته هو مقام المقربين فشكر هؤلاء لله تعالى لاجل الله ودعاؤهم التحميد والتقديس
واعمالهم الاجلال وسؤالهم تجلي الصفات والنصيب من مشاهدة تعالى الذات ووصف
هذا لا يوصف وشرحه بالعقول لا يعرف وهذا داخل في مشاهدة قوله تعالى لمن شهد سر
الكلام اذ يقول عز وجل ليس كمثله شيء وعن هذه المشاهدة اغتبط موسى عليه السلام بالوحدانية
والانس بالتقريب والانبساط بالتمكين فقال له ما ليس لك فقال الله تعالى وما هو قال لي مثلك وليس لك
مثل نفسك قال صدقت ومن غامض النعم الموجبة للشكر ما زواه عنك وصرف من فضول
الدنيا فانه اقل للشغل والاهتمام واسير للحساب ثم ما ابتلى به غيرك من الدنيا مما شغله به
عنه وقطعه دونه ففي صرف الدنيا عنك وابتلاء غيرك بها نعمتان عليهما شكران واكثر
الخلق من قلة الشكر على النعم واصل قلة الشكر الجهل بالنعمة وسبب الجهل بالنعمة قصور العلم
بالله تعالى وطول الغفلة عن المنعم وترك التفكر في نعمه والتذكر لالائه ومننه وقد امر بذلك
في قوله تعالى فاذكروا الاء الله لعلكم تفلحون اي نعمه وقال ايضا واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل
عليكم من الكتاب والحكمة ومن افضل النعم واجلها نعمة الايمان بالله تعالى ثم نعمة الرسول عليه السلام
ثم نعمة القران ثم ان جعلنا من خير امة اخرجت للناس وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
وقال الفضيل عليكم بمداومة الشكر على النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت اليهم وقال
بعض السلف النعم وحشية فقيدوها بالشكر وفي الخبر ما عظمت نعمة الله تعالى على عبد
الا كثرت حوائج الناس اليه فمن تهاون بهم عرض تلك النعمة للزوال وقد قال الله تعالى ان الله
لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم قيل لا يغير نعمه عليهم حتى يغيروا بتضييع الشكر
فيعاقبهم بالغير والوجه الاخر لا يغير ما بهم من عقوبة حتى يغيروا معاصيهم بالتوبة فذكر
بذلك السبب الاول لحكمه ثم ذكر السبب الثاني من حكمته وهو مسبب الاسباب بمشيئته
وحكمته ان تحت كل شعرة في جسم الارض نعمة وبكل عرق في جسده نعمتان في تسكينه وتحريكه
وفي كل عظم اربع نعم وفي كل مفصل سبع نعم وفي جسم الانسان ثلثمائة وستون مفصلا وكذلك
العظام وفي كل طرفة نعمتان وفي كل نفس نعمتان وفي كل دقيقة تاتي على الانسان من عمره نعم
لا تحصى والدقيقة جزء من اثني عشر جزءا من شعيرة والشعيرة جزء من اثني عشر جزءا من ساعة
والانفاس اربعة وعشرون الف نفس في اليوم والليلة وفي الاثر من لم يعرف نعم الله تعالى عليه

في النعم الخفية

بيان دقيقة وعدد الانفاس



الا في مطعمه ومشربه فقد قل علمه وحضر عذابه وقيل ان في باطن الجسم من النعم سبعة اضعاف ما في ظاهره وان في القلب من النعم سبعة اضعاف ما في الجسم كله وان نعم الايمان بالله تعالى والعلم واليقين اضعاف نعم الاجسام والقلوب فهذه كلها نعم متضاعفة على نعم مترادفة لا يحصيها الا من انعم ولا يعلمها الا من خلقها الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير وقيل ان الرغيف لا يستدير حتى يعمل فيه ثلثمائة وستون صانعا من السماء والارض وما بينهما من الاجسام والاعراض والافلاك والرياح والليل والنهار والبهائم ومعادن الارض اول ذلك كله ميكائيل عليه السلام الذي يكيل الماء من خزاينه ويفرغه على السحاب ثم السحاب الذي يحمله ثم يرسله ثم الرياح التي تحمل السحاب والرعد والبرق اللذان هما ملكان يسوقان السحاب واخر الصناع الخباز فاذا استدار الرغيف طلبه سبعة الاف صانع كل صانع اصل من اصول الصنايع فهذه كلها نعم في حضور رغيف فكيف فيما زاد عليه فلو طولب العبد بشكر نعمة واحدة على حقيقتها لهلك الا ان يتغمده الله تعالى برحمته وروي ان رسول الله عليه السلام سمع رجلا يقول اللهم اني اسئلك تمام النعمة فقال هل تدري ما تمام النعمة فقال لا قال دخول الجنة وقيل لبعض الحكماء ما النعيم فقال غنى النفس والعافية والامن والشباب قيل زدنا قال لا اجد مزيدا وقيل في قوله تعالى اذهبتم طيباتكم في حيوتكم الدنيا انه الشباب وقيل الفراغ وقيل الامن والصحة وقيل في قوله تعالى وعصيتم من بعد ما اريكم ما تحبون انه العفو والغنى معرفة التقصير على الشكر والاعتذار من قلة الشكر وشكر الخلق بالدعاء لهم وحسن الثناء عليهم لانهم ظروف العطاء واسباب المعطي تخلقا باخلاق المولى فهو من الشكر وقلة الاعراض وحسن الادب بين يدي المنعم شكر

شرح مقام الرجاء ووصف الراجين

وهو المقام الرابع من مقامات اليقين قال الله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وفي قراءة النبي عليه السلام ولا يبالي انه هو الغفور الرحيم وفي الخبر المشهور يقبض قبضة فقال هؤلاء في الجنة ولا ابالي المعنى والله اعلم ان رحمتي وسعت كل شيء فليست تضيق عن هؤلاء فلا ابالي بدخولهم فيها او معناه ولا ابالي باعمالهم السيئة كلها وقال تعالى في وصف المتقين والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم الاية وقال في وصف المحسنين يعني المتوكلين والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة وقال الله تعالى والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض وقال تعالى في عفوه عن الظالمين وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وقيل ان النبي عليه السلام لم يزل يسال في امته حتى قيل له اما ترضى وقد انزلت عليك هذه الاية وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وفي تفسير قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى قال لا يرضى محمد وواحد من امته في النار وكان ابو جعفر محمد بن علي رضي الله عنهما يقول انتم اهل العراق تقولون ارجى اية في كتاب الله تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الاية ونحن اهل البيت نقول ارجى اية في كتاب الله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وعده سبحانه

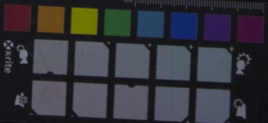
ان

فداء امة

ان يرضيه في امته وعنه عليه السلام امتي امة مرحومة لا عذاب عليها في الاخرة جعل عقابها
في الدنيا الزلزال والفتن فاذا كان يوم القيمة دفع الى كل رجل من امتي رجل من اهل
الكتاب فقيل هذا فداؤك من النار وفي لفظ اخر ياتي كل رجل من هذه الامة بيهودي
او نصراني الى جهنم فيقول هذا فداؤك من النار فيلقى فيها وفي الخبر الحمى من فيح جهنم وهي حظ
المؤمن من النار وعن النبي عليه السلام انه سال ربه عز وجل في ذنوب امته فقال يا رب اجعل
حسابهم الي كي لا يطلع على مساويهم غيري فاوحى الله تعالى اليه هم امتك وهم عبادي وانا
ارحم بهم منك لا اجعل حسابهم الى غيري لئلا تنظر في مساويهم انت ولا غيرك وقال
سفيان الثوري ما احب ان يجعل حسابي ابوي لاني اعلم انه سبحانه ارحم بي منهما
وعنه عليه السلام انه قال حيوتي خير لكم وموتي خير لكم اما حيوتي فاسن لكم السنن و
اشرع الشرايع واما موتي فان اعمالكم تعرض علي فما رايت منها حسنا حمدت الله عز وجل
وما رايت منها شيئا استغفرت الله لكم وفي الاثر اذا تاب العبد من ذنوبه انسى الله تعالى ملائكته
وبقاع الارض معاصيه وبدلها حسنات حتى يرد القيمة وليس شيء ليشهد عليه وقيل
ان المؤمن اذا عصى ربه ستره عن ابصار الملائكة كيلا تراه فتشهد عليه وقال عليه السلام
العفو فقال له جبرئيل تدري ما تفسير يا كريم العفو هو انه عفا عن السيئات برحمته ثم
حسنات بكرمه وقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي تشريك بيننا
وبين النبي عليه السلام في اتمام النعمة قال الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ويتم
نعمته عليك فنحن بهذا نرجو المغفرة لذنوبنا وبالمغفرة يحصل دخول الجنة وفي الحديث
لو اذنب العبد حتى تبلغ ذنوبه عنان السماء غفرتها له ما استغفرني ورجاني وفي خبر اخر
لو لقيني عبدي بقراب الارض ذنوبا لقيته بقرابها مغفرة ما لم يشرك بي شيئا وعن علي
رضي من اذنب ذنبا فستره الله تعالى في الدنيا فالله اكرم ان يكشف ستره في الاخرة وفي
لفظ اخر لا يذنب عبد في الدنيا فيستره عليه الا غفره له في الاخرة وقيل من فضح في الدنيا
بذنب فهو كفارة لا يفضح به في الاخرة وفي الحديث ان الملك ليرفع القلم على العبد
اذا اذنب ساعات فان تاب واستغفر لم يكتبه عليه والا كتبها سيئة وفي لفظ اخر
فاذا كتبها عليه وعمل حسنة قال لصاحب الشمال وهو امير عليه الق هذه السيئة
حتى القي من حسناته واحدة من تضعيف العشر وارفع تسع حسنات فيلقي عنه هذه
السيئة وقيل ان الله تعالى جعل في قلب صاحب اليمين من الرحمة للعبد اضعاف ما جعل
في قلب صاحب الشمال مع انه امره عليه فاذا عمل العبد حسنة فرح بها ملك اليمين وقيل
فرح بها الملائكة عليهم السلام فيكتب للعبد بفرحهم حسنات وفي حديث آخر اذا اذنب
العبد ذنبا كتب عليه فان تاب محي من صحيفته فان عاد كتب عليه فان تاب محي من صحيفته
فقال اعرابي الى متى يا رسول الله قال الى ان يستغفر ويتوب الى الله تعالى ان الله لا يمل من
المغفرة حتى يمل العبد من الاستغفار واذا هم العبد بحسنة كتبها صاحب اليمين حسنة

سر الله عبو عباده

يوما يا كريم بيننا

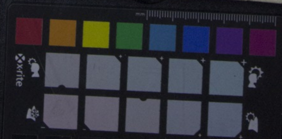


ضعف

قبل ان يعملها فان عملها كتبها عشر حسنات ثم ضاعفها الله تعالى الى سبعماية
واذا هم بخطيئة لم تكتب عليه فان عملها كتبت خطيئة واحدة وورائها حسن
عفو الله تعالى وجاء رجل الى النبي عليه السلام فقال يا رسول الله اني لا اصوم الا شهرا لا ازيد
عليه ولا اصلي الا الخمس لا ازيد عليهن وليس لله تعالى في مالي صدقة ولا حج ولا التطوع
اين انا اذا مت فقال عليه السلام في الجنة قال يا رسول الله معك فتبسم رسول الله عليه السلام
وقال نعم معي ان حفظت قلبك من اثنين الغل والحسد ولسانك من اثنين الغيبة
والكذب وعينك من اثنين النظر الى ما حرم الله تعالى وان تزدري بهما مسلما دخلت
معي الجنة على راحتي هاتين وقال اعرابي يا رسول الله من يلي حساب الخلق قال الله تعالى
قال هو بنفسه قال نعم فتبسم الاعرابي فقال النبي عليه السلام مم ضحكت يا اعرابي فقال ان الكريم
اذا قدر عفا واذا حاسب سامح فقال النبي عليه السلام صدق الا لا كريم اكرم من الله هو اكرم
الاكرمين ثم قال فقه الاعرابي وقال عليه السلام ان الله شرف الكعبة وعظمها ولو ان عبدا
هدمها حجرا حجرا ثم احرقها ما بلغ جرم من استخف بولي من اولياء الله تعالى فقال اعرابي ومن
اولياء الله قال المؤمنون كلهم اولياء الله اما سمعت الله تعالى يقول الله ولي الذين آمنوا
يخرجهم من الظلمات الى النور وفي خبر المؤمن افضل من الكعبة والمؤمن اكرم على الله
من الملائكة وفي خبر مشهور انه عليه السلام نظر الى الكعبة فقال ما اشرفك اعظمك والمؤمن
اعظم حرمة عند الله وفي خبر مشهور انه عليه السلام نظر الى الكعبة فقال ما اشرفك اعظمك
والمؤمن اعظم منك واوحى الله تعالى الى يعقوب عليه السلام انما فرقت بينك وبين يوسف
لانك خفت الذئب عليه ولم ترجني له ونظرت الى غفلة اخوته عنه ولم تنظر الي
الى حفظي له وقد ذكرنا هذا مرة والرجاء اسم لقوة الطمع في الشي والخوف اسم لقوة
الحذر من الشيء ولذلك اقام الله تعالى الطمع مقام الرجا مقام الخوف في التسمية فقال تعالى
يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال تعالى يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه والرجاء وصف من
اوصاف المؤمنين وخلق من اخلاق الايمان لا يصح الايمان الا به كما لا يصح الا بالخوف
فالرجاء والخوف للمؤمن كجناحي الطير لا يطير الا بهما وهو ايضا مقام من حسن الظن
بالله وجميل التاميل له ولذلك اوصى رسول عليه السلام عند موته فقال لا يموتن احدكم
الا وهو حسن الظن بالله لانه سبحانه وتعالى انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما
شاء وكان ابن مسعود رض يحلف بالله عز وجل ما احسن عبد ظنه بالله عز وجل
الا اعطاه ذلك لان الخير كله بيده اي فاذا اعطاه حسن الظن به فقد اعطاه
ما ظنه لان الذي حسن هو الذي اراد ان يحققه وقال سفيان الثوري في قوله تعالى
واحسنوا ان الله لا يحب المحسنين اي احسنوا بالله الظن ودخل رسول الله عليه السلام
على رجل وهو في سياق الموت فقال كيف تجدك فقال اجدني اخاف الله ذنوبي
وارجوا رحمة ربي فقال ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن الا اعطاه الله تعالى ما رجاه

وامنه

وامنه ما يخاف وجاء في تفسير قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة انه العبد يذنب
الكباير ثم يلقي بيديه ولا يتوب ويقول قد هلكت فلا ينفعني عمل ومن علامة
صحة الرجاء في العبد كون الخوف باطنا في رجائه لانه لما تحقق رجاء شيء خاف فوته
لعظم المرجو في قلبه وشدة اغتباطه به فهو لا ينفك في حال رجائه من خوف فوت
الرجاء والرجاء هو ترويح الخائفين ولذلك سمت العرب الرجاء خوفا لانهما
وصفان لا ينفك احدهما عن الاخر يقولون رجا بمعنى خاف امنه قوله تعالى ما لكم
لا ترجون لله وقارا اجمعوا على ان تفسيره ما لكم لا تخافون لله عظمة وهو احد الوجوه
في قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا وقد ذم الله تعالى عبدا انعم عليه
عليه نعمة ثم سلبها فايس من عودها فقال تعالى ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ثم
ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور ثم استثنى عباده الصالحين له فقال الا الذين
صبروا وعملوا الصالحات وقال سفيان رضه من اذنب ذنبا فعلم ان الله تعالى قدره عليه ورجا
غفرانه غفر الله له ذنبه لان الله تعالى عير قوما سوء الظن فقال وذلكم ظنكم الذي ظننتم
بربكم ارداكم وقال تعالى وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا اي هلكى ففي دليل خطابه
اي من ظن ظنا حسنا كان من اهل النجاة وفي الاثر من اذنب ذنبا فاحزنه ذلك غفر له
ذنبه وان لم يستغفر ومقام الرجاء كساير مقامات اليقين منه فرض ومنه فضل ففرض
على العبد ان يرجو مولاه من حيث كرمه وفضله لا من حيث نظره الى نفسه وقال
سهل رضه من سال الله تعالى شيا ونظر الى نفسه او الى اعماله لا يرى الاجابة حتى يكون ناظرا
الى الله تعالى وحده والى لطفه وكرمه ويكون موقنا بالاجابة وجاء في الخبر اذا دعوتم
فكونوا موقنين بالاجابة فان الله تعالى لا يقبل الا من موقن ومن داع دعا ثبتا من قلبه
لان من استعمل بالدعاء فقد فتح له باب من العبادة وفي الخبر الدعاء مخ العبادة
ولا يقبل الله تعالى من الدعاء الا الناخلة بمعنى المنخول وهو الخالص فاقل ما يعطيه
من دعا ان يكون ذلك حسنة له يضعفه له من عشر الى سبعمائة وما علاه ان
يدخر له عنده في الاخرة ما هو خير له من الدنيا وما فيها ما لم يخطر على قلبه قط ويكون
ذلك حسن نظر من الله تعالى واختيارا واوسطه ان يصرف عنه من البلاء الذي لو
علمه لكان صرفه احب اليه واهم عنده مما ساله وعن رسول الله عليه السلام ما من داع دعا
موقنا بالاجابة في غير معصية ولا قطيعة رحم الا اعطاه تعالى احدى ثلث اما ان
يجيب دعوته فيما سال او يصرف عنه من السوء مثله او يدخر له في الاخرة ما هو خير له
وقال رجل لرسول الله عليه السلام اوصني فقال لا تتهم الله تعالى في شيء قضاه عليك وروي
انه عليه السلام نظر الى السماء وضحك فسئل عن ذلك فقال عجبت لقضاء الله تعالى للمؤمن
في كل قضائه له خير ان قضى له بالسراء رضي وكان خيرا له وان قضى عليه بالضراء
رضي وكان خيرا له وعن رسول الله عليه السلام ان الله تعالى يقول للعبد يوم القيمة



ما شغلك اذا رأيت المنكر ان تنكره فان لقاه الله تعالى حجته قال يا رب رجوتك وخفت الناس فيقول غفرت لك وفي خبر مشهور ان رجلا كان يداين الناس فيسمح عليهم ويتجاوز عن المعسر فلقي الله تعالى ولم يعمل خيرا قط فقال الله تعالى نحن احق بذلك منك قال فغفر له برجائه وظنه ومن الرجا انشراح الصدر باعمال البر وسرعة السبق والمبادرة بها خوف فوتها ورجاء قبولها ثم مهاجرة السوء ومجاهدة النفس رجاء انجاز الموعود ومنه قوله تعالى ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله وفسر رسول الله عليه السلام المهاجرة فقال المهاجر من هجر السوء والمجاهدة من جاهد نفسه في الله تعالى ومن الرجاء كثرة التلاوة لكلام الله تعالى واقام الصلوة التي هي خدمته وبذل المال سرا وعلانية قليلا وكثيرا وان لا تشغله عن ذلك تجارة الدنيا كما وصفهم الله تعالى المحققين من الراجين بقوله تعالى ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور قال بعض العارفين للتوحيد نور وللشرك نار ونور التوحيد احرق لسيئات الموحد من نار الشرك لحسنات الشرك ولما احتضر سليمان التيمي رضي الله عنه قال لابنه يا بني حدثني بالرخص واذكر لي الرجاء حتى القى الله تعالى على حسن الظن به ولما حضرت الوفات سفيان الثوري جعل العلماء حوله يرجونه وقال احمد بن حنبل رضي الله عنه لابنه عند الموت اذكر لي الاخبار التي فيها الرجاء وحسن الظن فلولا ان الرجاء وحسن الظن من فواضل المقامات ما طلبه العلماء في آخر الاوقات عند فراق الدنيا ولقاء المولى لتكون الخاتمة به وهم يسئلون الله تعالى حسن الخاتمة طول الحياة وكذلك قيل ان الخوف افضل ما دام العبد حيا فاذا حضرت الموت فالرجاء افضل وقال يحيى بن المعاذ اذا كان توحيد ساعة يحبط ذنوب خمسين سنة فتوحيد خمسين سنة ما ذا يصنع بالذنوب وقال سهل رحمه لا يصح الخوف الا لاجل الرجاء وقال ايضا العلماء مقطوعون الى الخائفين والخائفون مقطوعون الا الراجون وكان يجعل الرجاء هو في المحبة وعند العلماء اول تمام المحبة ثم يعلو في المحبة على قدر ارتفاعه في الرجاء وحسن الظن وروى عن النبي عليه السلام احاديث في الرجاء لا يمكن ذكرها لعموم الناس ولكن نذكر منها ما ظهر خلق الله تعالى جهنم من فضل رحمته سوطا يسوق به عباده الى الجنة وفي خبر آخر يقول الله تعالى انما خلقت الخلق ليربحوا علي ولم اخلقهم لاربح عليهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما خلق الله تعالى شيئا الا جعل له ما يغلبه وجعل رحمته تغلب غضبه وفي الخبر المشهور ان الله تعالى كتب على نفسه قبل ان يخلق ان رحمتي تغلب غضبي وفي الخبر المشهود من قال لا اله الا الله لا اله الا الله دخل الجنة ومن كان آخر كلامه قول لا اله الا الله لم تمسه النار ومن لقي لا يشرك به شيئا حرمت عليه النار ولا يدخل النار من في قلبه وزن ذرة من الايمان وفي خبر آخر لو يعلم الكافر سعة رحمة الله تعالى ما ايس من جنته احد وقد قال الله تعالى في حسن عفوه عن اكبر الكبائر بعد ظهور الايات ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وقال تعالى في لطيف الخطاب لاوليائه يعرفهم نفاد احكامه وجريان مشيته

تفسير المهاجرة والمجاهدة

نور التوحيد ونار الشرك

الرجاء وحسن الظن عند الموت

الية
عليهم فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا ان الله عزيز حكيم لا يوصل
الا به حكيم حكم لمشيته على عباده ثم يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي كما اجري على من
فضله على العالمين مقالة الكافرين فلم يضرهم ذلك مع تفضيله لهم اذ قالوا لموسى
اجعل لنا الها كما لهم الهة فقال اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم على العالمين وبهذا
المعنى عارض على رضي الله راس الجالوت لما قال له لم تلبثوا بعد نبيكم الا ثلثين سنة
حتى ضرب بعضكم وجه بعض بالسيف فقال له وانتم ~~لم تلبثوا بعد نبيكم الا~~ ثلثين
لم تجف اقدامكم من ماء البحر حتى قلتم لموسى عليه السلام اجعل لنا الها كما لهم الهة وقال
النبي اذا حدثتم الناس عن ربهم فلا تحدثوهم بما يفزعهم وينفرهم وقال عليه السلام
بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا ولما وعظهم النبي عليه السلام فقال لو تعلمون ما اعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم الى الصعدات تلدمون صدوركم وتجاروا
الى ربكم عز وجل فهبط جبرئيل عليه السلام وقال ان الله تعالى يقول لم تقنط عبادي
فخرج عليهم رسول الله عليه السلام فرجاهم وشوقهم ولما تلى النبي عليه السلام هذه الاية
ان زلزلة الساعة شيء عظيم قال اتدرون اي يوم هذا يوم يقال لادم عليه السلام قم
فابعث نصيب النار من ذريتك فيقول كم فيقال من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين
الى النار وواحدا الى الجنة قال فابلس القوم وجعلوا يبكون يومهم وتعطلوا عن
الاشغال والاعمال فخرج عليهم رسول الله عليه السلام فقال ما لكم لا تعملون فقالوا
ومن يشتغل بعمل بعد ما حدثتنا بهذا فقال كم انتم في الامم اين تاويل وتاريس و
ومنسك ويأجوج ومأجوج امم لا يحصيها الا الله عز وجل انما انتم في ساير الامم
كالشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود او كالرقمة في ذراع الدابة وفي الخبر المشهور
لو لم تذنبوا لخلق الله تعالى خلقا يذنبون ليغفر لهم وفي لفظ آخر لذهب بكم وجاء
بخلق يذنبون فيغفر لهم انه هو الغفور الرحيم اي ان وصفه المغفرة والرحمة
ولا بد ان يخلق مقتضى وصفه حتى يحق وصفه عليه وهذا كما تقول في علم المعرفة
ان له سبحانه وتعالى من كل اسم وصفا ومن كل وصف فعلا وفي هذا سر المعرفة ومنه معرفة
الفصوص وحكى لنا معناه عن ابرهيم بن ادهم رحمه الله قال اخلو لي الطواف ذات ليلة
وكانت ليلة مطيرة مظلمة فوقفت في الملتزم عند الباب فقلت يا رب اعصمني حتى لا   اعطيك
ابدا فهتف لي هاتف من البيت يا ابرهيم تسألني العصمة وكل عبادي المؤمنين يطلبون
ذلك فاذا عصمتهم فعلى من اتفضل ولمن اغفر وقال الحسن رض لو لم يذنب المؤ   من
لكان يطير طيرا ولكن الله تعالى قمعه بالذنوب وفي الخبر لو لم تذنبوا لخشيت عليكم
ما هو شر من الذنوب قيل وما هو قال العجب وقال بشر بن الحارث سكون النفس
الى المدح اضر عليها من المعاصي وراى يوسف بن الحسين مخنثا فاعرض عنه ازدرا بما
فالتفت اليه المخنث وقال وانت ايضا يكفيك ما بك فنزع من قوله وقال واي شيء



نعم بي قال الان عندك انك خير مني فاعترف يوسف بقوله وقال واستغفروا وفي
الخبر ليغفرن الله تعالى يوم القيمة مغفرة ما خطرت قط على قلب احد حتى ان ابليس ليتطاول
رجاء ان تصيبه وفي الخبر ان الله تعالى تسعا وتسعين رحمة اظهر منها في الدنيا رحمة واحدة
بها يتراحم الخلايق فاذا كان يوم القيمة ضم هذه الرحمة الى تلك التسع والتسعين ثم
بسطها على جميع خلقه وكل رحمة منها طباق السموات والارض وقال بعض العلماء
اذا غفر الله تعالى لعبد في موقف القيمة ذنبا غفر ذلك الذنب لكل من عمله وقال
عليه السلام اعملوا وابشروا واعلموا ان احدا لن ينجيه عمله وفي خبر آخر ما منكم يدخله
عمله الجنة ولا ينجيه من النار قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله
برحمة وفضل وقال عليه السلام اني لخبات شفاعتي لاهل الكباير من امتي اترونها
للمؤمنين للمؤمنين المتقين بل هي للمخلطين المتلوثين فعلم المؤمنين بكرم الله تعالى
وخفي لطفه ولطيف منه يقوي رجاهم وحسن ظنهم ويمنع الخوف ان يقوي عليهم
فيخرجهم الى الاياس من رحمته لاجل علمهم بجبريته وكبريائه من قبل ان المرهوب
هو المحبوب قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء فدخلت جهنم وغيرها في سعة الرحمة لانها
شيء وقوله تعالى فساكتبها للذين معناه خصوص الرحمة وصفوها لا حقيقتها اذ لا
نهاية للرحمة لانها صفة الراحم الذي لا حد له وان جهنم والنار الكبرى وغيرها
ليس كنه عذابه ولا كلية تعذيبه ومن ظن ذلك به فانه لم يعرفه وانه تعالى انما اظهر
من عذابه مقدار طاقة الخلق كما انه انما اظهر من ملكه ونعمه مقدار مصالح الخلق وكذلك المؤمنون
شهدوا معنى قوله تعالى انه كان حليما غفورا وقوله تعالى وكان الله عليما حكيما فعلموا ان المغفرة
لسعة الحلم كما ان الحلم لسعة العلم فلما راوا عظيم حلمه رجوا عظيم مغفرته ولما شهدوا كشف
ستره املوا جميل عفوه وقيل ان حملة العرش يقولون سبحانك على حلمك بعد علمك سبحانك
على عفوك بعد قدرتك وقال سهل رحمه الله المحسن يعيش في سعة الرحمة والمسيء يعيش
في سعة الحلم فصفاته سبحانه كاملات فمن شهد ترجيح بعضها على بعض دخل عليه النقص
من مشاهدته لقصور علمه على تمام علم من فوقه من الشهداء تعالى وصف المشهود عن النقصان
والحد وروي ان الله تعالى نظر الى داود عليه السلام منتبذا وحدانيا فقال ما لك وحدانيا قال عاديت
الخلق فيك قال اوما علمت ان محبتي ان تعطف على عبادي وتاخذ عليهم بالفضل هنالك
اكتبك من اوليائي فلا تنظر الى عبيدي نظرة جفاء ولا قسوة فاذا انت قد ابطلت اجرك
احفظني عني ثلثا خالص حبيبي مخالصة وخالط اهل الدنيا مخالقة ودينك فعلمني به
ومعناه عن رسول الله عليه السلام الا اخبركم عن اقوام ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم
الانبياء والشهداء بمنازلهم من الله تعالى على منابر من نور يعرفون عليها قالوا من هم قال
الذين يحببون عباد الله الى الله ويحببون الله الى عباده ويمشون في الارض نصحا قيل
وكيف يحببون عباد الله الى الله قال يامرونهم بما يحب الله وينهونهم عما كره الله فاذا اطاعوهم

اجبهم

احبهم الله تعالى وعن علي رضي الله عنه انما العالم الذي لا يقنط الناس من رحمة الله تعالى
ولا يؤمنهم وروي ابان بن عباس رحمه الله في النوم بعد موته وكان اكثر الناس حديثا
بالرخص وابواب الرجاء فقال وقفني ربي بين يديه وقال ما حملك ان حدثت عني بما حدثت
من الرخص فقلت يا رب اردت ان احببك الى خلقك فقال قد غفرت لك وروي ربعي
بن حراش عن اخيه رضي الله عنه وكان من خيار التابعين وهو ممن تكلم بعد الموت
قال لما مات اخي والقيناه على نعشه كشف عن وجهه واستوى قاعدا فقال اني لقيت
ربي عز وجل فحياني بروح وريحان ورب غير غضبان واني رايت الامر ايسر مما تظنون ولا
تغتروا وان محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم ينتظروني حتى ارجع اليهم ثم طرح نفسه
وروي يحيى بن اكثم في النوم فقيل له ما فعل الله بك وقفني بين يديه وقال لي يا شيخ السوء
فعلت ففزعت فزعا شديدا ثم قلت يا رب ما هكذا حدثت عنك فقال وما حدثت عني
فقلت حدثت عنك على لسان نبيك انك قلت انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء
ظننت بك ان لا تعذبني فغفرلي وادخلني الجنة وفي الخبر ان رجلا من اسرائيل كان يشدد
على الناس ويقنطهم فيقول الله تعالى له يوم القيمة اليوم اويسك من رحمتي كما كنت تقنط
عبادي منها وفي الحديث ان عابدا وفاسقا تاخيا في بني اسرائيل وكان العابد ينهى اخاه
ويزجره فلم يقبل منه فرآه يوما على كبيرة فغضب وقال لا يغفر الله لك فيقول الله تعالى له يوم القيمة
اتستطيع ان تحظر رحمتي على عبادي اذهب فقد غفرت له واوجبت لك النار وروي ان
لصا من بني اسرائيل قطع الطريق اربعين سنة فمر عيسى عليه السلام ومعه عابد من الحواريين
فقال اللص في نفسه هذا نبي الله يمر والى جنبه حواريه لو نزلت معهما فكنت لهما ثالثا
فجعل يريد ان يدنو من الحواري ثم ازدرى نفسه وقال في خاطره مثلي لا يمشي الى جنب
هذا العابد واحس به الحواري فقال في نفسه هذا يمشي الى جنبي فتباعد عنه وتقدم الى عيسى عليه السلام
فاوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام قل لهما استانفا العمل فقد احبطت حسنات الحواري
بعجبه بنفسه واحبطت سيئات اللص بازدرائه بنفسه فاخبرهما بذلك وضم اللص اليه
في سياحته وجعله من حوارييه وروي ان نبيا سجد فوطئ العتاة عنقه حتى الزق الحصى
بجبهته فرفع راسه مغضبا وقال اذهب فلن يغفر الله لك فاوحى الله تعالى تتالى علي في عبادي
اني قد غفرت له وقال ابن عباس رضي الله عنه كان رسول الله عليه السلام يقنت على المشركين ويلعنهم
في صلوته فنزل قوله تعالى ليقطع طرفا من الذين كفروا الى قوله ليس لك من الامر شيء فترك الدعاء
عليهم وهدى عامة وليك الى الاسلام وقال الله تعالى ما غرك بربك الكريم فنبه العبد مع عزته
كرمه وحسن تسويته اياه وتعديله وعن الضحاك ان الله تعالى يذكر العبد يوم القيمة جميع ذنوبه
في الدنيا في ساعاتها ويقول له انت مقر بما عرفتك وذكرتك فيقول نعم سيدي فيقول انا الذي سترتها
عليك في الدنيا فلم اجعل للذنوب رائحة توجد منك ولم اجعل في وجهك شينها وانا اغفرها لك اليوم
على ما كان منك بايمانك بي وتصديقك المرسلين ولما نزل قوله تعالى فاصفح الصفح الجميل قال

فاصفح الصفح الجميل

نال علاالله

النبي عليه السلام يا جبرئيل وما الصفح الجميل قال اذا عفوت عمن ظلمك فلا تعاقبه واما الرجاء الذي
يتوهمه الجهل من الاقامة على المعاصي والانهماك في الخطايا وهو يرجو المغفرة وينتظر الكرامة
فليس هذا برجاء عند العلماء لان الرجاء مقام من اليقين وليس هذا وصف الموقنين
بل هذا اغترار بالله تعالى وغفلة عنه وجهل باحكامه وقد ذم الله تعالى قوما على مثل ذلك بقوله
فخلف من بعده خلف الاية والخلف الردي من الناس ومن الرجاء سؤال عظيم الرغائب وجليل
المواهب بعد فعل الطاعات قال عليه السلام اذا سالتم الله فاعظموا الرغبة وسلوة العز دون
الاعلى فان الله لا يتعاظمه شيء وفي لفظ آخر فاكثروا واسالوا الدرجات العلى فانما
تسالونه جوادا كريما وفي الاثر ان عابدين متساويين في العبادة يرفع احدهما في
الجنة درجات على صاحبه فيقول يا رب لم رفعته علي في عليين ولم يكن اكثر
عبادة مني فيقول الله تعالى انه تعالى انه كان يسالني في الدنيا الدرجات العلى وانت كنت
تسالني النجاة من النار فاعطيت كل عبد سؤله واعلم ان مقامات اليقين
لا يزيل بعضها بعضا ولكن يندرج بعضها في بعض فمن غلب عليه حال منها عن
وجد مشاهدة وصف بما غلب واستحق ما سوى ذلك من المقامات فيه ومن
عمل بشرط مقام وقام بحكم الله فيه نقل الى سواه وكان المقام الاول له علما والثاني
اقيم فيه له وجدا فكتم الوجد لا نه سره وعبر عن العلم لانه قد جاوزه فصار علانية والرجاء
جند من جنود الله تعالى يستخرج به من اهله ما لا يستخرج الخوف ومثل الرجاء في الاحوال
مثل العوافي والغنى من الناس منهم من يقبل قلبه ويجتمع همه ويزيد نشاطه ويحسن
معه الله عندهما كما روي عن الله تعالى ان من عبادي من لا يصلحه الا الغنى ولو
افقرته لافسده ذلك ومن عبادي من لا يصلحه الا الصحة ولو اسقمته لافسده
ذلك اني ادبر عبادي بعلمي اني بهم عليم خبير الا ان الرجاء وان كان طريقا الى الله
فان الخوف اقرب منه وما قرب فهو اعلى كما ان الغنى والعوافي طريقان الى الله تعالى
الا ان الفقر والبلوى اقرب عندي منهما والله اعلم والله غالب على امره شرح مقام الخوف
ووصف الخائفين وهو المقام الخامس من مقامات اليقين قال الله تعالى انما يخشى الله
من عباده العلماء جعل الخشية مقاما في العلم حقيقة بها مع انه رفع العلم على العقل
وجعله مقاما فيه بقوله تعالى وما يعقلها الا العالمون والخشية حال من مقامات
الخوف اسم الحقيقة معنى جامع للعبادة قال تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي
خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون وهو وصية الله تعالى الاولين والاخرين
قال الله تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وهذه
الاية قطب القران مداره عليها والتقوى سبب اضافة الله تعالى اليه ومعنى وصلهم
تشريفا له فقال تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم واكرم عباده
بالتقوى تعظيما له فقال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وفي الخبر يقول الله تعالى يوم

في حكم مقامات اليقين

القيمة ايها الناس جعلت نسبا وجعلتم نسبا فوضعتم نسبي ورفعتم نسبكم قلت لكم
ان اكرمكم عند الله اتقيكم وابيتم الا فلان بن فلان وفلان اغنى من فلان فاليوم اضع
نسبكم وارفع نسبي اين المتقون فينصب للقوم لواء فيتبع القوم لواءهم الى منازلهم
فيدخلون الجنة بغير حساب والخوف حال من مقام العلم واما الخايفون فان لهم الرفيق الاعلى
لا يشاركون فيه وهذا مقام من النبوة فهم من الانبياء في الرتبة لانهم ورثتهم اذهم العلماء
قال الله تعالى فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين ثم قال وحسن اولئك رفيقا اى رفقاء
وانما عبر عن جماعتهم بالواحد لانهم كانوا كنفس واحدة وقد يكون رفيقا مقاما في عليين
كقوله عليه السلام عند موته اسالك الرفيق الاعلى لما خير بين البقاء في الدنيا والقدوم على ربه
فالخوف اسم جامع لحقيقة الايمان وهو علم لوجود الايقان وهو مفتاح كل خير وليس يحرق
شهوات النفس ويزيل اثارها فانها الا مقام الخوف وقال سهل رحمه الله كمال الايمان بالعلم وكمال العلم
بالخوف وقال ايضا العلم كسب الايمان والخوف كسب المعرفة وقال الفضيل بن عباس رحمه الله
اذا قيل لك تخاف الله فاسكت فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم كذبت لان وصف
ليس وصف من يخاف وقال واعظ لحكيم اني اعظك جماعة واذكرهم فلا يرقون
قال لانهم ليس في قلبهم من الخوف ومصداق ذلك قوله تعالى سيذكر من يخشى
ويتجنبها الاشقى الذي اى يتجنب التذكرة الشقي فجعل عادم الخوف شقيا فخوف
عموم المؤمنين بظاهر القلب عن ظاهر العلم بالعقل وخوف خصوصهم وهم الموقنون
بباطن القلب عن باطن العلم بالوجد لمشاهدة ما امنوا به من الصفات المخوفة وفي
خبر اذا ادخل العبد قبره لم يبق شيء كان يخافه دون الله الا مثل له يفزعه ويرعبه الى
يوم القيمة فاول خوف الموقنين محاسبة النفس في كل وقت ومراقبة الرقيب في كل حين
والورع عن الاقدام على الشبهات من العلوم بغير يقين فيها ومن الاعمال بغير فقه
فيها ثم كف الجوارح عن الشبهات وفضول الحلال من كل شيء ثم سجن اللسان وخزنه
بان لا يدخل في دين الله تعالى ولا في العلم ما لم يشرعه الله تعالى في كتابه او لم يذكره رسول
الله عليه السلام في سنته او لم ينطق به الايمة من السلف في سيرتهم ما لم يكن اصله موجودا
في الكتاب والسنة وتسميته واضحة في العلم فيجتنب ذلك كله ولا يقفو ما ليس له به
علم خوفا من المسئلة عنه وثمرة الخوف العلم بالله تعالى والحياء منه وعلامة ذلك ان
يحفظ راسه وما حواه من السمع والبصر واللسان وان يحفظ بطنه وما وعاه وهو
القلب وان يحفظ الفرج واليد والرجل وهذا خوف العموم وهو الحياء وخوف
الخصوص ان لا يجمع ما ياكل ولا يبني ما لا يسكن ولا يكاثر فيما عنه ينتقل ولا يفرط
ولا يغفل عما اليه يرتحل وهذا هو الزهد وهو حياء اهل مزيد الحياء من الموقنين
واعلى الخوف ان يكون قلبه معلقا بخوف الخاتمة لا يسكن الى علم ولا الى عمل
ولا يقطع على النجاة بشيء من العلوم وان علت ولا بسبب من الاعمال وان جلت

احوال الخواتيم

لعلمه بتحقيق الخواتيم فقد قيل يوزن من الاعمال خواتيمها وعن النبي عليه السلام ان العبد
ليعمل بعمل الجنة خمسين سنة حتى يقال انه من اهل الجنة وفي لفظ آخر حتى يبقى بينه
وبين الجنة الاشبر وفي لفظ آخر الافواق ناقة ثم يسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل اهل
النار ومعلوم انه لا يتاتى في ذلك المقدار من الزمان شي من الاعمال الجوارح بل من اعمال
القلوب بمشاهدة العقول وهو شرك في التوحيد الذي لم يكن قد تحقق بره وشك
في اليقين الذي لم يكن مشاهدا له ظهر ذلك عند كشف الغطاء فغلب عليه وصفه
وبدت فيه حاله كما تظهر له اعماله السيئة فيستحيلها قلبه او ينطق بها لسانه او يجاحدها
وجد فتكون هي خاتمته وسابقته التي سبقت له من الكتاب كما قال الله تعالى اولئك
ينالهم نصيبهم من الكتاب اي مفارقة الروح الجسد واما الموفوهم نصيبهم غير منقوص
وفواق الناقة ما بين الحلبتين وذلك يكون عند بلوغ الروح التراقي وتكون النفس
قد خرجت من جميع الجسد واجتمعت في القلب الى الحلقوم وهنا هو شبر قبل فواق الناقة
شوط من عدوها وهنا من تقليبات القلوب عن وجهة التوحيد الى وجهة الضلول
والشرك عند زوال عقل الدنيا وذهاب علم المعقول فبدوله من الله تعالى ما لم يكن يحتسب
واكثر ما يقع سوء الخاتمة بثلاث طوايف من الناس اهل البدع والزيغ في الدين لان
ايمانهم مرتبط بالمعقول فاول اية تظهر لهم من قدرة الله تعالى تطيح عقولهم عند معاينتها
فيذهب ايمانهم كما تحترق الفتيلة فيذهب النور والضياء والثانية اهل الكبر والانكار
لايات الله تعالى وكراماته لاوليائه في الدنيا لانهم لم يكن لهم يقين يحمل القدرة ويمده
الايمان فيقوي عليهم الشك الثالثة ثلاثة اصناف متفاوتون في سوء الخاتمة وكلهم
دون تلك الطائفتين في ذلك لان سوء الختم مقامات كمقامات اليقين والشرك في مدة الحياة
منهم المدعي المتظاهر الذي لم يزل الى نفسه وعمله ناظرا والفاسق المعلن والمصر
المدمن الذين تتصل بهم المعاصي الى آخر العمر ويدوم تقليبهم فيها الى وقت كشف الغطاء
فاذا راوا ايات الله تعالى تابوا اليه بعلومهم وقد انقطعت اعمال الجوارح فلا تقبل توبتهم
ولا يقال عثرتهم ولا ترحم عبرتهم كما قال تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات الاية وهم
مقصودون بقوله تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون الاية وبقوله تعالى فلما راوا باسنا الاية
فخصوص الايات للكافرين ومعناها ومقام منها لاهل الكباير من حيث اشتركوا في سوء الخاتمة
وان تفاوتوا في مقاماتها وقال سهل رحمه الله المريد يخاف ان يبتلى بالمعاصي والعارف يخاف ان يبتلى
بالكفر وبمعناه قال ابو يزيد رحمه الله قبله لعلمهم بسرعة تقلب القلوب في قدرة الغيوب وقال
عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين انتم تخافون المعاصي ونحن معاشر الانبياء نخاف الكفر وروي ان
نبيا شكى الى ربه عز وجل الجوع والقمل والعري سنين فاوحى الله تعالى اما رضيت ان عصمت قلبك
من الكفر حتى تسالني الدنيا فاخذ التراب فوضعه على راسه وقال رضيت يا رب وقال عبد
الواحد بن زيد امام الزهاد ما صدق خايف ظن انه لا يدخل النار وما ظن احد انه يدخل النار

خوف المريد وخوف العارف

الاخاف

الاخاف ان لا يخرج منها ابدًا وقال الحسن البصري امام العلماء فبلغه يخرج من النار رجل بعد الف عام
وبالبيتمنى لك الرجل هذه الشدّة خوف من الخلود فيها والعدو يدخل على العارفين من طريق الالحاد
في التوحيد والتشبيه في اليقين والوسوسة في صفات الذات ويدخل على المريدين من طريق الآفات
والشهوات فلذلك كان خوف العارفين اعظم فالعدوّ يدخل على عبد من معناهه فيشكك بعضهم
في اليقين كما يزيّن لبعضهم الشهوات فارواح الصّدّيقين معلّقة بالكلمة السّابقة لهم لا يدرون
اسبقهم قدم صدق عند ربهم فيختم لهم بمقعد صدق ويكونون ممن قيل في حقهم ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى الاية ام حقت عليهم الكلمة وهي قوله تعالى ولكن حق القول مني الاية وقوله تعالى
على لسان نبيه عليه السلام وهؤلاء في النار ولا ابالي فلا تنفعهم شفاعة شافع ولا ينقذهم من النار
دافع كما قال تعالى افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار وقال عالمنار في قوله تعالى
واياي فاتقون عموم في كل منهي عنه وقوله تعالى واياي فارهبون خصوص في السّابقة وقال
بعض العارفين خوف المؤمنين على مقامين قلوب الابرار معلقة بالخاتمة وقلوب المقربين
معلقة بالسابقة وهذان المقامات عن مشاهدتين احداهما اعلى وانفذ من الاخرى لحال
احدهما اتم واكمل وهذا كما قيل ذنوب المقربين حسنات الابرار اي ما يرغب فيه الابرار وهو
عندهم فضيلة زهد فيه المقربين فهو عندهم حجاب ومن حق عليه كلمة العذاب وسبق له
الختم بسوء الاكتساب لم ينفعه شي فهو يعمل في بطالة لان سوء الخاتمة قد تكون
في وسط العمر وتتصل باخره فالفاتحة حينئذ خاتمة في سبق العلم سواء والوقتان
واحد قد نظر اليه مولاه ونظره بعد وفي خبر لا يقبل الله تعالى من مبتدع عملا وانه ردّ
على الله سنته فردّ الله عليه عمله كلما ازداد واجتهادا ازداد من الله بعدا وعن هذه
المشاهدة كان خوف الحسن البصري وحزنه رحمه الله حتى قيل انه ما ضحك اربعين
سنة وكنت اذا رايته حسبته اسيرًا قدم ليضرب عنقه واذا تكلم كانه يعاين
الاخرة فيخبر عن مشاهدته واذا سكت كان النار تسعّر بين عينيه ونحن احق بالخوف
والحزن منه ولكن الخوف ليس لكثرة الذنوب والا لكنا اكثر خوفا منه وانما
يكون لصفاء القلب منها وشدة التعظيم لله تعالى وكان عليه الصّحابة رضي الله عنهم
يتمنّون انهم لم يخلقوا بشرا مع انهم كانوا بشروا بالجنة يقينا في اخبار كثيرة حتى قال
ابو بكر رضي ليتني مثلك يا طير واني لم اخلق بشرا وقال عمر رضي وددت اني كنت كبشا
ذبحني اهلي لضيفهم وقال ابو ذر وددت اني شجرة تعضد وقال عثمان رضي وددت
اني اذا متّ لم ابعث وقالت عايشه رضي الله عنها وددت اني كنت حيضة ولنسيا منسيا
وقال ابن مسعود رضي الله عنه ليتني كنت رمادًا وفي رواية بعرة وفي رواية ليتني لم اك
شيئا وامثال هؤلاء كثير ونحن مع ارتكاب الكبائر تحدثت نفوسنا بالدّرجات العلى وقرب
سدره المنتهى ونسينا ان ابانا اخرج من الجنة بعدان دخلها بذنب واحد وروي
انّ النبيّ عليه السلام صلّى على طفل منفوس وقال في دعائه له اللهم قه عذاب القبر وعذاب النار

خوف ابرار المقربين

خوف الحسن البصري

خوف الصحابة

فغضب
النار وفي رواية اخرى انه سمع قائلة تقول هنيئا لك عصفور من عصافير الجنة
وقال وما يدريك انه كذلك والله اني رسول الله وما ادري ما يصنع بي ولعل
ولعل ذكر البعد المكرر في سورة هود وهو الذي شيب الحبيب القريب حيث قال عليه
السلام شيبتني هود واخواتها سورة الواقعة وسورة عم واذا الشمس كورت لان في
في سورة هود الا بعدا لعاد الا بعدا لثمود الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود وفي سورة
سورة الواقعة اذا وقعت الواقعة اي السابقة وقعت على من سبقت عليه و
وفي سورة التكوير صفة القيمة وتجلي معاني الغضب وعن سهل رحمه الله انه قال رايت كاني
ادخلت الجنة فلقيت فيها ثلثمائة نبي عليهم السلام فسالتهم ما اخوف ما كنتم تخافون في الدنيا
فقالوا الى سوء الخاتمة فسوء الخاتمة هو من مكر الله الذي لا يوصف ولا يوقف عليه ولا
يفطن له ولا نهاية لمكره ولا غاية لان مشيته واحكامه لا غاية لها وفي الخبر المشهور ان
النبي عليه السلام وجبرئيل بكيا خوفا من الله تعالى فاوحى اليهما لم تبكيان وقد امنتكما فقالا
ومن يامن مكرك فلولا انهما علما ان مكره لا نهاية له لم يقولا ذلك لانتهاء مكره بقوله
قد امنتكما ولكن خافا من بقية مكره الذي هو غيب عنهما وعلما انهما لا يقفان على كنه
غيبه اذ هو علام الغيوب ولا نهاية لعلام في علم ولا غاية للغيوب بوصف فلم يرد عليهما
قولهما لانهما على مزيد من معرفة الصفات اذ المكر من الوصف واظهار القول لا يقضي
على باطن الوصف فكانهما خافا ان يكون قوله تعالى قد امنتكما مكرا منه بالقول
على وصف مخصوص عن حكمة قد استاثر بعلمها ليختبر بذلك حالهما وينظر كيف يعملو
تعبدا منه لهما بذا الابتلاء ووصفه من قبل ان مبتليا اسمه فلو يترك تقتضي صفته و
لتحقيق اسمه ولا يبدل سنته التي قد خلت في عباده كما اختبر خليله عليه السلام لما اهواه
المنجنيق في الهواء فقال حسبي الله فعارضه جبرئيل عليه السلام وقال الك حاجة فقال
لا وفا بقوله حسبي الله فصدق القول بالعمل فقال الله تعالى وابرهيم الذي وفى
اي بقوله حسبي الله ولان الله تعالى لا يدخل تحت الاقدام ولا يلزمه ما حكم به على
الانام ولا يختبر صدقه ولا يجوز ان يوصف بضد الصدق ان يبدل الكلام هو يبدل
منه لان كلامه قايم به فله ان يبدل منه ما شاء بما شاء وهو الصادق في الكلام بين
العادل في الحكمين الحاكم في الحالين لانه لا حاكم عليه ولا حكم يلزمه فيه لانه قد فتح
العلوم والعقول التي هي اماكن للحدود من الامر والنهي وفات الرسوم والمعقول التي
هي اواسط للاحكام والاقدار وفي مشاهدة ما ذكرناه علم دقيق من علوم التوحيد
ومقام رفيع من احوال الموحد وبمثل وصف صفيه موسى عليه السلام في قوله فاوجس في
نفسه خيفة موسى بعد قوله تعالى لا تخافا انني معكما فلم يامن موسى عليه السلام ان يكون قد استتر
عنه في غيبه استقنى في نفسه سبحانه وتعالى ما لم يظهره له في القول لمعرفته بخفي مكره وباطن
وصفه فخاف خوفا ثانيا حتى امنه امنا ثانيا بقوله تعالى لا تخف انك انت الاعلى ولا يفلح

خوف النبي عليه السلام

بكاء النبي مع جبرائيل عليهما السلام

ان

ان يكشف حقيقة ما فصلناه في كتاب ولا ينبغي ان يرسم ما رمزناه من الخطاب خشية
الانكار وكراهته تفاوت اهل المعقول والمعيار الا ان يسال عنه من اقيم فيه
واريد به من ذوي القوة والابصار فينتقل من قلب الى قلب يخبئه يتلوه شاهد
منه او يكشفه علام الغيوب في سراير القلوب بوحي الالهام ويقذفه بنور
الهدى للو علوم والله تعالى هو الفتاح العليم اذا فتح القلب علمه واذا نور باليقين
الهمه ومن خوف العارفين عليهم بان الله تعالى يخوف عباده الادنين بمن شاء من عباده
الاعلين يجعلهم نكالا لهم فيخوف العموم بالتنكيل ببعض الخصوص حكما منه وحكمة
له والله اعلم بما وراء ذلك فلم يسكن عند ذلك احد من المقامات في مقام ولا نظر
احد من اهل الاحوال الى حال ولا امن بكر الله تعالى عالم به في كل حال كيف وقد سمعوا
قوله تعالى والذينهم من عذاب ربهم مشفقون ان عذاب ربهم غير مامون واعلمهم من
من خاف في الامر حتى يخرج من دار الخوف الى مقام امين واقل ما يفيد علم الخوف
الخائفين ترك النظر الى اعمالهم والسكون الى علومهم وصدق الافتقار في كل حال
ودوام الانقطاع بكلهم والازراء بالنفس في كل وصف فيكون هذا الخوف
سبب نجاتهم اذ قد جعل الله تعالى الخوف امنة من الاخذ بالمفاجات وسببا
للرافة والرحمة لمن البسه اياه وهو احد الوجهين في قوله تعالى او ياخذهم على
تخوف فان ربكم لروف رحيم وليس يصلح ان نكشف سر المخاوف من السابقة
والخاتمة لان ذلك يكون عن حقايق معاني الصفات التي ظهرت عن حقيقة
الذات فاظهرت بدايع الافعال وغرايب المال واعادت الاحكام على ما اظهرتها
وجعل لها ما حقت عليه الكلمات وجعل نصيبه من تعالى هذه السرية من الصفات فيؤدي
ذلك منا الى الكشف باطن الاوصاف وهو من سر القدر وقد نهي عن افشا سر في اخبار شتى
ولو لم يطلع الاوليا عليه لما قيل فلو تفشوه فان اقام الله تعالى عبدا مقام هذه المشاهدة
اغنا بالمعاينة عن الخبر ولحسبه بالمحادثة عن الاثر وذلك هو العلم النافع الذي يكون العليم
معلمه والكتب الذي لا يمحى الا بنوره والمداد الذي لا ينقطع اذ هو من روحه كما قال تعالى
كتب وايده كل كتب بعد مخلوق فغير محفوظ قد يضيع وكل ايد بغير روحه فمقطوع وما كتبه
الصانع بصنعه في قلب حفيظ فمثبت عتيد وقال زيد ابن اسلم في قوله تعالى في لوح محفوظ
هو قلب المومن وقال سهل رحمه الله الصدر هو الكرسي والقلب هو العرش والله تعالى عليه ومن يتق
يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ولا يحل للعلماء
كشف علومات سو الخاتمة فيمن راوها فيه من العمال لان لها علومات جلية عند المكاشفين
بها وادلة عند العارفين حقيقة المشرف بهم عليها ولكنها من سر المعبود في العباد وخبية في خزاين
النفوس لم يطلع عليها الا الافراد وقد ستر ذلك وغطاه بسعة رحمته وحلمه وكثيف ستره
وفضله وسيخرج ذلك الخبء يوم تبلى السراير قال الله تعالى يخرج الخبء في السموات والارض

تخويف الادنين بالاعلين

سر المخاوف من السابقة والخاتمة



ويعلم ما يخفون وما يعلنون فهذه العلوم توجب حقايق المخاوف وهي من الملك وخبر الملكوت
على ان للعبد عند الموت علامات ليس يخفى على العارف سوء الخاتمة بها المشاهدة لها وللاولياء
ايضا علامات عند المكاشفين يعرفون بها سوء الخاتمة منهم وهذا علم مخصوص به من اقيم
المكاشفات عن مشاهدة حقيقة من ذات وهو سر علوم الغيوب من اطلعه عليه من
اهل القلوب لان الكشوف تتنوع انواعا من المعاني فمنها كشف معاني الاخرة ومنها كشف
بواطن الاشياء المستورة بظواهر الاحكام فهذا من سر الملكوت ومن معاني كشوف الجبروت
وقد جاء في خبر اخفوا القدر سر الله فلا تفتشوه وهذا خطاب لمن لم يكاشف به ونهى عن السؤال
عنه وهو داخل في قوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم اى لا تتبع نفسك علم ما لم تكلف ولا تسال
عالم يجعل من عملك ولم يوكل اليك ولانه اذا علمه لم ينفعه علمه شيئا وانما ينفعه علم
الاحكام والاسباب لانها طرقات والانبياء وغيرهم في ذلك سواء ولهذا قال الله تعالى انه
انه عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم اى دعاؤك ومسالتك لى ما لم اجعله من
علمك ولم اكله اليك عمل غير صالح فعندها استغفر ربه واسترحمه وان العبد عند موته
يكشف له الغطاء عن وجوه كثيرة اتخذت الهة من دون الله واشرك بها معه وكلها تزيين
وغرور فان وقف القلب مع احدها او زين له بعضها او تقلب قلبه في شيء منها عندما اخر انفاسه
ختم له بذلك فخرجت روحه على الشك او الشرك وهذا هو سوء الخاتمة وهو نصيب العبد
من الكتاب في السابقة عند خلق الارواح معدومة لها في الاشباح في الاباد في الازل قبل اظهار
الاكوار والادوار فشهدتها الارواح هناك غرورا ووقفت معها وقد زورت لها
زورا عند رسوم القلوب في التخطيط قبل خلق الاجسام لها وقبل حجبها بكثيف
الهياكل عند ظهورها في الوجود وقبل اقامتها بشاهد العقل لكن بشاهد الاولية
بدت وبمعنى الفوقية وجدت وبوصف الجامع جمعت ثم فرقت ههنا فظهرت
الان عند الفراق بما كانت شهدت في التلاق واعترفت في الاخر بما كانت نطقت
في الاول وخرجت الروح على ما شهدت وهذا كان خبر السابقة التى ادركت الارواح
في الاجسام عند الخاتمة وجاء في الاثر ياخذ ملك الارحام النطفة في يده فيقول
يا رب اذكر ام انثى اسوى ام مخدوج ما رزقه ما عمله ما اثره ما خلقه فيخلق الله
تعالى على يده ما شاء فاذا صوره قال يا رب انفخ فيه الروح بالسعادة او بالشقاء فا
فلذلك خرجت الروح بما دخلت به فاما ان كان من المقربين الى قوله وتصلية جحيم
كما بداكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة كما بدانا اول خلق نعيده
ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها الاية ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ان الذين حقت
عليهم كلمة ربك ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس ولهم اعمال من دون ذلك
هم لها عاملون وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين
فهذه الاى ونظايرها ودون في السوابق الاول والخواتم الاخر وفيها سرائر الغيوب

كشف الغطاء عند الموت وسوء الخاتمة

فهذه دغراب

وغرايب الفهوم وهن من آي المطلع لاهل الاشراف على شرفات العرش والاعراف
وقال بعض العارفين لو علمت احدا على التوحيد خمسين سنة ثم حالت بيني و بينه
اسطوانة فمات لم اقطع له بالتوحيد لاني لا ادري ما ظهر له من التقليب وقال
سهل رحمه في الصديقين من سوء الخاتمة عند كل حركة وكل خطرة وهمة
يخافون البعد من الله وهم الممدوحون بقوله تعالى وقلوبهم وجلة وقال ايضا الاصح
الخوف حتى يخاف من الحسنات كما يخاف من السيئات وقال ايضا اعلى الخوف ان
يخاف سابق علم الله تعالى فيه ويحذر ان يكون منه حدث خلاف السنة يجره
الى الكفر وقال ايضا خوف التعظيم ميراث السابقة وروي ان رجلا كان يعتزل
الناس ويكون وحده فقال له ابو الدرداء انشدك الله تعالى ما يحملك على ان تعتزل
الناس قال اني اخشى ان اسلب ديني وانا اشعر وقيل انه كان رجلا من الصحابة
اسمه شرحبيل وكان ابو الدرداء رضي يحلف بالله عز وجل ما احد امن على ايمانه
ان يسلبه عند الموت الا سلبه وقال بعض علمائنا من اهل التوحيد اعطيه بكماله
ومن سعه منعه بكماله لان التوحيد لا يتبعض ولما احتضر سفيان الثوري رحمه الله
جعل يبكي ويجزع فقيل له يا ابا عبد الله عليك بالرجاء فان عفو الله تعالى اعظم من
ذنوبك فقال او على ذنوبي ابكي لو علمت اني اموت على التوحيد لم ابال ان القى الله تعالى
بامثال الجبال من الخطايا وقال بعض العلماء لو اني ايقنت انه يختم لي بالسعادة كان
احب الي مما طلعت عليه الشمس في حيوتي اجعله سبيل الله تعالى وحدثني بعض اخواني
عن بعض الصالحين الخائفين انه اوصى لبعض اخوانه فقال اذا حضرتني الوفاة فاقعد
عند راسي فاذا عاينت فانظر الي فان رايتني مت على التوحيد فاشتر بجميع تركتي لوزا
وسكرا وانثره على صبيان البلد وقل هذا عرس المنفلت وان رايتني مت على غير
التوحيد فاعلم الناس اني مت على غير التوحيد حتى لا يغتروا بشهود جنازتي وليحضر
من يريد على بصيرة لئلا يلحقني الرياء بعد الوفات فاكون قد خدعت المسلمين قال ومن
اين اعلم انك قد مت على التوحيد فذكر له علامة تظهر من بعض الاموات خفنا
من ذكرها قال فكنت عند راسه انظر اليه كما امرني عاين فرايت علامة حسن الخاتمة
الموت على التوحيد ثم فاضت روحه رحمه الله فنفذت وصيته واعلم ان العبد مهما عمل
في حيوته من سوء اعيد ذكره عليه عند فراق الحيوة فان استحلوه بقلبه ونفسه وقفه
معه وحبسه عليه علاوه وان قل فكان ذلك خاتمته وكذلك ما عمل من خير فهذه
المعاني من العلوم اوجبت خوف الخائفين من علم الله فيهم فلم ينظروا معها الى محاسن
اعمالهم لحقيقة معرفتهم بربهم عز وجل وهذا الخوف هو ثواب لعلمهم بما يعملون فلما
سلموا من مطالبة ما يعملون وصحوا على العلم كشف له خوف علم الله فيهم نعمة من الله
عليهم فكان ذلك مقاما لهم كما تعالى قال رجلان من الذين انعم الله عليهما قيل انعم عليهما
يخافون

يا فالما سفيان عند موته رحمه

ها

وامادة



قيل انعم عليهما بالخوف والمقام الاخر لاصحاب اليمين دون هؤلاء وهو خوف الجنايات وكسب
السيئات والوعيد وسوء العقاب وخوف التقصير عن الامر ومجاوزة الحد وسلب المزيد
وحجاب اليقظة بالغفلة وحدوث الفترة بعد الشدة وضعف العزم بعد القوة
ونكث العهد بنقض التوحدة والابتلاء بالسبب الذي جرت به العادة والاعوجاج
بعد الاستقامة وعود العادة بالشهوة والحور بعد الكود وهو الرجوع عن المحجة
الى طريق الهوى وحرث الدنيا وخوف اطلاع الله تعالى عليهم عند ماسلف من ذنوبهم و
نظره اليهم على قبيح اعمالهم فيعرض ويمقتهم هذه كلها مخاوف وهي طرقات اهل المعارف
وبعضها اعلى من بعض وبعضها اشد خوفا من بعد وقيل ان العرش جوهرة تتلالا ءالوان صفة العرش
الكون فلا يكون العبد على حال من الاحوال الا طبع مثاله في العرش على الصورة التي يكون
عليها فاذا كان يوم القيمة ووقت المحاسبة كشف له صور تر من العرش فراى نفسه
على هيئة التي كان في الدنيا فذكر فعله بمشاهدة نفسه فياخذه من الحياء والخوف
ما يجل عن الوصف وقيل ان الله تعالى اذا اعطى عبدا معرفة ثم لم يعامله بها لم يسلبه
اياها بل يبقيها عليه ليحاسبه على مقدارها ولكن يرفع منه البركة ويقطع عنه المزيد
وقد ذم الله تعالى اوجده نعمة استعمله بها صالحا بعد ان كان فما بتلوه بهواه الان
بعمله ولسيما قومت بياه ولم يخف ان يعيده فيما كان فوجناه في قوله تعالى ولئن
اذقناه نعماء بعد ضراء مسته الاية ومن المخاوف خوف النفاق فان السلف الصالح صفة النفاق
من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم كانوا يخافونه حتى قال حذيفة رض كان الرجل يتكلم
بالكلمة على عهد رسول الله عليه السلام يصير بها منافقا واني لاسمعها من احدكم في اليوم عشر مرات
وقال ايضا ياتي على القلب ساعة يمتلئ بالايمان حتى لا يكون للنفاق فيه مغرز ابرة وياتي
ياتي ساعة يمتلئ بالنفاق حتى لا يكون للايمان فيه مغرز ابرة وقال الحسن رض لو اني اعلم اني
بريء من النفاق كان احب الي مما طلعت عليه شئ وقيل لا يبري من النفاق الا الصديقون
والشهداء والصالحون وهؤلاء الذين انعم الله عليهم كمال النعمة والحقهم بمقامات انبيائه لكمال ايمانهم
وحقيقة يقينهم فقال في وصفهم فاولئك مع الذين انعم الله عليهم وقيل من امن من النفاق
فهو منافق وقيل علامة المنافق ان يكره من الناس ما ياتي مثله وان يحب على شئ من الجور من علامات المنافقين
وان يبغض على شئ من الحق وقيل من النفاق ان الرجل اذا امدح بما ليس فيه اعجبه وعلامات
النفاق اكثر من ان تحصى يقال هي سبعون علامة وقد قال عليه السلام اربع من كن فيه فهو منافق
خالص وان صام وصلى وزعم انه مسلم وان كانت فيه خصلة منهن ففيه شعبة من نفاق
حتى يدعها من اذا حدث كذب واذا وعد خلف واذا ائتمن خان واذا خاصم فجر وفي لفظ اخر
واذا عاهد غدر فصارت خمسا فهذه الخصال هي اصول خصال النفاق التي تتشعب منها بقية
فروعها وقال رجل لابن عمر رض انا ندخل على هؤلاء الامراء فنصدقهم فيما يقولون فاذا خرجنا تكلمنا
فيهم فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله عليه السلام وعنه ايضا انه سمع رجلا وبذم الحجاج

ويقع فقال له ارايت لو كان الحجاج حاضرا اكنت تتكلم بما تكلمت به قال لا قال كنا نعد هذا
نفاقا على عهد رسول الله عليه السلام وكان الحسن رض يقول ان من النفاق اختلاف السر
والعلانية واختلاف اللسان والقلب المدخل والمخرج قد قايق النفاق وخفايا الشرك نقصان عن
التوحيد وضعف اليقين اوجب المخاوف على المؤمنين خشية مقت الله تعالى وخوف
حبوط الاعمال ومن النفاق ما قاله ابن مسعود رض ان الرجل ليخرج من منزله ومعه دينه
فيرجع الى منزله وليس معه من دينه شيء يلقى الرجل فيقول لذيته وذيت ويلقى الاخر
فيقول انك لانت وانت ولعله يخلى منهم بشيء وقد اسخط الله تعالى بتذكيته بما لا يعلم
ومدحه لمن يستحق الذم والاختلاف قلبه ولسانه وفي ذلك مقت من الله عز وجل وفوق
هذه المخاوف خوف سلب الايمان الذي هو عندك في خزائن الله تعالى وهي القلب لا تدري
اهبة وهبة كل فيفيه عليك لكرمه او وديعة وعارية اودعك اياه واعاد ركه فياخذه
لعدله وحكمته وقد اخفى عنك حقيقة ذلك واستاثر بعاقبته ومن المخاوف خوف قطع المزيد
من علم الايمان مع تبقية المعرفة المبتداة فيكون مستدرجا بها ممنوعا من المزيد منها
وقد يقسوا قلبا العبد ويجري عينه وذلك من النقصان الذي يعرفه اهل التمام لان
عين الوجه من الملك للدنيا وعين القلب من الملكوت للاخرة فيمنعه ما ينفعه عنده
ويعطيه ما يغره به ويفتتن عند الخلق وقال مالك بن دينار قرات في التورية اذا استكمل
العبد النفاق ملك عينيه فيبكي متى شاء وكان السلف يستعيذون بالله من بكاء
النفاق وهو ان تفتح للعبد ابواب البكاء وتغلق عنه ابواب الذل والخشوع وكانوا
يستعيذون ايضا من خشوع النفاق وهي ان تبكي العين والقلب قاس ولا يعطي الا بشاد
رقة القلب في جود عين خير من ان يعطى دموع عين في قسوة قلب ورقة القلب عند
اهل المعرفة هي خشوعه وانكساره وذلة اخبا ترفمن اعطاه هذا في قلبه لا يضره ما منعه
من بكاء عينه فان وهبه فيض العين فهو فضل ومن اعطاه بكاء العين وحرمه رقة
القلب الموصوفة فقد مكر به وجملة بكاء العين انما هو في علم العقل فاعلم التوحيد
بمشاهدة اليقين فلو بكاء فيه لانه يظهر بمشاهدة الوحدانية فيحمله علم القدرة
فتغيض الدموع بانكشاف القوة وقد وصف الله تعالى البكائين بان البكاء يزيدهم
خشوعا في قوله تعالى يبكون ويزيدهم خشوعا فاذا زادنا البكاء كبرا وفخرا علمنا بذلك
عدم الخشوع في القلب كان تصنعا وعجبا لخفايا افات النفوس ومما يدل على ان
اعلى المخاوف خوف السوابق والخواتم قول بعض العارفين ما ابكاني وغمني منذ نوبي
وقهوا الا انها اخلاقي وصفاتي لا يليق بي غيرها انما حزني وحسرتي كيف كان هذا
تسمى منه ونصيبي حين قسم الاقسام وفرقها على العباد وسئل سهل رحمه الله هل
يعطي الله احدا من المؤمنين من يعطي من الخوف وذنب جبل فتيل فكيف يكون حالهم
ياكلون وينامون ويتكحون قال نعم يفعلون ذلك كله والمشاهدة لانفا دقهم والمأوى

بكاء العين مع قسوة القلب



بظلهم قيل فاين الخوف قال يحلها حجاب القدرة بلطيف الحكمة وليس القلب تحت
الحجاب في التصريف صفات البشرية فيكون مثل هذا العبد مثل المرسلين وهذا كما
قال لان التوحيد بالتصريف والحكمة تقيمه بالاحكام وذلك ان نور الايمان في القلب شهادة صح
عظيم لو ظهر للقلب لاحرق الجسم وما اتصل به من الملك الا انه مستور بالعقل
مغطى بالعلم لايقاع الاحكام وايجاب التصريف فيها والقيام يجري ذلك مجرى
الغايبات من معاني القدرة والصفات الالات الانوار محجوبة بالاسماء والاسماء محجوبة
بالافعال محجوبة بالحركات فتظهر الحركة بالقدرة وهي غيب من ورائها كذلك يظهر
التصريف بالحكمة عن نور الايمان وانوار الايمان مستورة من ورائها وقال بعض
العارفين لو كشف وجه المؤمن للخلق عند الله لعبدوه من دون الله تعالى ولو ظهر
نور قلبه للدنيا لم يثبت له شي على وجه الارض فسبحان من ستر القدرة ومغايبها
بالحكمة واسبابها حلما منه ورحمة وتطريقا للخلق اليه للمنفعة وفي قراة ابي
بن كعب رضي الله عنه مثل نور المؤمن فلولا ان نوره من نوره لما استحار ابدا الحروف
بغير معناه وقال سهل ايضا الخوف مباينة النهي والخشية الورع والاشتاق الزهد
وقال ايضا دخول الخوف على الجاهل يدعوه الى العلم ودخوله على العالم يدعوه
الى الزهد ودخوله على العالم يدعوه الى الاخلاص وقال ايضا الاخلاص فريضة
لا ينال الا بالخوف ولا ينال الخوف الا بالزهد لا من خاف تركه وقال ايضا من احب
الذي يرى خوف الله في قلبه فلو ياكل الا حلالا ولا يصح علم الرجاء الا للخايف وقال ايضا
الخوف ذكر والمحبة انثى الا ترى ان اكثر النساء تدعون المحبة يريد بهذا ان فضل
الخوف على الرجاء كفضل الذكر على الانثى وهذا كما قال لان الخوف حال العلماء والرجاء
حال العمال وفضل العالم على العابد كفضل القمر على الكواكب وعن رسول الله عليه السلام
فضل من علم احب الي من فضل من علم وخير دينكم الورع واعلم ان الخوف عند العلماء
على غير ما يتصور في اوهام العموم ويخالون ما يعدونه من القلق والاحتراق والوله
والانزعاج لان هذه خطرات ومواجيد واحوال الواهين ليست من حقيقة العلم في
شي بمنزلة مواجيد بعض الصوفية من العارفين في احوال المحبة من احتراقهم ووهلهم
والخوف عند العلماء انما هو اسم لصحيح العلم وصدق المشاهدة فاذا اعطي عبد حقيقة
العلم وصدق اليقين سمي خايفا ولذلك كان النبي عليه السلام من اخوف الخلق لانه كان
على حقيقة العلم واشدهم حبا لله تعالى لانه كان في نهاية القرب وكان حاله السكينة
والوقار في المقامين معا والتمكين والتثبت في الاحوال كلها ولم يكن وصفه القلق
ولا الانزعاج ولا الوله ولا الاستهتار قد اعطي اضعاف عقول الخليقة وعلومهم ووسع
قلبه لهم وشرح صدره للصبر عليهم وكان عليه السلام مع الاعرابي كانه اعرابي ومع الصبي
والمراة بمعناهما يقاربهم في علومهم ويخاطبهم بعقولهم ويظهر منهم مثل وجدهم ليعطيهم

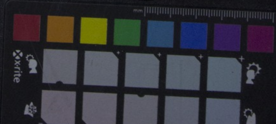
نصيبهم

فينقطعون

نصيبهم من الانس به ويوفيهم حقوقهم من الدرك منهم ولئلا تعظم هيبته في صدورهم
في السؤال والانس حكمة منه لا يفطنون لها ورحمة منه فتجبل عليها قد البس مواجيدهم
لبسة وادخل عليه صنعة بغير تصنع ولا تكلف ذلك تعليم الحكيم العليم فلذلك وصفه
بالخلق فيكون عظيم اسم الله تعالى لا يظهر من حاله ونصيبه شيئا لقوة التمكين وفضل
العقل ولا يبخس نصيبهم منه شيئا لحقيقة العدل ولا يتظاهر بشيء لحقيقة الزهد
ونهاية التواضع والفضل ولا يظهر عليه شيء لتمكن القوة ورسوخ العلم والحكمة
وعلى منهاجه وسنته وصف العارفين من اهل البلاء والذين هم الامثل فالامثل
بالانبياء وقال بعض المعرفة من طالب الخلق بعلمه وخاطبهم بعقله فقد بخسهم
حقوقهم منه نعم بحق الله تعالى فيهم وقال بعض العلماء لا يكون اماما من حدث
الناس بكل علمه واظهر لهم نصيبه وقال بعض يحيى بن معاذ لا تخرج احدا من
ولا تخاطبه بغير علمه فتتعب ولكن اعرف له من نزهه واسعة بكاسه وسئل بعض
بغير علمه فتتعب ولكن اعرف له من نزهه واسعة بكاسه وسئل بعض العلماء
عن العارف ليستوحش من الخلق فقال لا يستوحش ولكن قد يكون نفورا قيل فهل
يستوحش منه فقال لا ولكن قد يهاب والدليل على ان الخوف اسم لحقيقة العلم
قراءة ابي بن كعب رضي قوله تعالى فخشينا ان يرهقهما فخاف ربك قال يحيى بن زياد
النحوي معناه فعلم ربك قال فالخوف من اسماء العلم واعلم ان الخوف المقلق
والازعاج المحرق والاشفاق المولّه هي مجاوزات للطرق السابلة التي هي مخارج للائمة
الفاضلة وفيها منابه ومهالك ينكب عنها العلماء السيارة والصفوة المختارة الاثر
قد سلك ببعض الزهاد والعباد فيها واريد بعض العارفين بها ليست بمفضلة كل التفضيل
عند العلماء ولا بمنافس فيها مغبوط عليها عند العارفين لانها قد تخرج من طرقات
المسالك الى مناور المهالك وانما اريد ببعضهم التعريف والاطلاع عليها ومنهم من
اريد منه التيه والوله فيها الا انها اشهر في اسماع العامة واعجب واهول عند العموم
تفصيل هذه المخاوف ان للقلب سبعة مغايض يغيض اليها من القلب قال اي يفيض
وهي — فاض من القلب اتلف صاحبه الا ما استثنيه الاول قد يغيض الخوف من القلب الى المرارة
ارق صفات الادمة وهي باطن البشرة فيخرقها فيقتل العبد وهؤلاء هم الذين يموتون
من الغشي والصعق وبدوات الوجد وهم ضعفاء العمال والثاني قد يطير الخوف من القلب
الخوف — الى الدماغ فيحرق العقل فيتيه العبد فيذهب الحال ويسقط المقام والثالث قد يحل
السحر وهو الرئة فينقبها فيذ الاكل والشرب حتى يسل الجسم وينشف الدم وهذا
الحزن — لاهل الجوع والظماء والاصفرار والرابع فقد يسكن الخوف الكبد فيورث الكمد اللازم و
الشهادة — الدائم ويحدث الفكر الطويل والسهر المديد وهذا من افضلها وفي هذا الخوف العلم و

انواع الخوف

من بعض الخوف



تكون
وهو من خوف العالمين والخامس قد يقدح الخوف في الفرايض والفريصة هي اللحمة التي
على الكتف ومنه الخبر انه عليه السلام كان يعجبه الفريصتان من اللحم وهو ارق لحم الحيوان
واعذبه ومن هذا الخوف يكون الاضطراب والارتعاش واختلاف الحركة السادس قد يبدو
الخوف من القلب فيغشى العقل فيمحو سلطانه لقهر سلطان القدرة محو الشمس اذا برزت
ضوء القمر البادي الذي يبدو على السر من خزاين الملكوت فيضعف لحملة العقل فيضطرب
لضعفه الجسم فلا يتمكن العبد من القرار لضعف صنعته لان اجزاء الانسان كشيء
واحد فاذا اضطرب اعلاها مال اسفلها واذا اشتكى بعضها تداعى سايرها وهذه الطايفة اشبه
بالفضل وادخل في وصف العلم وقد سلك في هذا الطريق اكابر العلماء وافاضل اهل
القلوب وكان منهم في التابعين رضي الله عنهم كثير كاويس القرني والربيع بن خثيم وزرارة بن
اوفى وغيرهم ولم ينكر عليهم الصحابة رضي الله عنهم وكان عمر رضي الله عنه يغشى عليه حتى يقع من قيام
وكذا سعيد بن حديم وكان من زهاد اصحاب رسول الله عليه السلام ساله عمر رضي الله عنه عما يصيبه
فاخبر بما يجده من مشاهدته وهو وجد الصوفية من العارفين فعرف ذلك عمر رضي الله عنه وعذره
وقد كان اقوى الاقوياء وهادي الهداة رسول الله عليه السلام يغشى عليه عند نزول الوحي
في بعض الاوقات حتى يغط ويتربد وجهه ويتحدر منه العرق في اليوم الشاتي كالجمان
وهذا كان يصيبه في ضرب من الوحي وهو اذا تغشاه ولبسه لبسة ازال ترتيب العقل منه
ودفع مكان الكون عنده ونزل عليه روح القدس في روحه واستبطن قلبه لان الوحي
على اربعة اضرب ضربان متصلان هذا احدهما وضربان منفصلان ومن كل واحد يلحق
العلماء بالله تعالى اهل القلوب الناظرة والشهادة الحاضرة وصف الان ذلك في اهل
ثلث مقامات من المقربين مقام المعرفة ومقام المحبة ومقام الخوف وكل ضروب الوحي بعد
هذه الاربعة وهي عشر لاهل هذه المقامات الثلاثة منه نصيب شهادة ووجد وحال وخواطر
ومقام الاضربين من انواع الوحي فانهما ممتنعان ومخصوص بهما المرسلون احدهما ظهور
ملك في صورته والثاني سماع كلام الله تعالى بصفته وشرح هذا وتفصيله يطول وليس
يعرف علم يقين الا من سلك طريقه ولا يشهده شهود تحقيق الا من ذاق حقيقته ومن
امن به تصديقا وتسليما فله منه نصيب وقد نظر رسول الله عليه السلام الى جبريل عليه السلام في صورته
بالابطح فصعق وروي انه عليه السلام قرا اية في سورة الحاقة فصعق وقال الله تعالى وخر
موسى صعقا والسابع قد يفيض الخوف من القلب الى النفس فيحرق الشهوات ويمحو العادات
ويطفئ شعل الهوى وهذا من احد المخاوف واعلاها عند اهل المعارف وهؤلاء افضل الخائفين
وارفعهم مقاما وهو خوف الانبياء والصديقين وخصوص الشهداء وليس فوق هذا وصف يغبط
عليه خايف ولا يفرح به عارف فان جاوز الخوف هذه الاوصاف فقد خرج عن حده وجاوز قدره
قدره ومتى لم يعصم العبد من مجاوزة حد الخوف خرج به الخوف الى احد ثلثة معان خيرها

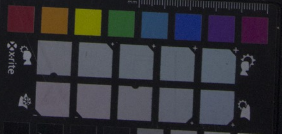
اقسام الخوف المجاوز للحد

ان

الى تغير

ان يسري الى النفس فيحرقها فيتلف العبد فيكون له شهادة وليس هذا محمودًا عند علماء
في باب العلوم والمشاهدات الا انه قد قال بعض العلماء ما شهداء بدر باعظم اجرا من مات
وجدا وهذه صفات ضعاف المريد اذ العلماء الموقنين بكل شهادة من اليقين اجر شهيد
واوسطها ان يعلو الى الدماغ فيذهبه فتحل عقده العقل لذوبه فتضطرب الطبايع
لانحلال عقدة العقل ثم تختلط المزاجات لاضطرابها فتحترق الصفراء فتحول سوداء
فيكون منه الوسواس والهذيان والتحير والتيه والوله وذلك ان الدماغ جا سدى
وهو مكان العقل فهو مركب عليه معقود به فاذا اختلطت المزاجات اشتعلت
فالتهبا شتغالها الى الدماغ فاحرقه واذا بر فحل معقل العقل الذي مكانه مخ
الدماغ وسلطانه متصل الى القلب الظاهر كصقال الحدقة وهو بمنزلة الشمس الطالعة
محلها الفلك العلوي وشعاعها على الارض كذلك العقل محله الدماغ وسلطانه
في القلب وفي هذا المقام الطيش والهيجان وهذا مكروه عند العلماء وقد اصاب ذلك
بعض المحبين في مقام المحبة فانطبق عليهم فولهوا بوجده ومنهم من فزع ذلك
عن قلبه فسري عنهم فنطقوا بعلمه وكان سهيل رحمه الله يقول لاهل الجوع احفظوا
عقولكم فانه لم يكن ولي الله تعالى ناقص العقل وادناها وهو شرها ان يعظم الخوف و
يقوي حتى يذهب الرجاء اذا لم يواجه بعلم الاخلاق من الجود والكرم والاحسان التي
تعدل المقام وتروح كروب الحال فيخرجه ذلك الى القنوط من رحمة الله والاياس
من روحه فهذا اضر وجوه الخوف المجاوز حده وقدره وهو من التعدي لحدود الله
وجعل الله لكل شي قدرًا ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه فصدق الرجاء
واعتدال الخوف به من حقيقة العلم بالله تعالى ومجاوزة الشي كالتقصير عنه والمؤمن
حقا هو المعتدل بين الخوف والرجاء والخوف المتلف بالموت خير من القنوط لان القنوط
مزيل للعلم ومسقط للمقام وموقع للكباير على ان هذين المقامين من الخوف ليس فيهما
علم ولا مشاهدة على الكشف وانما هو قوة وجد تصطلم ارادته اتلاف النفس ومحو
العقل بمنزلة خوف الكروبيين من الملوك اهل الكروب والقلق لا ينقلبون في المقامات
التي يعتقلون بها المقربين الروحانيين بلغني ان منهم حيا ويخرج كل يوم من تحت العرش بعدد
البشر قد اقلقه الشوق وحققه الكرب يريد النظر الى وجه العلي الاعلى فيحرقه شعاع
سبحات وجهه كما يحرق المصباح الفراش ثم يعود مثلهم في الغد هذا دابهم كل يوم الى
قيام الساعة كل ملك منهم لو جعل السموات والارض في كفه ثم قبضها لغابتا فيه
ولعمري ان جميع الملائكة لا ينقلون في المقامات كموقني المؤمنين انما لكل ملك منها م
معلوم لا ينتقل الى غيره الا انهم يمدون من ذلك المقام بمدد لا نهاية له الى يوم القيمة
باكثر ما يزاد وجملة البشر ولكن اولئك يحمل خوفهم قواهم ويثبت بمشاهدة وصف

ذم القنوط



المحبوب حقوقهم فلا يؤذيهم ولا يقتلهم لانهم يمدون بالقوي ويعصمون من الموت بحفظ الا حال
الى دقيقة الاخرة على ان منهم من يطيش عقله ويوله قلبه ومنهم من يسيح في تيهه ومنهم من يتيه
فلا يرد وجهه شي الى يوم القيمة ومنهم من يفزع الفزعة فلا يرتد اليهم طرفه ولا يرجع عقله
الى يوم الحشر ومنهم من يصعق صعقة فلا يزال في صرحه واحدة الى يوم نفخ الصور وكثير
منهم يصعقون عند سماع كلام الجبار حتى اذا فزع عن قلوبهم سالوا الروحانيين من المقربين
ذوي الحجب القربية والرتب العلية منهم جبرئيل وميكائيل واسرافيل ماذا قال ربكم فهولا الخائفون
من الناظرين والمتمكنون من المشاهدين محبة القدس اولوا المحبة والانس قالوا الحق وهو
العلي الكبير فمثل هولا الخائفين مثل المخلصين من المؤمنين الذين قال فيهم اولئك لهم رزق
معلوم ومثل الاقوياء اولي البصائر والمتمكنين مثل الصابرين الذين يؤتون اجرهم بغير حساب
واعلم ان الذي قطع الخلق عن الله تعالى حلاوة الهوى ولا يخرجها الا احدى كاسين تجرع مرارة
الخوف فتغلب حلاوة الهوى فتخرجه او غلبه حلاوة المحبة فتستغرق حلاوة الهوى فتنفده
فان عدم احد هذين فهو من المذنبين والخوف اسم جامع لمقامات الخائفين ثم يشتمل على خمس طبقات
في كل طبقة ثلثة مقامات فالمقام الاول من الخوف هو التقوى وفي هذا مقام المتقون والصالحون
والعاملون والمقام الثاني هو الحذر وفي هذا المقام الزاهدون والورعون والخاشعون
والمقام الثالث هو الخشية وفي هذا الطبقات العالمين والعابدين والمحسنين والمقام هو الوجل
وهو للناكرين والمخبتين والعارفين والمقام الخامس هو الاشفاق وهو الصديقين وهم
الشهداء والمحبون وخصوص المقربين وخوف هولاء عن معرفة الصفات لاجل الموصوف لا عن
مشاهدة الاكتساب لاجل العقوبات كما جاء في الخبر اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام خفني كما تخاف
السبع الضاري فالسبع انما يخاف لوصفه بالبطش والسطوة ولما البس وجهه من الكبر
والهيبة لا لاجل ذنب كان من الانسان اليه وكذلك لهولا من الرجاء العظيم والنصيب الاوفر
على معنى خوفهم ما لا يسع كشفه للعموم فطلبهم برجائهم وحسن ظنهم بما مولهم لا يصفه الا هم
ولا يعرفه سواهم جل ذلك انصبة القرب ونعيم الانس وروح اللقاء وسرور التملق وحلاوة
الخدمة وفرح المناجات وروح الخلوة وارتياح المحادثة ولطف المجالسة وسر الملاحظة
فلهم منه تجلي معاني الصفات وظهور محاسن الاوصاف فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة
اعين ولاصحاب اليمين اظهار نعيم الافعال ومواهب العطاء والافضال وقال يحيى بن معاذ رحمه الله
من عبد الله تعالى بالرجاء دون الخوف تاه في مفاوز الاغترار ومن عبده بالخوف دون الرجاء
غرق في بحار الافكار ومن عبده بالرجاء والخوف استقام في محجة الاذكار وقال مكحول النسفي
رحمه الله في معناه الا انه افرط من عبد بالرجاء فهو مرجي ومن عبد الله بالخوف فهو حروري
ومن عبده بالمحبة فهو زنديق ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد
والحوال الزاهدين وهو المقام السادس من مقامات اليقين قال الله تعالى في قصة قارون

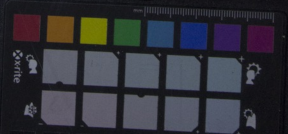
طبقات الخوف ومقاماته

شرح مقام الزهد

وقال

وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير قيل لهم الزاهدون في الدنيا وقال الله تعالى
اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا وقيل اي بما صبروا على الزهد في الدنيا وقال تعالى
سلام عليكم بما صبرتم قيل على الفقر وللفقير المعدم اجر واحد على الغني لوجود فقره
وعدم زهده وعلى هذا تأويل قوله عليه السلام يدخل فقراء امتي الجنة قبل اغنيائهم باربعين
خريفا وقوله عليه السلام يدخل فقراء امتي الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام معناه ان الفقير
الزاهد يدخل الجنة قبل الغني الصالح بخمسمائة عام وهؤلاء خصوص للفقراء والفقير
غير الزاهد يدخل الجنة قبل الاغنياء باربعين خريفا لاجل فقره فقط وهو عموم الفقراء
فصار الاغنياء مفضولين في الحالين معا قال عليه السلام تحفة المؤمن في الدنيا الفقر وقال
عليه السلام الفقر على المؤمن ازين من العذار الحسن على خد الفرس الجواد وقال عليه السلام العلماء
امناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا فاذا دخلوا في الدنيا فاحذروهم على دينكم وفي الاثر
لا تزال لا اله الا الله تدفع عن العباد سخط الله تعالى ما لم يبالوا ما نقص من دنياكم وفي
لفظ اخر ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على دينهم فاذا فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله
قال الله تعالى كذبتم لستم بها صادقين وفي خبر اخر اذا احب الله عبدا ابتلاه فاذا احبه الحب
البالغ اقتناه قيل اقتناه قال لم يترك له اهلا ولا مالا وفي بعض الكتب السالفة ان الله تعالى
اوحى الى بعض اوليائه احذر ان امقتك فتسقط من عيني فاصب عليك الدنيا صبا وقيل
ليس عمل من اعمال البر يجمع الطاعات كلها الا الزهد في الدنيا وقال بعض الصحابة للتابعين انتم
اكثر اعمالا واجتهادا من اصحاب رسول الله عليه السلام وهم كانوا خيرا منكم قيل ولم ذلك قال
لانهم كانوا ازهد منكم في الدنيا وفي وصية لقمان عليه السلام لابنه واعلم ان اعون الاشياء على
الدين زهادة في الدنيا وقيل من زهد في الدنيا اربعين يوما اجرى الله تعالى ينابيع الحكمة في
قلبه وانطق بها لسانه وفي الخبر اذا رأيتم العبد قد اعطي صمتا وزهدا في الدنيا فاقتربوا
منه فانه يلقى الحكمة وفي الخبر من اصبح وهمه الدنيا شتت الله تعالى عليه امره وفرق عليه ضيعته
وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب له ومن اصبح وهمه الاخرة جمع الله
له همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة ونظير هذا قوله تعالى
من كان يريد حرث الاخرة الاية وفي الخبر ان اردت ان يحبك الله عز وجل فازهد في الدنيا
فجعل الزهد سبب محبة الله فيكون الزهد من افضل الاحوال اذ المحبة من اعلى المقامات
فصار الزاهد حبيب الله وفي دليل الكلام ان من رغب في الدنيا فقد تعرض لبغض الله تعالى الذي لا
شيء اعظم منه قال سهل رح تجعل اعمال البر كلها في موازين الزهاد ويكون ثواب زهدهم زيادة
لهم وقال ايضا العباد في موازين العلماء والعلماء في موازين الزهاد يوم القيمة فلا يطمعن
طامع في محبة الله تعالى وهو محب للدنيا لان الله تعالى يمقتها وفي خبر ما نظر اليها منذ خلقها
وفي خبر الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله تعالى وما والاه وفي لفظ اخر وما اوى اليه
الدنيا مثل ابليس خلقه للبعد واللعنة ليبتليه ويبتلي به ويهلكه ويهلك به وفي الخبر

مثل

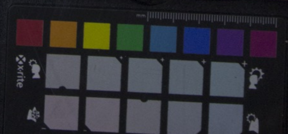


ان الدنيا تقول يوم القيمة يا رب اجعلني لادنى اوليائك نصيبا اليوم فيقول اسكتي
يا لاشئ انا لم ارضك لهم في الدنيا ارضاك لهم اليوم وقال علي رضي الله عنه الدنيا جيفة فمن
ارادها فليصبر على مزاحمة الكلاب وفي اخبار موسى عليه السلام ان لم تلق الفقير بمثل ما
تلقى به الغني فاجعل كل علم علمتك تحت التراب واذا رايت الفقير مقبلا فقل مرحبا
بشعار الصالحين واذا رايت الغنا مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته وقال سهل
في اخبار داود عليه السلام اني خلقت محمدا عليه السلام لاجلي وخلقت آدم عليه السلام لاجل
محمد عليه السلام وخلقت ما خلقت لاجل ولد آدم فمن اشتغل منهم بما خلقته لاجله حجبته
عني ومن اشتغل منهم بي سقت اليه ما خلقته لاجله وقال ايضا صديقون
في بداياتهم طلبوا الدنيا من الله تعالى فمنعهم فلما تمكنوا من احوالهم عرضها عليهم فامتنعوا منها
وكان عيسى عليه السلام يقول للدنيا اليك عني يا خنزيرة وكان جماعة من العلماء يسمون الدنيا
خنزيرة ولو وجدوا لها اسما اشر من ذلك لسموها به قال النبي عليه السلام لو كانت الدنيا
تزن عند الله تعالى جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة من ماء وقال بعض المخبرين عن
الله تعالى انه اوحى الى الدنيا اخدمي من خدمني واتعبي من خدمك وضرب عليه السلام
لها المثل في نتنها وانقلابها على اهلها بقوله للاعرابي ارايتم ما تاكلون وتشربون
السنتم تنظفون وتبردون قال بلى قال فالى اي شئ يصير قال الى ما علمت يا رسول الله
قال اليس يقعد احدكم خلف بيته فيجعل يده على انفه من نتن ريحه قال نعم قال
فان الله تعالى جعل الدنيا مثلا لما يخرج من ابن ادم وقيل في قوله تعالى وفي انفسكم افلا
تبصرون اي مواضع الغائط والبول وقال تعالى وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور قال
بعض اهل اللغة يعني بالمتاع الجيفة سمعت عن الاصمعي قال بعض العرب يقول
متع اللحم اذا تغير وانتن وقال الحسن البصري رضي الله عنه لما هبط آدم عليه السلام الى الدنيا
كان اول شئ عمل فيها انه احدث وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال انه نظر الى ما خرج منه
فاذاه ريحه فاغتم لذلك فقال له جبرئيل عليه السلام هذه رايحة خطيئتك واصل
الرغبة في الدنيا من ضعف اليقين لان العبد لو قوي يقينه لنظر بنوره
الى الآجل فغاب في نظره العاجل والانوار اربعة والقلب موجه الى جهات اربعة
الى الملك والملكوت والى العزة والجبروت فبنور العقل يشهد الملك وبنور
الايمان يشهد الملكوت وهو الآخرة وبنور اليقين يشهد العزة وهي الصفات
وبنور المعرفة يشهد الجبروت وهو الوحدانية والجبار جل وعلا له فوق القلب يحيط به
يكاشفه بما شاء فيغلب عليه وجد ما اشهده وضعف اليقين قد يدخل في كل
شئ وقوة اليقين يحتاج اليها كل عمل والا فهو دنيا يهتدي اليه بنور العقل فمن لم
يعط نور اليقين لم ير الملك الكبير فاستهواه الملك الصغير واحب لا شئ فلم تكن
قيمته في العلو ولا عند الاعلاء شيئا الزهد يكون بمعنيين ان كان الشئ موجودا

المثل

فالزهد

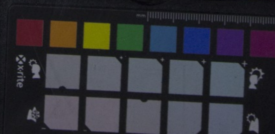
فيه الزهد فيه اخراجه وخروج القلب منه وهذا زهد الاغنياء ولا يصح الزهد
مع تبقيته للنفس لان ذلك دليل الرغبة فيه وان لم يكن موجودًا فالزهد هو الرضا
بعدمه والغبطة بفقده وهذا زهد الفقراء وكذلك القول في الزهد في القدرة على
الهوي لا يصح الا بعد وجود الابتلاء واما اذا لم يكن الشي موجودًا لك فان زهدك فيه
لا يصح لانه لا تصرف فيما لا تملك فالزهد في المعدوم باطل لهذا ولانه لو كان موجودًا تغير قلبك تمام
اذ ليس الخبر كالمعاينة فلذلك لا يحصل ظن معدوم كيقين موجود ولكن قد يكون لك
من الزهد في المعدوم عند قيامك بشرطه وهو ان لا تحب وجود الشي ولا تأسى
على فقده بل تكون مسرورًا بعدمه مغتبطًا بفقدك منه يعلم تعالى ذلك من غيبك و
يطلع على سرك انك لا تفرح بوجوده لو وجد ثم تخرجه لو دخل عليك لان قلبك قانع
بالله تعالى وراض عنه بحالك التي هي العدم غير محب للاستبدال بها الصدق يقينك بفضيلة
الزهد فاذا كنت بهذا الوصف حسب لك جميع ذلك زهدًا وهذا زهد فقراء الصالحين
وهو التحقيق بالفقراء وقال بعضهم حقيقة الفقر ان يكون الشخص مغتبطا بفقره
يخاف ان يسلبه كما يخاف الغني ان يسلب غناه وقد يصح الزهد للعارف في الشي
مع وجوده عنده اذا لم يقتنيه لمتعة النفس ولم يسكن اليه بل كان موقوفا في خزائن الدنيا
هي يده ينتظر الحكم الله فيه وعلامة ذلك استواء وجوده وعدمه والمسارعة اذا
راي حكم الله تعالى الى تنفيذه فيكون في ذلك كالمودع وهذا المقام زايد على الزهد فلذلك
لم يخرج عنه بل هو مخصوص فيه لخصوص وهو ايضا مقام من التوكل وقوت الزهد
وقوامه ان لا يفرح بموجود من حظ النفس ولا يحزن على مفقود منه وان يأخذ الحاجة الاخذ بقدر الحاجة
من كل شيء عند الحاجة اليه وهو قدر سد الفاقة ولا يطلب قبل الحاجة واول الزهد
دخول غم الاخرة في القلب ثم وجود حلاوة المعاملة للرب ولا يدخل غم الاخرة حتى
يخرج هم الدنيا ولا تدخل حلاوة المعاملة حتى تخرج حلاوة الهوي وكل من ترك
المعصية ولم يجد حلاوة الطاعة رجع اليها وكل من ترك الدنيا ولم يذق حلاوة
الزهد رجع فيها وخالص الزهد اخراج الموجود من الدنيا من القلب ومن اليد ثم يعني خالص الزهد
زهده في زهده فيكون زاهدًا في زهده لرغبته في مزهده وهذا لباب الزهد وحقيقته
وهو اعز الاحوال في مقامات اليقين وهو الزهد في النفس لا الزهد لاجل النفس ولا
الرغبة في الزهد للزهد وهذه مشاهده الصديقين وزهد المقربين ودون هذا
مقامات منها اخراج المرغوب فيه عن اليد مع نظره اليه ومجاهده لنفسه فيه وهو زهد
المؤمنين وقد جعل النبي عليه السلام الزهد في الدنيا علما لحقيقة الايمان وقرينا لشاهدة
الايقان في قوله عليه السلام لحارثة رضي الله عنه واشد من هذا انه عليه السلام جعل الزهد
من علامة شرح الصدر بنور التصديق الذي هو وصف عموم المؤمنين لانه هو
التحقق بالاسلام لما قيل له في قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام



ما هذا الشرح قال ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر واتسع قيل يا رسول الله
هل لذلك علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد
للموت قبل نزوله فهذا هو الزهد جعله شرط الحقيقة الاسلام واشد من هذين
تفسير الحياء الزهد
الخبرين الخبر الثالث الذي فسر فيه الحياء من الله تعالى بالزهد في الدنيا فقال استحيوا
من الله حق الحياء قلنا انا لنستحيي فقال تبنون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تاكلون واعظم من
كون الزهد من شرط اخلاص التوحيد
هذه الاخبار كلها الخبر الذي جعل فيه رسول الله عليه السلام الزهد من شرط اخلاص التوحيد
في قوله عليه السلام من جاء بلا اله الا الله لا يخلط معها غيرها وجبت له الجنة فقال علي كرم الله وجهه يا رسول
الله فسر لنا ما لا يختلط بها غيرها فقال حب الدنيا وطلبها لها واتباعا لها وقوم يقولون قول
الانبياء ويعملون اعمال الجبابرة فمن جاء بلا اله الا الله ليس فيها شيء من هذا وجبت
له الجنة وفي خبر مقطوع السخاء من اليقين ولا يدخل النار موقن والبخل من الشك ولا
يدخل الجنة من شك فكان هذا الخبر مفسرا للخبر المجمل السخي قريب من الله قريب من الجنة بعيد
مدح السخاء وذم البخل
من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار فتبين ان السخي انما
كان قريبا من الجنة ليقينه والبخيل لشكه فالسخاء وصف الزاهد لا يكون الزاهد
الا سخيا والبخل وصف الراغب الحريص فنفس السخاء زهد ونفس البخل رغبة والحرص
علامة البخل لانه دليل الرغبة والقناعة علامة السخاء لانها باب الزهد ولذلك قيل سخاء
سخاء النفس عن الدنيا افضل من سخاء
النفس عما في ايدي الناس افضل من سخاء البذل ثم يفترقان في الحكم بعد اجتماعهما في الاسم
فمن جاد بملكه لله تعالى كان زاهدا لله تعالى ووقع اجره على الله تعالى ومن جاد بملكه لاجل الناس كان
ايضا زاهدا موصوفا بالسخاء ولكن لاجل الناس كان ايضا زاهدا موصوفا بالسخاء ولكن
ذلك لاجل نفسه وهواه لا اجر له عند الله تعالى اذ لم يكن عمله لله بل لحصول الشكر والذكر
من الناس وقد حصل وقال بشر بن الحارث الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس فمن زهد فيهم فقد زهد
في الناس
في الدنيا وكذلك قال بعض الحكماء اذا طلبت الزاهد من الناس فاهرب منه واذا هرب من الناس
فاطلبه وقيل ليحيى بن معاذ رحمه الله حتى يكون الرجل زاهدا فقال اذا بلغ حرصه في ترك الدنيا
حرص الطالب لها وقال قاسم الجوعي الزهد في الدنيا هو الزهد في الجوف فبقدر ما تملك
من بطنك كذلك تملك من الزهد فكانت الدنيا عنده الشبع واكل الشهوات وقال الفضيل
بن عياض الزهد هو القناعة فكانت الدنيا عنده الحرص وقال الثوري هو قصر الامل فكانت
الدنيا عنده طول الامل وقال ابو سليمان الداراني الدنيا كل ما شغل عن الله تعالى فكان الزهد
عنده التفرغ لله تعالى وقال ايضا انما الزاهد من تخلى من الدنيا واشتغل بالعبادة والاجتهاد
واما من ترك الدنيا وبطل فانما طلب الراحة الدنيوية وقال داود الطائي رحمه الله كل ما شغلك
عن الله تعالى من اهل او مال فهو عليك مشؤوم وقال ابو سليمان من تزوج او كتب الحديث
او طلب معاشا فقد ركن الى الدنيا وقال ايضا في قوله تعالى الا من اتى الله بقلب سليم هو
القلب الذي ليس فيه غير الله وعن عمر رضي الله عنه لما نزل قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة

قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبا للدنيا تبا للدنيا والدرهم فقلنا نهانا الله عن كنز الذهب
شي ندخر فقال ليتخذ احدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة صالحة تعينه على امر آخرته
وعن النبي عليه السلام من اثر الدنيا على الاخرة ابتلاه الله تعالى بثلث هم لا يفارق قلبه ابدا
وفقر لا يستغني ابدا وحرص لا يشبع ابدا وعنه عليه السلام لا يستكمل العبد الايمان حتى
يكون ان لا يعرف احب اليه من ان يعرف وحتى يكون قلة الشيء احب اليه من كثرته وقال عيسى
عليه السلام حلاوة الدنيا مرارة الاخرة وجودة الثياب خيلاء القلب يعني اعجابه وكبره
واعلم ان من الزهد في الدنيا ترك الملبس الناعم المنظور اليه واجتناب النزهات
من لطايف الطعام والشهوات التي يرغب فيها المتنعمون وترك الفاخر من الالة والاثاث
النفايس فيها المترفون ومن الزهد ان يكون الشيء الواحد يستعمل في اشياء كثيرة
كذا كانت سيرة السلف كان من الرغبة ضده وهو استعمال ابناء الدنيا في الشيء الواحد
اشياء كثيرة وقال بعض العلماء من رق ثوبه رق دينه وفي الخبر البذاذة من الايمان
قيل هي التقارب في اللباس وفي خبر اخر من ترك ثوب جمال وهو يقدر عليه تواضعا
لله تعالى كساه الله تعالى من حلل الجنة ايما شاء ولما اتى رسول الله عليه السلام اهل قباء
اتوه بشربة من لبن مشوبة من عسل فوضع القدح من يده وقال اما اني لست
احرمه ولكني اتركه تواضعا لله تعالى واتى عمر بن الخطاب رضي الله بشربة من ماء
بارد وعسل في يوم صايف فقال اعزلوا عني حسابها واوحى الله تعالى الى نبي
من انبيائه عليهم السلام قل لاوليائي لا يلبسوا ملابس اعدائي فيكونوا اعدائي وقال
علي رضي الله ان الله تعالى اخذ على ائمة الهدى ان يكونوا في مثل ادنى احوال الناس
ليقتدي بهم الغني ولا يزري بالفقير فقره وكان علي رض يلبس الخشن من القطن
وكانت قيمة قميصه من ثلثة دراهم الى خمسة وكان يقطع ما فضل عن اطراف
اصابعه فعوتب في ذلك فقال هذا ادنى الى التواضع واجدر ان يقتدي بي
المسلم واتت برود من اليمن الى عمر رضي الله عنه فقسمها في اصحاب رسول الله عليه السلام
بردا بردا ثم صعد المنبر يوم الجمعة فخطب الناس في حلة منها والحلة عند العرب ثوبان
من جنس واحد وكان ذلك من احسن زيهم فقال الا اسمعوا ثم وعظ فقال
سلمان رضي الله والله لا نسمع قال ولم ذاك قال لانك فما اعطيتنا ثوبا ثوبا وانت
في حلة فقد تفضلت علينا بالدنيا فتبسم عمر ثم قال عجلت يا ابا عبد الله رحمك الله
اني غسلت ثوبي الخلق فاستعرت برد عبد الله بن عمر فلبسته مع بردي فقال سلمان
قل الان حتى نسمع ونهى النبي عليه السلام عن التنعم وقال ان عباد الله ليسوا بالمتنعمين
وروي ان عمر رض خطب الناس فقال رحم الله رجلا علم في عيبا الا اخبرني به فقام
فتى شاب فقال يا امير المؤمنين فيك عيبان اثنان قال وما هما رحمك الله قال
تذيل بين بردين وتجمع بين الادمين فما ذال رض بعد ذلك بين بردين ولا جمع



بين اديان حتى لقي الله تعالى قال الشيخ رحمه الله يذيل بالذال المعجمة يجمع بين ذيليها فيتفق
ذيل البرد الاعلى مع ذيل البرد والاسفل لطوله او يجمع بينهما في كونهما في سلكه للاستعمال
انما كان للفقراء ثوب واحد والعرب تقول اذل واشل اي ضع وادفع قال الشيخ
وانا احسب انه يذيل بالدال اي يبدل بردا ببرد دولة ذا ودولة ذا فقيل
قومت ثوبي سفيان ونعليه بدرهم واربعة دوانيق وقال ابن شبرمة خير ثيابي
ما خدمني وشر ما خدمته وقال عددنا في قميص عمر رضي الله عنه اربعة عشرة رقعة
بعضها من ادم وقال بعض العلماء كثرة الثياب على ظهر ابن آدم عقوبة من الله تعالى
وكان بعض العلماء يكره ان يكون على الرجل من الثياب ما يجاوز قميصه اربعين
درهما ويعد ما جاوز المائة سرفا وكان جمهور العلماء يكره ان يكون على الرجل من الثياب
وخيار التابعين رحمه قيمة ثيابهم ما بين العشرين الى الثلثين واشترى رسول الله عليه السلام
ثوبا باربعة دراهم وكانت قيمة ثوبيه عشر الى دينار وكان طول ازاره اربع
اذرع ونصفا واشترى عليه السلام سراويل بثلاثة دراهم وكان عليه السلام يلبس شملتين
بيضاوين من صوف وكانت تسمى حلة لانها ثوبان من جنس واحد وربما لبس
بردين يمانيين او سحوليين من الغلاظ وكان قميصه كانه قميص زيات وقال عليه السلام
لعايشة رض اردت اللحوق بي فاياك ومجالسة الاغنياء ولا تنزعي ثوبا حتى ترقعيه
وقال عليه السلام ان اقرب الناس مني مجلسا يوم القيمة من كان على مثل ما انا عليه من الدنيا
وكان عليه السلام يقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا وقال عليه السلام لا يعذب الله تعالى
عبدا رزقه في الدنيا قوتا وقنع به وفي لفظ آخر وصبر عليه وقال عليه السلام ما من احد
غني ولا فقير الا ود يوم القيمة ان رزقه كان في الدنيا قوتا وقال عليه السلام من احبني
واجاب دعوتي فاقلل ماله وولده ومن ابغضني ولم يجب دعوتي فاكثر ماله وولده
واوطا عقبه يعني كثره للاتباع وكانت هذه دعوة الصحابة رضي الله عنهم على من مقتوه
وفي الخبر نقصان الدنيا زياده الاخرة وزيادة الدنيا نقصان الاخرة وفي الاثر
ما من احد اعطي من الدنيا شيئا الا نقص من درجته وان كان على الله كريما وقال ابرهيم الخواص
في وصف المدعين وقوم ادعوا الزهد ولبسوا الفاخر من اللباس يموهون بذلك على
الناس ليهدى اليهم مثل لباسهم ولئلا ينظروا اليهم بالعين التي ينظر بها الى الفقراء فيحتقروا
فيعطوا كما يعطى المساكين ويحتجون لنفوسهم باتباع العلم وانهم على السنة وان الاشياء
داخلة عليهم وهم خارجون منها وانما ياخذون بعلة غيرهم يتعللون بهذا اذا طولبوا بالحقايق
والجئوا الى المضايق وكل هولاء اكلة الدنيا بالدين لم يعنوا بتصفية اسرارهم ولا بتهذيب
اخلاق نفوسهم فظهرت عليهم صفاتهم فغلبتهم فادعوها حالا لهم مايلون الى الدنيا الى
الدنيا متبعون للهوى ومن الزهد ترك فضول البنيان وان لا يبني عاليا ولا مشيدا
ولا من الطين الا ما يحتاج اليه ونظر اليه رضي الله عنه في طريق الشام الى صرح قد بني بجص وآجر

فكر

نوّل

ذكر وقال ما كنت اظنّ ان يكون في هذه الاية من يبني بنيانا هامان لفرعون يعني فرعون فاوقد لي يا هامان على الطين يعني بالآجر وقيل اوّل من بنى بالجص والآجر فرعون واول من عمله هامان ثم تبعهما الجبابرة وهذا هو الزخرف وكان في السلف من يبني داره مرارا في مدة عمره لضعف بنيانه وقصر امله وزهده في اتقان البنيان وكان منهم من اذا حج او غزا نزع بيته او وهبه لجيرانه فاذا رجع اعاده وكانت بيوتهم من الحشيش والثمام والجلود وعلى ذلك العرب ببلاد اليمن الى اليوم وكان سمك بناء السلف قامة وبسطة وقال الحسن كنت اذا دخلت بيوت اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربت بيدي الى السقف وقال عمرو بن دينار اذا علا العبد البناء فوق ست اذرع ناداه ملك الى اين يا افسق الفاسقين وقال عليه السلام من بنى فوق ما يكفيه كلف ان يحمله يوم القيمة وفي الخبر كل نفقة يوجر عليها العبد الا نفقته في الماء والطين وقال عليه السلام كل بناء وبال على صاحبه يوم القيمة الا ما اكنّ من حرّ او برد واعلم ان الزهد لا ينقص الرزق ولكنه يزيد في الصبر ويديم الجوع والفقر فيكون هذا ذخرا للزاهد من الاخرة وعن بعض العلماء ان بقالا اجا فقال اني كنت ابيع في ابيع في محلة لا بقال فيها غيري فكنت ابيع كثيرا وقد فتح عليّ بقال آخر فهل ينقص ذلك من رزقي شيئا فقال لا ولكن يزيد في بطالتك عن البيع وقال عيسى عليه السلام لا تنظروا الى اموال اهل الدنيا فان بريق اموالهم يذهب بنور ايمانكم وقال بعض العلماء تقليب الاموال يمص حلاوة الايمان قال عليه السلام اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين كل ذلك يدل على تفضيل الفقر وتشريف الفقراء وقال عيسى عليه السلام اني لاحب المسكنة وابغض الغنا وان في المال داء كثيرا قيل يا روح الله وان كان يكتسبه من حلال قال يشغله كسبه عن ذكر الله تعالى وقيل كان احب شيء الى عيسى عم ان يقال له يا مسكين وكان يقول شر الغنا ان العبد يعصي ليستغني ولا يعصي ليفتقر وقد نظمه حكيم فقال يا عايبا للفقر يبغي الغنا عيب الغنا اعظم لو تعتبر انهك تعصي لتنال الغنا ولست يعصى الله كي تفتقر وقال الحواريون يا روح الله نحن نصلي كما تصلي ونصوم كما تصوم ونذكر الله تعالى كما امرتنا ولا نقدر نمشي على الماء كما تمشي انت فقال اخبروني كيف حبكم الدنيا قالوا انا نحبها فقال ان حبها يفسد الدين لكنها عندي بمنزلة الحجر والمدر قال الحسن رضي الله ما رايت الله تعالى جعل البقاء الا لا بغض خلقه اليه وهو ابليس وقال العلماء لا ترغبوا في البقاء في هذه الدنيا فان شرار الخلق اطولهم بقاء وهم الشياطين والعز انما يراد للبقاء وقال سهل رحمه الله من احب الغناء والبقاء والعز فقد نازع الله تعالى صفاته فيخاف عليه الهلكة قال الله تعالى العز ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني احدهما قصمته في النار وقال سهل رحمه الله لا يتم زهد عبد حتى يزهد في ثلث في الدرهم الذي

الزهد لا ينقص الرزق

في النظر الى المال

تعالى



يريد ان ينفقه في ابواب البر يتقرب به الى الله وفي الثياب الذي يستر بها بدنه في
الطاعات وفي قوته الذي يستعين به على العبادة وانما قال هذا لان عنده حقيقة
الزهد من افضل المقامات كلها لانه كان يقول يعطى الزاهد جميع ثواب العلماء
والعباد ثم يقسم على المومنين ثواب اعماله كما روي ان عيسى عليه السلام وضع تحت راسه
حجرا فاستراح بارتفاع راسه عن الارض فقال له ابليس الست تزعم انك قد زهدت
في الدنيا فاهذا الذي وطاته تحت راسك فرماه عيسى عليه السلام وقال هو لك مع ما تركته
وعن يحيى عليه السلام انه لبس المسوح حتى تثقب جلده فسالته امه ان ينزع مسحه الشعر
ويلبس مكانه جبة صوف ففعل فاوحى الله تعالى اليه يا يحيى اثرت على الدنيا فبكى
ونزع الصوف ولبس مسحه واعلم ان الزهاد تفاوتوا فيما زهدوا لاجله على مقامات
على نحو علو المشاهدات فمنهم من زهد اجلالا لله تعالى ومنهم من زهد حياء منه ومنهم
من زهد خوفا منه ومنهم من زهد رجاء موعوده ومنهم من زهد مسارعة منه
لامره ومنهم من زهد حبا له وهم اعلاهم وادناهم من زهد مخافة طول الوقوف ومناقشة
الحساب كما قيل ذو الدرهمين يوم القيمة من ذي الدرهم وان طريق المقربين لا يسلكه من
من ملك من الدنيا زوجين من شيء وقال الثوري رحمه الله لا يكون الرجل عالما حتى يعد البلاء
نعمة والرخاء عقوبة وقال ابرهيم بن ادهم رحمه الله الزهد ثلثة اصناف زهد فرض وهو الزهد
في الحرام وزهد فضل وهو الزهد في الحلال وزهد سلامة وهو الزهد في الشبهات وقال
ابو يزيد البسطامي رحمه الله ليس الزاهد من يملك شيئا انما الزاهد من لا يملكه شيء
وقال ايضا الزاهد من لا يملك شيئا ولا يملكه شيء وقال ابو يزيد حقيقة الزهد لا يكون
الا عند ظهور القدرة وكان يستعيذ بالله تعالى من اربعة وعشرين مقاما من اظهار
القدرة وذهب الى هذا سهل وغيره رحمه الله وقال سبعة عشر مقاما في المعرفة ادناها المشي على
الماء وفي الهواء وظهور كنوز الارض وهذا كله من زخرف الدنيا وحكي معنى هذا عن الجنيد رحمه الله
قال اجتمع اربعة من الابدال في جامع المنصور ليلة العيد فلما اسحروا قال احدهم نويت
ان اصلي العيد في بيت المقدس وقال الآخر بطرسوس وقال الاخر بمكة وسكت الرابع
وكان اعرفهم فقيل له انت اي شيء نويت فقال نويت اليوم ترك الشهوات لا اصلي
الا في هذا المسجد الذي بت فيه فقالوا انت اعلمنا وقعدوا معه فصار عند الابدال ان
هذه الايات من الشهوات اذ ليست مقامات والشهوة من الدنيا لانها عن الهوى وفيها تدبير
واختيار وعند زهاد العارفين والمحبين ان هذه مكر وخدع يسكنون بها ويقطعون
لينظر كيف تعملون اذا ابتلوا كل عبد على قدر مرتبته وحاله فيلزمه الزهد فيه وقال
هي في المقام السابع عشر من المعرفة فمن سلك بعد ذلك الطريق زاهدا فيه وفوقها نيف
وسبعون مقاما افضل من ذلك وروي ان النبي عليه السلام قال لرجل هلا استويت قال
قال وكيف استوي قال ليستوي عند المدح والذم شرح مقام التوكل ووصف احكام المتوكلين



بين
وهو المقام السابع من مقامات اليقين التوكل من اعلى مقامات واشرف احوال المقر
قال الله تعالى ان الله بسك السموا قال الله تعالى وعلى الله فليتوكل المتوكلون دفع المتو كلين
اليه وجعل مزيدهم منه وقال الله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه اى كافيه ما سواه وقال
بعض الصحابة والتابعين رضى الله عنهم التوكل نظام التوحيد وجماع الامر وقال سهل رحمه الله
ليس فى المقامات اعز من التوكل وقد ذهب الانبياء عليهم السلام بحقيقته وبقيت منه صبابة
انتشفها الصديقون فمن تعلق بشئ منه فهو صديق او شهيد وقال ابو سليمان رضى الله عنه
فى كل المقامات لى قدم الى فى هذا التوكل المبارك فما لى منه الا مشام الريح وقال بعض العلماء
الابدال العلم كله باب من التعبد والتعبد كله باب من الورع والورع كله باب
من الزهد والزهد كله باب من التوكل وليس للتوكل حد ولا غاية ينتهى اليها وقال
ايضا فى قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا اى اصدق توكلا وقال فى قوله تعالى اتقوا الله
حق تقاته اعبدوه بالتوكل وقيل فى التورية ملعون من مقته انسان مثله قيل معناه
ان يقول لولا فلان هلكت لولا كذا كان كذا او ما كان كذا فقوله نقمته معناه عنده
اعتماده عليه وسكونه اليه لان ذلك شرك فى التوحيد وهو الشرك الخفى وعن
الخبر اياكم ولو فانه يفتح عمل الشيطان وقال بعض العلماء سوف جند من
جنود ابليس وعنه عليه السلام من اعتز بالعبيد اذله الله واول التوكل ترك
الاختيار وقال سهل التوكل اذا رأى السبب فهو مدع وقال ليس مع الايمان اسباب
انما الاسباب فى الاسلام معناه ليس فى حقيقة الايمان روية الاسباب والسكون اليها انما
روئيتها والطمع فى الخلق يوجد فى مقام الاسلام وقال بعض المقربين حقيقة التوكل حقيقة التوكل
الفرار من التوكل اى يتوكل ولا ينظر الى توكله بل نظره الى الوكيل بلا خلل ويقوم
له بشهادة منه بلا ملل وقال بعض العارفين فى قوله تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه
وقال المضطر الذى يقف بين يدى مولاه فيرفع اليه بالمسئلة ولا يرى بينه وبينه
حسنة يستحق بها شيئا بل يقول مولاى هب لى شيئا بلا شئ فتكون بضاعته عنده
مولاه الافلاس ويصير حاله مع كل الاعمال الاياس فهذا هو المضطر وهؤلاء من الذين
وصفهم الله تعالى بالتقوى والمخافة وجعلهم اهلا للدعوة والنذارة واخبرانهم
لا يرون بينه وبينهم سببا يليهم ولا شفاعة فقال تعالى وانذر به الذين يخافون ان يحشروا
الى ربهم الاية وقال تعالى فى وصف امثالنا من اهل اللعب واللغو والسهو متهددا لنا
متوعدا وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحيوة الدنيا وقال بعض علمائنا
التوكل التبرى من الحول والقوة والحول اشد من القوة يعنى بالحول الحركة وبالقوة
الثبات على الحركة هى اول الفعل ويريد بهذا ان لا ينظر الحركة مع المحرك اذ هو
الاول ولا الى ثباتك ايضا بعد الحركة اذ هو المثبت الاخر فتكون للاولية والاخرية
حقيقته شهادة اليقين باليقين فعندها صح توكلك بشهادة الوكيل وقال ايضا التوكل

يعنى شهادة ان له لديه انه به اول اخر
بحقيقة اليقين فيخرج خفى الشرك
بشهادة التوحيد وهذا هو صح



ترك التدبير واصل كل تدبير من الرغبة واصل كل رغبة من طول الامل من حب البقاء
وهذا شرك لانك شاركت الرب في وصف البقاء وقال ايضا حجاب الخلق عن الله تعالى
تدبيرهم فقد كثر قوله في ترك التدبير فينبغي ان يعرف معناه ليس يعني به ترك التصرف
فيما وجه العبد فيه وابيح له كيف وهو يقول من طعن في التكسب فقد طعن في السنة
ومن طعن في ترك التكسب فقد طعن في التوحيد بل يعني بترك التدبير ترك
الاماني وقول لم كان كذا ولم لا يكون كذا ولو كان كذا ونحوه لان كل ذلك اعتراض
وجهل بسابق العلم وذهاب عن نفاذ القدرة وشهادة الحكمة وغفلة عن رؤية
المشية وعن جريان الحكم بها ويعني به ايضا ترك التدبير للمستقبل كما يترك فيما مضى
فتستوي عنده الحالات لئلا يشغله التدبير الذي لا يغير التدبير عن حكم حاله وقته
الذي هو لازم وواجب عليه فترك التدبير بهذا التفسير هو اليقين مكان المعرفة فالمتوكل
قد علم بيقينه ان ما قسمه الله تعالى له واصل اليه لا محالة على اي حال كان وان ما
هو له لا يكون لغيره ابدا وما هو لغيره لا يكون له ابدا ولهذا قال النبي عليه السلام يقول
ابن ادم مالي مالي انما لك من مالك ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت
فامضيت وما سوى ذلك فهو مال الوارث وقال عليه السلام لكل عبد رزق هو اتيه
لا محالة فمن قنع به ورضي بورك له فيه ووسعه ومن لم يقنع به ولم يرض
لم يبارك له فيه ولم يسعه وقال عليه السلام لو هرب احدكم من رزقه لادركه كما لو
هرب من الموت لادركه اجله وفي وصية النبي عليه السلام لابن عباس رضي الله عنه اذا سالت
فليسال الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم ان الخلايق لو جهدوا ان ينفعوك
بما لم يكتبه الله تعالى لك ما قدروا على ذلك ولو جهدوا ان يضروك بشيء لم يكتبه الله
عليك لم يقدروا على ذلك طويت الصحف وجفت الاقلام فمن كانت هذه مشاهدته
في الرزق سقطت عنه حمله من الهموم واستراح الخلق من اذاه وشغل عنهم بخدمة اقوانهم
مولاه وفهم خطابه واستجاب له وقيل في قوله تعالى وقدر فيها انه خلق الارزاق قبل
الاجسام بالفي عام فالمتوكل لا يطالب مولاه برزق غد كما لا يطالبه مولاه بعمل غد واعلم
ان التوكل في الرزق المضمون هو توكل العموم يستحي الخصوص من ذكره لان الله تعالى
اقسم بنفسه ان الرزق في السماء حق كما اقسم بنفسه انه كلامه حق فقال تعالى وفي السماء
رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق وقال تعالى ويستنبئونك احق هو
قل اي وربي انه لحق فالقسم بالذات دون غيرها لتسكن بذلك نفوس الخليقة عن
النظر الى الادوات ولترتفع الشك ويحصل اليقين وليس في القران قسم بالذات
فيما سبرناه الا في خمسة اشياء منها هذان والثالث في سورة التغابن قوله تعالى
زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا الاية والرابع في سورة الواقعة فلا اقسم برب المشارق
والمغارب الاية والخامس في سورة النساء قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون الاية

وسایر الاقسام فی القران بالافعال لا بالذات ومن توکل الخصوص الصبر علی الاذی من القول
والفعل لقوله تعالی لا اخص الخصوص علیه السلام فاتخذه وکیلا واصبر علی ما یقول وقال
الرسل علیهم السلام ولنصبرن علی ما اذیتمونا وعلی الله فلیتوکل المتوکلون وقال تعالی ودع
اذاهم وتوکل علی الله ومن توکل الخصوص ایضا التوکل فی الصبر علی حسن المعاملة وترك
طلب العوض حیاء من الله تعالی واجلالا له وخوفا منه وحبا له قال الله تعالی نعم اجر العاملین
الذین صبروا وعلی ربهم یتوکلون وقال الله تعالی انما نطعمکم لوجه الله الایة وقال وهب بن الورد
لو کانت السماء نحاسا والارض رصاصا ثم اهتممت برزقی لظننت انی مشرك وقیل من اهتم
برزق غد فهی خطیئة تکتب علیه وقال الثوري الصایم اذا اهتم فی اول النهار بعشائه
کتبت علیه خطیئة وقال سهل رحمه الله اعرف فی البصرة مقبرة عظیمة یغدا علی موتاها برزقهم
من الجنة بکرة وعشیا ویرون منازلهم من الجنان وعلیهم من الغموم والکروب ما لو قسم علی
اهل البصرة لماتوا قیل ولم ذلك قال لانهم کانوا اذا تغدوا قالوا بای شیء نتعشی و
اذا تعشوا قالوا بای شیء نتغدي وهذه المقامات من فضایل التوکل وفوقها ما لا یصلح
رسمه فی کتاب من مکاشفات الصدیقین ومشاهدات العارفین منها انه تعالی اعطاهم
کن باطلاعه ایاهم علی الاسم فزهدوا فی کون کن لاجل کان توکلهم علیه وحیاء منه ان یعارضوه
سبحانه وتعالی فی قدرته او یرغبوا عن تقدیره او یضاهوه فی تکوینه لان تدبیره عندهم
احکم واتقن وهو بالعواقب اعلم والتوکل فرض وفضل ففرضه منوط بالایمان وهو تسلیم
الانقیاد کلها للقادر واعتقاد ان جمیعها قضاؤه وقدره کقوله تعالی وعلی الله فتوکلوا ان
کنتم مؤمنین وقوله تعالی ان کنتم امنتم بالله فعلیه توکلوا ان کنتم مسلمین هذا فی فرض التوکل
ان الله یحب المتوکلین فی فضل التوکل وقال سهل رحمه الله فی قوله تعالی یمحو الله ما یشاء ویثبت یمحو الاسباب
من قلوب العارفین ویثبت القدرة ویمحو المشاهدة من قلوب الغافلین ویثبت الاسباب
فی صدورهم وقال ایضا خلق الله تعالی النفس متحرکة وامرها بالسکون ابتلاء لها فان عصمها
سکنت وان ترکها بطبعها تحرکت وهو الخذلان وسال ملك حکیما ما بال العاقل محروما
والاحمق مرزوقا فقال اراد الصانع سبحانه ان یدل بذلك علی وجوده وقدرته فلو کان کل
عاقل مرزوقا وکل احمق محروما لوقع فی النفوس ان العقل یرزق صاحبه والحمق یحرمه وقال
ابن مسعود رضی الله عنه ان فی اعطاء هذا المال فتنة وفی منعه فتنة ان اعطیه عبد مدح غیر الذی
اعطاه وان منعه عبد ذم غیر الذی منعه وفی الخبر ان العبد لیهم من اللیل بالامر من امور
الدنیا من التجارة وغیرها الذي لو فعله کان فیه هلکته فینظر الله تعالی الیه من فوق عرشه
فیصبح کئیبا حزینا یتطیر بجاره وابن عمه وما هو الا رحمة رحمه الله تعالی وقال ابن مسعود رضی الله عنه
ان من الاخلاص ان لا تحب ان یحمدك الناس علی عبادة الله تعالی وان لا تمدحهم علی ما رزقك الله
ولذلك قال عیسی علیه السلام الصبر نصف الایمان والشکر نصف الایمان والیقین نصف الایمان
کله وقال الله تعالی فی اثبات صورة الاسباب ورفع حقیقتها وما رمیت اذ رمیت ولکن الله رمی

رضی الله عنه

فصل

وقوله تعالی

في فضل التوكل



وقد جعل الله تعالى بحكمته وعزته وعلوه عن مباشرة الاشياء بنفسه للخالق والحيا
واسطة وهو ملك الارحام في الخبر انه يدخل الرحم فياخذ النطفة في يده ثم يصورها
جسدًا ويقول يا رب اذكر او انثى اسوى ام معوج فيقول الله تعالى ما شاء الله ويخلق
الملك وقيل ان الملك الذي يقال له الروح هو الذي يولج الارواح في الاجسام وقيل انه يتنفس
بوصفه فيكون كل نفس من انفاسه روحًا تلج في جسم ولذلك سمي الروح وقد جعل للموت
واسطة كما جعل الملك الموت وهو اسرافيل صاحب الصور ينفخ فيه النفخة الثانية فيحيي كل ميت
ثم رفعه الله تعالى فقال يوم ينفخ في الصور ووصف نفسه سبحانه بانه المحيي المميت
وفي بعض الاخبار ان ملك الموت وملك الحياة عليهما السلام تناظرا فقال ملك الموت انا
اميت الاحياء وقال ملك الحياة انا احيي الموتى فاوحى الله تعالى اليهما كونا على عملكما وما
سخرتما له من الصنع وانا المحيي المميت ولا محيي سواي وقيل ان الله تعالى قال انا الدليل على
نفسي لا دليل ادل علي مني فلو يمنع وجود الاوسط وقيل في قوله تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله
الا وهم مشركون معناه يؤمن بالاقرار بلسانه ان الله تعالى هو المقدر المدبر ويشرك بقلبه
في الاعتماد على الاسباب ورد الافعال اليها ومن الاخلاص عند المخلصين بلا اله الا الله
التي هي اصل التوحيد ان يشهد وكذلك لا ضار ولا نافع ولا مضل ولا هادي ولا مانع ولا
معطي الا هو كما لا اله الا هو وحده لا شريك له هنا كله عندهم في قرن واحد ومشاهدة واحدة
وهو اول التوحيد وحكي ان بعض العلماء صلى خلف رجل فلما فرغ الامام راى العالم في
زي غير مكتسب فقال يا شيخ من اين تاكل فقال اصبر حتى اعيد الصلوة التي صليتها خلفك
ثم اجيبك قيل ان الله تعالى اوحى الى بعض الصديقين ادرك لي لطف الفطنة وخفي
اللطف فاني احب ذلك قال يا رب وما لطف الفطنة قال ان وقعت عليك ذبابة فاعلم اني
اوقعتها فسلني رفعها قال وما خفي اللطف قال ان اتتك فولة مسوسة فاعلم اني ذكرتك
بها وقال بعض العلماء ان الله تعالى احتجب عن العموم بالاسباب فهم يرونها ولا يرونه و
حجب الاسباب بنفسه عن الخصوص فهم يرونه ولا يرونها

ذكر تفضيل التكسب والتصرف في المعاش

ولا يضر التكسب والتصرف من صح توكله ولا يقدح في مقامه ولا ينقص من حاله اذا احكم
فيه معنيين النظر الى الوكيل في اول الحركة فيكون متحركا به والرضا بالحكم بعد التصرف
فيكون مطمئنا اليه قال الله تعالى وجعلنا النهار معاشا وقال الله تعالى وجعلنا لكم فيها معايش
قليلا ما تشكرون وقال النبي عليه السلام احل ما اكل الرجل من كسبه وكل بيع مبرور وكان
الصانع بيده احب اليهم من الفاجر والتاجر احب اليهم من البطال وقال ابن مسعود رضي
اني لاكره ان يكون الرجل بطالا ليس في عمل دنيا ولا في آخرة قال النبي عليه السلام لان ياخذ احدكم
فاسه وحبله فيذهب الى الجبل فيحتطب فياكل ويتصدق خير له من ان يسال الناس اعطوه
او منعوه وقال عليه السلام استغنوا عن الناس ولو بشوص السواك يعني بمضغه وقال
عليه السلام من يضمن لي خصلة واحدة اضمن له الجنة لا يسال الناس شيئا وقال بعض المتوكلين

من لم

بترك

من لم يصبر على جوع ثلثة ايام اخاف ان لا يسعه العمل اذا وجده وقال ابو سليمان الداراني
لا خير في عبد لزم القعود في بيت وقلبه معلق بقرع الباب متى يطرق بسبب وقال
ابرهيم الخواص وهو امام المتوكلين من المتاخرين ثلثة مواطن حمل الزاد فيهن
من ادب التوكل القعود في سجن والركوب في سفينة وصحبة القافلة وقال سفيان
العالم اذا لم تكن معيشة كان وكيلا للظلمة والعابد اذا لم تكن له معيشة اكل بدينه
والجاهل اذا لم تكن له معيشة كان سفيرا للفساق وقال بعض العارفين الناس
ثلثة رجل معاده عن معاشه فتلك درجة الفائزين ورجل شغله معاشه لمعاده
فتلك حال الناجين ورجل شغله معاشه عن معاده فتلك صفة الهالكين وقال
ابو يعقوب السوسي وكان له مقام مكين في التوكل على ثلثة مقامات عام
وخاص عام وخاص خاص فمن دخل في الاسباب واستعمل العلم وتوكل على الله تعالى
ولم يتحقق باليقين فهو عام ومن ترك الاسباب وتوكل على الله وحقق في اليقين ٥
فهو خاص عالم ومن خرج من الاسباب على حقيقة بوجود اليقين ثم دخل في الاسباب
فتعرف لغيره فهو خاص خاص قال وهذا وصف الطبقة العليا من اصحاب النبي عليه السلام
العشرة وغيرهم جودهم اليقين من الدنيا وادخلهم العلم في الاسباب لغيرهم والشغل
بالعلم على حقيقة اليقين ولذلك كان الخواص يقول دخول الخصوص في الاسباب لغيرهم
ردت عليهم احوال الغير وجعلوا رازقين لهم فتصرفوا فيها لاجلهم وهم بريئون من التعلق بها
وقال ابو جعفر رضي الله عنه وهو احد المتوكلين وكان ابو شيخ الجنيد اخفيت التوكل عشرين
سنة وما فارقت السوق اكتسب كل يوم دينارا او عشرة دراهم ولا ابيت منه دانقا
ولا استريح منه الى قيراط ادخل به الحمام بل اخرجه كله قبل وكان الجنيد لا يتكلم في
التوكل بحضرة ابي جعفر ويقول استحيي من الله ان اتكلم في مقامه وهو حاضر عندي
واعلم ان في المسئلة ذلا وذلة وحرصا على الدنيا جليلا وطمعا في غير مطمع
ونظرا الى غير الله تعالى واتيانا للبيوت من غير ابوابها وقال النبي عليه السلام مسألة
الناس من الفواحش ما احل من الفواحش غيرها وقال عليه السلام من استغنى اغناه الله
ومن استعف اعفه الله ومن فتح على نفسه باب مسئلة فتح الله عز وجل عليه باب فقر
وكان الفقراء الصادقين جعل لهم اخذ العطاء بل ندبوا الى قبوله عوضا لهم عن ذلك
لما منعوا الاستشراف والسؤال تنزيها لهم وتفضيلا فهم في ذلك كاهل البيت جعل لهم
خمس الخمس من الغنايم لما حرمت عليهم الصدقة تفضيلا لهم وتشريفا وهذا
كله للمنفرد واما ذوا العيال فامره اوسع ولا باس ان ياخذ لعياله كما ياخذ لغيره
من الفقراء لان عياله عيال الله عنده قد وكله بهم واجرى رزقهم على يده فان
طلبهم وحث على استخراج حقهم مما اوجب الله تعالى لم ينقص ذلك حاله والتكسب
ليس بفرض وقد يفترض باحد امرين بوجود العيال مع عدم كفايتهم من وجه من

مكان اصلح التوكل

تقسيم التوكل

نقل

في ذم السؤال وقبول العطاء

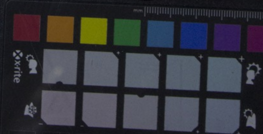
علم فرض التكسب ومرضيته

من الوجوه او بان يقطع عدمه عن فرض وقد يفترض او يضعف عنه مع فقد ما يقام به الفرض
مما لا بد منه وليس للعبد ان يحمل عياله على حاله في ترك التكسب واختيار التوكل الا ان يكون
اختيارهم كاختياره وصبرهم على الفقر كصبره ومعرفتهم بفضل التوكل كمعرفته فحينئذ
يسقط عنه التكسب لاجلهم واما سكون القلب واجتماع الهم وفقد التشرف في الخلق
مع العيال فهو افضل بالاتفاق وهو حال الاقوياء وطريق الانبياء عليهم السلام واما اضطراب القلب
وتفرق الهم مع وجود العيال فان كان لاجلهم او للقيام بحكم الله تعالى فيهم فلو نقص فيه يوجر عليه
ضعف اليقين واما شتات القلب مع الوحدة فنصب من الرغبة وفور الا عند الحاجة فهو معذور
وقال سهل رحمه الله لو ان العبد سال الله تعالى ان لا يرزقه لم يستجب له بل يقول يا جاهل انا خلقتك ولا بد
ان ارزقك وقال سهل رحمه الله والخواص رحمهم الله ان الله تعالى على الحصول الفاقة ويحوجهم الى الخلق
بالطمع فيهم ويلقي في قلوب الخلق المنع لهم فيحرمهم ما في ايديهم ليردهم اليه فاذا رجعوا اليه
تادبين رزقهم من حيث لا يحتسبون ومن علامة الخصوص انهم اذا استشرفوا الى شيء
حرموه واذا سكنوا الى عبد سلط عليهم او فرق بينه وبينهم كيلا يطمئنوا اليه او بالسكون اليه وليعيدوا
سكونهم الى الله تعالى وقال سهل رحمه الله المتوكل لا يرد ولا يسال ولا يحتكر ذكر لا ادخار مع التوكل
ولا يضر الادخار مع صحة التوكل اذا كان مدخرا لله تعالى فيه وكان ماله موقوفا على رضى
مولاه لا مدخرا للحظوظ لنفسه وهواه بل يكون مدخرا للحقوق لله تعالى اوجبها عليه فاناراها
بذل ما ادخره فيها والقيام بحقوق الله تعالى لا ينقص مقامات العبد بل يزيدها علوا وروى
انه دخل بشر بن الحرث يوما رجل كهل اسمر خفيف العارضين فاكرمه اكراما كثيرا واحضر طعاما
طيبا لذيذا واكل معه ففضل من الطعام شي كثير فحمله الضعيف وانصرف فانكر عليه بعض اصحاب بشر
بقلبه فقال له بشر تعرفه فقال لا فقال انه اخونا فتح الموصلي زارنا اليوم من الموصل واراد ان يعلمنا
ان التوكل اذا صح لم يضر معه الادخار واعلم ان ترك الادخار من مقامه قصر الامل وقد يصح
التوكل مع تاميل البقاء ثم ان كان تاميله للبقاء طلبا لطاعة مولاه وخدمته والجهاد في سبيله
وليستعتب ويستقبل ويصلح بالعلم والطاعة ما افسده بالجهل والهوى فضل بذلك وهذا
طريق طائفة من الراجين والمحبين والحسني الظن والمستانسين وان كان امله للحياة لاجل متعة
النفس واخذ حظوظها من دنياه نقص ذلك من زهده في الدنيا فسرى النقص الى توكله فما نقص من الزهد
نقص من التوكل وليس ما زاد في الزهد يزيد في التوكل ولا ما نقص من التوكل نقص الزهد
لان الزهد من شرط خصوص التوكل وليس التوكل من شرط عموم الزهد فكل متوكل ذي مقام
زاهد لا محالة وليس كل زاهد في مقام متوكلا ولان التوكل مقام في الزهد والزهد حال
والمقامات للمقربين والاحوال في اصحاب اليمين الا ان من اعطي حقيقة الزهد فانه يعطى
التوكل لا محالة لان حقايق الاحوال وثبوتها ودوام استقامة اهلها فيها ولزومها للقلوب
هي مقامات واذا جاز للمتوكل تاميل البقاء شهرا او شهرين جاز له الادخار لذلك الا
ان طول الامل يخرج من حقيقة التوكل وتاميل اكثر من اربعين يوما يخرج من حد التوكل

عند ابرهيم الخواص ولا يخرجه من حده عندي واكره للمتوكلين الادخار لاكثر مما
اربعين يوما كما يكره له تأميل البقاء لاكثر من اربعين يوما ومن ادخر اصلاحا لقلبه
وتسكين لنفسه وقطع لتشوفه الى الناس ان كان مقامه السكون مع المعلوم فالادخار
له افضل ومن قوي يقينه وصبره وصح زهده وحسن ظنه فتركه الادخار له افضل
ويخرجه الادخار من حقيقة التوكل عند سهل وابرهيم الخواص رحمهما الله ولا يخرجه عندي
من مقام هو فيه وقد ادخر رسول الله عليه السلام لعياله قوت سنة ليسن ذلك
ونهى ام ايمن وغيرها ان تدخر شيئا لغد ونهى بلالا عن الادخار ليقتدي اهل
المقامات وقال اذا سئلت فلا تمنع واذا اعطيت فلا تخبأ ذكر التداوي وتركه للمتوكل
ولا ينقص التداوي توكل العبد لانه عليه السلام فعله وامر به واخبر عن حكمة الله تعالى
فيه فقال ما من داء الا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله الا السام يعني الموت
وقال تداووا عباد الله وسئل عن الدواء والرقاء هل ترد من قدر الله تعالى وفي
الخبر المشهور ما مررت بملأ من الملائكة الا قالوا مر امتك بالحجامة وروي انه عليه السلام
كان يكتحل كل ليلة ويحتجم كل شهر على النبي عليه السلام امرأة ووصفت له حتى هم ان
يتزوجها فقيل له ومن وصفها انها ما مرضت قط فقال لا حاجة لي فيها وقال رجل
لرسول الله عليه السلام لا اعرف الصداع فقال اليك عني من اراد ان ينظر الى رجل
من اهل النار فلينظر الى هذا ومصداق هذا ان الحمى حظ كل مؤمن من النار فمن
لم ينل حظه من النار في الدنيا بالحمى واعراضها لا بد ان يناله في الاخرة وقال
رسول الله عليه السلام من ذكر الموت كل يوم عشرين مرة فهو مع الشهداء يوم القيمة
وفي لفظ آخر الذي يذكر ذنوبه فتحزنه وقد اختلف الصحابة رضي الله عنهم في مثل هذا
اعني التداوي وتركه لما خرجوا مع عمر رضي الله عنه الى الشام فلما بلغوا الجابية
اخبروا ان بالشام وباء عظيما وموتا ذريعا فقال بعضهم نرجع كيلا نلقي بايدينا
الى التهلكة وقال بعضهم نمضي ونتوكل ولا نهرب ونفر من قضاء الله تعالى وقدره
فنكون كمن قال الله تعالى فيهم الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم الآية فجاؤا الى عمر
وسألوه عن رأيه فقال نرجع فقال له بعضهم انفر من قدر الله فقال نعم نفر من قدر
الله الى قدر الله ارأيتم لو كان لاحدكم غنم وله شعبتان احديهما مخصبة والاخرى
مجدبة اليس ان رعى المخصبة رعاها بقدر الله وان رعى المجدبة رعاها بقدر الله
فسكتوا ثم دعا عبد الرحمن بن عوف فسألوه عن رأيه فقال سمعت رسول الله
يقول اذا سمعتم بالوباء في ارض فلا تقدموا عليه واذا وقع في ارض وانتم بها
فلا تخرجوا فرارا منه ففرح عمر رضي بذلك وحمد الله تعالى اذ وافق رأيه رأي رسول الله
ورجع ورجع الناس معه **ذكر استواء شهادة المتوكلين** مع اختلاف الاسباب يستوي
عند الخصوص في نظر يقينهم ما جاء بواسطة ايديهم واسباب كسبهم وما جاءهم بايدي

كل

في الفؤاد من اسباب الهلاك



وما جاءهم بايدى غيرهم وبغير كسبهم اذكان المعطى واحدا والعطاء كله رزقا اذا كانت
الايدى ظروف العطاء فمن اى نحو ظرف وصل اليهم فهو عطاء مولاهم ورزقهم الا ترى
الى قوله تعالى ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد فاضافها اليه فى الخلق بعد ان
بنوها بايديهم وفرغوا منها وكذا لسوى عندهم ما ظهر بيد القدرة من غير واسطة او ما ظهر
بواسطة عن الحكمة وترتيب العرف والعادة لان القدرة ايضا بمنزلة ظرف العطاء
اذ القدرة والحكمة خزانتان من خزائن الملك والملكوت كل ذلك عند الموقنين سواء
ولا يترجح بعضه على بعض عندهم لكمال ايمانهم وقوة يقينهم ونفاذ مشاهدتهم فالعارفون
يشهدون ما يوصله العباد اليهم من الرزق وديعة لهم عندهم وحقهم فى ايديهم يؤدونه
اليهم قليلا قليلا ويوفونهم اياه شيئا فشيئا الا انهم لا يسالونهم اياه ولا يطالبونهم به
حسن ادب منهم ولطف اقتضاء وكذا العالمون من الموصلين اليهم رزقهم يشهدون انهم
قد ادوا اليهم ودايعهم واعطوهم حقوقهم فيستريحون بذلك ويفرحون به كما يفرح من ابرا ذمته
من دين او ادى وديعة كانت عنده **ذكر كتم الامراض وجواز اظهارها** الا فضل لمن لا
يتداوي ان يخفى علته لان ذلك من كنوز البر ولانها معاملة بينه وبين خالقه تعالى الا
ان تكون له نية فى الاظهار او يكون اماما يستمع اليه وتقتبس منه الاثار ويكون مكينا
فى المعرفة يخبر بعلته وقلبه راض عن الله تعالى فيما قدره او يكون ممن يشهد البلاء نعمة
فيكون اخباره بمثابة التحدث بنعم الله تعالى وان لم يكن كذلك فالاظهار نقص لحاله
وهو داخل فى شكاية مولاه وفى الشكاية استراحة النفس من البلوى كالاستراحة بالدواء
وهذا لا يفعله عالم لان استراحته بالدواء الذي اباحه له مولاه خير من استراحته الى
العبد بشكواه مع انه لا يامن فى الاخبار دخول آفة التصنع والتزيد فى العلة ونحو ذلك وقيل
فى قوله تعالى فصبر جميل اى لا شكوى فيه وقال بعضهم من بث لم يصبر وقيل ليعقوب
عليه السلام ما الذي اذهب بصرك فقال مر الزمان وطول الاحزان فاوحى الله تعالى اليه تفرغت
تشكوني الى خلقي فقال يا رب اتوب اليك وعن طاوس يكتب على المريض انينه فى مرضه
وكانوا يكرهون انين المريض لانه اظهار معنى يدل على شكوى حتى قيل ما ظفر ابليس من ايوب
الا بانينه مرضه فصار حظه منه وكره بعض العبادة خشية الشكاية وخوف التزيد
فى القول والاخبار عن العلة باكثر منها وكان بعضهم اذا مرض اغلق بابه فلم يدخل عليه
احد حتى يبرا فيخرج اليهم منهم فضيل ووهيب وبشر وكان يقول اشتهى ان امرض بلا عواد
ولا ينقص توكل المتوكل اخباره بعلته على معنى التحدث بها مع فقد آفات النفس
اذا كان قلبه شاكرا راضيا بقضاء الله تعالى فيقصد بذلك اظهار افتقاره وعجزه بين
يدي مولاه او الرغبة فى دعاء اخوانه المؤمنين او يشهد ذلك نعمة فيحدث بها نشرا للشكر
وعن الحسن البصري رضى الله عنه اذا حمد المريض ربه وشكره ثم ذكرا وجاعه لم يكن ذلك شكوى
وروي انه قيل لعلى رضى الله عنه فى مرضه كيف انت فقال بشر فنظر بعضهم الى بعض كانهم كرهوا ذلك

فقال



فقال الجلد على الله تعالى كانه اراد ان يظهر افتقاره وان يعلمهم انه لا باس بذلك لان من يقول
بخير اذا استل كثير كما قال الثوري انما العلم الرخصة من ثقة فاما التشديد فكل احد يحسنه
وكان عليا رضي الله اراد ان يتأدب بتاديب النبي عليه السلام له ونهيه عن اظهار القوة والجلد
لانه مرض فقال اللهم صبرني على البلاء فقال لقد سالت الله تعالى البلاء ولكن سل الله العافية
ومن هنا قال مطرف لان اعافى فاشكر خير لي من ان ابتلى فاصبر وكره اهل الاشفاق والخشية
اظهار الجلد والقوة بين يدي القوي العزيز وقيل ان الله تعالى لما اظهر الخلق في العدم اظهر لهم
الصنايع كلها ثم خيرهم فاختار كل واحد صنعة فلما اظهرهم في الوجود اجرى على يد كل
واحد ما اختار لنفسه وانفردت طايفة فلم تختر شيئا فقال لها اختاري فقالت ما
اعجبنا شيء رايناه فنختاره فاظهر الله تعالى لها مقامات العبادات فقالت اخترنا خدمتك فقال
عزتي وجلالي لاخدمنهم اياكم ولاسخرنهم لكم فان كان المتوكل ذا بيت فليغلقه اذا خرج امتثالا
للامر بالحذر واتباعا للسنة والاثر قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم وقال
وقال واحذرهم ان يفتنوك وفي الخبر اعقلها وتوكل ولا ينقص ذلك توكله اذا كان
ساكن القلب الى الله تعالى لا الى اغلاقه ولا يكون العبد متحققا بالتوكل على التمام حتى
يتوكل عليه تعالى في كل شيء كما لا يكون توابا يحبه الله تعالى حتى يتوب اليه من كل شيء
وبكل شيء وفي كل شيء ولذلك قال الله تعالى ان الله يحب المتوكلين كما قال ان الله يحب التوابين
المتوكلين وقال الله تعالى وعلى الله فليتوكل المتوكلون اي في كل شيء لان الوكيل في كل
شيء واحد فينبغي ان يكون التوكل عليه واحدا في كل شيء فالتوكل مقام رفيع من مقامات
الانبياء واعالي درج الصديقين فمن تحقق به فقد تحقق بالتوحيد وانتفت عنه
دقايق الشرك وخفايا نوى العدو وانقطع سلطانه عنه قال الله تعالى انه ليس له سلطان
على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه يعني العدو
والذين هم به مشركون يعني الله سبحانه وتعالى فمن اعطي مقاما في التوكل على حقيقة
مشاهدة الوكيل انتظمت له جملة مقامات اليقين واحوال المتقين كما قال ابن
مسعود رضي جماع الايمان فليقل المتوكل عند خروجه من منزله معتقدا لذلك
بعد اغلاق بابه اللهم ان جميع ما في منزلي ان سلطت عليه من ياخذ فهو في سبيلك صدقة
مني على من ياخذه فان اخذ ما في منزله كان له في ذلك سبع معاملات احديها قبول
توكله بتدبير الله تعالى امره كيف شاء والثانية اختيار الله تعالى وابتلاؤه اياه بفقد
محبوبه ومالوفه ليظهر صدقه وتسليمه فان حمد وشكر ولم تضطرب نفسه اعطي
ثواب الشاكرين الراضين كما جاء في العلم قيل يا رب من اولياؤك من خلقك قال الذين
اذا اخذت منه المحبوب سالمني وصبر والثالثة ان اضطربت نفسه وجزعت جاهدها
بالصبر والصمت وحسن الثناء على الله تعالى وترك الشكاية الى عبيده فاعطي ثواب
ثواب الصابرين المجاهدين والرابعة ان لم يكن في هذا المقام ولا في المقام الاول انكشفت له



بطلان دعواه وظهر له خفي كذبه في حيوته فاعترف بذلك اعتزر الى الله تعالى فيكون
هذا من يد مثله على معنى الاعلام والبيان فعلم انه كذاب لكراهته ما قضا الله
ولقلة صبره لحكم الله تعالى ولسخطه ما حول الله تعالى من خزانته التى هى بيده الى
خزانته التى هى بيد عبده الاخر اذ قد علم ان ما كان فى يده لم يكن له وانما كان وديعة
عنده لغيره وصار ذلك رزقا للمتوكل فى آخرته فانه لضعف يقينه رزق دنياه على رزق
آخرته فهذه كلها ذنوب عند المتوكلين فما وهبه الله تعالى لعبده من امور الدنيا والاخرة
لا يستردّه ابدا وما كان وديعة او عارية من الاموال والعلوم والمعارف لا بدّ ان يستردّه
بعد مدة فى الدنيا ولهذا الحكمة امر الله تعالى بترك الاسى على ما فات من الدنيا وترك
الفرح بما اتى منها واخبر انه تعالى خلق المصايب فى الاموال والانفس قبل خلق الانفس بقوله
تعالى ما اصاب من مصيبة فى الارض ولا فى انفسكم الاية وقيل قبل خلق الارض وقيل قبل
خلق المصيبة ليعلمنا ان جميع ذلك مما سبق به القضاء المحتوم فى الازل افلا يستحيي
العبد ان يكون على ضد ما امر به ويخالف ما يحبه منه مولاه فيأسى على ما ليس له
ويحزن على اخذ ما استودع اياه وهل ذلك الا نوع من الخيانة كما يطمع المودع بملك الوديعة
ويحزن اذا استردها منه مالكها والخامسة ان يكون له بكل درهم تلف له سبعمائة
درهم انفقها فى سبيل الله تعالى لانه كان قد نوى انفاق ذلك الدرهم فى سبيل الله
وكذلك ان لم يتخذ فى بيته استنباطا من قوله عليه السلام فيمن ترك العزل واقر النطفة
قرارها ان له اجر غلام ولد له من ذلك الجماع وعاش فقتل فى سبيل الله تعالى وان لم يولد له
فاذا عزل الرجل يقال له انت تخلقه انت ترزقه اليك تحياه اليك مماته اقرها قرارها
ولك ذلك والسادسة ان لا يأثم اخوه الذي اخذ رحله اذ قد جعله صدقة عليه فيؤجر اجرا
ثانيا لاشفاقه على اخيه وحسن نظره للعصاة من حيث لا يعلمون تخلقا باخلاق مولاه
ويعلم ان اخذ ماله مبتلى بسوء القضاء وانه قد عوفى من ذلك فيشكر الله تعالى على انه
لم يكن هو الاخذ ويرحم اهل البلاء فيشغله الحمد والشكر عن الدعاء على ظالمه وذلك
داخل فى قوله عليه السلام انصر اخاك ظالما او مظلوما اى امنعه من الظلم ان كان ظالما
فاذا عفى عنه فكانه قد منعه من الظلم بجواز عنه كما لو رآه وهو ياخذه فمنعه عن
اخذه او وهبه والسابعة تحققه بالزهد فيما ذهب وهذا الذي ذكرناه من ذهاب ما فى
البيت وهو حكم كل من ذهب له مال فى سفرها او حضر ولكل من اصيب بمصيبة فى نفس او اهل
فان له هذه المعاملة السبع اذا اعتقدها بقلبه فاكثر الناس ايمانا واقواهم يقينا
اقلهم غما واسيرهم حزنا على ما فات من الدنيا الم تسمع قوله صلى الله عليه وسلم وارزقنا من اليقين
ما تهون علينا به مصايب الدنيا فان رجع المتوكل الى بيته فوجد رحله بحاله لم يحزه
لبقائه شيئا وكان له اجر لما نواه من المعاملة فان اخذ رحله بعد توكله على الله تعالى
فيه واعتقاده تلك المعاملة السبع ثم رد عليه لم يستحب له فى الورع ان يتملكه ولا ان يرجع

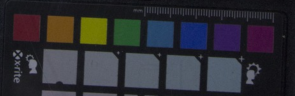
ترك الدعاء على الظالم

فيه لانه كان قد جعله صدقة في سبيل الله تعالى فان رجع فيه لم ينقص ذلك توكله لانه صح
الى الوكيل في الحالين جميعا فيكون رده عليه بمنزلة ابتداء عطاء منه وروي ان ابن عمر سرقت
ناقته فطلبها حتى اعيا ثم قال في سبيل الله ثم دل عليها فلم يذهب اليها وقال اني كنت قلت في سبيل
الله وروي بعض الصالحين في النوم بعد موته وهو حزين فقيل له ما فعل الله بك فقال
غفر لي وادخلني الجنة فقيل له فما بالك فقال لا ازال حزينا الى يوم القيمة قيل ولم قال
لاني رفعت لي مقاما في عليين ما رايت احسن منها فهممت بدخولها فمنعت عنها وقيل
لي ليس هذه لك وانما هي لمن امضى السبيل قلت وما امضى السبيل قيل لي كنت تقول للشيء
الذاهب في سبيل الله ثم ترجع فيه فلو كنت امضيت السبيل لامضيناها لك وقيل
لبعضهم ادع على من ظلمك فقال ما ظلمني احد وانما ظلم نفسه افلو يكفيه المسكين ظلمه لنفسه
حتى ازيده شرا وقيل لبعضهم ادع على من ظلمك فقال ما احب ان اكون عونا للشيطان عليه
وكان السلف يقولون اذا ظلموا بغصب او سرقة او نحوها نعمة الله سبحانه وتعالى علينا
اذ لم يجعلنا ظالمين وجعلنا مظلومين اعظم مما فاتنا من الظلامة وكانوا يكرهون ان يذكروا
الظالم بالسب له والدعاء عليه فيكون ذلك زيادة على مظلمتهم وفي الخبر من دعا على
ظالمه فقد انتصر وفي الخبر ان العبد ليظلم المظلمة فلو يزال يشتم ظالمه ويسبه حتى
يكون بمقدار ما ظلمه ثم يبقى للظالم مطالبة عليه بما زاد يقتص له من المظلوم وسرقت
من علي بن الفضيل دنانير وهو يطوف بالبيت فبكى فقيل له اعلى الدنيا تبكي فقال لا ولكن
على ذلك المسكين انه يسال يوم القيمة ولا تكون له حجة فان رد على المتوكل ما اخذ
منه بعد ما كان جعله في سبيل الله فالافضل له امضاء السبيل كما ذكرنا ان كان
على الاخذ نظر فان كان الاخذ فقيرا انما اخذ للضرورة والحاجة امضى صدقة عليه
وان كان غير ذلك صرفه الى فقير آخر وكان بعضهم اذا اخذ له شيء يشترط فيقول
ان كان فقيرا فهو صدقة عليه وان كان غنيا فهو هبة له وحدثت عن شيخ كان
بمكة فاتهمه بعض الحاج بسرقة هميانه فاعطاه ما زعم انه كان فيه ثم ان الرجل وجد
هميانه فجاء الى الشيخ معتذرا ورد عليه ماله فلم يقبله فالح عليه فدعا ابنه
وامراة ان تاخذ المال وتفرقه على المحتاجين فلما كانت نيته اخراج ذلك المال
لله تعالى لم يعد فيما اخرجه كما نقول فيمن اخراج رغيفا الى سائل وا عدد درهما
لفقير فلم يصادفه فيستحب ان لا يرده الى ملكه بل يصرفه الى فقير آخر وعلى هذا
كان المؤمنون وهذا طريق قد عفا اثره ودرس خبر ممن عمل به فقد احياه
واظهره عليه كان السابقون من الاولياء والصالحين رحمهم الله قوله تعالى لهم دار
السلام وهو وليهم بما كانوا يعملون فدار السلام جامعة لهم وهم متفاوتون في
درجاتها واعلاهم مقاما من توكل عليه للاجلال والتعظيم واوسطهم مقاما من توكل
عليه للمحبة والخوف وادناهم مقاما من توكل عليه تسليما له وتحببا اليه ومن توكل

العموم التوكل عليه في القوت وهذا مما يستحيي العارفون من ذكره وقد طوينا
ذكر توكل خصوص الخصوص من صديق المقربين لا يحتمله عقل عاقل ولا يسع
ان يستودع في كتاب ناقل اذ ربما نظر فيه منكر جاهل بيانه اخر ولا ينقص العبد
من توكله مسئلته مولاه ما لا بد له منه من صالح الدنيا ومزيد الاخرة اذ لم يقصد
غير مطلوب ولكن يحتاج الى معرفة الاجابة فقد يكون المنع اجابة وقربا اذا كان
العطا شغلا عنه وبعدا وان اقتطع بالذكر عن المسئلة اعطي فوق
عطاء جميع من ساله ولا يقدح في التوكل تشرف المتوكل الى رزقه لانه خلق ضعيفا
ذا فاقة ورزقه معلوم مقسوم لا بد منه فتشرفه الى القسم تشرف منه الى القاسم
ومن تشرف الى مولاه شرفه وتولاه ولكن ان طلب الزيادة او تشرف اليها وخرج
من القناعة وطلب العادة او اراد الشيء قبل وقته او كره تأخره عنه الى وقته
فكل هذا يقدح في توكله ولا يخرجه من التوكل مطالعته للعوض على معاملته من
جزاء الاخرة لانه قد شوق الى ذلك وندب اليه الا انه لا يدخله في اسلوب المحبين
ولا يرفعه المقربين من العارفين وقيل في قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه
اي فالتوكل حسبه من ساير المقامات وقيل الله تعالى حسبه اي كافيه مهم
دنياه وآخرته وهو اعلى الوجهين وقيل لسهل رحمه الله متى يصح للعبد التوكل فقال
اذا علم ان تدبير مولاه له خير من تدبيره لنفسه وان نظر مولاه له احسن من نظره
لنفسه فيترك فيما كان والتمني لما يكون ويترك التدبير ولله عاقبة الامور
وهو على كل شيء قدير تم مقام التوكل بفضل الله تعالى وعونه وتوفيقه وتمامه
تم النصف الاول من الكتاب ويتلوه في اول النصف الثاني شرح مقام الرضا
ان شاء الله تعالى شرح مقام الرضا ووصف الراضين وهو المقام التاسع من مقام اليقين
الرضا عن الله من اعلى مقامات اليقين وقد قال الله تعالى هل جزاء الاحسان
الا الاحسان فمن احسن بالرضاء عن الله جازاه بالرضا عنه وقال الله رضي الله عنهم
ورضوا عنه قال بعض المفسرين في قوله تعالى ولدينا مزيد قال يأتي اهل الجنة في وقت
المزيد ثلث تحف من عند رب العالمين احدها هدية من عند الله ليس عندهم في الجنان
مثله فذلك قوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين والثانية السلام عليهم
من ربهم فيزيد ذلك على الهدية فهو قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم والثالثة يقول الله
اني راض عنكم فيكون ذلك افضل من الهدية والتسليم فذلك قوله تعالى ورضوان
من الله اكبر اي اكبر من النعيم الذي هم فيه وفي الخبر طوبى لمن هدي الى الاسلام
وكان رزقه كفافا ورضي به وايضا عنه من رضي من الله بالقليل من الرزق رضي الله
عنه بالقليل من العمل وفي اخبار موسى عليه السلام ان بني اسرائيل قالوا سل لنا ربك
امرا اذا نحن فعلناه يرضى به عنا فقال موسى الهي قد سمعت ما قالوا فقال يا موسى قل لهم

يرضون

يرضون عنه حتى ارضى عنهم وعن ثابت البناني عن انس عن النبي عليه السلام اذا كان يوم القيمة
انبت الله لطائفة من امتي اجنحة فيطيرون من قبورهم الى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون
كيف شاؤا فيقول لهم الملائكة هل رايتم الحساب فيقولون ما رأينا الحساب وهل جزتم
الصراط فقالوا ما رأينا صراطا وهل رايتم جهنم فيقولون نشدناكم الله حدثونا ما كانت
اعمالكم في الدنيا فيقولون خصلتان كانتا فينا فبلغنا الله هذه المنزلة بفضل رحمته فيقولون
وما هما فيقولون كنا اذا خلونا نستحيي ان نعصيه ونرضى باليسير مما قسم لنا فيقول
الملائكة يحق لكم هذا فمن الرضا سرور القلب بالمقدور في جميع الامور حتى لا يقول هذا
يوم شديد الحر ولا شديد البرد ولا يقول الفقر بلاء ومحنة ولا العيال هم وتعب والاحتراف
كد ومشقة ولا يعتقد بقلبه من ذلك ما لا يفوه به بل يرضى بالقلب ويسلم وقال سفيان
عند رابعة اللهم ارض عنا فقالت اما تستحيي من الله ان يسأله الرضا وانت عنه غير راض
فقال استغفر الله فقيل لها متى يكون العبد راضيا عن الله فقالت اذا كان سروره بالمصيبة
مثل سروره بالنعمة وقال الفضيل اذا استوي عنده المنع والعطا فقد رضي عن الله
وروينا آدم عليه السلام كان بعض اولاده الصغار يصعدون على جسمه وينزلون يجعل
احدهم رجله على اضلاعه كهيئة الدرج فيصعد الى رأسه ثم ينزل على اضلاعه كذلك
وهو مطرق الى الارض لا ينطق ولا يرفع رأسه فقال له بعض ولده يا ابت الا ترى
ما يصنع هذا بك لو نهيته عن هذا فقال يا بني اني رايت ما لم تروا وعلمت ما لم تعلموا اني
تحركت حركة واحدة فاهبطت من دار الكرامة الى دار الهوان ومن دار النعيم الى دار
الشقاء فاخاف ان اتحرك حركة اخرى فيصيبني ما لا اعلم وروي انه قال ان الله ضمن لي
ان حفظت لساني ان يردني الى الدار التي اخرجني منها وروي ان بعض الصوفية ضاع ولد
وليه وكان صغيرا ثلثة ايام لا يعرف له خبرا فقيل لو سالت الله ان يرده عليك وقال اعتراضي
فيما قضى اشد علي من ذهاب ولدي وروينا عن بعض العباد انه قال اذنبت ذنبا عظيما فانا
ابكي عليه منذ ثلثين سنة لاجل التوبة من ذلك قيل له وما هو قال قلت مرة لشيء كان ليته
لم يكن وقال بعض السلف لو قرض جسمي بالمقاريض كان احب الي من ان اقول لشيء قضاه الله تعالى
ليته لم يقضه قال بشر الحافي رضي رايت رجلا قد قطعه البلاء وقد سالت حدقتاه على خديه
وهو في ذلك كثير الذكر عظيم الشكر لله تعالى فاذا هو قد صرع من جنة به فوضعت رأسه في حجري
واسال الله تعالى كشف ما به وادعو له فافاق وسمع دعائي فقال من هذا الفضولي الذي يدخل
بيني وبين ربي ويعترض عليه في نعمه علي ونحى رأسه عن حجري قال بشر فاعتقدت ان لا
اعترض على عبد في نعم اراها من البلاء وقد غلط في باب الرضا بعض البطالين من المتأخرين
ممن لا علم له ولا تعين فحمل الرضا على جميع ما يكون منه من معصية وهوى لجهله با
بالتفصيل وقلة فقهه بعلم التأويل ولا تباعه ما تشابه من التنزيل طلبا للفتنة وابتدا
في القول والفعل والهواء في العصيان والفسوق فاراد بذلك عند الجاهلين سوق

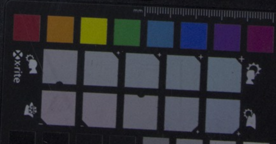


مغدرة له ونظريقا اليه ومن هذا قول الرسول عليه السلام اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل بل
وبطلان قول هذا عند العلماء اوضح من ان يدل على فساده قيل لابن المبارك ما التواضع
فقال التكبر على المتكبر قيل اعمال البر يعملها البر والفاجر والمعاصي لا يتركها الا صديق
ما عذابي وراحتي من عذابي انت ما بي فكيف اكره ما بي يا بلوتي ويا بلوى بلوتي انت
دائي فكيف اكره دائي ومن علامة المحبة محبة من يحب الله ووجود الانس
باهل الانس وقال بعض اهل المعرفة اني لاجد الحضور فاقول يا الله او يا رب
فاجد ذلك اثقل علي من الجبال قيل له ولم ذلك قال لان النداء يكون من وراء حجاب
فهل رايت جليسا ينادي جليسه انما هي اشارات وملاحظات ومناغات وملاطفات
كانت لقلبي اهواء مفرقة فاستجمعت اذ راتك العين اهوائي فصار يحسدني من كنت
احسن وصرت ولي الورى مذ صرت مولائي تركت للناس دنياهم ودينهم شغلا بذكرك يا ديني
ودنياي وقال عارف اذا بلغ احدهم من هذا العلم الغاية رماه الخلق بالحجارة وقال
آخر اذا تناهت معارفهم انتهت الى دهشة وحيرة ومن اعلام المحبة ان لا يطلب بعد منه
سواه وان يجتمع في محبته همه وهواه فلا يهوى الا ما فيه رضى المولى ولا
يقضي عليه مولاه الا بما يهوى عن بعض العلماء اذا رايته يوحشك من خلقه فاعلم
انه يريد ان يونسك به ونقل وهب بن منبه من الزبور ومن اظلم ممن عبدني لجنة
او نار لو لم اخلق جنة ولا نارا الم اكن اهلا ان اطاع وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يكونن احدكم كالعبد السوء ان خاف عمل ولا كالاجير السوء ان لم يعط اجرا لم يعمل
وروي بشر بن الحرث في النوم فقيل له ما فعل له نفر التمار وعبد الوهاب الوراق فقال
تركتهما الساعة بين يدي الله يأكلان ويشربان قيل فانت قال علم الله قلة
رغبتي في الاكل والشرب فاعطاني النظر اليه عن علي بن الموفق قال رايت في النوم كاني
ادخلت الجنة فرايت رجلا قاعدا على مائدة وملكان عن يمينه وشماله يلقمانه من
جميع الطيبات وهو ياكل ورايت رجلا قائما على باب الجنة يتصفح وجوه قوم فيدخل
بعضا ويرد بعضا ثم جاوزتهما الى حظيرة القدس فرايت رجلا في سرادق العرش قد
شخص ببصره ينظر الى الله تعالى لا يطرف فقلت لرضوان عليه السلام من هذا فقال هذا
معروف الكرخي عبد الله لا خوفا من ناره ولا شوقا الى جنته بل حبا له فقد اباحه النظر اليه
الى يوم القيمة وذكر ان الآخرين بشر بن الحرث واحمد بن حنبل كما قال ابو سليمان من كان اليوم
مشغولا بنفسه فهو غدا مشغول بنفسه ومن كان اليوم مشغولا بربه فهو غدا مشغول
بربه عن رابعة رحمه وكانت تقول احدى المحبين وكان الثوري يقعد بين يديها ويقول
علمينا مما افادك الله من طرايف الحكمة وكانت تقول له نعم الرجل انت لولا انك تحب الدنيا
وكان رحمه الله زاهدا عالما الا انها تجعل ايثار كتب الحديث والاقبال على الناس من
ابواب الدنيا وقال لها الثورية لكل عبد شريطة ولكل ايمان حقيقة فما حقيقة ايمانك فقالت

ساعبدت الله



ماعبدت الله خوفا من النار كالعبد السوء ان خاف عمل ولا حبا للجنة فاكون كالاجير السوء ان
اعطي عمل ولكني عبدته حبا له شوقا اليه وروي عنها حماد بن زيد انها قالت اني لاستحي
ان اسئله من يملكها فكيف ارسال من لا تملكها وكان هذا جوابا لانه قال لها سليني حاجتك
وخطبها عبد الواحد فحجبته اياما حتى سئلت ان يدخل عليها فقالت له يا شهواني اطلب شهوانية
مثلك اي شيء رايت في من آلة الشهوة وخطبها محمد بن سليمان امير البصرة على مائة الف وقال لي غلة
عشر الف في كل شهر اجعلها لك فكتبت اليه ما يسرني انك لي عبد وان لي ما تملكه لي انك تشغلني عن
الله طرفة عين وقد قال في معنى المحبة ابياتا تحتاج الى الشرح احبك حبين حب الهوى وحبا لانك
اهل لذاكا فاما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عمن سواكا واما الذي انت اهل له فكشفك لي الحجب حتى
اراكا فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاكا شرحها تقول حب الهوى اي اني رايتك
فاحببتك عن مشاهدة اليقين لا عن خبر وسمع تصديق من طريق النعم والاحسان فيختلف
محبتي اذا تغيرت الافعال لاختلاف ذلك علي ولكن محبتي من طريق العيان فقربت منك
وهربت اليك فاشتغلت بك لما تفرغت لك كما قال المحب شغلوه بذكرك يا ديني ودنيائي
فرغت قلبها اشتغالا بذكري وكذا كل فارغ مشغول وعلى هذا المعنى مجاز قوله تعالى واصبح
فواد ام موسى فارغا اي ملآن بذكره حتى فاض وكادت ان تظهره فتقول هو ابني فعبر
عن الملوء بالفراغ من ضده لولا ان اوكينا عليه بربطنا فكظمت ولو لم نفعل لاظهرت
ولو اظهرت لقتل تقول وانقطعت عما سواك وقد كانت لي قبل ذلك اهواء متفرقة
فلما رايتك اجتمعت كلها فصرت انت كلية القلب وجملة المحبة ما سواك كما قال
المحب كانت اهواء متفرقة فاستجمعت اذ راتك العين اهوائي واما الحب الثاني الذي
هو اهل له تعني حب التعظيم والاجلال لوجهه العظيم ذي الجلال تقول اني مع ذلك لا
استحق على هذا الحب ولا استاهل ان انظر اليك في الاخرة على الكشف والعيان في محل
الرضوان لان حبي لك لا يوجب عليك جزاء عليه بل يوجب على كل شيء لك ويستخرج لك
مني كل شيء مما لا اطيقه ولا اقوم بحقك فيه ابدا اذ كنت قد اوجبتك فلزمني خوف التقصير
ووجب علي الحياء من قلة الوفاء والخوف لما تعرضت به من حبك اذ ليس كمثلك شيء كما قال
المحب اصبحت صبا ولا اقول بمن خوفا لمن لا يخاف من احد اذا تفكرت في هواي له
لمست رأسي هل طار عن جسد لولا ان المحب ينطق والشوق يقلق والوجد يحرق والمحبة
يا لوزم لغيبة النفس عنه والاثام تقول فتفضلت علي بفضل كرمك وما انت له اهل
من تفضلك فاريتني وجهك عندك اخرا كما اريتنيه اليوم عندي اولا فلك الحمد على ما
تفضلت به في ذا عندي في الدنيا ولك الحمد على ما تفضلت به في ذاك عندك في الاخرة
ولا حمد لي في ذا ههنا ولا حمد لي في ذاك هناك اذ كنت انما وصلت اليهما بك فانت المحمود
فيهما لانك وصلتني بهما فهذا الذي فسرناه هو وجد المحبين المخفي وقال بعض العارفين

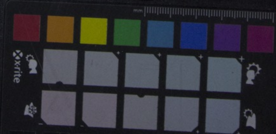


ماعرفه من ظن انه عرفه ولا احبه من توهم انه احبه ولا تصح المحبة الا بخوف المقت في
المحبة **ذكر مخاوف المحبين ومقاماتهم في الخوف** وللمحب سبع مخاوف ليست لشيء
من اهل المقامات بعضها اشد من بعض اولها خوف الاعراض واشد منه خوف الحجاب
واعظم من هذا خوف البعد وهذا المعنى من سورة هود هو الذي شيب الحبيب اذ سمع المحبوب
يقول الا بعدا لثمود الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود فذكر البعد في البعد يشيب اهل القرب
في القرب فكيف يعرف البعد من لم يقرب ام كيف يحن الى القرب من الف البعد
بل كيف يبكي في البعد من لم يعهد القرب ثم خوف السلب للمزيد والايقان مع التحديد
وهذا يكون للخصوص وحقيقة ذلك عقوبة لهم ويكون للعموم عند ايثار الشهوات
على اوامر الطاعات كما قال ان ادنى ما اصنع بالعالم اذا آثر شهوات الدنيا على طاعتي
ان اسلبه لذيذ مناجاتي وقد يكون عند الدعوى للمحبة ووصف النفس بحقيقتها
وانما معه علمها دون الوجد بها فينقصون منهم ولا يفطنون لذلك وهو من المكر
الخفي ثم خوف الفوت الذي لا درك سمع ابرهيم بن ادهم وهو احد المحبين قائلة
يقول في سياحته على جبل كل شيء لك مغفور سوى الاعراض عني قد وهبنا لك ما فات
بقي ما فات مني فاضطرب وغشي عليه فلم يفق يوما وليلة وهذا في قصة طويلة
كانت له بعد مقامات اقيم فيها ونقل عنها الى هذا المكان حتى قال في آخر ذلك فسمعت
النداء من الجبل يا ابراهيم كن عبدا قال فكنت عبدا فاسترحت متعناه لا يملك
الا واحد تكون عبدا له حرا مما سواه ولا تملك شيئا فان الاشياء في خزانة مليكها
فلو تملكتها فيحجبك عن مالكك وتاسرك بقدر ما ملكتها وقد ضرب الله مثلا بينه
وبين خلقه ان رجلين احدهما فيه شركا متشاكسون متشاجون عليه من اهل
ومال وشهوات وكل واحد يجذبه اليه ويريد نصيبه منه ويشغله به ويحب
فراغه له وآخر سالما من الشركاء خالصا من الشرك متوحد الواحد انهما لا يستويان
في قوله ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان
مثلا الحمد لله على اتقان صنعه وتحسين خلقه بل اكثرهم لا يعلمون واشد من
الفوت خوف السلو وهذا الخوف مما يخافون لان حبهم له كان برا بهم ومنة لا
منهم وهو نعمة عظيمة لا يعرف قدرها فكيف يشكر عليها ولا يقوم لها شيء فكذلك
سلوهم عنه يكون به كما كان حبهم له به فيدخل عليهم السلو عنه من حيث لا
يشعرون من مكان ما دخل عليهم الحب له من حيث لا يعلمون فتكون قد سلوت
وانت لا تدري كيف سلوت لانه يدرجك بما خدعك به من الاستبدال منه
بما تدري الا انك لا تفطن لذلك لتهوينه الامر عليك فتقف مع الرجاء وتغتر
بحسن الظن الذي كنت تعهده منه او لغلبة الهوى والشهوة والنسيان

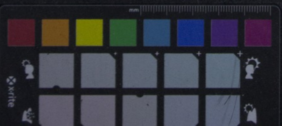
فهو

فهو من اقوى جنود الارض لانهن يغلبن اضدادهن من جنود السماء وهو العلم
والعقل والبيان فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات الاية عزيز لا يوصل اليه الا بامر
حكيم حكم عليكم بالزلل عنه الا انه يدرج في ذلك استدراجا بلطائف الحكمة عن
معهود الاسباب ومالوف المعتاد وهذا هو تحقيق المكر الذي بالممكور وهو درك
الشقاء الذي ادرك المغرور واشد من هذا كله خوف الاستبدال نعوذ بالله منه
لانه لا مثوبة فيه وهذا هو حقيقة الاستدراج تقع عن نهاية المقت من المحبوب
عز وجل وغاية البغض منه والبعد والسلو مقدمة هذا المقام والاعراض
والحجاب بداية ذلك والقبض عن الذكر وضيق الصدر بالبر ومنع اللسان
من تلاوة القرآن ودفع حلاوة الفهم وغيب شهادة البيان اسباب هذه المعاني
المبعدة والمدارج المدرجة اذا قويت وتزايدت اخرجت الى هذا كله واذا
تناقصت وبدل بها الصالحات والحسنات ادخلت في مقامات المحبة والقربات
كما جاء في الاثر التائب حبيب الله وفي الخبر ان الله تعالى يدنو من اوليائه في كل يوم
وليلة دنوة ولولا ذلك لانخطوا والمحبة لا ترفع الهيبة فلذلك كان كل محب
لله خائفا لان المحبوب مهيب وربما كانت المحبة ثوابا للخوف ومزيدا له وهذا في
مقام العاملين وربما كان الخوف مزيدا المحبة وثوابا منها وهذا في مقام العاملين
فمن كانت المحبة مزيده بعد الخوف كان من المرتبين المحبوبين ومن كان الخوف مزيد
محبته فهو من الابرار المحبين وهم اصحاب اليمين وسئل ابو محمد الحب افضل او الحياء
فقال الحب الذي يورث من الخوف الحياء افضل منه والحب الذي يورث منه الحياء
افضل من الحياء وهو الشوق وقال الجنيد المحبة نفسها قرب القلب من الله بالاستنادة
والفرح فاما حب تجلي الصفات عن الاسماء الباطنة التي رمزنا بها آنفا فانا لم نذكر
معه شيئا وانما ذكرنا محبة الاخلاق والافعال عن الاسماء الظاهرة وقد كان ابو
يزيد وابو شعيب وسري ابن المغلس وابو عبد الله بن الجلاء والجنيد بعدهم يذكرون
العشق في مقامات خليل ومحب وزاد ابو يزيد ذكر العشق في مقام محبوب وجعله
معشوقا وكان يشهد بذلك ويظهره عن نفسه لنفسه كانهم يريدون وضعا من
الحب مخصوصا لا عن فعل ولا سبب بل الوصف تجلى به فهذا لا يزيد بعمل ولا ينقص
بذنب بل وصف من وصف الحق عز وجل يدلك على صفات صفات وسعة معاني الا
ان هذا ليس من معارف العامة ولا يهتدي اليه قلوبهم ولا يقدح في جواهر عقولهم ليست
صفاتهم مكانا لهذا ولا علومهم نافذة فيه وما رايت احدا رسم مشاهدات العاشقين
ولا مواجيد العارفين في كتاب ولا احسب انه يحل رسمه ولا كشفه للكافة لانه من سر القدرة
لا يكاشف به الا من اطلع عليه ولا يتحدث به الا مع من رآه كانه فيه فانما يتلقى من قلوب
العلماء اذا تجلت به مواجيدهم وينفسح من قلب الى قلب وهو يشبه ما كنينا عنه آنفا من

الخوف الثاني

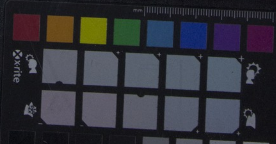


ان
الذي لم يضعفه لمن لا يعرفه وفي خبر ان بعض الصديقين ساله بعض الابدال
يسال الله ان يرزقه ذرة من معرفته ففعل ذلك فهام في الجبال وحار عقله وولهٌ
قلبه وبقي شاخصا سبعة ايام لا ينتفع بشيء ولا ينتفع به شيء فسال له الصديق ربه عز وجل
فقال يارب انقصه من الذرة بعضها فاوحى الله اليه انما اعطيناه جزءا من مائة الف جزء من ذرة
المعرفة وذلك ان مائة الف عبد سالوني من المحبة في الوقت الذي سالني هذا فاخرت اجابتهم
الى شفعت انت لهذا فلما اجبتك لما سالتك اعطيتهم كما اعطيته فقسمت ذرة من المعرفة
بين مائة الف عبد فهذا ما اصابه من ذلك فقال سبحانك احكم الحاكمين انقصه بما اعطيته
فاذهب الله عنه جملة الجزء وبقي منه معشار عشره وهو جزء من الف جزء من ذرة فاعتدل
خوفه وحبه وعلمه ورجاؤه وصار كسائر العارفين فهذا النوع من شان المعرفة وتجلي الوصف
بمعنى محبته تليق به لا يسع الخلق ولا يصلح لهم ولا يستقيمون عليه فلذلك كان طيّه احسن
من نشره لان العقول تنكره والقلوب تمجّه والهمم لا تسري فيه والقلب لا يجد به الا محبة
الله من العموم وانشد الجنيد رح في وصف عارف المحب • قريب الوجد ذو مرمى بعيد • لقد
الاحرار منهم والعبيد • غريب الوصف ذو علم غريب • كان فؤاده زبر الحديد • لقد عزّت معانيه
فغابت • عن الابصار الا للشهيد • قوي الاعياد في الاوقات يجري • له في كل يوم الف عيد •
وللوهاب افراح بعيد • ولا يجد ولا يجد السرور له بعيد • ومثل هذا المقام في الاحوال مثل
اكل الحلال في الماكل لا يريد الله ان يطعمه الكل لعمارة الدار لان الامة كلها لو اكلوا حلالا
حلالا اربعين يوما خربت الاسواق لزهدهم في الدنيا وليس ذلك من الحكمة ولو ان العلماء كلهم
اكلوا حلالا لم تسمع من هذه العلوم التي تسمعها شيئا لشغلهم بنفوسهم واعراضهم عن اصحابهم
ففي ترك ذلك حكمة حسنة ورحمة واسعة ومن علم المحبة سهر الليل بمناجات الجليل والحنين
الى الغروب شوقا الى الخلوة بالمحبوب ومناجاة القلب بسرائر الوجد ومطالعة الغيب
فان المناجاة عند اهل المصافات انما هي بالقلوب وهي مطالعاتها بواطن الغيوب
وحدلا نها في سر الملكوت والمناجات علامة رؤية القرب وشاهد وجود الانس في الشوق
فانه مقام رفيع من مقامات المحبة وليس يبقى الشوق للعبد راحة ولا نعيما في غير مشوقه
والمشتاقون متقربون بالشهد وامن المشوق وهم الماموربطلبهم الموجود الحبيب عندهم شوقه
منه لهم لما شوقهم اليه في قوله تعالى لموسى عليه السلام اطلبني عند المنكسرة قلوبهم لاجلي هم المشتاقون
من المحبين والله اعلم وذلك ان الحبيب سبحانه وتعالى قرب منهم بوصفه تكرما ففرحوا بقربه
وعاشوا بمشاهدته ونعموا بحضورهم عنده ثم احتجب سبحانه وتعالى عنهم غيرة على نفسه لعزة
فانكسرت قلوبهم لاجله فاشتاقوا الى ما عودهم من قربه فثبتت لديه حرمتهم فامراولياؤه
بطلبهم واوجد نفسه عندهم لمكانهم عنده ففرح هؤلاء من المحبين بقربه لا يوصف وانكسارهم
وحزنهم لاجله لا يعرف والله قد تعرض عن محبته تعززا ليزعجهم الشوق اليه ويقلقهم
الاسف عليه فيستخرج منهم لطيف التملق له ثم ينظر اليهم في اعراضه عنهم من حيث لا يعلمون



لينظروا اليه بحيث يعلمون فيسكنون بالادب بين يديه عن ابرهيم ابن ادهم وكان
احد المشتاقين وهو من ابدال هؤلاء الذين تكلم في علمهم ويكشف طريقهم وله اما
من المحبة دقيقة ومكاشفات في القرب عاليه قال قلت ذات يوم يارب ان كنت اعطيت
احدا من المحبين لك ما يسكن به قلوبهم قبل لقائك فاعطني ذلك فقد اضر بي القلق
قال فرايت في النوم انه اوقفني بين يديه فقال يا ابرهيم اما استحييت مني ان تسئلني ان اعطيك
ما يسكن به قلبك قبل لقائي وهل يسكن المشتاق قبل لقاء حبيبه ام هل يستريح المحب
الى غير مشوقه قال فقلت يا رب تهت في حبك فلم ادر ما اقول فاغفر لي وعلمني كيف اقول
فقال قل اللهم رضني بقضائك وصبرني على بلائك واوزعني شكر نعمائك فمقام الشوق
في المحبة يجل عن الوصف ويجاوز في العلو والفضل ولا يصلح ان نصفه وفي اخبار داود عليه السلام
ان الله تعالى اوحى اليه يا داود كم تذكر الجنة ولا تسئلني الشوق الي قال يا رب من المشتاقين
اليك فقال ان المشتاقين الي صفيتهم من كل كدر ونبهتهم بالحذر وخرقت من قلوبهم الي
خرقا ينظرون الي واني لاحمل قلوبهم بيدي فاضعها على سمائي ثم ادعوا نجباء ملائكتي فاذا
اجتمعوا سجدوا لي فاقول اني لم ادعكم لتسجدوا لي ولكني دعوتكم لاعرض عليكم قلوب
المشتاقين الي واباهي بكم اهل الشوق الي وان قلوبهم لتضيء في سمائي لملائكتي كما تضيء
الشمس لاهل الارض يا داود انه من ذكرني ذكرته ومن اشتاق الي انسته لاني اكرم الكرماء
واحلم الحكماء ومن المحبة كتمان بلاء الحبيب بعد الرضاء بهلا ذلك من السر عنده وحسن
الادب لديه وعوتب ابو محمد في العلة التي كانت به وكان يداوي الناس منها ولا يداوي
نفسه فقيل له في ذلك فقال يادوست ضرب الحبيب لا يوجع **ذكر تفصيل علم السماع**
للقول ووصف الصحيح من ذلك والمعلول وذكر الواجدين بحق وذم المتواجدين
بهوى ان السماع علم لا يصلح الا لاهل الصفا فمن سمع ذلك على كدر فذلك له محنة وضرر
ويدخل عليه فيه من الافات عن نقصان المشاهدات اذا سمع من قبل النغمة والصوت ما
يدخل على من نظر الى الايدي في العطا لان الصوت ظرف للمعاني بمنزلة اليد ظرف الارزاق
فالناظر الموقن ياخذ رزقه ويترك النظر اليها والسامع المحق ياخذ المعاني من الصوت
ولا يلتفت الى التنغيم بها فمن سمع على التشبيه والتمثيل الحد ومن سمع على الهوى والشهوة
فهو لعب ولهو ومن سمع باستخراج الفهم مشاهدة العلم على معاني صفات حق وتطرقا
ودليلا على ايات تصدق كان سامعا على مزيد وهذه طرائق اهل التوحيد وفي السماع
حرام وحلال وشبهه فمن سمعه بنفس مشاهدة شهوة وهوى فهو حرام ومن سمعه بمعقوله
على صفة مباح من جارية او زوجة كان شبهة لدخول اللهو فيه وقد فعل هذا كثير من السلف
صحابي وتابعي ومن سمعه بقلبه لمشاهدة معان تدله على الدليل ويشهده على طرقات الجليل
فهذا مباح ولا يصح الا لاهله ممن كان له نصيب منه ووجد في قلبه مكانا له لعبد اقيم مقام
حزن او شوق او خوف او محبة فيحركه السمع ويخرجه الى الشهادة فيكون ذلك له مزيدا

حرام السماع وحلاله



من المسمع المشهيد وقال ابو سليمان الداراني رحمه الله وغيره السماع لا يجعل في القلب ما ليس فيه
انما يحرك منه ما فيه وقال بعض الصوفية كنا نعرف مواجيد اصحابنا في ثلثة اشياء عند المسائل
وعند الغضب وعند السماع وقال الجنيد رحمه الله تنزل الرحمة على هذه الطائفة في ثلثة مواطن عند
الاكل لانهم لا ياكلون الا عن فاقة وعند المذاكرة لانهم يتحاورون في مقام الصديقين و احوال
النبيين وعند السماع لانهم يسمعون بوجد ويشهدون حقا وكان بعض الواجدين
يقتات السماع فيجعله قوته يتقوى به على زيادة طيه كان احدهم يطوي اليومين
والثلثة فاذا تاقت نفسه الى القوت عدل بها الى السماع فاثار منه مواجيده فحمله
على الطعام واغناه عن الانام ومنهم من يجعله اذا كان فيذكر به اوطاره ويرتاح به قلبه
الى الحق استطاره وكان مزيدا لاكثرهم ويقوية حاله وهو جند من جنود الله يقوي به قلوب
الواجدين ويروح به ارواح الصادقين الا انه لا يصلح الا القلب صاف من الاكدار
نقي نظيف من الاثار ~~ويروح به ارواح~~ من شهد فيه خلقا فذلك علامة كدر قلبه
وبعد حدثني بعض الاشياخ قال رايت الخضر عليه السلام فقلت ما تقول في هذا السماع
الذي يختلف فيه اصحابنا فقال هو الصفا الزلال لا يثبت عليه الا اقدام العلماء عن
ابي ممشاذ الدينوري قال رايت النبي عليه السلام في النوم فقلت يا رسول الله هل تنكر
من هذا السماع شيئا فقال ما انكر منه شيئا ولكن قل لهم يفتتحون قبله بقراءة القران
ويختمون بعده قلت يا رسول الله انهم يؤذونني وينبسطون فقال احتملهم يا ابا علي
هم اصحابك فكان ممشاذ يفتخر بها ويقول كناني رسول الله عليه السلام وقال الطاهر
بن العوارق وهو من اهل العلم والفضل كنت معتكفا في جامع جدة فرايت يوما
طائفة يقولون منه قولا ويسمعون فانكرت ذلك بقلبي وقلت في بيت من بيوت الله
يقولون الشعر قال فرايت النبي عليه السلام تلك الليلة وهو جالس في تلك الناحية
والى جنبه ابو بكر الصديق رضي الله عنه واذا ابو بكر يقول شيئا من القول والنبي يستمع
اليه ويضع يده على صدره كالواجد بذلك فقلت في نفسي ما كان ينبغي لي ان انكر
على اولئك الذين كانوا يستمعون وهذا يقول رسول الله يسمع وابو بكر يقول فالتفت
الى النبي عليه السلام قال هذا حق بحق او حق من حق انا اشك وعن النبي عليه السلام اخوف
ما اخاف على امتي الشهوة الخفية والنغمة الملهية عن مجاهد في قوله تعالى ومن الناس
من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله قال الغناء وذلك ان استماع الغناء حرام
واجور المغنيات واثمانهن حرام وذلك من عمل الشيطان لانا روينا في تفسير قوله
تعالى واستفزز من استطعت منهم بصوتك قيل الغناء والمزامير والفرق بين
الاغاني والقصايد ان الاغاني ما شبب به بالنساء وذكر فيه الغزل والهوى وشوق
الى الشهوة والقلب فمن سمع من حيث قال القائل بهذه المعاني فالسماع عليه حرام
والقصايد هو ما ذكرنا الله ودل عليه وشوق اليه وهاج مواجيد المؤمنين واما

الفرق بين الاغاني والقصايد

مشاهدة

مشاهدة العارفين وفكر به طرقات الآخرة وعرف منه احوال الصادقين فمن
من حيث شهد بهذه الشهادة فهو من اهله اذ له نصيب منه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال ان من الشعر لحكمة ولم يقل كل شعر حكمة وروي ان نجاو دخل على النبي صلى الله عليه
وعنده قوم يقرؤن القرآن وقوم ينشدون الشعر فقال يا رسول الله قرآن وشعر
فقال من هذا مرة ودخل ابو بكر رضي الله عنه على عائشة رضي الله عنها وعندها قينتان تقولا
فانكر ذلك وكان رسول الله عليه السلام متسجيا بثوبه فكشف الثوب عن وجهه ثم
قال دعهما يا ابا بكر فلو لم يكن شبهة ما انكره ابو بكر رضي الله عنه وقال الجنيد رأيت ابليس
في اليوم فقلت له تظفر من اصحابي بشيء او تنال منهم نصيبا فقال انه ليعسر علي شا
ويعظم علي ان اصيب منهم شيئا الا في وقتين وقت السماع وعند النظر فاني اسرق
منهم فيه وادخل عليهم به قال الجنيد فحدثت بهذا بعض اشياخنا فقال لو رايته انا
لقلت له يا احمق من سمع منه اذا سمع ونظر اليه اذا نظر لم تربح انت عليه شيئا
ولم تظفر منه بشيء فقال له الجنيد رحمه الله صدقت وقال الله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين
لعلكم تذكرون فالكلام زوجان منثور ومنظوم فالمنثور كلام العام والمنظوم
كلام الشعر فما ذكر الله به وذكر منه فهو طريق اليه وكان لعطاء رحمه الله جاريتان
تلحنان واخوانه يستمعون اليهما فادركنا ابا مروان القاضي له جوار يسمعن التلحين
قد اعدهن للصوفيين فكان يجمعهم لهن ويأمرهن بالانشاد وكان فاضلا
وقيل لشيخنا ابن الحسن رحمه الله انك تنكر السماع كان الجنيد وسري وذو النون يسمعون
فقال كيف انكر السماع وقد اجازه وسمعه من هو خير مني وكان عبد الله بن جعفر
الطيار يسمع وانما انكر اللهو واللعب في السماع وهذا كما قال لان القرآن الذي
هو الغاية في الفضل ثم العلم ومعاني الحق اذا دخل هوى النفس بالهوى فيه ولعب الطبع
بالطرب به والمزح صار منكرا وقد خلته الكراهة لخروج الآخرة والعلم منه وكذلك
القول في النظر والكلام كالسماع سواء كما قال عيسى عليه السلام من لم يكن نظره عبرة فهو
لهو ومن لم يكن كلامه ذكرا فهو لغو فاما من نظر ليعتبر او يتكلم ليأتمر او سمع ليذكر
فذلك لهؤلاء عبادة وقد كان الاشياخ من اهل هذا العلم يسمعون ولكن كان منهم من
يسمع في السر دون العلانية ومنهم من يسمع مع اخوانه ونظرائه دون الاتباع والمريدين
وكانوا يقولون لا يصح السماع الا لعارف مكين ولا يصلح لمريد ومبتدئ وقد كان
الجنيد حسن الهيئة في السماع عن وقار وحسن استماع دموعه تفيض ناكس الرأس
قيل له يا ابا القاسم لا نراك تتحرك عند السماع فقرأ هذه الآية وترى الجبال تحسبها جامدة
وهي تمر مر السحاب وبلغني انه ترك السماع في آخر امره فقيل له قد كنت تسمع فقال
مع من فقيل له تسمع انت لنفسك فقال ممن لانهم كانوا لا يسمعون الا مع اهله او من
اهله اذ الشيء لا يطيب الا مع اهله كما لا يحسن الا اهله وانما تركه لفقد اخوانه وعلم

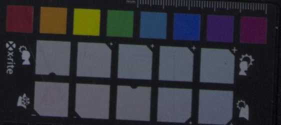
الوجه

نظرائه عن يحيى بن معاذ قال فقدنا ثلثة اشياء فما نراها ولا اراها تزداد الا قلة حسن
الوجه مع الصيانة وحسن القول مع الديانة وحسن الاخاء مع الوفاء وكان ابن مجاهد لا يجيب
دعوة الا ان يكون فيها سماع فكان من اراد ان يدعوه اعد له سماعا وابو بكر بن الجلا لا ينكر
السماع ويسلمه لاهله ويقول ليس لي فيه شئ وابو محمد الراسبي يحضر مع اصحابه فينفرد
ناحية يصلي وهم يسمعون وابو محمد القزويني كان من الاولياء يسمع ويدركه وجود وصعق
وكان ابو سعيد بن الاعرابي يسمع ويذكر عن جلة اشياخه اصغرهم الجنيد وطبقات الاستاذين
الجنيدي وشيوخه السماع والحركة عنده وكان ابو الخير العسقلاني من الاولياء يسمع
ويجد ويوله عند السماع وصنف في علم السماع كتابا ردية على منكريه وحدثني
بعض الاشياخ عن كثير من الصوفية قال رأينا جماعة ممن يمشي على الماء وفي الهواء
يسمعون السماع ويجدون به ويولهون عنده وقال كنا على الساحل فسمع بعض
اخواننا فجعل يتقلب على الماء يذهب ويجيء كما يتقلب على الارض حتى رجع الى
مكانه ومنهم من يتقلب في النار عند السماع ولا يحس بها وروي عن بعض
الصوفية انه ظهر منه وجود عند السماع فاخذ شمعة صحيحة فجعلها في عينه
قال فقربت من عينه انظره فرايت نارا وقال نورا يخرج من عينه يرد نار الشمعة وعن
بعضهم اذا وجد عند السماع ارتفع من الارض في الهوي اذرعا يمر ويجيء فيه وقد سمع
من الصحابة ابن جعفر وابن الزبير والمغيرة ابن شعبة وغيرهم ومحل القول في السماع انه
من سمع فظهرت عليه صفات نفسه وذكر حظوظ دنياه فالسماع عليه حرام ومن سمع
فظهر له ذكر ربه وتذكر بآخرته مما شوق اليه ورجي او حذر منه وخوف من الوعد
والوعيد فهو له ذكر من الاذكار وقال الثوري ان وضعت المكاءة ودارت الاقداح
فالنبيذ حرام وقال بعضهم اذا اجتمعوا على اللهو بعد الطعام واختلفوا الى المباح حرم
النبيذ وهو عند هؤلاء حلال على غير هذه الصفات وهو مذهب علماء الكوفة وقد
سئل ابن عباس وغيره من الصحابة عن القبلة فقال اكرهها للشاب ولا ارى بها باسا
للشيخ ثم قال لان الشيخ اذا اقبل قنع والشاب اذا اقبل طمع والشيخ يملك اربه والشاب
لا يملك نفسه فهذه المعاني تختلف لاختلاف احوال اصحابها والاشياء تتفاوت لتفاوت
معاني العاملين بها ولا قوة الا بالله وانما ذكرنا هذا الباب في ذكر اوصاف الاحباب
لانه كان طريقا لبعض المحبين وحالا لبعض المشتاقين فان انكرناه مجملا غير مفصل
فقد انكرنا سبعين صديقا ومحونا رسما كان لطايفة طريقا وان كنا نعلم ان ذلك
اقرب الى قلوب القراء واحب الى قلوب المريدين والمتعبدين الا انا لا نسلم في
ذلك بيننا وبين الله تعالى لانا نعلم ما لا يعلمون وقد سمعنا عن السلف من الاصحاب
والتابعين ما لم يسمعوا ولكن قد دخل في هذا الطريق غير اهله فاحالوه عن وجهته
وعدلوا به عن قصده لما ادخلوا فيه من الهوي فمثلهم كما قال الله تعالى اتخذوا دينهم لعبا ولهوا

بيان حرم النبيذ

كان

كان هذا السماع يتدين قوم ويتطرقون به الى الله وكان لهم منه ذكر وفيه وجد
وعلم تتقطع عليه قلوب الخاشعين وتزهق عنده نفوس الصادقين وتوله بر قلوب
الذاكرين وتتيه فيه قلوب المشتاقين وتبكي عنده عيون المحزونين فهو الان اسم بلا
معنى وجسم بلا روح ورسم بلا حقيقة فمثل المتواجدين به من غير وجد والسامعين
له بغير علم والمشتبهين باهله من غير صدق والحاكين لاهل الحقايق بغير حق كما قال الله
فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم ثم قال الشاعر • اما الخيام فانها كخيامهم • وارى نساء الحي غير لنشا نها
وكما قال لي بعض الاشياخ مرة ما ارخص الصوفيه في وقتنا هذا صوفي بدرهم
قلت وكيف مرقعه بدرهم وناسومه وركوة بدرهم وانشد في بعض اخوان
اهل التصوف قد مضوا صار التصوف مخرقة • صار التصوف صيحة وتواجدا ومطبقة
لا يغرنك من المرء قميصه رقعة • واذا وفوق الساق منه رفعة • وجبين لاح فيه اثر
قد قلعه • ولدى الدرهم فانظر حرصه او ورعه • فقد حرم السماع مع اكثر ونقص
الحضور في عمومهم لقسوة القلب عند النظر اليهم وكثرة الفيض منهم لدخولهم
في الشره والجهل وخروجهم من الادب والعلم والمجالسة لا تطيب الا الادب والمعاشرة
٤ لا تحسن الا بعلم والمواخاة لا تحلو الا للاخرة فاما الزفن والاضطراب عند السماع
فلا يعجبني لان اكثره تواجد بلا وجود وقد يدخله التكلف والتصنع الا من غلبه
امر وملكه قهر فالمغلوب مقهور والمجنون معذور وفي الخبر ان الصديقين اذا سمعوا ذكر الله
طربت قلوبهم الى الاخرة وفي بعض كتب الله المنزلة غنينا لكم فلم تطربوا زمرنا لكم فلم
قا ترقصوا فهذا على ضرب المثل اي ذكرناكم فلم تجدوا للذكر طربا وشوقا فلم ترتاحوا اشتيا
ذكر الشوق ووصف المشتاقين والغيرة واما الغيرة فحال سنية من احوال المحبين
لما عرفوا بيقين التوحيد انه ما نظر اليه سواه ولا عرف الا اياه فسقطت همهم بالغيرة
عليه وعرفوا حكمته بتعريفها انواع ما يظهر واقسام ما ينشر وانه في غيب غيبه لا يظهر
عليه سواه في سر سره لا يشهده الا اياه فقام لهم مقام المعرفة بالتوحيد له مقام الغيرة
عليه وقد روينا في دلايل المحب واوصافه ابياتا عن ابي تراب لا تخدعن فللمحب دلايل
ولديه من تحف الحبيب وسايل منها تنعمه بمر بلايه وسروره في كل ما هو فاعل فالمنع
منه عطية مقبولة • والفقر اكرام ولطف عاجل • ومن الدلايل ان يرى من عزمه • طوع
الحبيب وان الح العاذل • ومن الدلايل ان يرى متبسما والقلب فيه من الحبيب بلابل ومن
الدلايل ان يرى متنعما • لكلام من يحظى لديه السائل • ومن الدلايل ان يرى متقشفا •
متحفظا من كل ما هو قايل • عن يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله • ومن الدلايل ان تراه مشمرا •
في خرقتين على شطوط الساحل • ومن الدلايل حزنه ونحيبه • جوف الظلام وما له من عاذل
ومن الدلايل ان تراه مسافرا • نحو الجهاد وكل فعل فاضل • ومن الدلايل زهده فيما ترا •
من دار ذل والنعيم الزايل • ومن الدلايل ان تراه باكيا • ان قد راه على قبيح فاعل •



ومن الدلايل ان تراه مسلما كل الامور الى المليك العادل ومن الدلايل ان تراه باكيا
بليكه في كل حكم نازل ومن الدلايل ضحكه بين الورى والقلب محزون كقلب الثاكل
ثم اعلم ان في المحبة مقامين على ترتيب هذا الجمل احدهما اعلى من الاخر في كل مقام
جملة من الاحباب من قبل ان في المعرفة مقامين مقام تعريف ومقام تعرف فمقام
التعريف هو معرفة العموم وهذا قبل المحبة الخاصية ومقام التعريف معرفة الخصوص
وهذا بعد محبة العموم وهو مزيد الحب وهذه محبة خصوص كذلك في المحبة مقامان مقام
محب واعلا منه مقام محبوب وهذا كما عبروا عن قولهم مريد ومراد وعلى الحقيقة كل
مريد لله فهو مراد ذلك الا انهم جعلوا اسم مراد لوصف مخصوص يعرف به فيما زعمه
المبتدي من المبادي والمنيب من المجتبى والطالب من المطلوب وكذلك لعمري ليس الحامل
كالمحمول ولا الزاير كالمزور ولا الاشتياق كالحضور وكذلك المحب ليس كالمحبوب ولا
المتوجه كالمواجه ولا المستكشف كالمكاشف وهذا ايضا كما عبروا بقوله العارف
والمعرفة يريدون عالم وعلم اذ العالم عارف بما علم والمعرفة هي علم بالله الا انهم لما خصوا
علما فوق علم اذ كان الله اعلى المعلومات صار العالم به اعلى العلماء فخصوه باسم يعرف به
فضله على غيره فقالوا عارف وكانت المعرفة وصفه اذ كان عارف اسمه فاغنى
سامعه عن السؤال ان يقول عالم باي علم وقيل لابي عاصم تشتاق الى الله فقال
لا قيل ولم قال انما الشوق الى غايب فاذا كان الغايب حاضرا فالى من يشتاق وهذا
مقام عن وجدان انس وحال قرب وفي المشاهدة هذه ايضا مقامان مقام الشوق
ومقام الشوق ومقام الانس فالشوق حال من القلق والانزعاج عن مطالعة
العزة ومعاينة الاوصاف العلية من وراء حجاب الغيب بخفايا الالطاف وفي هذا
المقام الحزن والانكسار الا انه مزيد الخوف والانس حال من القرب عن مكاشفة حضور
ووجود سرور بلطيف القدرة ففي هذا المقام التملق والتعلق والاستبشار والفرح وهذا
مزيد المحب العارف وقال الجنيد رحمه الله علامة المحب دوام ذكره في القلب بالفرح والسرور
والشوق اليه والانس به واثر محبته على محبة نفسه والرضاء بكل ما يصنع وعلامته
انسه بالله استلذاذه الخلوة وحلاوة المناجاة والاستفراغ العقل كله حتى لا يكاد
يعقل الدنيا وما فيها ولا يحمل هذا على الانس بالخالق فيترتب على مدارج العقل كما لا يحمل المحبة
على محبة الخالق بمعاني المعقول لان الانس حال منها وانما هو طمانينة سكون اليه ووجد
حلاوة منه واستراحة وروح بما وجدهم فمن حمل على الانس بالجنس انكره ومن انكر
الانس انكر مقاما من مقامات اليقين وجحد طريقا من طرقات العارفين وعن قتادة
في تفسير قوله تعالى الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله قال هشت اليه واستانست به
وقيل لابراهيم بن ادهم حين نزل الجبل من اين اقبلت قال من الانس بالله تعالى الانس بالله
لا يجوز بربطال ولسين يدركه بالجول والانسون رجال كلهم نجب وكلهم صفون لله عمال

العموم صح

ترك التقيد في الانس

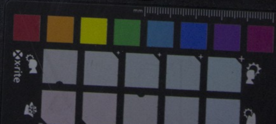
وقيل

تزيد

وقيل الانس بالله علامة وجود الطريق وقيل اذا رايته يوحشك من خلقه فاعلم انه
ان يونسك به وقد يكون في الانس مقام آخر وهو الانس بالاولياء والاحوان
من العلماء بالله تعالى والاصفياء ٠ وفي مقام الانس يكون التملق والمناجاة
ومعه تكون المحادثة في المجالسة وعنده يوجد معنى البسط في الحضور والقرب
ولا يحب الله هذا النوع من الادلال الا من اقامه مقام الانس ولا يحسن ذلك الا
منهم ولا يليق ذلك الا بهم كقول موسى عليه السلام في مقام الانس يا رب لم لا تبيس لك
مثل نفسك قال صدقت وفوق هذا من البسط ما اخبر الله عنه انه قال
مواجها للجليل العظيم اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون الاية واعظم
من هذا قوله عليه السلام بعد قوله تعالى اذهب الى فرعون فقال مجيبا له فارسل الى هارون
ولهم علي ذنب ومثله قوله فاخاف ان يكذبون ويضيق صدري فحسن هذا منه الاية
اقام مقام البسط بين يديه واوجده حال الانس به لان مكانه لديه مكان لديه
مكان محبوب يلاطفه بلطيف الكلام ويواجهه بمحاسن الوجد والانعام وينظر اليه
بعين المحبة ويقربه لديه فلذلك ادل به عليه فحمل ذلك له وهذا من غير موسى في غير هذا
المقام من سوء الادب بين يدي المرسل ولم يحتمل ليونس عليه السلام خاطرا من هذا القول
لما اقيم مقام القبض والخوف فعوقب بالسجن في بطن الحوت في ظلمات ثلث ونودي عليه
الى يوم الحشر لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم وعن الحسن رضي الله عنه
عراء يوم القيمة ونهى حبيبه المقرب ان يقتدي به بالقول والفعل فقال واصبر لحكم
ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم الا ان هذا الفعل به وتنقيله في هذا
الاحوال منه هو مزيد له وتعريف وفضل مرتبة وتخويف وفيها طرقات للعارفين واحوال
تحول على المقربين وقال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وقال منهم من كلم الله
فرفعه الى المكلمين وقال ورفع بعضهم درجات يعني في القرب وكان من المفضلين المكلمين
عيسى عليه السلام اذ يقول مادحا لنفسه بالسلام مع مواجهته للسلام والسلام علي يوم
ولدت الام فسلم على نفسه في الحال والمال وهذا يوجد الانس في مقام لطف ولم يكن
هذا لاخيه يحيى عليه السلام بل سكت لا ينطق ومن الخيفة والحياء يطرق حتى اثنى عليه
خالقه وكشف عنه سوابقه فقال سبحانه وتعالى مادحا له وسلام عليه يوم ولد الاية
واحتمل لاخوة يوسف ما عزموا عليه وما فعلوه وباشروه من قولهم اقتلوا يوسف
او اطرحوه ارضا الى اخر العشرين نيفا واربعين خطيئة بعضها اكبر من بعض فغفرها لهم اذ لان
اذ كانوا في مقام محبوبين ولم يحتمل لعزير عليه السلام مسئلة سال عنها في القدر حتى قيل
نحي من ديوان النبوة وقال تعالى فوق ذلك كله ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات
فعفونا عن ذلك فان شاء يعفو عفا عن العظايم فلم يعظم عليه شيء وصغر في فضله
كل شيء كما ان اعطى اعطى من العلم والايمان بغير حساب لا بحد ولا بعد وان منع منع قوت

نيف ونيف مخفف ومشدد الزيادة على العقد

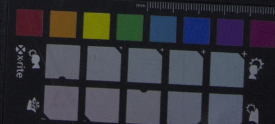
الايمان



وقوام العلم الذي لا يصح الايمان الا به فذلك تحقيق اسمه معط مانع وكذلك غفار طالب
اذا شاء طالب وناقش على الصغاير ولا يصغر الذرة عن مطالبته فكيف يصغر ذنب من
واجه به الملك الجبار و في قوله تعالى يغفر لمن ويعذب من يشاء قيل يغفر لمن يشاء الذنب
العظيم ويعذب من يشاء على الذنب اليسير لا يسئل عما يفعل لانه عزيز جبار وهم يسئلون
لانهم اذلة مجبورون وقد يشترك الجماعة في المعصية فيغفرها لبعضهم ويبدلها حسنات
فلو تعززه بل يكون عاقبتها يسرة ويعذب البعض بذنبه ولا يغفر له وقد لا ينفعه معه عمل
ولا يكفره توبة ولا يغني عنه شفاعة له الخلق والامر يحكم بامره في خلقه ما شاء كيف شاء فمن آمن
بما ذكرناه لزمه الخوف ووجب عليه الحذر ومن كفر به ولزمه الكفر وكان اشد عليه ضررا
وقد احتمل لآصف بن برخيا فوق ذلك كله فيقال انه كان احد المسرفين لا يصلح على ان يذكر ذنوبه
لكان علمه ولحسن عطف الله سبحانه عليه بجمله ثم تداركه مولاه واجتباه واعطاه العلم
والفضل وايد به نبيه فجعله وزيره وكاتبه واطلعه على الاسم الاعظم بعد ما كان منه ما تعاظم
لئلا ويياس محب من عطفه وكيلا يقنط محجب من لطفه واما قصة آصف في آخر امره حدثونا
ان الله تعالى اوحى الى سليمان عليه السلام يا ابن رأس العابدين ويا ابن محجة الزاهدين الى كم يعصيني
ابن خالتك آصف وانا احلم عنه مرة بعد مرة فو عزتي وجلالي لئن اخذته عطفة من عطفاتي
عليه لاتركنه مثلة لمن معه ونكالا لمن بعده قال العلماء دخل آصف على سليمان عليه السلام
اخبره بما اوحى الله اليه فخرج حتى علا كثيبا من رمل ثم رفع راسه ويديه نحو السماء وقال
الهي وسيدي انت انت وانا انا فكيف اتوب ان لم تتب علي وكيف استعصم ان لم تعصمني
لاعودن ثم لاعودن فاوحى الله اليه صدقت يا آصف انت انت وانا انا استقبل
التوبة الي فقد تبت عليك وانا التواب الرحيم ولم يسمح لبلعام باعورا بذنب واحد
لان بلعم اكل دنيا بدينه وادخل الهوى على العلم فضل بذلك وهلك واشتد غضب الله
عليه وآصف كانت معاصيه في جوارحه بينه وبين خالقه فكان آصف استبدل لبرص
بلعام لما راى تلك الايات فانسلخ منها بعد العبادة والزهادة اذ لم يرد بحاجتها والثبات
فيها وقيل كان اوتي الاسم الاعظم المتصل بكن وقيل اوتي فوق ذلك لا اذكره ثم انسلخ من
الايات فسكن الى الدنيا وهوى في الهلكات ولم ينفعه ما كان منه من العبادات
كيلا يامن عامل مكره ولئلا يُدِلّ عالم من العلماء عليه بما اظهره له فانه قد ياخذ في ساعة
ما اعطى في مائة سنة ويعزل بجناية حادثة عن مائة سنة وولاية سالفة وذلك من
سر المكر ولطيف الجبر وقد يظهر ليمنع ويحسن ويبشر الاعلام بالذكر والمدح عند الانام
ويخفي في العاقبة اليم الانتقام وهذا باب من الاستدراج بالنعم المؤدية الى عظيم
النقم فمن هذه المعرفة فزع العارفون وبهذا الوصف المدرج المكار عرفه الشاهدون
واعلم ان المسامحة من الله تعالى لاوليائه لانه حبيب التائب ان يقيمه مقام الحياء منه
باجلال وتعظيم فيسمح له ويصغر ذنوبه للاجلال والمنزلة ولا يمكن كشف هذا المقام الا انا

والاعتراف بالذنب والانكسار فاذا انتظر حزنه وهمه وراى اعترافه وعجزه غفر له حاه منه

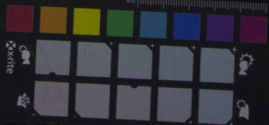
رويناعن رسول الله عليه السلام انه ذكر طائفة فقال يدفع عنهم مساوي اعمالهم محاسن اعمالهم
المقام الثالث ان يقيمه مقام الحزن والانكسار ورحمة فان فاتك المقام الاول فلا يفوتنك
المقام الثالث وما بينهما مكتوم لانه من سرائر العلوم ومن ادلال المحبوب المؤانس
مناجاة برخ الاسود الذي امر الله كليمه موسى عليه السلام ان يستسقي لبني اسرائيل بعد
ان قحطوا سبع سنين فخرج موسى عم استسقى لهم في سبعين الفا فاوحى الله اليه كيف
وقد اظلمت عليهم ذنوبهم وسرائرهم خبيثة يدعونني على غير يقين ويامنون مكري
ارجع فان عبدا من عبادي يقال له برخ قل له يخرج حتى استجيب له فسال عنه موسى عليه السلام
فلم يعرف فبينا موسى عليه السلام ذات يوم يمشي في طريق اذا بعبد اسود قد استقبله بين
عينيه تراب من اثر السجود في شملة قد عقدها على عنقه فعرفه موسى بنور الله تعالى
فسلم عليه وقال ما اسمك قال اسمي برخ قال فانت طلبتنا منذ حين اخرج فاستسق لنا
فخرج فقال في كلامه ما هذا من فعالك ولا هذا من حلمك وما الذي بدا لك انقصت عليك
عيونك ام عاندت الرياح عن طاعتك ام نفد ما عندك ام اشتد غضبك على المذنبين
الست كنت غفارا قبل خلق الخطائين خلقت الرحمة وامرت بالعطفة فتكون لما امرت به
من المخالفين ام ترينا انك ممتنع ام تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة قال فما برح حتى
اخضلت بنو اسرائيل بالقطر وانبت الله العشب في نصف يوم حتى بلغ الركب
قال فرجع برخ فاستقبله موسى فقال كيف رايت حين خاصمت ربي كيف انصفني
فهم به موسى عليه السلام فاوحى الله اليه ان برخا يضحكني كل يوم ثلث مرات ففي هذا
ذكرى للراجين وانس للمشتاقين وطمع للعاملين وتحبب الى المطيعين كما قال بعض
العارفين الحبيب لا يحاسب والعدو لا يحسب وقال الجنيد رحمه الله اهل الانس يقولون
في تملقهم ومناجاتهم في خلواتهم اشياء هي كفر عند العامة وقال مرة لو سمعها
العموم لكفروهم يجدون المزيد بذلك في حالهم وذلك يليق بهم ويحسن منهم ويحتمل
لهم ويرضى به منهم في كلام اكثر من هذا فلا عيب على من انكر ولا عجب منه في وصف
المؤانسين من المحبوبين قوم بجالجهم زهو بسيدهم • والعبد يزهو على مقدار مولاه
تاهوا برؤيته عما سواه له • يا حسن رؤيتهم في عز ما تاهوا • اي بقدر ما نظر اليهم
وعن نحو ما يظهر به • ومثل المحبوب من المحب مثل مقام المصطفى من مقام الكليم
صلى الله عليهما قال موسى رب اشرح لي صدري وقال لمحمد الم نشرح لك صدرك
وقال موسى واجعل لي وزيرا من اهلي وقيل لمحمد ورفعنا لك ذكرك اي تقرن بي
في الشهادة وبالاذان لا او ازرك بغيري لانك من اهلي اي فقد وزرتك وقرنتك بذكري
فانا ظهيرك ومعينك لا اشد ازرك بغيري ولا اعضدك بسواي فاشبه هذا بما دونه
عن مجاهد في قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قال يقعده على العرش وكان العرش
مقام العظمة والجلال بمشيئته في الدنيا واختياره وهو مستغن عنه بقيوميته واقتداره



فوهبه لحبيبه في الاخرة فجعله مكانا له تعظيما وتشريفا ليكون هناك فوق المرسلين
في الجلالة كما كان هنا خاتمهم في الرسالة وضم مخلوق الى خالق في الاسم والمكان اعظم
تشريفا ممن ضمه الى مخلوق مثله وهو العرش فلو عجب لانه رفع ذكره الى اسمه وجعل اسمه
بدلا من مكانه في قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم فهو
اعجب من الكون والمكان وانه ليختلج في سري ويتخالج في صدري ان الوسيلة التي
قال صلى الله عليه وسلم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة عند الله لا ينبغي ان تكون
الا لرجل واحد وارجوا ان اكون انا هو ان ذلك هو القعود على العرش ولكني لا اصرح بذلك
اذ لم يصرح به الرسول لكني ادمز به لمن عرفه وقال لموسى بعد المقام قد اوتيت سؤلك
يا موسى ولقد مننا عليك مرة اخرى ففي هذا تحديد وقال لمحمد بعد المقامات وقل رب زدني علما
فلم يحد له حدا فهذا غاية المزيد وقال موسى رب ارني انظر اليك في محل العبودية وقال
لمحمد ما زاغ البصر وما طغى وكان قاب قوسين او ادنى في مكان الربوبية فبين المحب والمحبوب
كما بين موسى ومحمد صلى الله عليهما كم بين من راى ما راى عند نفسه في مكانه وبين من راى ربه
عند ربه في علو شانه كم بين من عجل اليه شوقا منه ليرضى عنه وبين من عجل به شوقا
اليه لرضاه كم بين من راى ما راى فلم يثبت ففاضت عليه الانوار لضيقه فقتل الضعفاء
وبين من راى ما راى فثبت له وغاضت فيه الانوار لسعته فحمل الاقوياء فقد جاوز
المحبوب مقام المحب في التمكين كما جاوز محمد مقام موسى في المكان المكين وقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله اتخذ موسى صفيا واتخذني حبيبا وقد ادخل الله بينه سبحانه وتعالى وبين موسى
لام الملك واقام محمدا مقامه في الملك فقال لموسى واصطنعتك لنفسي وقال لمحمد ان
الذين يبايعونك انما يبايعون الله فكم بين من صنعه لنفسه وبين من جعله بدلا عن نفسه
تفضيلا وتعظيما كم بين من فصل مدحه من وصفه وبين وصل مدحه بوصفه فقال في
الفصل والقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني وقال في الوصل لتؤمنوا بالله ورسوله الآية
وقيل في قوله تعالى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما اتيتك من الكلام تسلية
واصطفيتك به على الناس فاشكر عليه والنظر فقد خصصت به محمدا صلى الله عليه وسلم وعن
ابن عباس وكعب رضي الله ان الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد فاعطى موسى الكلام
وخص محمدا بالرؤية ومن المحبة كتمان المحبة اجلالا للحبيب وهيبة له وتعززا وتعظيما وحياء
منه وهذا وصف المخصوصين من علواء المحبين وهو من الوفاء عند اهل الصفا اذ كانت
المحبة سر المحبوب في غيابت القلوب فاظهارها من الخيانة فيها وليس من الادب ولا الحياء
النسبة اليها ولا الاشارة بها الا في ذلك اشتهارا فتدخل عليه دقايق الدعوى والاستنكار
وقال آخر في تعزز الحبيب مع قربه وقالوا اقتربت قلت ما انا صانع بضوء شعاع الشمس لو كان
في حجري فمالي منه غير ذكر بخاطر يهيج نار الحب بالشوق في صدري الآن يغلب فيعقد
او يقهر فلو يلوم لان للحب لوعة تلدغ القلب وسكرة تغمر العقل وفيضا يفيض فيه القلب

ولا

ولا يمكن كتمه وزفره تغلب الوجد لا يستطاع دفعها ونارا تقدح في اللب يسطو بو فها
فذلك حينئذ معذور لانه مقهور وهو ثم مجبور اذ هو في وثاق الحبيب ماسور
وانشدت فيه ومن قلبه مع غيره كيف حاله ومن سره في جفنه كيف يكتم وقيل اعرفهم
بالله اشدهم تحيرا فيه وقال الجنيد رحمه الله اذا تناهت معارفهم انتهت الى الحيرة
ودخل ذو النون المصري على بعض اخوانه ممن كان يذكر المحبة فراه مبتلا ببلاء
فقال لا يحبه من وجد الم ضربه وقال الرجل لا يحبه من لم يتنعم بضربه فقال ذو النون
لا يحبه من شهر نفسه بحبه فقال استغفر الله واتوب اليه وهذا كمال ذو النون
وهو من علامة الاخلاص في المحبة اذ كانت من اعمال القلوب فوجدان الاشفاق
والحذر من اظهارها خشية السلب والاستبدال وخوف المكر والاستدراج
علامة التحقق بها ودفعها عن نفس وسترها عن ابناء الجنس وترك التظاهر بها
علامة الظفر بها لان المحبوب غيور وانشد بعضهم في الفرق بين الواجد الفاقد
والمتواجد الناطق • اذا اغرقت عيون في دموع تبين من بكا ممن تباكا • فاما من
بكا فيذوب وجدا • وينطق بالهوى من قد تباكا • وانشدت في وصف الاقوياء
من المحبين الذين هم للوجد كاتمون حفوق الحشى لا يبدي وجودا • كان فواده
زبر الحديد • فاما السكران بحاله والحيران في توحيده فلم يجعل اماما للمتقين
وفيما ذكرناه من وصف المحب كفاية وغنية لمن وفق لفهمه ورزق نصيبا من علمه
يجزي عن وصف المحبوب وليس يمكننا وصف محبوب كما يعلم ويحب اذ جل
عن الوصف وكيف يوصف من يسمع ويبصر من محبه ويبطش ويعقل عن محبوبه
بل هو كما بل له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا وقلبا كما جاء في الخبر ان سالني اعطيته
وان سكت ذكرت له لو قسم نوره على اهل الارض لوسعهم فهذا كله في مقام محبوب
ومقامه يعلو عن الكشف ويقال ان هذه الايات من سرائر القلوب وخفايا الملكوت
التي تسميها العامة المعجزات والايات وتسميها العلماء الكرامات والاجابات وهي ايات الله في
الارض مودعة له وقدرة له سبحانه وتعالى في عباده ليس للعباد منها الا كشفها ونظرهم اليها
اذا اقيموا مقام الانس من مقام محبوب ودفعوا الى وصف خلة في حال المطلوب رفعت عنهم
الاسباب والغيوب وظهرت لهم الاسرار فسترها هو المحبوب وبعضهم يقول ان الايات
توجد في المقام السابع عشر من مقامات المعرفة اذا اقيم العبد هذا المقام في المعرفة يودي بها
فظهرت له وكانت هي كشوفا من الغيب وفوقها ثلثة وثمانون مقاما من مقامات العارفين
افضل من ذلك لانها طرقات ابدال المرسلين من النبيين وقال بعضهم يكون فضل ابدال المرسلين
على ابدال النبيين كفضل المرسلين على النبيين وكفضل الصديقين على الشاهدين قال بعض العلماء
ما رايت هذه الكرامات ظهرت الا على ايدي البله من الصديقين وقال عليه السلام اكثر من يدخل الجنة
البله وعليون لذوي الالباب والعامة يحسبون انها من اعلا مقامات المعرفة لانها ابهر



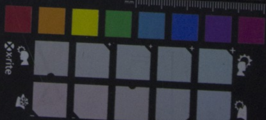
للمعقول واغرب فى العالم المعقول وتجلى صفات محبوب فى انوار اليقين بالقلوب وقرب يلو لحظات
المحب للطايف معانى الحبيب هو سر السر وغربة الغربة وعجب العجب والذرة
من ذلك عند العارفين والمحبين اعلا وافضل من امثال الكون والمكان لان العارف
المكين ذو القوة الامين ينظر الى الكون ظاهره وباطنه اعنى ملكه وملكوته بعين مليكه فهو
لا يملكه لقوته ولا يتملكه لزهده وتوكله فليس يشهد الا فعله وهو ما ظهر ومعناه الحكمة وصفه
وهو ما غاب ومعناه القدرة فله فى كل حركة وسكون كشف ومزيد ياخذ من الاشياء قبل
ان تاخذ منه وياسرها قبل ان ياسره وجميع الاسرار من الغيوب التى يكنها المحب والاستار
لا يظهر عليها الا مطلوب والمطلوب لا يكون محجوبا وهو عن نفسه مسلوب ممن بقيت عليه
من نفسه بقية او نظر الى حركته وسكونه نظر حقيقة فسترها عليه رحمة له لانه لو كشف بها
هلك فى حيرة الهوى وغرقته فى بحار الدنيا ونفس حبه لها وعين طلبه اياها هو حجابه عنها واستتارها
عنه حتى يكون كارها لظهورها كراهيته ظهور الخلق على معصيته وخايفا منها خيفته من نفسه
فى تظاهرها عليه بهلكته قال بعض المحبوبين ممن يكشف عن مشاهدة عبدت الله ثلثين سنة
باعمال القلوب والجوارح على بذل المجهود حتى ظننت ان لى عند الله شيئا فذكر اشياء من
مكاشفات ايات السموات فى قصة طويله قال فى اخرها فبلغت صفا من الملائكة بعدد
جميع ما خلق الله من شىء فقلت من انتم قالوا نحن المحبوبين لله نعبده هنا منذ ثلثمائة الف سنة
ما خطر على قلوبنا قط سواه ولا ذكرنا غيره قال فاستحييت من اعمالى فوهبتها لمن حق عليه
الوعيد تخفيفا عنهم فى جهنم وقال بعض العلماء كل مقام اعبر عنه الا مقام المحبة قيل ولم
قال لان الشى يعبر بالطف منه ولا شىء الطف من المحبة وقيل لمعروف رحمه الله اخبرنا عن المحبة
اى شىء هى قال يا اخى ليس المحبة من تعليم الحبيب وجملة ما اعبر عنه من المحبة انها
سر عن وصف الله فهى تاله القلب بالاله الله فاستكان هو النور فى قلب المتاله بالله
الى ما الله مكان المحبة ثم يقع التجلى من الحبيب بحسن وجمال ليس مثله وصف وبشوق وحلاوة
لا تشبهها حلاوة فيحدث سرورا وارتياحا ولذة ونعيما يجد القلب بذلك ويحار العقل فيه
ويغرق الهم فيه ويتردد الفكر به فهذا ما يمكن لمن عرف وما يصلح لمن اوقف وما وراء هذا
فانما هو رؤية كيفية وكيمية قرب والعقول والعلوم تعجز عن درك هذا الا محيطة من الله تعالى
عن مشية فانتظمت المحبة القرب فكانا سرا وغابا فى جبروت العز فكيف لا يعجز وهو محجوب
بعقله كما ان الجاهل محجوب بالهوى فاذا رفع الحجاب انكشف عين اليقين فابصرت الغيب
بالغيب فصار شهادة ورات النور بالنور وكان على الحسنى زيادة فقد جلت المحبة ان
توصف وعزت فى المقامات ان تعرف وقال بعض العارفين كل المقامات عن انوار الافعال
والصفات الا المحبة فانها عن نور الذات فلذلك عز وصفها وغرب وجدها وقل من
المؤمنين المتحقق بها قوله عن نور الذات انما يريدون وصفا مخصوصا من الذات
هو وجه المحبين وعنه معرفة العارفين والا فالصفات متصلة بالذات ومزادك مقام

المحبة لم يضره فوت شيء من المقامات ومن فاته مقام المحبة لم يغبط بدرك شيء فلان يعطى
الموقن عشر ذرة من المحبة افضل له من ان يعطى امثال الجبال من العبادات لان الجزاء عليها
من معاني الصفات المتصلة بالذات وهذا غاية للطالبين من المقربين وساير العبادات والاعمال
الصالحات يثوب منها الجزاء من معاني الجنة وصفاتها المخلوقات فشتان بين ذلك وبين المعاني القديمة
وقيل ان للقلب حبة هي باطنة عليها تعلق المحبة ومنها سميت محبة كان اشتقاقها من محبة القلب
وهي التي يقال سويداؤه والميم في الاسماء قد تزاد للمبالغة في الوصف ومن هذا قوله قد شغفها حبا
لما وصفها بنهاية الوصف في الحب اي خرق شغاف قلبها فوصل الى حبة القلب وخرق وقال
وهو حجاب القلب وحبا منصوب على التفسير كانه قيل قد شغفها قبلما ذاق الحب وقال
عكرمة قد شغفها حبا يعني بطنها وبلغ سواد القلب قبلما معنى سواده قال مثل سواد
العسكر اذا بلغ الحرب اليه انكشف العسكر فيهتك فالحب اذا وصل الى هذا الموضع
من العبد لم يملك المحب نفسه وفرغ قلبه فاستلو به والعرب يقول شغفه اذا اصاب
شغاف قلبه فهتك حجابه وعلى هذا المعنى مجاز قوله عليه السلام حبك الشيء يعمي ويصم
اي عن سواه ولا يبصر الابه ولا يسمع الا منه ويعمي ويصم عن مساوي البلاوي التي فيه
فلا يخاف فيه لومة لايم ولا يقبل عليه قول قائل ولا يصدق عنه عيب عايب وقرئ
بالعين قد شعفها معناه بلغ اعلو القلب ونهايته لان الشعف اعلو كل شيء والعبد
وشعف الجبال غاياتها والمعنى ذهب بها الحب اقصى المذاهب وغايتها فحينئذ يملكه
الحب فيكون اسيرا او يغلب عليه الحبيب فيصير اميرا فيحكم عليه فلا يجاوز احكمه
ويفرغ له قلبه من كل شيء دسمه ويبلى به فلا يبقى فيه شيء وسمه ولا يقدر على الكتم لظهور
سلطان الحب بقهره فحينئذ يكشف قناعه ويرسل عذاره فيه ويصفه الحب بالحق
وهو صامت ويبدو عليه الوجد وهو خافت ويخفيه الحبيب الا ممن يحب وهو ظاهر
وقد يكون هذا في مقام سكر وحال غلبة وقهر فمن لم يعرف هذا المقام انكر هذا الكلام
وقال سمنون لفقير تفرح بحبه وتذكر المحبة فمحبة غير الله في محبة الله شرك
عند المحبين وخيانة عند الصادقين وهو من نقض العهد وقلة الوفا بالعهد
عند المخلصين وقال ابو محمد رحمه الله من احب الدرهم لم يحب الاخرة ومن احب الخبز
لم يحب الله تعالى ولا يخرج حب الولد والوالد المحبين لله تعالى من المحبة لان ذلك جعله الله
في القلوب بضيا ولا يخرجه ايضا حب الزوجة بمعنى الرفق والرحمة لها ولا حب مصا ح
الدنيا ومرافق الاسباب من حاجات النفوس وما لا بد منه لانه من عون الزاد على
الطريق وليس ذلك كله يكون في مكان محبة الله في انوار اليقين ومحبة هذه الاشياء
في مكان العقل والطبع ما لم تاخذ هذه الاشياء منه بمعنى الانحطاط في الهوى ومجا وذة
العلم كما تقول في صفة المقربين انهم ياخذون من الاشياء مثل ان تاخذهم
وهكذا هو عندي في الفرق بين محبة الخالق ومحبة المخلوق ويخرجه جميع

ولا يخرج حب الولد والوالد من المحبة

ذلك عند الخواص والنوري وطائفة من المحبين من حقيقة المحبة فاما الايثار لهذه الاسباب
ولا نختلاط في اهوائها والسكون اليها والفرح بها والطمانينة معها فتسخر لها كذلك هو عندي وعند
الكل وقد يوجد بعض المحبة مع وجود بعض هذه الاشياء عندي وان كانت علة موجودة
ولا يوجد حقيقتها عند الجماعة وعندي واما بعض الحكماء فانه يزعم ان محبة العشق خاصة
المتعلقة بالوصف لانها متصلة بالروح منتشية منه وان كان سلطانها موجودا في القلب
وحاكمها على الجسم اذ كان القلب ملك الجسد ومكان الحواس كلها وهو الفرق عندهم بين حب
العشق والحب لاجل المعاني والاسباب من المنافع والمرافق اذ ذاك متعلق بالاوصاف
بالاوصاف وذكروا ان حكيما كان عند بعض الملوك فنظر وزيره الى جارية للملك كان يهواها
وقد اشرفت عليه ولم يعلم الملك بذلك فلما نظر اليها ارتعدت فرايصه وغشي عليه فتعجب
الملك من ذلك فساله عن حاله فاعتذر بوجع يعارضه في الاوقات فلما خرج سال الملك الحكيم هل
تعرف دواء هذه العلة فقال نعم واعرف داءها ان امرتني اخبرتك فقال قد احببت ذلك قال
انه نظر الى من يحبه فلحقه هذا الاضطراب لانه انفرج قلبه فتحرك الجسم لانزعاج القلب فقال
فقال له الملك فانا نحب اهلينا واموالنا ولا يصيبنا هذا فقال ليست هذه تلك المحبة هذا
محبة الروح وتلك محبة العقل ومن العجب ما سمعت في هذا الباب ما حدثني بعض اخواني عن ابي
القسم الجنيد قال مرض استاذي سري فلم نعرف لعلته دواء ولا علمنا لها سببا فوصف لنا
طبيب حاذق فاخذنا بوله فمضينا به في قارورة فنظر اليه الطبيب فقال لنا اعياني وصف هذه
العلة ولكن سافكر في هذا الماء وجعل ينظر مليا ثم قال لي اراه بول عاشق قال الجنيد رحمه الله
فصعقت وغشي علي ووقعت القارورة ثم رجعت الى سري رحمه الله فاخبرته فتبسم ثم قال
ثم قال قاتله الله ما ابصره فقلت يا استاذي وتتبين في البول المحبة قال نعم وقال سري
مرة لو شئت ان اقول ما ايبس جلدي على عظمي ولا سل روحي وجسمي الا حبه لقلت
قال ثم غشي عليه وكان يفصح في بعض الاوقات بهذه المعاني ذكر وصف بعض المحبوبين
المكاشفين وابدال الصديقين من المقربين قيل لبعض العارفين من الابدال ممن يتكلم في علم
يكشف عن طريقه ووجده الناس يقولون انك محب فقال لست محبا المحب متعوب ولكني
محبوب وقيل له ايضا الناس يقولون انك واحد من السبعة فقال انا كل السبعة وكان هذا
يقول اذا رايتموني فقد رايتم اربعين بدلا قيل وكيف وانت شخص واحد قال لاني رايت اربعين
بدلا فاخذت من كل بدل خلقا من اخلاقه وقيل له انك ترى الخضر عليه السلام فتبسم ثم قال ليس من
العجب من يرى الخضر ولكن العجب ممن يريد الخضر رؤيته فيحتجب عنه فلو يقدر عليه ولعمري
ان من كان عند الله لم يره بشر كاحد حدثونا ان الحسن رضي الله عنه عند الحبيب العجمي رحمه الله وكان
من اصحابه وعلى يده تاب وزهد في الدنيا وخرج من امواله كلها وكان حسن اليسار كثير
التجارة كان له ثلثون مملوكا لكل واحد تجارة فاعتق جميعهم وفرق جميع ماله وكان الحسن
مستترا عنده من الحجاج فسعى به فدخل عليه الشرط ففزع الحسن وذهب ليتسور الحائط دونهم

فقال له حبيب الفارسي اقعد ورائي فانهم لا يرونك فقال ويحك وما يغني عني وداك
فقال اقعد حتى تبصر فدخل الشرط فقالوا اين الحسن قد قيل لنا هو عندك فقال هل تروه
شيئا ففتشوا الدار كلها وخرجوا وهم لا يرونه فقال له الحسن كيف لم ينظروا الي فقال الا ثك
كنت عند الله ولو كنت عندي لابصروك قال له الحسن اني رايتك لما دخلوا همست بشئ
فهل ذكرت اسم الله الاعظم فقال اما الاسم الاعظم فلا احسنه ولكني قد قلت اللهم اجعله عنك
حتى لا يبصرونك وكان حبيب هذا ابو محمد من البله واهل السلومة والغفلة وله
اجابات واظهار كثير من الايات والحسن امام الائمة من العلماء وهو فوقه درجات
واحب الينا منه فلم يعط ذلك واحوج اليه وعن الخضر عليه السلام ما حدثتني نفسي
يوما قط انه لم يبق ولي لله الا عرفته الا ورايت في ذلك اليوم وليا لم اعرفه قال
قال ولقد كنت يوما بصنعاء في مجلس عبد الرزاق فنظرت الى شاب منفرد ناحية
فقمت اليه فقلت لم تحضر مجلس عبد الرزاق فتسمع منه فقال لي واي شيء اسمع منه
فقلت تسمع حديث يعمر عن الزهري فقال لقد سمعت من الله فاغناني عن عبد الرزاق
فقلت وانت ممن يحسن ان تسمع من الله قال نعم قلت له فمن انا قال انت الخضر ثم
غاب عني فلم اقدر ان اراه وقيل لابي يزيد بلغت جبل قاف فقال جبل قاف امره ووصف جبل قاف ونحوه وصاد وعين
قريب الشان في جبل كاف وجبل صاد وجبل عين فقال هذه جبال محيطة بالارضين
السفلى حول كل ارض ثانية وثالثة ورابعة محيط بها محيطة جبل قاف بهذه الارض
الدنيا فهو اصغر الجبال وهذه الارض اصغر الارضين وهو جبل من زمردة يقال
ان سماء الدنيا مقببة عليه ويقال ليس بينه وبين السماء الا اربعون فرسخا وان
خضرة السماء من خضرته والا فهي بيضاء كالفضة ولكن لشدة صفائها وتلالؤها
واخضرار الجبل وقربه منها علق بها خضرته فتلوّلات واخضرت وابو محمد يخبر انه
صعد جبل قاف وراي سفينة نوح عليه السلام مطروحة فوقه وكان يصفر ويصفها
وقال لله تعالى عبد بالبصرة يرفع رجله وهو قاعد فيضعها على جبل قاف وقيل
الدنيا كلها خطوة للولي وان وليا لله تعالى خطا خطوة واحدة مسيرة خمسمائة
عام وان بعضهم وضع رجله على جبل قاف والاخرى على جانب الجبل الاخر فعبر
الارض كلها وقيل ان بعض الاولياء احتاج الى مصباح فرفع يده الى القمر فاستصبح
منه نورا اقتبسه في جذوة معه وبعضهم كوشف بالهلال في اول ليلة فراه مستديرا
كما يرى ليلة اربع عشرة كانه رفع عنه الفضاء المحجوب به وبعضهم كوشف بالشمس فراه
نصف الليل تسير في عرض الفلك لانها تقطعه ليلا عرضا كما تقطعه طولا نهارا وفوق
ذلك ما لا نستطيع ذكره خيفة الانكار فسبحان الله الواحد القهار وقيل لبعض الجيد
من الاوتاد وهم خصوص الابدال دخلت ارم ذات العماد فقال دخلت الف مدينة لله
في ملكه ادناها ذات العماد ثم عدد التبت وتاويل والمنسك وبادنس وجابلق وجابرس



ولعل قايلا يقول فقد قال الله تعالى في وصفها التي لم يخلق مثلها في البلاد فقيل معناه في بلاد
اليمن لانهم خوطبوا بما في بلادهم كما قال الله تعالى او ينفوا من الارض يعني ارض بلادهم
فذات العماد مدينة عاد في ارض اليمن بين ابين والشحر يقال عليها سور له مائة باب كل
بابين فرسخ مركبة على اعمدة الذهب والفضة والياقوت والزبرجد فيها الف الف عمود
من تلك الجواهر وكانت الجن اصطنعتها لعاد شداد بن سام بن نوح صلى الله على نبينا استخرجت
الجن هذه العمد من قعور البحار وفيافي القفار وكان قد سخرت له الجن قبل سليمان
باربعة الف عام وبناها في ثلث مائة سنة وكان عمره خمسمائة سنة يقال انه يجتمع في
هذه المدينة طائفة من الابدال ليالي الجمع وفي الاعياد يقال فيها صناديق من حجادة
طول كل صندوق عشرة اذرع وزيادة هي قبور الانبياء عليهم السلام اجسامهم فيها صحيحة
باقية الى يومنا هذا وهي محجوبة عن ابصار العباد وقد كان سهل رحمه الله وغيره يزورونها
في ليالي الجمع والله اعلم بحقيقة كل ما ذكرناه ما عندنا من ذلك الا التصديق والتسليم امنا
بحقايقه عند الله وهذه آيات يسيرة من قدر الكثيرة ومن عجايب الملك والملك كله
مندرج في الملكوت وهو سر الملك وخزانة الملك وانما اظهر الله من الملكوت بمقدار ذرة
بقدر عين العقل وقيل لابي يزيد رحمه الله حدثنا عن مشاهدتك من الله فصاح ثم قال
ويلكم لا يصلح لكم ان تعلموا ذلك قيل فحدثنا باشد مجاهدتك لنفسك في الله فقال وهذا ايضا
لا يجوز ان اطلعكم عليه قيل فحدثنا عن رياضة نفسك في بدايتك فقال نعم دعوت نفسي
الى الله فتلكات علي فعزمت عليها ان لا اشرب الماء سنة ولا اذوق النوم سنة فوفت
لي بذلك وحدثت عن يحيى بن معاذ رحمهما الله انه راه في بعض مشاهداته من بعد صلوة
العشاء الى طلوع الفجر مستوفزا على صدر قدميه رافعا اخمصهما مع عقبيه عن الارض
ضاربا بذقنه على صدره شاخصا بعينيه لا يطرف قال ثم سجد عند السحر فاطال ثم قعد فقال
اللهم ان قوما طلبوك طي الارض فاعطيتهم فرضوا بذلك واني اعوذ بك من ذلك
وان قوما طلبوك فاعطيتهم المشي على الماء والمشي في الهواء فرضوا بذلك واني اعوذ بك
من ذلك وان قوما طلبوك فاعطيتهم كنوز الارض فانقلبت لهم الاعيان فرضوا بذلك واني
واني اعوذ بك من ذلك قال حتى عد نيفا وعشرين مقاما من كرامات الاولياء ثم التفت فراني فقال
يحيى قلت نعم يا سيدي قال منذ متى انت ههنا قلت منذ حين فسكت فقلت يا سيدي حدثني بشيء
فقال احدثك بما يصلح لك ادخلني في الفلك الاسفل فدورني في الملكوت السفلي واراني
الارضين وما تحتها الى الثرى ثم ادخلني في الفلك العلوي وطوف بي السموات واراني ما فيها
من الجنان الى العرش ثم اوقفني بين يديه فقال سلني اي شيء رايت حتى اهبه لك فقلت يا سيدي
ما رايت شيئا استحسنته فاسالك اياه فقال انت عبدي حقا تعبدني لاجلي صدقا لافعلن
بك ولافعلن فذكر اشياء قال ابن معاذ فهالني وامتلات به وعجبت منه فقلت يا سيدي
لم لا سالته المعرفة به وقد قال لك ملك الملوك سلني ما شئت فصاح في صيحة وقال اسكت

ويلك

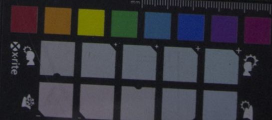
وبلك عزت عليه متى لا احبّ ان يعرفه سواه فهذا نعت عبد مطلوب بمعنى ما طلب وو صف
شخص محبوب بعين من احبّ الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس وكان ابو
تراب النخشبيّ رحمه الله مُعجبا ببعض المريدين فكان يدنيه ويقوم بمصالحه والمريد
مشغول بعبادته ومواجيده فقال له ابو تراب يوما لو رايت ابا يزيد ~~هاج وجد المريد~~ فقال
المريد اني عنه مشغول فلما اكثر عليه ابو تراب من قوله لو رايت ابا يزيد هاج وجد المريد
فقال ويحك ما اصنع بابي يزيد وقد رايت الله فاغناني عن ابي يزيد قال ابو تراب فهاج
طبعي ولم املك نفسي فقلت له ويلك تغترّ بالله لو رايت ابا يزيد مرّة واحدة كان
انفع لك من ان تري الله سبعين مرّة قال فبهت الفتى من قوله وانكره فقال وكيف
ذلك قال له ويلك انما تري الله عندك فيظهر لك على مقدارك وتري ابا يزيد عند الله
قد ظهر له على مقداره فعرف ما قلت فقال احملني اليه فذكر قصّة قال في اخرها فو
قفنا على تلّ ننتظره يخرج الينا من الغيظة وكان ياوي الى الغيضة فيها سباع قال فمرّ بنا
وقد قلب فروة على ظهره فقلت للفتى هذا ابو يزيد فانظر اليه فنظر اليه الفتى فصعق فحرّكناه
فاذا هو ميّت قال فتعاونا على لحده فقلت لابي يزيد يا سيّدي نظره اليك قتله قال
لا ولكن كان صاحبك صادقا واستكنّ في قلبه سرّ لم ينكشف له بوصفه فلما رآنا
انكشف له سرّ قلبه فضاق عن حمله لانه في مقام الضعفاء المريدين فقتله ذلك فلو
شيئا مما ذكرنا فانه يعطى المحبوب في الدنيا اول عطاء اهل الجنة في الاخرة وهو كن فيز هدون
في ذلك لاجل بقائه ويكرهون ذلك لحبّه قد جاوزوا معارف من سواهم فاذا اعطاهم
كن سالهم ان لا يقولوا كن في امر الساعة ولا يقولوا كن في كشف الغطاء عن الجنان
والنيران وما وراها للعيان قبل اللقاء وان كانت ظاهرة كباطن الا انها مستورة
بالصنع للاتقان مقطوع عنها الوهم راجع عنها الفكر والهم وسالهم ان لا يظهر واما
في الحكمة والعقل اخفاؤه لان اظهاره لا يصلح للخلائق ولا يستقيم عليه امر المملكة
ولا ينتظم به التدابير لما سبق من المقدّر وفيه سقوط الاحكام ووقوع الهلاك
للانام فاذا رووا ذلك منه وما قد استثناه عليهم منها استجابوا له احسن استجابة
وردّوها اليه اسرع ردّ وابلغه في رضائه وهوان يتركوا اظهار شئ لاظهاره ويزهدوا
في كل معنى منها لوجهه ورضوا بتصريف قدرته في مجاري حكمته وهذا غاية الزهد فيها
للحبّ فيشكرهم ذلك احسن شكر ويذخرهم عنده افضل ذخر ولما دخل الزنج البصرة
فقتلوا الانفس ونهبوا الاموال اجتمع الى سهل اخوانه فقالوا لو سالت الله ولو دعوت
فكسبت ثم قال لله عباد في هذا البلد لو دعوا على الظالمين لم يصبح على وجه الارض ظالم
الا مات في ليلته ولكن لا يفعلون قيل لم قال لانهم لا يحبّون ما لا يحبّ ثم ذكر من اجابة الله لهم
اشياء لا نستطيع ذكرها حتى قال لو سالوه ان لا يقيم الساعة لم يقمها واعلم ان العبد اذا
بلغ من الله هذه المكانة حتى يعطيه كن اقتضته الحال ان يقول وفقني لما تحبّ واعصمني

الله فقتنا

ذكر بيان الصالح للتوبة من الفرقة

لا نكره فاني بشر جاهل لا احسن التدبير ولا اعرف المقادير ولا علم لي بعواقب الامور
واخاف ان يكون في قولي تفاوت وفي ارادتي اضطراب فاذا اجابه الله الى ذلك سكت
فلم ينطق وسلم ورضي بالتدبير فليتق الله عبد لم يطلعه عز وجل على ما ذكرناه فهذه
فيه بشاهدته قدرة عظيمه ومعانيه آية كبيرة ظاهرا وباطنا ان يدعي المعرفة او
يتوهم المحبة فما عنده منها الا اماني وغرور وظنون وزور والله تعالى يعطي قوما الظنون
كما يعطي اولياءه اليقين ويعطي قوما المزورات لعلل القلوب كما يعطي احباءه الحقيقات
في مقام محبوب بايات بينات وبشواهد من اليقين ثابتات كايات القران وايات الرسول
ولا يظهرهم على كل حتى ينكشف الكون عن قلوبهم واعلم ان افات النفوس وزينة الملك
حجب قلوب العموم وحظوظ العقل وشهوات الارواح من مرغوب الملكوت حجب قلوب
الخصوص وسمو القلوب الى معاني الدرجات التي يشاهدها ووقوفها مع حظها بطلب الرحموت
والرغبوت التي يطالع بها حجب قلوب المحبين لانهم اذا جاوزوا شهوات النفوس ورفعت
عنهم حجب العقول وقعوا في شهوات الارواح فلم يواجهون بالوجه ولا ينظرون
الى الوصف حتى يجاوزوا ايضا شهوات الارواح وينكشف عنهم حجب الانوار فيخلفوا
الرسم ويعبروا الوسم فاذا انكشف المقامات وانقطعت الفضايل وحققت المطالعات
وسقطت المنازل والدرجات اصطلم الطالب وغلب المطلوب وفني الراغب وبقي
المرغوب اظهر لهم التعلق بالاسم وهو آخر الحجب واول القرب يبتليهم به لينظر كيف
يعملون في الرسم فعندها حققت كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام
وهناك صح له هذا المقام شعر ظهرت لمن افنيت بعد بقائه • فصار بلا
كون لانك كنته • فكان بكان وجده بموجوده وقيامه بقيومية بعد ان كان
واحدا بكونه وقايما بقيامه وقال ابو يزيد رح ان اعطاك مناجاة موسى وروحانية
عيسى وخلة ابرهيم فاطلب ما وراء ذلك فان عنده فوق ذلك اضعافا مضاعفة
فان سكنت الى ذلك حجبك به وهذا بلوى مثلهم في مثل حالهم لانهم الامثل
فالامثل بالانبياء فاذا لم ينظر العبد الى جميع مطلوب ولم يقف في كون مرغوب
اقامه حينئذ مقام محبوب فاواه في ظله ونظر اليه بعينه وواجهه بوجهه
فتوجه اليه ولم ينثن وسارع الى قربه فلم ير فلم يشهد في وجهه وجها ولا رأى
في يده يدا وقام بشهادة لقيوميته مشاهدا فهذا غاية الطالبين من العارفين
وقال بعض المحبين كوشفت باربعين حورا اتيتهن يتساعين في الهواء عليهن ثياب
من ذهب وفضة وجوهر يتخشخش ويتثنى معهن فنظرت اليهن نظرة فعوقبت
اربعين يوما ثم كوشفت بعد ذلك ثمانين حورا فوقهن في الحسن والجمال وقيل لي
انظر اليهن فسجدت فغمضت عيني في سجودي لئلا انظر وقلت اعوذ بك مما سواك
لا حاجة لي في هذا فلم ازل اتضرع حتى صرفن عني والله تعالى مثل هذا العبد في كل قرن

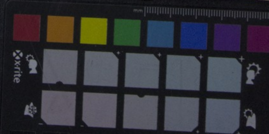
وزمان مايكثر عدده متفرقين في ارضه منتشرين في بلوده ومختلين تحت ستره
في عباده لا يستطيع العقول حمل وصفهم لضعفها ولا يثبت في القلوب حق نعتهم لو منها
اقل ما يوصفون به الاخلاص في الحركة والسكون وهو اجل ما عندنا والاخلاص
عند المخلصين اخراج الخلق من معاملة الخالق فاذا لم يد خلوا كيف يخرجوا واول
الخلق النفس فاذا لم تتكدر القلب بها كيف يصفى منها والاخلاص عند المحبين ان لا
يعمل عملا لاجل نفس ولا دخل عليه مطالعة العوض والتشرف الحظ طبع بل للتعظيم
والاخلاص عند الموحدين خروج الخلق من النظر اليهم في الافعال وترك السكون
والاستراحة بهم في الاحوال ومن الاخلاص في الصدق عند الصد يقين سؤال
المحبة في قلوب الناس كما قال بشر وقد سئل باي شئ بلغت هذه المنزلة فقال
كنت اكاتم الله حالي معناه اسئله ان يكتم علي ويخفي امري وحدثت انه راى الخضر عليه السلام
فقال ادع الله لي فقال يسر الله عليك طاعته قلت زدني فقال وسترها عنك حتى لا تنظر
انت اليها وبعضهم يقول اقلقني الشوق الى الخضر فسالت الله مرة ان يريني اياه ليعلمني
شيئا كان اهم الاشياء على قال فرايته فاغلب على قلبي ولا اهمني الا ان قلت يا ابا العباس
علمني شيئا اذا قلته حجبت في قلوب الخليقة فلم يكن لي فيها قدر ولم يعرفني احد بصلاح
ولا ديانة فقال قل اللهم اسبل علي كثف سترك وحط على سرادقات حجبك واجعلني
في مكنون غيبك واحجبني في قلوب خلقك ثم غاب فلم اره ولم اشتق اليه بعد ذلك
قال فما تركت ان اقول هذه الكلمات في كل يوم فحدثت ان هذا كان يستذل ويمتهن
حتى كان اهل الذمة يسخرونه في الطريق بحمل الاشياء لهم لسقوطه عندهم وكان
وكان الصبيان يولعون به وكانت راحته في ذلك ووجود قلبه به وهذا من الزهد في
النفس وحقيقته التواضع الا انه زهد محايين الاولياء وتواضع سوقي الضعفاء
والتكبر يكون ثلثة معان تكبر على الناس عجبا بالنفس وتكبر في قلوب الناس عزة من انواع التكبر
النفس اي يحب ان يكبر في قلوبهم فيكون ذلك تكبرا منه وتكبر في القلب عن نظره الى
صلاحه ودينه فيكبر ذلك عنده فيدل به ولذلك راه من نفسه لقصور علم اليقين
منه وهذا ادق معاني التكبر ولا يتخلص منه الا صحيحو التوحيد صادقوا اليقين
ومخلصوا الصالحين فاما التكبر الظاهر الذي هو التطاول والعجز والتظاهر فذلك
جلي وهو اكثر حجب القلب واقوي صفات النفس فلذلك فزع العلماء من دقايقه لما عرفوه
فطلبوا القلة والذلة للنفس ليمتهنوها تحققا بالتواضع لينتفي عنهم دقايق الكبر لتخلص
لهم الاعمال وليس التواضع عند المتواضعين هو حقيقة الذلة ولا التذلل هو حقيقة معنى التواضع
الضعة ولكن حقيقة ذلك ان يكون العبد ذليلا وصفة لا متذللا متعمدا للذلة وان يكون
عند نفسه في نفسه وضيعا وحيدا حقيرا عقدا الضعة وحقارته في نفسه لا متواضعا
متكلفا ومحنة ذلك ان لا يغضب اذا عابه وتنقصه عايب ولا يكره ان يذمه ويقذفه بالكباير



ذاتي وبايه ذلك فوجده ان لا يجد طعم الذل في ذله ولا يشهد الضعة اذ قد صار
ذلك له صفة وطبعا فمن ذل ووجد ذوق ذلة فهو متعمل للتواضع ومن تواضع
وشهد ضعته فهذا متعزز وهو علامة بقية الانفة في نفسه لنفسه ومتى غضب
او كره ذمه من غيره فهو يفرح ويرضى بمدحه فاذا كانت فيه هذه العلامات
فهو محجوب عن جميع ما ذكرناه من المقامات واما اذا لم يكن هنا فهو ولا يرى عظمة له
من نفسه قد ولاه على نفسه وملكه عليها فقهرها بعزه وهذا مقام محبوب وبعده
المكاشفات بسرائر الغيوب اول ذلك دخول نور الحكمة في القلب وينبوع الحكم
من قلبه كما قال عيسى عليه السلام يا بني اسرائيل اين ينبت الزرع قالوا في التراب فقال
بحق اقول لكم لا تنبع الحكمة الا في قلب مثل التراب ومن كان حاله مع الله الذل
طلبه واستحلاه كما يطلب المتكبر العز ويستحليه اذا وجده فان فارق ذلك
الذل ساعة تغير قلبه لفراق حاله كما ان المتعزز ان فارقه العز ساعة تكدر عليه
عيشه لان ذلك عيش نفسه ومن اختار الذل واسقط المنزلة والقدر عند الناس
ومحى جاهه وموضعه في قلوبهم اكثر من ان يحصى وحدثت عن ابي الحسن استاذ
الجنيد رحه ان رجلا دعاه ثلث مرات الى طعامه ثم يرده فيرجع اليه بعد ذلك
حتى ادخله في المرة الرابعة فسأله عن ذلك فقال قد رضت نفسي على الذل
عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكلب يطرد فينطرد ثم يدعى فيرمى له عظم
فيجئ ونا دعره وقال لو رددتني خمسين مرة ثم دعوتني بعد ذلك لاجبت و
وحدثني شيخ آخر عن استاذه قال نزلت في محلة فعرفت فيها بالصلاح فتشتت
قلبي فدخلت حماما في الجوار وعمدت على ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها ثم لبست
مرقعتي فوقها وخرجت وجعلت امشي قليلا قليلا فلحقوني ونزعوا مرقعتي واستخرجوا الثياب
فصفعوني واوجعوني ضربا فصرت اعرف في الناحية بلص الحمام فسكنت نفسي
وعن بعض الصوفية انه وقف على رجل يأكل فمد يده فقال ان كان ثمة شئ لله فقال له
اجلس فكل فقال اعطني في كفي فاعطاه في كمه فقعد في مكانه يأكله فسأله عن
امتناعه من الجلوس معه فقال ان حالي مع الله الذل فكرهت ان افارق حالي والعرب
تانف ان يوضع الشئ في اكمها لعزة نفوسها وانما نبهنا ببعض ما ذكرنا العقول
المستيقظة وحركنا بما بينا القلوب الحية ليحيى من حي عن بينة بذكر اوصاف
الصادقين وطرقات المخلصين ليستدل باليسير على الكثير وقد كان شاهد من
شهود بسطام عظيم القدر فيهم لا يفارق مجلس ابي يزيد رحه فقال له يوما يا ابا يزيد
انا منذ ثلثين سنة اصوم الدهر لا افطر واقوم الليل لا انام ولا اجد في قلبي من هذا
العلم الذي تذكر شيئا وانا اصدق به واحبه فقال له ابو يزيد لو صمت ثلثمائة سنة
وقمت ليلها ما وجدت من هذا ذرة فقال ولم قال لانك محجوب بنفسك قال فلهذا

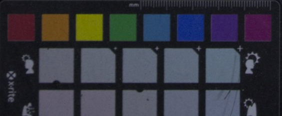
دواء قال نعم قال قل لي حتى اعمله قال لا تقبل قال فاذكره لي قال اذهب الساعة
الى المزين فاحلق راسك ولحيتك وانزع هذا اللباس واتزر بعباة وعلق في
عنقك مخلاة مملوة جوزا واجمع الصبيان حولك وقل من صفعني صفعة
اعطيته جوزة وادخل الاسواق كلها عند الشهود ومن يعرفك وانت على ذلك
فقال الرجل سبحان الله تقول لي مثل هذا فقال ابو يزيد رحمه الله قولك سبحان الله
شرك قال وكيف قال لانك عظمت نفسك فسبحتها فقال هذا لا افعله ولكن دلني
على غيره ابتدي بهذا قبل كل شيء قال لا اطيقه قال قد قلت لك انك لا تقبل فهذا
لما قال سبحان الله كان مشركا عنده لانه سبحه برسم لنفس وقد كان ابو يزيد يقول
سبحان الله ما اعظم شاني وهو موحد لانه وحده باولية بحت وهذا الذي ذكره
دواء من اعتل بنظره الى نفسه ثم سقم بنظر الناس اليه الا ان هذا من طب المجانين
يصلح لضعفاء اليقين ولو ادخل الطبيب الا على ذرة من غير القدرة اخرج بها
من قلبه كل نظره فاستراح من كل دواء ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا ليهلك
من هلك عن بينة بشواهد الحق ويحيى من حي عن بينة بشواهد الحق وهذه المقامات
التي شرحناها وهي مقامات اليقين اولها التوبة الى هذا المقام من المحبة منوط
بعضها الى بعض ان اعطى العبد حقيقة من احدها اعطي من كل مقام حالا ومع كل
حال مشاهدة ولكل مشاهدة علم الا من شهد بالحق وهم يعلمون وكلها مجموع في حقيقة
الايمان ان اعطي حقيقته فكان ايمانه ذهبة لا عارية ولا مكرا ولبسا اعطي من جميعها
حالا حالا وان تفاوتوا في العلوم وتفاضلوا في القرب وذلك هو كمال الايمان والمحبة
من اشراف المقامات وليس فوقها الا مقام الخلة وهو مقام المعرفة الخاصية وهو
تحلل اسرار الغيب فيطلع بمشاهدة المحبوب بان يعطى حيطة بشيء من علمه بمشية
التي لا يتقلب وعلمه القديم الذي لا يتغير وفي هذا المقام الاشراف على عجائب
الغيوب وسرائر ما كان في القديم وعواقب ما يؤوب ومنه مكاشفة العبد واشباهها
من المحبة مقامه والاشراف على مقامات العباد في المآل والاطلاع عليهم في تقلبهم فيها
حالا فحالا وقد ذكر ابو يزيد البسطامي وابو محمد سهل رحمه الله انهما اقيما في هذا المقام
ووصفا حاليهما منه وقد كان بشقيق وابرهيم البلخي مطالعات من هذا المقام وقد
سلك بابي الفضيل في هذا الطريق فظهر على ما فيه ما بهر وراى انقلاب الاعيان وهذا
محجوب عن اوهام القلوب بعقولها ومستور في خب غيابة الغيوب بارواحها فاذا خرجت
النفس من الروح فكان روحانيا واذا خل العقل عن القلب فكان ربانيا انفرجت الكروب
كما قال العارف بحياتي يا حياتي لا تبعد قربا في اخرج النفس من الروح وفرج كروبا
وقال الله ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء والاستثناء واقع على اعطاء الحيطة
بشيء من شهادة علمه بنور من وصله اذا شاء وهذا معنى من سر التوحيد لا يكشفه الا

يكشفه الاعين اليقين

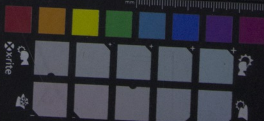


الاعين بيقين مجتنبة بقع العين على اليقين وبضئ الكوكب الدري في جوهر مشكاة القلب
وليس فوق مقام الخلة مقام الا درجة النبوة وهو محجوب عن القلوب بحجاب هذا المقام
من الخلة في قلوب العموم ولكن مقام الخلة لا يكون الا في مقام محبوب على كل حال وما
سمعت من احد من اهل العلم الباطن والمعرفة بسما من علم الخلة ولا من وصف محبوب
في كتاب الا انكتا في الاخبار ولمعا من الاثار ولكنه مستودع في كتاب الله المكنون ومخبو
بقدرته في سرايا تدعن القلوب والعيون يكاشف به الساجدون ويظهر عليه اهل السر
من العارفين وروى ان الله تعالى اوحى الى بعض انبيائه انما اتخذ لخلتي من لا يفتر عن ذكري
ولا يكون له غيري ولا يوثر علي شيئا من خلقي وان حرق بالنار لم يجد لحرق النار وجعا
وان قطع بالمناشير لم يجد لمس الحديد الما وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تحقيق الخلة في الاولياء
انه قال تحابوا في الله وتصافوا وتبادلوا وتخالوا فوافيه اوليس من كرم الله ان اتخذ عبدا
من عباده خليلا ونبه ان الخلة من الله كانت لاوليائه عن فرط كرمه وفضل الائه الحقهم
بكرامته بها واهلهم بفضله لها والله الواسع الكريم ذو الفضل العظيم اذا دفع عبدا جاوز به
الحدود واذا خفضه وضعه تحت الحدود وقال الجنيد رحمه الله في هذا المقام يعلم العبد
ان الله يحبه ويقول العبد ويخفى عليك ويجاهي عنك ويحبك لي قال وهؤلاء هم المدلون
على الله المستانسون بالله وهم جلساء الله قد دفع الحشمة بينه وبينهم وزالت
الوحشة بينه وبينهم فهم يتكلمون باشياء هي عند العامة كفر بالله لما قد علموا ان الله
يحبهم وان لهم عنده جاها ومنزلة وقال بعض العلماء ليس الى معرفة اهل الانس سبيل اذ من
العلوم علم لا ينبغي ان يسال عنه حتى يبتدئ العالم ذكره ولا يبدي العالم الا بقدر معلوم
وقد رفع الله الطائعين له ولرسوله مقاما الى النبيين والصديقين كما قال تعالى ومن يطع
الله ورسوله فاولئك مع الذين انعم الله عليهم الاية والصديقون باقون الى نزول الروح
عيسى عليه السلام وهم الابدال عددهم في كل الدنيا ثلثمائة وما شاء الله منهم الشهداء والصالحون
فهم ثلث طبقات وكلهم مقربون سابقون ايمان صديق كايمان الشهداء وايمان شهيد كايمان
كل الصالحين وايمان صالح بمقدار ايمان الف مؤمن من عموم المسلمين وليس في الخلة شريك
لغير الخليل على خليله ولانها حال مفردة لفرد موحدة لواحد ولو كان يصلح لها نظير اولو انها
وذلك كان احق الامة بذلك الصديق رضي الله عنه فقد اعطاه الله ثلثا لم يعطها غيره منها ان النبي عليه السلام
قال له ان الله اعطاك مثل ايمان كل من آمن بي من امتي واعطاني مثل ايمان كل من آمن به
من ولد آدم عليه السلام والثاني ان لله ثلثمائة خلق من لقيه بخلق واحد منها مع التوحيد
دخل الجنة فقال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله هل في منها خلق واحد فقال كلها فيك يا ابا بكر
واحبها الى الله السخاء والحديث الثالث رايت ميزانا دلي من السماء فوضعت في كفة
ووضعت امتي في كفة فرجحت بهم ووضع ابو بكر في كفة ووضع جميع امتي في كفة
فرجح بهم وليس بين الصديقين وبين الرسول الا درجة النبوة والقطب اليوم الذي

هو



هو امام الاثاني الثلثة والاوتاد السبعة والابدال الاربعين والسبعين الى ثلثمائة ثم عليهم
في بيز اندوا ايمان جميعهم كايمانه انما هو بدل من ابي بكر رضي الله عنه الاثاني الثلثة بعده
انما هم ابدال الثلثة الخلفاء بعده والسبعة هم ابدال السبعة الى العشرة هم الابدال الثلثمائة
وثلثة عشر انما هم ابدال البدريين من الانصار والمهاجرين من اهل الرحمة والرضوان
فمع هذا الفضل العظيم لابي بكر الصديق لم يصلح ان يشرك الخليل الرسول في مقام الخلة
كما صلح ان يشركه في مقام الاخوة وهو المقام الذي شرك فيه علي رضي الله فقال علي مني
بمنزلة هرون من موسى فههنا مقام اخوة كذلك في التفرد مقام الخلة وقال عليه السلام لو كنت
اتخذ من الناس خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله يعني نفسه عليه السلام
لانه واحد لواحد فرد لفرد فمن اعطي من الصفاء نصيبا اعطي من الحب نصيبا وكان له
من المعرفة بقوة محبته ومن المحبة بقدر معرفته فاما المعرفة الاصلية التي هي اصل
المقامات فان المعروف بها واحد والمتعرف عنها واحد الا ان لها اعلو واول لخصوص
المؤمنين في اعلوها وهي مقامات المقربين وعمومهم في اولها وهي مقامات الابرار وهم
اصحاب اليمين ولكل منهم وجهة من الصفات المخوفة عنها كانوا خائفين والاخلاق
المرجوة منها كانوا راجين او الافعال والاملاك عندها كانوا صابرين شاكرين او معاني
اوصاف ذات منها كانوا محبين متوكلين قال الله تعالى ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا
الخيرات ويقال من احب شيئا حشر معه والمرء مع من احب وله ما احتسب وفي الخبر
من مات على مرتبة من المراتب بعث عليها يوم القيمة فاما محل مقامات المحبين فمذكور
في الكتاب العزيز من الحبيب اثنا عشر مقاما خمسة منها في دليل الخطاب وتدبر
الالباب وسبعة في صريح الكلام بظاهر الافهام فاما السبعة المصرحة فقوله تعالى
الله يحب التوابين ويحب المتطهرين والله يحب الصابرين والله يحب الشاكرين والله
يحب المتقين والله يحب المحسنين ان الله يحب المتوكلين واما المتدبرة فالموحدون
لقوله تعالى ان الله لا يحب الكافرين والعادلون لقوله لا يحب الظالمين والمستقيمون
لقوله لا يحب الفاسقين والمتواضعون لقوله لا يحب المستكبرين والموفون لقوله لا يحب
الخائنين وهؤلاء طبقات المحبوبين تعريضا وتحريضا وشرح هذه الاوصاف هي مقامات
اليقين وفي كل مقام من هذه احوال يكثر عددها كل حال منها طريق الى الله في كل طريق
طائفة من المحبين محبتهم على قدر معرفتهم عن زنة تعرف المعروف اليهم وعن نحو تعريف المعرف
لهم وذلك معنى من معاني فهم على زنة يقينهم ويقينهم على حسب صفاء ايمانهم وايمانهم
على نحو عناية الله تعالى بهم وتفضله عليهم ومن وراء ذلك سر القدر وليس فوق
المحبة مقام مشهود ولا دون التوبة حال مذكور فاول المقام التوبة بها يخرج من الظلم
والظلم حال من الشرك قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم وقال تعالى الذين امنوا ولم يلبسوا
ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن في الاخرة وهم مهتدون في الدنيا وهذا فصل الخطاب



لاضدادهم فاي الفريقين احق بالامن الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اي هم احق
بالامن غداً في المقام الامين وقال ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون فاخر الظلم
التوبة وآخر التوبة اول المحبة وآخر المحبة اول المعرفة وهي معرفة التعرف وهي
للخاصية مزيد المحبة الاولة وآخر نصيب العبد من المعرفة اول التوحيد وهو
توحيد الشاهدين ولا آخر له واوسط المقامات الزهد واول الزهد آخر الهوى وآخر
الزهد اول العلم وآخر العلم اول الخوف واخر الخوف اول الحب وهذا حب محبوب
والظالم لا مقام له ومن لا مقام له فلا جاه له ومن لا جاه له فلا شفاعة له ومن لا
شفاعة فلا شهادة له ومن لا شهادة فلا يقين ومن لا يقين فلا ايمان وقال تعالى وصف
ما ذكرناه لا ينال عهدي الظالمين وقال تعالى لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن
عهدا ولا يملك الذين من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون وقال في وجد
اليقين بعد شهادة العين في الرؤية بعد المكاشفة وكذلك نري ابرهيم ملكوت
السموات والارض وليكون من الموقنين ثم قال تعالى بنبإ يقين اي وجدت فكما
ان اليقين بعد المشاهدة كذلك الوجد بعد اليقين واليقين هو حقيقة الايمان
وكماله كما جاء في الاثر الصبر نصف والشكر نصف الايمان واليقين كله وروينا
في تفسير قوله لا ينال عهدي الظالمين قيل الجاه وقيل الشفاعة وقيل الولاية وقيل
الامامة لانه متهدد بالنار متوعد بسوء المنقلب كما قال تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما
يعمل الظالمون وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون مع قوله فتكون من اصحاب
النار وذلك جزاء الظالمين ثم اجمل ذلك بقوله ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون فصغير
التوبة لصغير الظلم وكبير التوبة لكبير الظلم فلا يصلح ان يكون اماما للمتقين والظلم ظلمة
اليوم في القلب وظلم غدا في القيمة فالتوبة تخرج العبد من الظلم وبخروجه من الظلم
يدخل في العهد وبرعاية العهد يعمل في الاصلاح والله لا يضيع اجر المصلحين كما
لا يصلح عمل المفسدين فاذا كان مصلحا بالتوبة ما افسد بالهوى استعمل الصالحات
لانه قد صلح فاذا عمل بالصالحات ادخل بالصالحين وقال تعالى وعملوا الصالحات لندخلنهم
في الصالحين ويعطي الله تعالى العبد اداء الفرايض واجتناب المحارم مقاما من تمام
اليقين يرفعه به الى عليين وربما اعطاه بهما مثل ثواب الابدال بعد ان يريد بالفعل
والترك وجه الله وحده وان لم يسلك به طريق الابدال قط ولم يعرف منهم احدا
ابدا وربما بلّغ الله العبد بحسن النظر برودة الامل والطمع فيه جميع ما ذكرناه بعد
ان يكون حسن اليقين وقد يعطيه مقام الصديقين بخلق من اخلاقه اذا خلقه به
وربما بلّغه منازل الشهداء بشيء واحد يتركه له او بشيء يؤثره به لا غفور شكور واضر
شيء على العبد قلة معرفته به فان اعطى المعرفة لم يمنع شيئا ولا يضره ما منع وان منع
المعرفة لم يعط شيئا ولم ينفع منه ما اعطي وقد يلتبس الحاب فتدخل محبة النعم في

في محبة المنعم وتدخل محبة النفس على محبة الخالق ويشتبه ذلك عند عموم المحبين
فمن لم يكشف له عين اليقين فيكون العبد محبا للنعم والنفس وهو يظن بوهمه
انه محب للمنعم ولمولاه وعلامة ذلك سكونه الى الاشياء وفرحه بالموجودات فربما اختار
الله ان يكشف له حاله قبل موته وربما ستر عليه حاله ولم يفضحه حتى تلقاه فيثيبه
ثواب مثله وجزاه وليس يظهر فرقان هذا الا في قلب مؤمن تقي مراد بنور ثاقب وعلم
نافذ وتعين صاف من عين التوحيد ومشاهدة القيومية لانه من باب مشاهدة الصفات
الغيبية ومشاهدة الافعال الملكوتية وهو الفرقان الذي وعده سبحانه وتعالى المتقين من
المؤمنين يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قيل نورا يفرقون به بين الشبهات
وهو المخرج ضمنه الله لاهل التقوى والمنهج ومن يتق الله يجعل له مخرجا قيل عن كل امر ضاق
على الناس فتفضيل معاني التوحيد من شواهد الناظرين اضيق الضيق وشهادة الجمع والتفرقة
والبقاء في الفناء اخفا الخفا فالخصوص احبوه من طريق مشاهدة الصفات فجميع هؤلاء لا يتغير
ابدا وهم عبدوه على التعظيم والاجلال والمحبة والكبرياء والعموم احبوه من طريق مواجيد الافعال
وهي النعم والاحسان والعوافي فمنهم من عرف حاله في مقامه فاعترف بنقص محبته وتقصير شهادته
واستغفر منها واناب ومنهم من لبس ذلك عليه لضعف يقينه ويخاف على مثل هذا الانقلاب عند
كشف الغطاء لانه في اغترار وفتنة والتباس ومحنة وفي طريق مكر وهلكة الا ان يتداركه
رحمة من ربه فيقيمه في حده من مقامه ويرده الى حاله من مكانه فيتوب من محبته ويستغفر
من شهادته فحينئذ يرحمه الله فيدخله في اهل العفو ويستر عليه في الاخرة كما يستر عليه في
الدنيا فيلقيه بحجب الستر في الدارين وهذه بعض مخاوف الصادقين من المحبين ومن الناس
من يكون محبا لهواه او لعدو الله ابليس لعنه الله وهو يدعي لعظيم جهله وطول غرته
المحبة لله تعالى وعوتب ابو محمد في قوله لكل احد يا دوست لانه قد لا يكون حبيبا لانه
لا يخلوا ان يكون مؤمنا او منافقا فان كان مؤمنا فهو حبيب الله وان كان منافقا
فهو حبيب ابليس لعنه الله في شرح دعائم الاسلام الخمس التي بني عليها الاسلام
اول ذلك فرض شهادة التوحيد ثم شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى لرسوله عليه السلام
فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وقال الله تعالى لعباده يامرهم بمثل ذلك فاعلموا انما
انزل بعلم الله وان لا اله الا هو ففرض التوحيد هو اعتقاد القلب ان الله تعالى واحد لا من
عدد واول لا ثاني له موجود لا شك فيه حاضر لا يغيب عالم لا يجهل قادر لا يعجز حي لا يموت
قيوم لا يغفل حكيم لا يسفه سميع بصير ملك لا يزول ملكه قديم بغير وقت آخر بغير حد
كاين لم يزل ولا يزال الكينونة صفته لم يحدثها لنفسه لا بداية لكونه ولا اولية لقدمه
لا غاية لابديته آخر في اوليته اول في آخريته وان اسماه وصفاته وانواره غير مخلوقة له
ولا منفصلة عنه وانه سبحانه وتعالى امام كل شيء ووراء كل شيء وفوق كل شيء ومع كل شيء
واقرب الى كل شيء من نفس الشيء وهو اقرب الى القلب من وريده واقرب الى الروح من حبوته

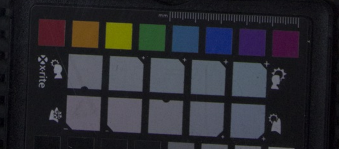
صفات الله وفرض توحيده

واقرب الى البصر من نظره واقرب الى اللسان من ريقه بقرب هو وصفه لا بتقريب
ولا بتقرب وانه مع ذلك غير محل للاشياء والاشياء ليست محلا له وانه على العرش
استوى كيف شاء بلا تكييف ولا تشبيه وانه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير وبكل
شيء محيط والله هو ذات منفرد بنفسه متوحد باوصافه باين من جميع خلقه لا
يحل الاجسام ولا تحله الاعراض ليس في ذاته سواه ولا في سواه من ذاته شيء ليس في
الخلق الا الخلق ولا في الذات الا الخالق فتبارك الله رب العالمين وانه سبحانه وتعالى ذو اسماء
وصفات وقدرة وعظمة وكلام ومشية وانوار كلها غير مخلوقة ولا محدثة بل لم يزل قايما
موجودا بجميع اسمائه وصفاته وكلامه وانواره وارادته وانه تعالى ذو الملك والملكوت
والعزة والجبروت له الخلق والامر والنهي يحكم في حكمه وخلقه ما يشاء كيف شاء لا
معقب لحكمه ولا مشية لعبد دون مشيته اذا شاء شيئا كان ولا يكون الا ما شاء
لا حول ولا قوة لعبد عن معصيته الا برحمته ولا قوة لعبد على طاعته الا بمحبته وهو
واحد في جميع لا شريك له ولا معين في شيء من ذلك لا يلزمه اثبات الوعيد بل المشية
اليه في العفو لا يجب عليه من الاحكام ما اجرى علينا ولا يختبر بالافعال ولا يسير بالمقال
حكيم عادل ما صنعناه ولا تشبه حكمته بحكمة خلقه ولا يقاس عدله بعدل عباده
تجاوز المعقول وفات الاوهام والافهام والعقول هو سبحانه كما وصف نفسه وفوق
ما وصفه خلقه نصفه بما يثبت به الروايه وصحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه ليس كمثله
شيء باثبات الاسماء والصفات وانه سبحانه لم يزل موجودا بصفاته كلها وان صفاته قايمة به
لم يزل كذلك ولا تزال بلا نهاية ولا غاية ولا تكييف ولا تشبيه لا يجري عليه القياس
ولا يمثل بالقياس وان ما سوى اسمائه وصفاته وانواره وكلامه من الملك والملكوت
محدث كل ومظهر كان بعد ان لم يكن ولم يكن قديما ولا ازليا بل كان باوقات محدثة
وازمان موقتة والله سبحانه هو الازلي الذي لم يزل الابدي الذي لم يحل القيم
بقيوميته وهو صفة القيوم بدعومه متد وهو نعته اول بلا اول ولا عن اول لا الى
آخر بكينونته هو حقيقته احد صمد لم يلد ومعناه لم يولد وهو ذلك لم يتولد
من شيء ولم يتولد منه شيء ومثل ذلك لم يخلق من ذاته شيء كما لم يخلق ذاته من شيء
سبحانه وتعالى عما يقول الملحدون من ذلك علوا كبيرا وشرح فضايل التوحيد يطول
اقتصرنا على ذلك الكلم الجوامع الاربع انه سبحانه هو المعطي المانع المهدي المضل لا
معطي ولا مانع ولا ضار ولا نافع الا الله كما لا اله الا الله سبحانه وتعالى ذكر شهادة
الرسول وفضايلها قال الله تعالى وان اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة
وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه وقال ومن يطع الله
فقد اطاع الله وقال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ففرض شهادة الرسول
ان يشهد ان محمدا رسول الله خاتم الانبياء لا نبي بعده وكتابه خاتم الكتب كما كتابه نعله

وهو مهيمن على كل كتاب ومصدق لما سلف من الكتب قبله وان شريعته ناسخة للشرايع
قاضية عليها الا ما اقره كتابه ووافقه وكتابه شاهد على الكتب وحاكم عليها وانه هو
الذي بشر به عيسى عليه السلام امته وهو الذي اخبر به موسى عليه السلام امته وهو المذكور في
التورية والانجيل وساير كتب الله المنزلة وهو الذي اخذ الله ميثاق النبيين ان يؤمنوا به
وينصروه لو ادركوه فاقروا بذلك وشهد الله على شهادتهم وهو الذي اخذت الانبياء
وشهاده الامم على الايمان وامرتهم بتصديقه واخبرتهم بظهوره وان موسى وعيسى عليهما السلام
لو ادركاه لزمهما الدخول في شريعته وان بقيه بني اسرائيل من اليهود والنصارى كفرة
بالله لجودهم رسالته وان ايمانهم به واجبة على الكافة كطاعة الله تعالى واتباع امره واجتناب
نهيه يفترض على الامة ايجابا اوجبه الله تعالى وفرضا افترضه على خلقه ستصلو بعض
قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر الله ذنوبكم وقال
النبي عليه السلام لا يؤمن عبد حتى اكون احب اليه من اهله وماله والناس اجمعين
وقال عليه السلام لو ادركني موسى وعيسى صلوات الله عليهما لما وسعهما الا اتباعي وفي
لفظ آخر ثم لم يؤمنا بي لاكبهما في النار وحدثونا في الاسرائيليات ان رجلا عصى الله
مائتي سنة في كلها يتمرد ويجترى عليه فلما مات اخذ بنو اسرائيل برجله فالقوه على
موسى عليه السلام ان غسله وكفنه وصل عليه في جميع بنو اسرائيل ففعل ما امر به فعجبت
بني اسرائيل من ذلك واخبروه انه لم يكن في بني اسرائيل اعتى على الله ولا اكثر معاصي
منه فقال قد علمت ولكن الله امرني بذلك قالوا فسل لنا ربك فلما سال موسى ربه فقال
يا رب قد علمت ما قالوا فاوحى الله اليه ان قد صدقوا انه قد عصاني مائتي سنة الا
انه يوما من الايام فتح التورية ونظر الى اسم محمد عليه السلام مكتوبا فقبله ووضعه على
عينيه فشكرت له بذلك فغفرت له ذنوب مائتي سنة وعن ابن عباس بن عبد
المطلب قال كنت مواخيا لابي لهب مصاحبا له منادما له في الجاهلية فلما مات واخبر
٣ الله عنه بما اخبر حزنت عليه واهمني امره فسالت الله حولا ان يريني اياه في المنام
فرايته يلتهب نارا فسالته عن حاله فقال صرت الى النار في العذاب لا يخفف عني
ولا يروح الا ليلة الاثنين في كل الليالي والايام فانه يرفع عني العذاب قلت وكيف
قال ولد في تلك الليلة محمد عليه السلام فجاءتني اميمة فبشرتني بولادة امنة اياه ففرحت
بمولوده واعتقت وليدة لي فرحا منى به فاثابني الله بذلك ان رفع عني العذاب في
كل ليلة اثنين لذلك قال الله تعالى في تحقيق المحبة يحبون من هاجر اليهم ثم قال ويؤثرون
على انفسهم فمن محبته الرسول صلى الله عليه وسلم ايثار سنته على الراي والمعقول ونصرته
بالمال والنفس والقول وعلامة محبته اتباعه ظاهرا وباطنا فمن اتباع ظاهره اداء
الفرايض واجتناب المحارم والتخلق باخلاقه والتاديب بشمايله وآدابه والزهد
في الدنيا والاعراض عن ابنائها ومجانبة اهل الغفلة والهوى والترك للتفاخر

والتكاثر من الدنيا والاقبال على اعمال الاخرة والتقرب من اهلها والحب للفقراء
والتحبب اليهم وتقربهم وكثرة مجالستهم واعتقاد تفضيلهم على ابناء الدنيا ثم الحب
في الله للبعيد المتقبض وهم العلماء والزهاد والعباد والبغض في الله للقريب المحب
وهم الظلمة المبتدعة والفسقة المعلنة ومن اتباع حاله في الباطن مقامات اليقين
اليقين ومشاهدات علوم الايمان مثل الخوف والرجاء والشكر والحياء والتسليم
والتوكل والشوق والمحبة وفراغ القلب لله وافراد الهم بالله ووجود الطمانينة بذكر الله تعالى
فهذه معاملات الخصوص وبعض معاني باطن الرسول وهذا من اتباعه ظاهرا وباطنا فمن
تحقق بذلك فله من الاية نصيب موفور في الطهارة قال الله تعالى رجال يحبون ان يتطهروا
والله يحب المطهرين وقال عليه السلام الطهور نصف الايمان ولا يقبل الله صلوة بغير طهور
وقال عليه السلام توضئوا كما امرو في لفظ آخر من توضا فاسبغ الوضوء وصلى ركعتين
لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وفي لفظ آخر
فلم يسه فيهما غفر الله له ما تقدم من ذنبه وقال عليه السلام الا انبئكم بما يكفر الله به الخطايا
ويرفع به الدرجات اسباغ الوضوء في المكاره ونقل الاقدام الى المساجد وانتظار الصلوة
بعد الصلوة فذلكم الرباط قال بعض السلف وضوء المؤمنين في الشتاء بالماء البارد يعدل
عبادة الرهبان وفي الخبر اذا توضاء العبد خرجت ذنوبه من جميع اعضائه وتكون الصلوة
نافلة ويقال اذا فرغ العبد من الوضوء فرفع رأسه الى السماء ثم قال اشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت عملت سوء
وظلمت نفسي استغفرك واتوب اليك فاغفر لي وتب علي انك انت التواب الرحيم اللهم اجعلني
من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني من الصالحين واجعلني شاكرا شكورا واجعلني
اذكرك كثيرا واسبحك بكرة واصيلا ختم على وضوئه بخاتم ورفع له تحت العرش فلم يزل
يسبح الله تعالى ويقدسه ويكتب له ثواب ذلك الى يوم القيمة ويكره في اناء صفر سمعت اذا
توضاء احتوشه الشياطين فوسوسوا اليه فاذا ذكر الله تعالى خنست عنه وحضرته
الملائكة وان كان في وضوئه في اناء صفر او نحاس لم تحضره الملائكة وروي عن ابن
عمر وابي هريرة رضي الله عنه كراهة ذلك في الصلوة عن رسول الله عليه السلام مفتاح الجنة
الصلوة ولا اكره صلوة النوافل جماعة وعنه عليه السلام انه رأى رجلا يصلي لا يقيم
ظهره في ركوعه وسجوده فقال له ارجع فصل فانك لم تصل ثم رآه لا يطمئن في ركوعه
وسجوده فامره ايضا باعادة الصلوة ورأى حذيفة ابن مسعود رجلا يصلي ولا
يتم سجوده وركوعه فقال لو مات هذا لمات على غير فطرة ابي القسم عليه السلام وقال له منذ
كم تصلي هذه الصلوة فقال له منذ اربعين سنة فقال ما صليت منذ اربعين سنة
وعن كعب الاحبار قسمت الصلوة ثلثة اثلاث ثلث طهور وثلث ركوع وثلث سجود
فمن نقص احدها لم يقبل منه سايرها وقد نهي عن الصفن والصفد في الصلوة

فاما الصفن فرفع احدي الرجلين من قوله تعالى الصافنات الجياد واما الصفد
فهو اقتران القدمين من قوله تعالى مقرنين في الاصفاد وفي الخبر سبعة اشياء في
الصلوة من الشيطان الرعاف والنعاس والوسوسة والتثاوب والحكاك والالتفات
والعبث بالشي وزاد بعضهم والسهو والشك وقال بعض السلف اربعة في الصلوة
من الجفاء الالتفات ومسح الوجه وتسوية الحصا وان يصلي بطريق من يمر بين يديك
وان يصلي في الصف الثاني وفي الصف الاول فرجة وقد نهى عن صلوة الحاقن و
الحاقب والحازق فالحاقن من البول والحاقب من الغايط والحازق صاحب الخف
الضيق لان هذه الاشياء تشغل القلب واكره صلوة الغضبان والمهتم بامر ومن عرضت
له حاجة ومن شغل قلبه حضور الطعام وكانت نفسه تايقة اليه فليقدم الاكل
لقوله عليه السلام اذا احضر العشاء واقيمت الصلوة فابدؤا بالعشاء الا ان يضيق
الوقت وفي الخبر لا يدخلن احدكم في الصلوة فهو مقطب ولا يصلين احدكم وهو
غضبان وكان الحسن كل صلوة لا يحضر فيها القلب فهي الى العقوبة اسرع ذكر فضايل
الصلوة وادابها ووصف صلوة الخاشعين قال الله تعالى ولا تكن من الغافلين وقال
لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون قيل سكارى من حب
الدنيا وقيل من الاهتمام وقال تعالى الذين هم في صلوتهم دايمون قال عليه السلام انما
الصلوة تمسكن وتواضع وتضرع وتباءس وتقنع بديك فتقول اللهم اللهم فمن
لم يفعل فهي خداج وفي الكتب السالفة ان الله قال ليس كل مصل اتقبل صلوته
انما اتقبل صلوة من تواضع لعظمتي ولم يتكبر علي واطعم الفقير الجايع لوجهي ومن
الاقبال على الصلوة ان لا تعرف من عن يمينك ولا من عن شمالك من حسن القيام بين
يدي القايم على كل نفس بما كسبت وكذلك فسروا قوله تعالى الذين هم في صلوتهم خاشعون
عن بشر بن الحرث عن سفيان رضي الله من لم يخشع فسدت صلوته وفسروا قوله تعالى
على صلوتهم دايمون بالسكون والطمانينة في الصلوة من قولك ماء دايم اذا سكن
وقال بعض الصحابة يوم القيمة على مثال هيئتهم في الصلوة من الطمانينة والهدو
ومن وجود النعيم بها واللذة وقال عليه من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد
من الله الا بعدا فاما المراد من الصلوة والصيام والقيام المخالفة من الاثام وحدث
ان الموقن اذا توضاء للصلوة تباعدت عنه الشياطين في اقطار الارضين خوفا
منه لانه يتاهب للدخول على الملك فاذا كبر حجب عنه ابليس وضرب بينه وبينه
سرادق لا ينظر اليه وواجهه الجبار بوجهه فاذا قال الله اكبر اطلع الملك في قلبه
فاذا ليس في قلبه اكبر من الله فيقول صدقت الله في قلبك كما تقول فتشعشع من
قلبه نور يلحق بملكوت العرش فينكشف له بذلك النور ملكوت السموات والارض
ويكتب له حشو ذلك النور حسنات قال وان الغافل الجاهل اذا قام الى الوضوء



احتوشته الشياطين كما يستحوذ الذباب على نقطة العسل فاذا كبر الطمع الملك في قلبه
فاذا كل شئ في قلبه اكبر من الله عنده فيقول له كذبت ليس في قلبك كما تقول قال
فيثور من قلبه دخان يلحق بعنان السماء فيكون حجابا لقلبه عن الملكوت فيرد
ذلك الحجاب صلوته ويلتقم الشيطان قلبه فلا يزال ينفخ فيه وينفث ويوسوس
اليه حتى ينصرف من صلوته لا يعقل ما كان فيه وفي الخبر لولا ان الشياطين يحومون
على قلوب بني ادم لنظروا الى ملكوت السموات وروي اذا قام العبد في صلوته فقال
الله اكبر قال الله للملائكة ارفعوا الحجاب بيني وبين عبدي فاذا سهى في صلوته
او حدث نفسه بشئ ويقول الله للملائكة ارسلوا الحجاب بينه وبين عبدي وروي
ان ابواب السماء تفتح للمصلين وان الله يباهي ملائكته بصفوف المصلين وروي
ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد احب اليه من الصلوة ولو كان شئ احب اليه
من الصلوة تعبد به ملائكته راكع وساجد وقايم وقاعد الى يوم القيمة ذكر الحث
على المحافظة على الصلوة وطريق المصلين من المؤمنين قال الله تعالى محمد رسول الله والذين
معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تريهم ركعا سجدا الاية فاختار لنفسه رسوله
ثم اختار لرسوله اصحابه ثم اختار لاصحاب الصلوة فجعلها وصفهم في التورية
والانجيل فهذا يدل ان الصلوة افضل الاعمال لان اصحاب رسول الله افضل
العمال وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اى الاعمال افضل قال الصلوة لمواقيتها وعن
عمر رضي الله عنه اذا رايت الرجل حافظا لصلوته فظن به خيرا واذا رايته مضيعا
لصلوته فهو لما سواها اضيع وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوة عماد الدين فمن تركها
فقد كفر وعنه ايضا بين الايمان والكفر ترك الصلوة وعنه من حافظ على الصلوة
الخمس باكمال طهورها ومواقيتها كانت له نورا وبرهانا يوم القيمة ومن ضيعها حشره
الله تعالى مع فرعون وهامان وفي تفسير قوله تعالى لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند
الرحمن عهدا قال الصلوات الخمس وعن ابن مسعود وسلمان الصلوة مكيال
فمن اوفى اوفي له ومن طفف فقد علمتم ما قال الله تعالى في المطففين وفي الخبر اذا صلى
العبد في الملاء فاحسن واساء صلوته في الخلاء فتلك استهانة يستهين بها ربه
واذا احسنها في العلانية والسر قال الله تعالى لملائكته هذا عبدي حقا وعن كعب من
قبلت صلوته قبلت اعماله كلها ومن ردت صلوته ردت عليه اعماله كلها ويقال
من تقبلت منه صلواته الخمس كلها من غير ان تلفق ولا ترقع بعضها ببعض او
بغيرها من النوافل اطلع على علم الابدال وكتب صديقا وعلامة قبول الصلوة
ان تنهاه في تضاعيفها عن الفحشاء والمنكر الكبائر والمنكر ما انكره العلماء وقال
الفضيل الفرايض رؤس الاموال والنوافل الارباح ولا يصح ربح الا بعد راس
المال وقال ابن عيينة انما حرموا الوصول بتضييع الاصول وكان عليه السلام



اذا توضأ للصلوه تغير لونه واصفرّ وارعد فقيل له فى ذلك فقال اتدرون بين
يدي من اريد ان اقف وعلى من ادخل ولمن اخاطب وقال بعض العلماء سميت صلوة
لانها صلة بين العبد وبين الله تعالى ومواصلة من الله لعبده ولا تكون المواصلة
الا للتقى وكان عامر بن عبد الله من خاشعى المصلين كان اذا اصلى ضربت ابنته
بالدف وتحدثت بما يريدن فى البيت ولم يكن يسمع ذلك لا يعقله وقيل له ذات يوم
هل تحدثك نفسك فى الصلوة بشى فقال نعم بوقوفى بين يدى الله ومنصرفى الى احدى
الدارين قيل فهل تجد شيئا مما نجد من امور الدنيا فقال لان تختلف الاسنة فىّ احب الىّ
من ان اجد فى الصلوة ما تجدون وكان يقول لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وكان
مسلم بن يسار من العاملين الزاهدين وكان اذا دخل فى الصلوة يقول لاهله تحدثوا
بما تريدون وافشوا سركم فانى لا استمع اليكم وكان يقول ومايدريكم اين قلبى وكان
يصلى ذات يوم فى مسجد البصرة فوقعت خلفه اسطوانة معقود بناؤها على
اربع طاقات فتسامع بها اهل السوق فدخلوا المسجد وهو قائم يصلى كانه وتد وما انفتل من صلوته
فلما فرغ جاءه الناس يهنونه فقال على اى شىء تهنونى قالوا وقعت هذه الاسطوانة العظيمة وراءك
فقال متى وقعت قيل وانت تصلى قال ما شعرت بها وفى الخبر ان عمار بن ياسر صلى صلوة فخففها
فقيل له خففت يا ابا اليقظان فقال هل نقصت من حدودها شيئا فقالوا لا قال انى بادرت
سهو الشيطان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد ليصلى الصلوة ولا يكتب له نصفها
ولا ثلثها ولا ربعها ولا خمسها ولا عشرها انما يكتب للعبد من صلوته ما عقل منها ولا على هذا اجماع
العلماء ويقال ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم الزبير وطلحة كانوا اخف الناس صلوة فسئلوا
عن ذلك فقالوا نبادر بها وسوسة العدو وقال عليه السلام من تشعبت به الهموم لم يبال الله تعالى فى اى
اودية هلك وسئل ابو العالية عن قوله الذين هم عن صلوتهم ساهون قال هو الذي يسهو فى صلوته
فلا يدري على كم ينصرف على شفع ام على وتر وقال الحسن هو الذي ان صلاها فى اول الوقت او
فى الجماعة لم يفرح وان صلاها بعد الوقت لم يحزن وقيل هو الذي لا يرى تعجيلها برا ولا تاخيرها
اثما ويقال ان الصلوات الخمس تلفق بعضها الى بعض حتى يتم للعبد بها صلوة واحدة وقيل من الناس
من يصلى خمسين صلوة فيكمل له بها خمس صلوات وان الله يستوفى من العبد ما امره بركما
فرضه عليه والا تممه من ساير اعماله النوافل لانه ما فرض الله على العبد الا ما يطيقه بعونه
اذ لم يكلفه فوق طاقته برحمته قال النبى صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى لا ينجوني عبدي
الا باداء ما افترضته عليه ولا يزال يتقرب الىّ بالنوافل حتى احبه وفى الخبر اول ما يحاسب به
العبد الصلوة فان وجدت كاملة والا يقول الله انظروا هل لعبدي نوافل فتتم فرايضه
من نوافله ثم يعمل بساير الفرايض كذلك يوفى كل فرض من جنسه من النفل فاذا كانت النوافل
فى السهو والتقصير كالفرايض او لم يتخذ نوافل فكيف يكون حاله فى الحساب وقال ابن مسعود
ركعتان من زاهد افضل من الف ركعة من راغب فى الدنيا وفى الخبر كم من قايم حظه من قيامه السهر

والتعب ومن صلى وراء الامام فلم يدر ما ذا قرا فهو نهاية السهو لانه تارك لما امر الاستماع فيخاف
عليه مجانبة الرحمة لان الله تعالى ضمن الرحمة بشرطين الاستماع والانصات فقال فاذا قرئ القران
فاستمعوا له وانصتوا الاية وقال بعض العلماء ان العبد يسجد السجدة عنده انه يتقرب بها
الى الله ولو قسمت ذنوبه في سجدته على اهل مدينته لهلكوا قيل وكيف يكون ذلك قال يكون
ساجدا عند الله وقلبه مصغي الى هوى ومشاهد لباطل قد استولى عليه ففيه انتهاك حرمة القرب
وسقوط هيبة الرب واعلم ان طول الصلوة عليك غفلة وقصرها سهو لانها ان طالت
عليك دل على عدم الحلاوة ووجود التثقل بها على جوارحك واذا قصرت عليك وخفت
دل على نقصان حدودها ودخولك الى الغفلة والسهو فيها فالنسيان في قصرها والاستقامة
الصلوة ان لا تطول عليك لوجود الحلاوة ولذة المناجات واجتماع الهم ولا يقصر عليك ليتقطك
فيها ورعايتك لحدودها وحسن قيامك بها وهذه مراقبة المصلين ومشاهدة الخاشعين
ذكر فضائل الصدقة واداب العطاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس في المال حق سوى
الزكوة وعن جماعة من التابعين ان في المال حقوقا غير الزكاة منهم ابرهيم النخعي والشعبي
وعطاء ومجاهد وكانوا يرون المواسات والقرض والقيام بمؤن العجزة عن انفسهم
واهليهم من المعروف والبر والاحسان واجبا على المتقين والمحسنين من اليسار لقوله
ومما رزقناهم ينفقون واتى المال الاية وانفقوا مما رزقناكم وهو امر غير منسوخ
باية الزكوة وانه داخل في حق المسلم على المسلمين وواجب بحرمة الاسلام ووجود
الحاجة فمن فضائل الزكاة ان يخرجها في اول ما تجب عليه وان قدمها قبل وجوبها
اذا راى لها موضعا يتنافس فيه ويغتنم خوف فوته من غازي في سبيل الله او وقت
فاضل او ذي دين او في جهاد او ابن سبيل غريب كان تقديمها افضل وازكى لانه من المسارعة
الى الخير والمعاونة على البر والتقوى اذ في التاخير آفات وللدنيا نوايب وللنفس
بدوات وللقلوب تقلب ثم انه يخرجها طيبة بها نفسه مسرورا بها قلبه مخلصا لربه
مبتغيا بها وجهه لغير رياء ولا سمعة ولا تزين ولا تصنع ولا يحب ان يطلع عليها
غير الله ولا يرجو في اعطائها ولا يخاف في منعها سواه وليكن ناظرا الى نعمة الله عليه
عارفا بحسن توفيقه له وان يعتقد فضل من يعطيه من الفقراء عليه ولا ينتقصه بقلبه
ولا يزدريه وليعلم ان الفقير خير منه لانه جعل طهرة وزكوة له ورفعة درجة في دار المقامة
والحيوة وانه قد جعل سخرة للفقير وعادة لدنياه كما حدثونا عن بعض العارفين قال اديد
مني ترك التكسب وكنت ذا صنعة جليلة فحاك في نفسي من اين المعاش فهتف بي هاتف
لا اراه تنقطع الينا وتتهمنا فلك علينا ان نخدمك وليا من اوليائنا او نسخر لك منافقا من
اعدائنا وان يسر ذلك الى الفقير سترا ولا يذكر ذلك فقد جاء في تفسير قوله تعالى لا تبطلوا
صدقاتكم بالمن والاذى قال المن ان يذكرها والاذى ان يظهرها وقال بعضهم المن ان يستخدمه
بالعطا والاذى ان تعيره بالفقر وقيل المن ان تتكبر عليه لاجل انك اعطيته والاذى ان

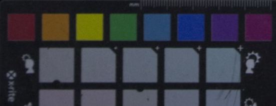
تنهره

تفتهره او توبخه بالمسئلة وقال بعض العلماء وقد روينا مسندا من طريق ثلث من كنوز البر
منها اخفاء الصدقة وفي الخبر لا يقبل الله من مسمع ولا مراء ولا منان فالمسمع الذي يحدث
بما صنعه من الاعمال ليسمعه من لم يكن راه وفي الخبر ان العبد ليعمل عملا في السر فيكتبه الله له سرا
فان اظهره نقل من السر وكتب في العلانية فان تحدث به محي من السر والعلانية فكتب ريا
فلو لم يكن في اظهار الصدقة مع الاخلاص بها الا فوت ثواب السر لكان فيه نقص عظيم
وقد جاء في الاثر يفضل صدقة السر على صدقة العلانية سبعين ضعفا بل ينبغي ان يخفي
من نفسه فكيف من غيره وليس يكون هذا الا ان لا يري نفسه في العطاء اصلا فلو يجري فهم
ذلك على قلبه كما نقول في سر الملكوت ان الله لا يطلع عليه الا من لا يحدث به ويخفيه ليس
اعني عن غيره لكن يخفيه من نفسه ولا يحدثها بها انه لا يخطر على قلبه ولا يذكره ولا يشهد نفسه
فيه شغلا عنه بما اقتطع به وبانه لا يبالي به فعندها صلح ان تظهر على السر فان لم يمكنك
على الحقيقة ان تخفي صدقتك عن نفسك فاخف نفسك فيها حتى لا يعلم المعطي انك انت المعطي
وهنا مقام في الاخلاص فان اظهرت يدك في العطاء فاخفها سرا الى المعطي هذا حال
حال الصادق فقد كان بعض المخلصين يلقي الدرهم بين يدي الفقير او في طريقه او موضع
جلوسه بحيث يراه ويأخذه وهو لا يعلم من صاحبه وبعضهم كان يصر ذلك في ثوبه وهو
نائم واما من كان يوصل الى الفقير على يد غيره ويستكتمه شانه فلو يحصى ذلك من المسلمين
وفي الخبر صدقة السر وقيل صدقة الليل تطفئ غضب الرب وقد اخبر الله ان الاخفاء افضل
ومعه يكون تكفير السيئات فقال وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم
فان اظهر مسكين نفسه للسؤال على الصون والتعفف فلا باس ان تظهر معروفك اليه
فان اظهر ذلك نيتك ارادة السنة والاقتداء بك والتحريض على مثل ذلك من غيرك لينافسك
فيه اخوانك فحسن وذلك من التحاض على اطعام المسكين وقد ندب الله اليه وقد قدمه في قوله
عز وجل وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية قيل سر التطوع وعلانية المفروضة وقال
ان تبدوا الصدقات فنعما هي فمدح المبتدئ بنعم الا ان ذلك لا يحسن الا الى من ابدا
نفسه كما نهيت السائل الذي يسأل بلسانه وكفه وقوله تعالى وان تخفوها الاية كانها للمستخفين
بالمسئلة وهي خصوص الفقراء لا يظهرون نفوسهم بها يمنعهم الحياء والتعفف فمن اظهر نفسه
بالسؤال واظهره له ومن اخفاها بالتعفف والحيا فاخف له ومثل ذلك كشف عورة الفاسق انما
يحرم عليك ان تظهر عورة من يخفي نفسه ويتستر فاذا اظهر نفسه بها واعلن فلا باس ان تظهر
عليه كما جاء في الخبر من القا جلباب الحياء فلا غيبة له وينبغي ان يجعل صدقته من افضل ما
يحبه من المال ومن جيد ما يدخر كما قال الله تعالى انفقوا من طيبات ما كسبتم ثم قال ولا تيمموا الخبيث
منه ينفقون ثم قال في ضرب المثل لها لعبيده ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه اي لا تقصدوا
الردي فتجعلونه لله ولو اعطى احدكم ذلك لم ياخذه الا على اغماض اي كراهة وحيا فلا يجعل
ماله دون ما يستجيده لنفسه او ما يكره ان تقتنيه لعاقبته او ياخذه من غيره او ما لا يستحسن

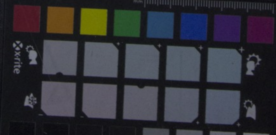
ان يهديه الى نبيل من العبيد فتكون قد اثرت نفسك او عبداً مثلك على مولاك فانه هذا
من سوء الادب ولا يقوم سوء ادب واحد في معاملة بجميع المعاملات وقيل في قوله من ذى الذي
يقرض الله قرضا حسنا اى طيبا وان الله طيب لا يقبل الا طيبا وذكاء الصدقة ونماؤها
عند الله على حسب حلها ووضعها في الاخص الافضل من اهلها وفي الخبر سبق درهم مائة الف
درهم وقد تهدد الله قوما جعلوا له ما يكرهون ولا نفسهم الحسنى واكذبهم في قولهم فقال الله تعالى
ويجعلون لله ما يكرهون وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى ثم قال لا جرم ان لهم النار
اى حقا لهم النار وفي الاية وقف غريب وهو ان يقف على لا فيكون نفيا لوصفهم ان لهم الحسنى
ثم يستانف جرم ان لهم النار اى كسب لهم جعلهم لله ما يكرهون النار اى بجرمهم واكتسابهم
واذا دعا لك مسكين عند الصدقة فاردد عليه مثل دعائه حتى يكون ذلك جزاء لقوله
وتخلص لك صدقتك والا كان دعاؤه لك مكافات على معروفك وقد كان العلماء يحفظون
من ذلك وهو اقرب الى التواضع وان لا ترى انك مستحق لذلك عليه لاجل عطائك لانك
عامل في واجب عليك لمعبودك وموف للمعطار زقه وما قسم له من تعبد بذلك
وكانت عايشة وام سلمة رضي الله عنهما اذا ارسلنا معروفا الى فقير للرسول احفظ
ما يدعو به ثم تردان عليه مثل قوله وتقولان حتى يخلص لنا صدقتنا وفعل ذلك
عمر بن الخطاب وابنه رضي الله عنهما ولا ينبغي ان تقتضي من الفقير الدعاء لك
او تطالبه بذلك او تحب منه الثناء والمدح على ذلك فانه ينقص الصدقة وان
كثر منك وقوي احبطها وان كان عليه ان يدعو لك ويثني به عليك فانما يعمل فيما
تعبده مولاه بروامره فلو ترى ذلك من حقك عليه وربما كان عليك وزر لمحبتك
الثنا والذكر فيما لله عليك ان تفعله او في رزق الله لعبده الذي اجراه على يديك
فان تخلصت سواء بسواء فما احسن حالك واذا وصلت الى فقير معروفا فبحسن ادب
ولين جانب ولطف كلام وتودد وتذلل وتواضع وقد كان بعض الادباء مع الله
اذا اراد ان يدفع الى فقير شيئا بسط كفه بالعطاء ليكون يد الفقير هي العليا
وبعضهم كان يضعها بين يديه على الارض ويساله قبولها منه ليكون هو السائل
ولا يناوله بيده اعظاما له واستحب للفقير ان يخص ذا المعروف اليه بدعوات شكرا
لما اولاه وتادبا وتخلقا بفضل مولاه لانه قد جعل سببا للخير وواسطة للبر اذ الله
سبحانه يشهد نفسه في العطاء ثم قد اثنى على عبده وشكر له في الاعطاء فيقول طهر الله
قلبك في قلوب الابرار وزكى عملك في عمل الاخيار وصلى على روحك في ارواح
الشهداء فذلك هو شكر الناس الدعاء لهم وحسن الثناء عليهم ومن شكرهم ان لا
يذمهم في المنع ولا يعيبهم عند القبض فذلك تاويل الخبر من لم يشكر الناس لم يشكر
الله فان فيه اثبات حكم الاوسط واستعمال حسن الادب في اظهار الاسباب
والتخلق باخلاق المنعم سبحانه لانه سبحانه انعم عليهم ثم شكر لهم كرما منه فكذلك

شكر الناس للناس

العبد



العبد الموقن شهيد مولاه في العطاء فحمده ثم شكر المنفقين اذ جعلهم الله سببا وظرفا
لرزقه والافضل في المعروف ان يوثر الرجل اخوانه من الفقراء على غيرهم من الاجانب كما قال
علي رضي الله عنه لان اصل اخا من اخواني بدرهم احب الي من ان اتصدق بعشرين درهما ولان
اصله بعشرين درهما احب من ان اتصدق بمائة ولان اصله بمائة احب الي من ان اعتق
رقبة ولان الله قد ضم الاقارب وكان فضل الصدقة على الصديق كفضل الصدقة على
القرابة دون الاباعد لانه ليس بعد صلة الرحم في معناها افضل من صلة الاخوان
وقال بعض السلف افضل الاعمال صلة الاخوان فالموقن ياخذ رزقه من رزق الله فهو لا
يعبد الا الله ولا يطلب الا منه كما امره في قوله تعالى فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه
وقال عليه السلام لرجل تب فقال اتوب الى الله ولا اتوب الى محمد فقال رسول صلى الله عليه وسلم عرف
الحق لاهله وقالت عايشه رض في قصة الافك بحمد الله لا بحمدك فسره ذلك وقال لها
ابو بكر رض لما نزل تحصينها وبراتها قومي فقبلي راس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله لا
افعل ولا احمد الا الله فما رسول عليه السلام دعها ولم ينكرها ذلك وينبغي ان يستصغر ما
يعطي فان الاستكثار من العجب والعجب يحبط الاعمال ويقال ان الطاعة كلما استصغرت ت
كبرت عند الله وان المعصية كلما استعظمت صغرت عند الله وعن بعض العلماء لا يتم
المعروف الا بثلث تصغيره وتعجيله وستره وقد وصف الله تعالى اهل الحاجة باوصاف
خمسة وفرقها في كتابه فقال وفي اموالهم حق للسائل والمحروم وقال فكلوا منها واطعموا
القانع والمعتر وقال فكلوا منها واطعموا البائس الفقير فاما السائل فهو الذي يسال
بكفه ويظهر السؤال بلسانه واما المحروم فهو المحارف الذي حارف الرزق اي انحرف
عنه فقد حرمه وقيل هو الذي لا معلوم له ولا كسب فقد حرم التصرف والتعيش
واما القانع فهو الذي تقعد في بيته وتقنع بما اتاه الله من غير طلب ولا تعرض
وقيل ان القنوع وصف من اوصاف المسئلة من غير الحاف ولا الحاح وهو اسم من
الاضداد يكون القنوع العفة والكف ويكون المسئلة واما المعتر فهو الذي يعتر ض
بالسوال ولا يصرح بجملة الحاجة على التعريض ويوقفه الحياء عن التصريح واما البائس
فهو الذي به بؤس وشدة من مرض او برد او عصب او زمانة ثم ان الله تعالى قد فصل
بين الفقراء والمساكين في قوله انما الصدقات للفقراء والمساكين فقال اهل العلم
الفقير الذي لا يسئل والمسكين هو السائل وقيل الفقير المحارف وهو المحروف والمسكين
الذي به زمانة واشتقاقه من السكون اي قد اسكنه الفقر لما سكنه فقلل حركته عه
وهذا اوصافه يقال تمسكن الرجل وسكن كما يقال تمدرع الرجل وتدرع اذا لبس مدرعة
وقال بعضهم المسكين اسوء حالا من الفقير لان الله تعالى قال او مسكينا ذا متربة فهو
الذي لا شئ له قد لصق بالتراب من الجهد وذهب الى هذا القول يعقوب ابن السكيت
ويونس ابن حبيب وقال آخرون الفقير اسوء حالا من المسكين لان المسكين له شئ



والفقير لا شيء له قال الله تعالى في اصحاب السفينة وكانت لمساكين يعملون في البحر فاخبر ان لهم
سفينة تساوي جملة وقالوا سمي فقيرا لانه نزعت فقره من ظهره فانقطع صلبه من شدة
الفقر فهو ماخوذ من فقار الظهر ومال الى هذا القول الاصمعي وهو عندي كذلك من قبل
ان الله قدمه على الاصناف الثمانية الذين جعل لهم الصدقة فبدا به فدل على انه هو
الاحوج فالاحوج او الافضل فالافضل وقال قوم الفقير هو الذي يعرف بفقره لظهور
امره والمسكين هو الذي لا يفطن له ولا يوبه به لتخفيه ولستره وقد جاءت السنة
بوصفه هنا في الخبر المروي ليس المسكين الذي ترده الكسرة والكسرتان والتمرة والتمرتان ن
انما المسكين المتعفف الذي لا يسال الناس ولا يفطن له فيتصدق عليه وسئل بعض
الحكماء اي الاشياء اشد فقال فقير في صورة غني وقيل لحكيم آخر ما اشد الاشياء فقال
فقال من ذهب ماله وبقيت عادته وقال الفقهاء الذي له سبب ويحتاج الى اكثر منه لضيق
مكسبه او عيلة فهذا ايضا قد وردت السنة في فقره وذكر فضله في الحديث ان الله يحب
الفقير المتعفف ابا العيال ويبغض السائل الملحف وفيه ايضا ان الله يحب عبده المؤمن المحترف
وكل هذه اقوال صحيحة فالافضل ان توضع الزكوة في الافضل من اهل العلم بالله واهل الورع
واهل المعاملة لله المنقطعين الى الله عن اهل الدنيا المشتغلين بتجارة الآخرة عن تجارة
الدنيا ثم في ذي العيال بقدر عياله وبقدر غناه عن حاجاته فيكون لهم الدرجات
بقدرهم اجورهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي العطاء على قدر العيلة فيعطي المتاهل
ضعفي ما يعطي العزب ويعطي صاحب العيال ضعفي ما يعطي المتاهل ويعطي كل رجل على مقدار
اهل بيته وحكي عن بعض هذه الطائفة قال صحبنا قوما كان برهم لنا الالوف من الدنانير
انقرضوا وجاء آخرون كان برهم لنا المائتين ونحن بين قوم صلتهم لنا العشرات نخاف ان
يجيء قوم شر من هؤلاء وقال بعض السلف رأينا قوما كانوا يفعلون ولا يقولون ذهب اولئك
وجاء قوم يقولون ويفعلون ونخاف ان يجيء قوم ولا يفعلون وسئل ابن عمر عن جهد البلاء
فقال كثرة العيال وقلة المال وفي الخبر لا تاكل الا طعام تقي ولا ياكل طعامك الا تقي لان
التقي يستعين به على البر والتقوى فيشركه في حسنه وفيه ايضا اطعموا طعامكم الاتقياء
واولوا معروفكم المؤمنين وفي لفظ آخر اضف بطعامك من تحبه في الله وينبغي للمنفق ان
يفرح ويستبشر بقبول من قبل معروفه من الاتقياء ويحزن برده لان ذلك علامة ان لم يقبله
عارف الله واحكامه فقد ردت عليه اعماله ومن وصل فقيرا بمعروف فرده عليه فعظم الفقير
في عينه فذلك يدل على جهل المعطي له بره لانه لو احتقرها فاسقط منزلته عنده ثم اخرجها
سرا الى من هو احوج اليها منه كان بذلك فاضلا وينبغي لا يتمانع ذلك ان رده عليه بل يدفعه
الى فقير آخر لانه قد اخرجه لله تعالى فلا يرجع فيه والفقراء شركاء في العطاء يرد عليهم من بعض
الى بعض وكذلك ان اخرج صدقة باسم فقير بعينه ليعطيه اياها فصادف غيره او ذكر من
من هو احوج منه او افضل فلا باس ان يدفعها الى الثاني ما لم يخرج عن يده او وعده بها وكذلك

في الاحوج والافضل

ان

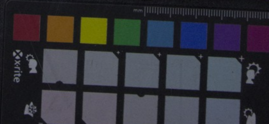
ان دفعها الى من يدفعها الى فقير بعينه ثم راى من هو اثر في قلبه واحوج منه فله ان يسترجعها
من المامور بدفعها اليه ما لم يكن قد نفذها او اعلمه بها وروي ان فقيرا بمكة حرسها الله
رد على بعض الاغنياء معروفه فاخذ يبكي فقيل له فقال اليس هذا عملي قد رد علي فقيل له
فان غيره يقبله فقال من اين لي مثل هذه العين وهذا كما قال ان المومن ينظر بعين اليقين
وهو نور الله فرده عن ابيه كما قال تعالى ويتلوه شاهد منه والجاهل يتصرف بهواه عن نفس
فرده بقبوله لانه ياخذ لنفسه ويرد بنفسه والعارف ان اخذ فبرب وان رد فعن رب
سبحانه وتعالى وعلى العبد ان يجهد في طلب الاتقياء وذوي الحاجة من الفقراء ويبلغ غاية
علمه بذلك فان قصر علمه ولم تنفذ فراسته ومعرفة الخصوص استعان بعلم من هو اعلم
منه وانفذ نظرا واعرف بالصالحين واهل الخير منه ممن يوثق بدينه وامانته من علماء
الاخرة لا من علماء الدنيا وعلماء الاخرة هم الزاهدون في الدنيا الورعون عن التكاثر منها فان
حب الدنيا غامض قد هلك فيه خلق كثير لم ينج من العلماء الا المتحققون بالعلم واليقين وهم
المتقللون من الدنيا وبعض العلماء يوثر بالعطا فقرا الصوفية فقيل لو عممت فقال بل
هولاء على غيرهم لا غيرهم لان همهم الله فاذا اطرقتهم فاقة تشتت هم احدهم فلان ارد هم
واحد الى الله احب الي من ان اعطي الفا من غيرهم ممن همه الدنيا فذكر هذا الكلام لابي
القاسم جنيد رحمه الله فاستحسنه وقال هذا ولي من اولياء الله وبلغني ان هذا الرجل اختل
هذا حاله في الدنيا حتى هم بترك الحانوت فوجه اليه الجنيد رحمه الله بمال كان صرف اليه وقال اجعل
في بضاعتك ولا تترك الحانوت فان التجارة لا تضر مثلك ويقال ان هذا الرجل بقالا ولم ياخذ
من الفقراء ثمن ما يبتاعون منه واما ابن المبارك رحمه الله فانه يجعل معروفه في اهل العلم خاصة
اشتغل فقيل له لو عممت به غيرهم فقال اني لا اعرف بعد مقام النبوة افضل من مقام العلماء فاذا
قلب احدهم بالحاجة والعيلة لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على تعليم الناس فرايت اكفيهم امر الدنيا
وافرغهم الى العلم فهو افضل والتوفيق من الله للعبد في وضع صدقته في الافضل منه
والله ولي التوفيق **ذكر فضايل الصوم وفضل الصايمين** صوم الخصوص حفظ الجوارح
الست غض البصر عن الاتساع في النظر وصون السمع عن الاصغاء في الوزر والقعود
مع اهل الباطل وحفظ اللسان عن الخوض فيما لا يعني جملة مما ان كتب عنه كان عليه وان
~~اللسان عن الخوض فيما لا يعني جمله مما ان كتب عنه كان عليه ان~~ حفظ عليه لم يكن له ورعاية
القلب بعكوف الهم عليه وقطع الخواطر والافكار التي كف عن فعلها وترك التمني الذي لا يجدي
وكف اليد عن البطش الى محرم من مكسب او فاحشة وحبس الرجل عن السعي فيما لا يومر به
ولم يندب اليه من غير اعمال البر فمن صام بهذه الجوارح الست وافطر بجارحتين في غير
قنين رمضان وهما الاكل والشرب والجماع من الحلال فهو عند الله من الصائمين في الفضل لانه من الو
الحافظين للحدود ومن افطر بهذه الست او ببعضها وصام بجارحتين البطن والفرج
فاضيع اكثر فاحفظ فهذا معطر عند العلماء صايم عند نفسه وقال ابو الدرداء يا حبذا

نوم الاكياس وفطرهم كيف يعيبون قيام الحمقى وصومهم لذه من ذي تقوى افضل من امثال
الجبال عبادة من المغترين ومن فضايل الصوم ان يجتنب من حظوظ هذه الخلايق الشبهات
من الاشياء وفضول الحلال ويرفض الشهوات الداعية الى العادات وان لا يفطر الا على الحلال ولا يتكلم
منه فبذلك يزكوا الصوم وليقل نومه بالنهار وليعمل صومه بعمارة الاذكار وليجد مس جوعه
وعطشه ولا يهتم بعفائه قبل محل وقته لا تركت عليه خطيئة وليعجل الفطر ويؤخر السحور
وليفطر على رطب او تمر فانه بركة او شربة من ماء هكذا روي عن رسول الله عليه السلام والافطار
قبل الصلوة سنة وفي الخبر كم من صايم حظه من صيامه الجوع والعطش قيل هو الذي يجوع
بالنهار ويفطر على حرام وقيل هو الذي يفطر بالغيبة على لحوم الناس وقيل هو الذي
لا يغض بصره ولا يحفظ لسانه عن الاثام ويقال ان العبد اذا كذب او اغتاب او سعى
في معصية في ساعة من صومه حرق صومه وان صوم يوم يلفق له في صيام ايام حتى
يتم بها صوم لوم ساعة ساعة وفي الحديث الصوم جنة ما لم يخرقها بالكذب او غيبة وكانوا
يقولون الغيبة يفطر الصايم وكانوا يتوضؤون من اذى المسلم وعن مجاهد خصلتان يفسدان
الصوم الغيبة والكذب عن انس عن النبي عليه السلام خمس يفطرن الصايم الكذب والغيبة
والنميمة واليمين الكاذب والنظرة بشهوة وفي الخبر من اغتاب يخرق صومه فليرقع با
بالاستغفار والمراد من الصيام مجانبة الاثام لا الجوع والعطش كما في الصلوة ان المراد
بها انتهاء عن الفحشاء والمنكر كما قال الرسول من لم يترك قول الزور والعمل به فليس لله تعالى
بان يترك طعامه وشرابه كتاب الحج ذكر فرايض الحج دبالحج كمال الشريعة وتمام الملة قال الله تعالى
ولله على الناس حج البيت الاية وفسر رسول الله عليه السلام الاستطاعة بالزاد والراحلة فان
اخره بعد وجود ذلك كان مكروها له فان مات ولم يحج لما انزلت هذه الاية في الحج يوم
عرفة اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي وفي الخبر من لم يمنعه من الحج مرض قاطع
او سلطان جاير فمات ولم يحج فلا يبالي مات يهوديا او نصرانيا وقال عمر رضي الله لقد هممت
ان اكتب في الامصار بضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع اليه سبيلا وعن سعيد
بن جبير وابرهيم النخعي ومجاهد وطاوس رضي الله عنهما لو علمت رجلا غنيا وجب عليه الحج ثم مات
قبل ان يحج ما صليت عليه ومن كان ذا قوة على المشي او ممن يصلح له ان يواجر نفسه
وامن التهلكة في خروجه لحج على ذلك كان فاضلا في فعله وذهب بعض العلماء الى
ان القوة على المشي استطاعة وللحاج الماشي بكل قدم يخطوها سبع مائة حسنة وللراكب
بكل خطوة يخطوها دابته سبعون حسنة فاما فرايض الحج ستة اختلفوا منها في ثلث
وهن السعي والبيتوتة بالمزدلفة عند المشعر الحرام ليلة النحر ونحرها لعقبه يوم النحر
واجمعوا على ثلث وهن الاحرام والوقوف بعرفة وطواف الزيارة وما سوي هذه الستة
سنة ومذهبي ومذهب اكثر العلماء ان فرايض الحج اربعة الثلث الاخرة المتفق عليها
والسعي بين الصفا والمروة وباقي تفصيلاتها من السنن والواجبات مذكور في كتب الفقه

فرايض الحج

ذكر

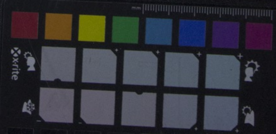
فاول الفضايل حقيقة الاخلاص به
لوجه الله تعا وان يكون النفقه حلالا واليد فارغة من التجارة تشغل القلب وتفرق الهم
ويكون الهم مجردًا والقلب ساكنا مطمئنا ممتلوا بالذكر فارغا من الهوى ناظرا امامه غير ملتفت
الى ورائه وصحة القصد بحسن الصدق ثم طيب النفس بالبذل والانفاق والتوسع في
النفقة والزاد وبذل ذلك لان النفقه في الحج بمنزلة النفقة في سبيل الله الدرهم بسبعمائة
درهم والحج من سبيل الله روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة و
وسئل عنه عليه السلام ما بر الحج قال طيب الكلام واطعام الطعام وقيل سمي السفر سفرا لانه
يسفر عن اخلاق الرجال وصفات النفس وجوهها اذ ليس كل من حسنت صحبته في الحضر
حسنت في السفر وكل من صلح ان يصحب في السفر صلح في الحضر وليتعلم احكام المناسك
ومعالم الحج وهيأته وادابه قبل الخروج فان هذا هو المقصود وليتعدد رفيقا صالحا عالما
محبا للخير معينا عليه ان نسي ذكره وان ذكر اعانه وان جبن شجعه وان عجز قواه
وان ساء ظنه وضاق صدره وسع صدره وطيره وحسن ظنه ولا يخاف رفيقه ولا يكثر
الاعتراض عليه وليحسن خلقه مع جميع الناس ويلين جانبه ويخفض جناحه ويكف اذاه
عن الخلق ويحتمل اذاهم فهذه المعاني يفضل الحج وان يحج على رحل او زاملة فان ذلك
حج اليقين وطريق السلف يقال حج الابرار على الرحال وكان ابن عمر رحمه اذا نظر
الى ما احدث الحجاج من الزي والمحامل يقول الحاج قليل والركب كثير ثم ليجتنب من الزي
الشهرة بالمترفين ولا يتشبه ولا باهل الدنيا من اهل التفاخر ولا يكثر التنعم والرفاهة
فان ذلك غير مستحق في سبيل الله وفي الخبر انما الحاج الشعث التفل ويقول الله
لملائكته انظروا الى زوار بيتي قد جاؤني شعثا غبرا من كل فج عميق قال تعالى ثم ليقضوا
تفثهم والتفث الشعث والاغبرار فقضاؤه حلق الراس وقص الاظفار وقيل
ان هذه المحامل والقباب احدثها الحجاج بن يوسف وينبغي ان يعلل من دونه تعال ان النوم
يثقل على البعير والورعون لا ينامون على الدواب الا من قعود يغفون غفوة بعد غفوة ولا يقفون
عليها الوقوف الطويل لان ذلك يشق عليها وفي الخبر لا تتخذوا دوابكم كراسي وكان بعضهم يكتري
لازما ويشترط ان لا ينزل ثم انه ينزل للرواح ليكون ما رفقه عن الدابة من حسناته محتسبا له
في ميزانه وبعض علماء الظاهر يقول ان الحج راكبا افضل لما فيه من الانفاق والمؤنة ولانه
ابعد من ضجر النفس واقل لاذاه واقرب الى السلامة فهذا عندي بمنزلة الافطار يكون افضل
اذا ساء عليه خلقه وضاق به ذرعه وكثر عليه ضجره لان حسن الخلق وانشراح الصدر افضل على الصوم
وقد يكون هذا لبعض الناس دون بعض ممن يكون له التضجر ووصفه التسخط وقلة الصبر
ولم يكن اعتاد المشي وسألت بعض فقهائنا بمكة عن المشي الى العمرة افضل او يكتري حمارا فقال
من كان اخراج الدرهم عليه اشق فمشيه افضل لما فيه من زيادة المشقة فهذا يختلف باختلاف
احوال الناس وعندي ان الاعتمار والحج ماشيا افضل لمن اطاق المشي وصبر عليه للاثر في ذلك وفي الخبر



من طريق اهل البيت اذا كان اخر الزمان خرج الى الناس للحج اربعة اصناف سلاطينهم للنزه
واغنياؤهم للتجارة وفقراؤهم للمسالة وقراؤهم للسمعة وينبغي ان يكون في المشاة والمناسك
اشعث اغبر فانه سنة ويكثر ذكر الله في طريقه وجميع مناسكه ويذكر بين الغافلين ويقل ذكر
الناس ويلزم الصمت فيما لا يعنيه ويستحب ان يذبح وان لم يجب عليه وافضل الهدي بدنة ثم بقرة
ثم كبش ابيض اقرن ثم الثني من المعز وقد كانوا يغالون بثلث ويكرهون المكاسرة في
الهدي والاضحية والرقبة فان افضل ذلك اعلاه ثمنا وانفسه عند اهله وعمر رضي الله عنه اهدى
نجيبه فطلبت منه بثلثمائة دينار فسال رسول الله عليه السلام ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه
عن ذلك وقال بل اهدها وعن عايشة رضي الله عنها عن النبي عليه السلام ما عمل ادمي يوم النحر احب الى الله من
اهراق دم وانها لتاتي يوم القيمة بقرونها واضلافها وان الدم ليقع من الله بمكان قبل ان
يقع بالارض فطيبوا بها نفسا وفي الخبر لكم بكل صوفة من جلدها حسنة وانها لتوضع في الميزان
فابشروا وليكن حاضر القلب مشاهد للقرب عند المواطن المرجو فيها الاجابة كما قال تعالى ليشهدوا
منافع لهم ويذكروا اسم الله ويستحب له ان يمشي في المشاعر من حين يخرج من مكة الى ان يقف بعرفة
والى ان يرجع من طواف الزيارة الى منا من استحب للحاج الركوب فانه يستحب له المشي من مكة
في المناسك الى انقضاء حجه لان عبد الله بن عباس اوصى بنيه عند موته فقال يا بني حجوا مشاة
فان للحاج الماشي بكل قدم يخطوها سبع مائة حسنة من حسنات الحرم قيل وما حسنات الحرم قال الحسنة
بمائة الف وافضل ما مشى فيه من المناسك من مسجد ابرهيم عليه السلام الى الموقف ومن الموقف
الى المزدلفة في الافاضة ومن المشعر الحرام غداة يوم النحر الى منا وفي ايام رميه الجمار وصوم
يوم عرفة فيه فضل ان قوي عليه وعلى الدعاء والتلبية ولم يقطع الصوم عن ذلك فان
اضعفه فالفطر افضل ولم يصمه رسول الله عليه السلام ولا ابو بكر ولا عمر وصام عثمان رضي الله عنه
وليعتبر في طريقه وسيره بالايات وما يرى من الحكمة والقدرة من تصريف الخلق وما يحدث الله
في كل وقت فيكون له في كل شيء عبرة ومن كل شيء موعظة فانها على مثال طريق الاخرة وسئل
الحسن ما علامة حج المبرور فقال ان يرجع العبد زاهدا في الدنيا راغبا في الاخرة وقيل كف
الاذى واحتمال الاذى وحسن الصحبة وبذل الزاد وقيل ان علامة قبول الحج ترك ما كان
عليه من المعاصي والاستبدال باخوانه البطالين اخوانا صالحين وبمجالس اللهو والغفلة مجالس
الذكر واليقظة فمن وفق بما ذكرناه فهو علامة قبول حجه ودليل نظر الله اليه في قصده للعمل
ومن اصيب بمصيبة في نفسه او ماله فهو من دلايل قبول حجه فان المصيبة في طريق
الحج تعدل النفقة في سبيل الله الدرهم بسبع مائة وليكثر الطواف بالبيت فانه يقال ليس
على وجه الارض اليوم عمل افضل من الطواف فانه يستوعب بطواف اسبوع مائة وعشرين
رحمة تكون بكل رحمة ما شاء الله والله يختص برحمته من يشاء واقل ما له بكل رحمة عشر
حسنات وفي الخبر من طاف البيت اسبوعا حافيا حاسرا كان له كعتق رقبة ومن طاف
اسبوعا في المطر غفر له ما سلف من ذنوبه وعن ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل على



هذا البيت في كل يوم مائة وعشرون رحمة ستون للطايفين واربعون للمصلين
وعشرون للناظرين ويقال ان السيئات تضاعف كالحسنات وان السيئات التي
تكسب هنالك لا تكون الا هنالك واجمال البركلها تضاعف بكل الحسنة بمائة الف حسنة
على مثال الصلوة في المسجد الحرام روى ذلك عن ابن عباس وانس وعن الحسن البصري
ان صوم يوم بمائة الف يوم وصدقة درهم بمائة الف درهم ذكر فضايل الحاجين عن رسول
الله عليه السلام من حج هذا البيت ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه
وفي حديث آخر من خرج في بيته حاجا او معتمرا فمات اجري اجر الحاج والمعتمر الى
يوم القيمة ومن مات في احد الحرمين لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة
وفي الحديث الحاج والعمار وفد الله وزواره ان سئلوه اعطاهم وان استغفروا
غفر لهم وان دعوا استجيب لهم وان شفعوا شفعوا وذكر بعضهم ان ابليس ظهر له
في صورة شخص بعرفة فاذا هو ناحل الجسم مصفر اللون باكى العين مقصوف الظهر
فقال له يا الذي ابكى عينك قال خروج الحاج اليه بلا تجارة اقول قد قصدوه اخاف
ان يخيبهم فيحزنني ذلك قال فما الذي انحل جسمك قال صهيل الخيل في سبيل الله ولو
كان في سبيلي كان احب الي قال فما الذي غير لونك قال تعاون الجماعة
على الطاعة ولو تعاونوا على المعصية كان احب الي قال فما الذي قصف ظهرك قال
قول العبد اسالك حسن الخاتمة اقول يا ويلتي متى يعجب هذا بعمله اخاف ان
يكون قد فطن وفي الحديث اعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن ان الله تعالى
لم يغفر له ولقى رجل ابن المبارك وقد افاض من عرفة فقال من اعظم الناس جرما
يا ابا عبد الرحمن في هذا الموقف فقال من قال ان الله لم يغفر لهؤلاء ويقال ان من الذ
ذنوبا لا يكفر الا الوقوف بعرفة وقد رفعه جعفر بن محمد مسندا ويقال ان الله تعالى
اذا غفر لعبد ذنبا في الموقف غفره لكل من اصابه في ذلك الموقف وزعم بعضهم اذا
وافق يوم عرفة يوم جمعة غفر لكل اهل الموقف وهو افضل يوم في الدنيا و
وفيه حج رسول الله عليه السلام حجة الوداع وفيه نزلت الاية اليوم اكملت لكم
دينكم وهو صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة وقال علماء اهل الكتاب لو انزلت علينا
هذه الاية لجعلنا يومها عيدا فقال عمر بن الخطاب اشهد فقد انزلت في يوم
عيدين اثنين يوم عرفة ويوم جمعة على رسول صلى الله عليه وسلم وقال الحسن رضي الله عنه
من مات بعقب شهر رمضان او بعقب غزوا وبعقب حج مات شهيدا ومن سنة
السلف ان يشيعوا الغزاة وان يستقبلوا الحاج ويقبلوا بين اعينهم ويسألوهم
الدعاء وعن مجاهد ان الحجاج اذا قدموا مكة تلقتهم الملائكة فسلموا على ركاب
الابل وصافحوا ركبان الحمار واعتنقوا المشاة اعتناقا وفي الخبر اللهم اغفر
للحاج ولمن استغفر له الحاج وحدثونا عن علي بن الموفق قال حججت سنة فلما كان ليلة



ليلة عرفة بتُّ بمنا في مسجد الخيف فرايت في المنام كان ملكين قد نزلا من السماء عليهما ثياب
خضر فنادى احدهما صاحبه يا عبد الله فقال الاخر لبيك يا عبد الله قال تدري كم حج بيت
ربنا في هذه السنة قال لا ادري قال ستمائة الف فتدري كم قبل منهم قال لا قال قبل منهم
ستة انفس ثم ارتفعا في الهواء فانتبهت فزعا واغتممت غما شديدا واهمني امري فقلت اذا قبل
حج ستة فاين اكون انا في ستة انفس فلما افضت من عرفة وبت عند المشعر جعلت افكر في
كثرة الخلق وفي قلة من قبل منهم فحلني النوم فاذا الشخصان قد نزلا على هيئتهما فنادى احدهما
صاحبه يا عبد الله قال لبيك قال تدري كم حج بيت ربنا قال نعم ستمائة الف قال فتدري كم
قبل منهم قال نعم ستة انفس قال افتدري ماذا حكم ربنا في هذه الليلة قال لا قال فانه وهب
لكل واحد من الستة مائة الف فانتبهت وبي من السرور ما يجل عن الوصف ذكر في هذه القصة
ستة ولم يذكر السابع وهؤلاء هم الابدال السبعة اوتاد الارض المنظور اليهم كفاحا ثم ينظر
الى قلوب الاولياء من وراء قلوبهم فانوار هؤلاء عن نور الجلول وانوار الاولياء من انوارهم
وانصبتهم وعلومهم من انصبة هؤلاء وعلومهم فلم يذكر السابع وهو قطب الارض والابدال
كلهم في ميزانه ويقال انه هو الذي يضاهي الخضر من هذه الامة في الحال ويجاريه في العلم
وانهما يتفاوضان العلم ويجد احدهما المزيد من الاخر فانما لم يذكره والله اعلم لانه وهب له
من مات ولم يحج من هذه الامة لانه اوسع جاها من جميعهم واعلى شفاعة وكلهم في ميزانه
وقد روينا عن علي بن الموفق ايضا قال حججت سنة فلما قضيت مناسكي تفكرت فيمن لا يتقبل
حجة فقلت اللهم اني وهبت حجتي هذه وجعلت ثوابها لمن لم تتقبل حجة قال فرايت رب
رب العزة سبحانه وتعالى في النوم فقال لي يا علي تتسخى علي وانا خلقت السخاء وخلقت
الاسخياء انا اجود الاجودين واكرم الاكرمين واحق بالجود والكرم من العالمين فقد وهبت
كل من لم اقبل حجه لمن قبلته وكان ابن الموفق هذا قد حج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
حججا قال فرايت النبي عليه السلام في المنام فقال لي يا ابن موفق حججت عني قلت نعم يا رسول
الله قال ولبيت عني قلت نعم فقال هذه يد لك عندي اكافيك بها يوم القيمة اخذ بيدك
من الموقف فادخلك الجنة والخلايق في كرب الحساب ذكر فضايل البيت ومن المقام بمكة
في الخبر ان الله تعالى وعد هذا البيت ان يحجه في كل سنة ستمائة الف فان نقصوا اكملهم الله
من الملائكة وان الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة وكل من حجها متعلق باذيالها يسعون
حولها حتى تدخل الجنة فيدخلون معها وفيه ايضا ان الحجر ياقوتة من يواقيت الجنة و
وانه يبعث يوم القيمة له عينان ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق وصدق وكان
رسول الله يقبله كثيرا وروي انه عليه السلام سجد وقبله عمر رضي الله عنه ثم قال انك حجر لا تضر
ولا تنفع ولولا اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم بكا حتى علا نشيجه فالتفت
الى ورائه فاذا علي رض فقال يا ابا الحسن ههنا تسكب العبرات فقال علي رض يا امير المؤمنين
بل هو يضر وينفع قال وكيف قال ان الله لما اخذ الميثاق على الذرية كتب عليهم كتابا ثم القمه

هذا

هذا الحجر فهو يشهد للمؤمن بالوفاء ويشهد على الكافر بالجحود فذلك هو معنى قول الناس
عند الاستلام اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفا بعهدك يعنون هذا الكتاب
والعهد وفي الاثر ان الله تعالى ينظر في كل ليلة الى اهل الارض فاول من ينظر اليه اهل الحرم
واول من ينظر اليه من اهل الحرم اهل المسجد الحرام فمن راه طايفا غفر له ومن راه مصليا
غفر له ومن راه نايما مستقبل القبلة وكنت بمكة سنة فاهمني الغلاء حتى ضاق صدري ب
فرايت في النوم شخصين يقول احدهما للاخر كل شي في هذا البلد عزيز كانه يعني الغلاء
وقال الاخر الموضع عزيز وكل شي فيه عزيز فان اردت ان ترخص الاشياء عليك فرخصها
الى الموضع حتى ترخص وكان بعض السلف يكره المجاورة بمكة ويحب قصد البيت للحج والخروج ج
منه اما لاجل الشوق اليه او خشية الخطايا فيه او حبا للعود وقال الله تعالى واذ جعلنا
البيت مثابة للناس اي يثوبون اليه يعودون مرة بعد اخرى وقال بعضهم تكون
في بلدك وقلبك مشتاق متعلق بهذا البيت خير لك من ان تكون فيه وانت متبرم بمقامك
وقلبك متعلق الى بلد غيره وكان عمر يضرب الحاج اذا حجوا ويقول يا اهل اليمن يمنكم و
يا اهل الشام شامكم ويا اهل العراق عراقكم وقال بعضهم كم من رجل بارض خراسان اقرب
الى هذا البيت ممن يطوف به ويقال ان لله تعالى عبادا تطوف بهم الكعبة تقربا الى الله تعالى
وحدثني شيخ لنا عن ابي علي الكرماني شيخنا بمكة وكان من الابدال الا اني ما سمعت هذه
الحكاية منه قال سمعته يقول رايت الكعبة ذات ليلة تطوف بشخص من المومنين واكثر
الابدال في ارض الهند والزنج وبلاد الكفر ويقال لا تغرب الشمس من يوم الا يطوف
بهذا البيت رجل من الابدال ولا يطلع الفجر من ليلة الا طاف به واحد من الاوتاد واذا
انقطع ذلك كان سبب رفعه من الارض فيصبح الناس وقد رفعت الكعبة لا يرون لها
اثرا وهذا اذا اتى عليها سبع سنين لم يحجها احد ثم يرفع القران من المصاحف فيصبح
الناس فاذا الورق ابيض يلوح ليس فيه حرف ثم ينسخ القران من القلوب فلا يذكر
منه كلمة ثم يرجع الناس الى الاشعار والاغاني واخبار الجاهلية ثم يخرج الدجال وينزل
عيسى عليه السلام فيقتله والساعة عند ذلك بمنزلة الحامل المقرب يتوقع ولادها عن
وهب بن الورد قال كنت ذات ليلة اصلي في الحجر فسمعت كلاما بين الكعبة والاستار
يقول الى الله تعالى اشكو ثم اليك يا جبريل ما القى من الطايفين حولي من تفكههم في الحديث
ولغوهم ولهوهم لئن لم ينتهوا عن ذلك لانتفضن انتفاضة ترجع كل حجر مني الى الجبل الذي
قطع منه وفي الخبر لا يقوم الساعة حتى يرفع الركن والمقام وروي ان الحبش يغزون ون
الكعبة فيكون الكعبة فيكون اولهم عند الحجر الاسود واخرهم على ساحل البحر بجده
فينقضونها حجرا حجرا ثانيا بعضهم بعضا حتى يرمونها في البحر وعن بعض الصحابة وقراة
الكتب السالفة كاني انظر اليه حبشيا اصلع اجدع عليها يعني الكعبة يهدمها بمعوله حجرا حجرا
وفي الخبر استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل ان يرفع فقد هدم مرتين ويرفع في الثالثة ودفعه

الذي

ان اخرب

ذكرنا يكون لبعد هدمه وفي حديث ابي رافع عن علي عن النبي عليه السلام يقول الله اذا اردت
الدنيا بدات ببيتي فخربته ثم اخرب الدنيا على اثره وليس بعد مكة مكان افضل من مدينة
الرسول عليه السلام والاعمال فيها مضاعفة وروي عنه عليه السلام في مسجدي هذا خير من الف صلوة
فيما سواه الا المسجد الحرام وبعد ذلك الارض المقدسة عن ابن عباس عن النبي عليه السلام
بعشرة الاف صلوة وصلوة في المسجد الاقصى بالف صلوة وصلوة في المسجد الحرام بمائة الف
صلوة ثم يستوي الارض بعد ذلك فلو يبقى مندوب اليه كما جاء في الخبر لا تشد الرحال الا الى
ثلث مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى وبعد ذلك فاي موضع صلح فيه قلبك وسلم
لك دينك واستقام فيه حالك فهو افضل المواضع لك وفي الخبر البلاد بلاد الله والخلق
عباده فاي موضع رايت فيه رفقا فاقم واحمد الله وفي الخبر من جعلت معيشته في شيء
فلو ينتقل عنه حتى يتغير عنه وقد كان الفقراء والمريدون يقصدون الامصار للقاء العلماء
والصالحين للنظر اليهم والتبرك والتادب بهم وكان العلماء ينتقلون في البلاد ليعلموا
ويردوا الخلق الى الله ويعرفون الطريق اليه فاذا فقد العالمون وعدم المريدون فالزم
موضعا ترى فيه ادنى سلامة دين واقرب صلوح قلب وايسر سكون نفس ولا تقنع ع
الى غيره فانك لا تامن ان يقع في فتنته ويطلب المكان الاول فلو يقدر عليه والله
غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون سئل عن محمد السهيل رحمه الله اي الناس خير فقال السلطان
قيل كنا نرى ان شر الناس السلطان فقال مهلا ان لله في كل يوم نظرتين نظرة الى سلامة
اموال المسلمين ونظرة الى سلامة ابكارهم فيطلع في صحيفته فيغفر له جميع ذنوبه وقال
ايضا رحمه الله الخليفة اذا كان غير صالح فهو من الابدال واذا كان صالحا فهو القطب الذي
تدور عليه الدنيا قوله من الابدال يعني ابدال الملوك كما حدثنا عن جعفر الصادق انه قال
ابدال الدنيا سبعة بمقاديرهم يكون الناس في كل زمان من العلماء والعباد والتجار و
الخليفة والوزير وامير الجيش وصاحب الشرطة والقاضي وشاهداه وقال عمرو بن العاص
سبع حطوم خير من سلطان ظلوم وسلطان ظلوم خير من فتنة تدوم ويقال ان الامام
العادل يوضع في ميزانه جميع اعمال رعيته وفي الخبر عدل يوم واحد من امام عادل افضل
من عبادة ستين سنة وقال عليه السلام سيكون عليكم امراء يفسدون وما يصلح الله بهم اكثر
فان احسنوا فلهم الاجر وعليكم الشكر وان اساؤا فعليهم الوزر وعليكم الصبر وفي الخبر يليكم
امراء يقولون ما لا يعرفون ويفعلون ما تنكرون وفي لفظ اخر يفعلون ما يؤمرون قلنا افلا
نقاتلهم قال لا ما صلوا وفي لفظ ما اقاموا الصلوة وقال سهل من انكر امامة السلطان فهو
زنديق ومن دعاه السلطان فلم يجب فهو مبتدع ومن اتاه من غير دعوة فهو جاهل وقال
السود المعلقة على ابوابهم انفع للمسلمين من سبعين قاصا يقصون في المسجد وقال احمد بن حنبل
اذا كان السلطان صالحا فهو خير من صالحي الامة واذا كان فاسقا فصالحوا الامة خير منه و
قول على ذكر اتصال الايمان بالاسلام في المعنى والحكم وافتراقهما في الاسم قيل الايمان هو الاسلام وهنا

تد



قد اذهب التفاوت والمقامات وهذا يقرب من مذهب المرجئة وقيل الاسلام غير الايمان
وهو كلاء اذ لا تخلو التضاد والمقابل وهذا اقرب من قول الاباضية فهذه مسئلة مشكلة
يحتاج الى شرح فاعلم ان مثل الاسلام من الايمان كمثل الشهادتين احديهما من الاخرى
في المعنى والحكم فشهادة الرسول غير شهادة التوحيد فهما شيئان في الاعيان الاان
احديهما مرتبطة بالاخرى في المعنى والحكم فهما كشيء واحد كذلك الايمان والاسلام
احدهما مرتبط بالاخر فهما كشيء واحد لا ايمان لمن لا اسلام له ولا اسلام لمن
لا ايمان له اذ لا تخلو المسلم من ايمان به يصح اسلامه ولا بد للمؤمن من اسلام
به يحق ايمانه من حيث اشترط الله للاعمال الصالحة الايمان واشترط للايمان
الاعمال الصالحة فقال في تحقيق ذلك ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا
كفران لسعيه وقال في تحقيق الايمان بالعمل ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات
فاولئك لهم الدرجات العلى فمن كان ظاهره اعمال الاسلام ولا يرجع الى عقود
الايمان بالغيب فهو منافق نفاقا ينقل عن الملة ومن كان عقده الايمان بالغيب
لا يعمل باحكام الايمان وشرايع الاسلام فهو كافر كفرا لا يثبت معه توحيده ومن
كان مؤمنا بالغيب مما اخبرت به الرسل عن الله عاملا بما امن به فهو مؤمن مسلم ولو
لا انه كذلك لكان المؤمن يجوز ان لا يسمى مسلما ولجاز ان لا يسمى مؤمنا وقد اجمع
اهل القبلة ان كل مؤمن مسلم وكل مسلم مؤمن بالله تعالى ورسله وكتبه ومثل الايمان
من الاعمال كمثل القلب من الجسم لا ينفك احدهما من الاخر لا يكون ذو جسم حي لا
لا قلب له ولا ذو قلب لا بغير جسم فهما شيئان منفردان وفي الحكم والمعنى متصلان ومثل
الايمان من الاسلام ايضا كمثل حبة لها ظاهر وباطن وهي واحدة لا يقال
حبتان لتقارب وصفيهما وكذلك الاسلام هو ظاهر الايمان فالاسلام اعمال الجوارح والايمان
باطن الاسلام وهو اعمال القلوب عن النبي عليه السلام الاسلام علانية والايمان سر وفي لفظ
والايمان في القلب فالاسلام اعمال الايمان والايمان عقود الاسلام فلا ايمان الا بعمل
ولا عمل الا بعقد ومثله قوله رسول الله عليه السلام انما الاعمال بالنيات اي لا عمل الا بعقد
وقصد لان قوله انما تحقيق للشيء ونفي لما سواه ومثل ذلك مثل علم الظاهر والباطن
احدهما مرتبط بصاحبه ومثل العمل من الايمان كمثل الشفتين من اللسان لا يصح الكلام
الا بهما لان الشفتين تجمع الحروف واللسان يظهر وفي سقوط احدهما بطلان
الكلام كذلك في سقوط العمل ذهاب الايمان ولذلك عدد الله في نعمته على الانسان
بالكلام ذكر الشفتين مع اللسان في قوله الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين المعنى
نجعل ناظرا متكلما وقد عبر الله عن الايمان بالاسلام فلولا انهما كشيء واحد ما عبر
احدهما بالاخر فقال فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين
ولم يكونا بيتين انما هم اهل بيت واحد لوط وبناته وقال تعالى في مثله ان كنتم آمنتم

لا ايمان

بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين



فعطف قوله ان كنتم مسلمين على قوله ان كنتم آمنتم فدل على انهما اسمان بمعنى واحد واما قوله تعالى
قالت الاعراب امنا قل لم تومنوا ولكن قولوا اسلمنا معناه قولوا استسلمنا حذر القتل وأما الحديث
الآخر ان النبي عليه السلام فرق بين المسلم والمؤمن في انه اعطا رجلا عطاء ولم يعط الآخر فقال له سعد
يا رسول الله تركت فلانا لم تعطه وهو مؤمن فقال او مسلم فاعاد عليه فاعاد رسول الله صلى الله عليه
او مسلم فانما في هذا دليل على تفرقة الايمان والاسلام في التفاضل والمقامات اذ ليس من خصوص
المؤمنين ولا افاضلهم وانما من عموم المسلمين فكشف مقامه الذي خفي على سعد لما توهم انه من
افاضل المؤمنين فهذا دليلنا في تفضيل مقام الايمان على مقام الاسلام وان المؤمنين متفاضلون
في الايمان وان تساووا في اعمال الجوارح من الاسلام وليس فيه دليل على الايمان غير الاسلام
والوجه الثاني من تاويل الخبر ان معنى قوله او مسلم يعني برا ومستسلم حذر القتل فاثر رسول الله
صلى الله عليه وسلم الذي امن طوعا على المكره فهذا مثل قوله تعالى في حق فرعون حين الجمه الغرق فاضطره
الى الاستسلام للمقدرة امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين اجمع
اهل التفسير ان معناه من المستسلمين فاما ما روي عن ابي جعفر محمد بن علي الايمان مقصور
في الاسلام فمعناه هو في باطنه قال وادار دارة كبيرة فقال هذا الاسلام ثم ادار في وسطها
دارة صغيرة فقال وهذا الايمان في الاسلام فاذا فعل وفعل خرج من الايمان وصار
في الاسلام يريد انه خرج من حقيقة الايمان وكماله ولم يكن من الموصوفين الممدوحين
بالخوف والورع من المؤمنين لا انه خرج من الاسم والمعنى حتى لا يكون مؤمنا بالله تعالى الا ترى
ان الدارة الصغيرة غير خارجة من الدارة الكبيرة لكنها خالصها ولبها ولو كان اراد انه يخرج
من الايمان اصلا لجعلها دارتين منفردتين ولم يجعل احديهما جوف الاخرى وكذلك جاء
في الخبر لا يزني الزاني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر وهو مؤمن معناه كامل الايمان او مؤمن حقا
لان حقيقة الايمان وكماله بالخوف والورع اذ الامة مجتمعة ان اهل الكباير ليسوا بكافرين
واذا فسق بالزنا او بشرب الخمر خرج من حقيقة الايمان وهو الخوف والورع ولم يخرج من
اسمه ومعناه وهو التصديق والتزام الشريعة وفيه معنى لطيف كما يرفع عنه ايمان الحياء
لانه عليه السلام قال الحياء من الايمان والمستحيي لا يكشف عورته على حرام ويبقى ايمان الاسلام
والتوحيد وايجاب الاحكام وقد روينا عن الحسن بيان ذلك انه قال الايمان حقيقة
الاسلام وقيل لحذيفة من المنافق فقال الذي يتكلم بالاسلام ولا يعمل به فسمى علم الايمان
اسلاما وقرن القول بالعمل وما ذكر من ان الاسلام والايمان قرينان لا يفترقان هو مذهب
فقهاء اصحاب الحديث وطريقة ائمة السلف واما ما حكي عن بعض اصحاب الحديث انه فرق
بين الايمان والاسلام فقال الزهري الاسلام الكلمة والايمان العمل وقال عبد الرحمن بن مهدي
ها شان وقال حماد بن زيد الاسلام عام والايمان خاص فان قول هؤلاء على جملة قولنا وهو
دليل له وشاهد عليه وانهم لم يفرقوا بين الايمان والاسلام تفرقوا اختلاف ولا اضداد ولم يريدوا
ان احدهما يوجد ويصح دون الآخر ليوطئوا المذهب المرجئة لانهم ابعد شيء منهم اذ هم اصحاب اثر

هو توفيق



وتوفيق وانما فرقوا بينهما لتزيين تفاوت وتخصيص اي انما الايمان اخص واعلى لان الزيادة
والنقصان فيه والفضايل والعلما ملوت عنه والاستثناء واجب فيه وان الاسلام عام
لا يخرج منه الا الكافرون اذ ليس وراه شئ وعند جماعة من العلماء ان الاستثناء غير واجب في
الاسلام لانه محدود معلوم فهذا كان قصد من فرق بين الايمان والاسلام وهو طريقة بعض
السلف وجميع ما ذكرناه يبطل قول المرجيه في ان الايمان قول او معرفة وعقد بلا عمل وقول
المعتزله بالمعتزلة بين المنزلتين قولهم مومن وفاسق وكافر فلا يجعلون الفاسق مومنا وقول
الجهمية والحرورية ان من اتى كبيرة خرج من الايمان واهل الكباير كفار يحل قتلهم وان اهل
البغي من الائمة كفرة يجب قتالهم وقال المرجية ان الموحدين لا يدخل النار فان عملوا بالكباير
لان ذلك لا ينقص ايمانهم وقال المعتزلة ان الفاسق ليس بمومن وان مات على صغيرة من غير توبة
دخل النار فلم يخرج منها خالدا مع الكفار والصواب من ذلك ان الفاسق مومن لا يخرج فسقه
من اسم الايمان وحكمه ولكن لا يدخله في المومنين حقا وان اهل الكباير قد استوجب الوعيد
ودخول النار وجائز ان يعفو الله عنهم بكرمه ويسمح لهم بجوده ذكر الاستثناء في الايمان الاستثناء
سنة ماضية وفعل الايمة الراضية على معنى الخوف والتقصير وكراهة التزكية للنفس درجات
لا على وجه الارتياب في اليقين ولا بمعنى الشك في التصديق اذ الايمان مقامات والمومنون فيه
درجات ولذلك قال الله تعالى القوم موصوفين باعيانهم اولئك هم المومنون حقا فهذا وصفهم بالكمال
ومدحهم بخالص الاعمال فيخرج ليل خطابه ان ثم مومنين غير حق كيف وقد قال وان فريقا من المومنين
لكارهون يجادلونك في الحق بعدما تبين وقال في وصف اخرين يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا
تفعلون وقال في نعت الصادقين انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا
وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون فشتان بين من وصف
بالمجاهدة والصدق وبين من نعت بالخلق وعد المقت وبين من وصف بالحق وبين من
يجادل في الحق واسم الايمان يجمعهم ومعناه يشتمل عليهم الا ان مقامات الايمان ترفع بعضهم
على بعض وتفاوت بين بعضهم وبعض كما قال الله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا
العلم درجات وكقوله تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة
من الذين انفقوا من بعد الفتح وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى يعني الجنة على تفاوت الدرجات
فيها تجمع بينهم في الدار كما جمع بينهم في اسم الايمان وقال عليه السلام الايمان عريان ولباسه التقوى
وحليته الورع وثمرته العلم فان اتفق فاسق ظالم جاهل كان بالمنافقين اشبه منه بالمومنين
وكان ايمانه الى النفاق اقرب ويقينه الى الشك اميل ولم يخرجه من اسم الايمان الا ان ايمانه
عريان لا لبس له وعطل لا كسب له كما قال او كسبت في ايمانها خيرا والنفاق مقامات قيل سبعون
بابا والشرك مثل ذلك وفي الخبر الايمان بضع وسبعون شعبة اعلوها شهادة ان لا اله الا الله
وادناها اماطة الاذى عن الطريق فهي تبعيض خلوق الايمان ووجود دقائق الشرك وشعب النفاق
ما يوجب الاستثناء وكمال الايمان لجواز الايمان والنفاق في القلب ولوجود شعب النفاق وعدم

مطلب الاستثناء في الايمان

وعدم بعض شعب الايمان من القلب كيف وقد جاء في الخبر اكثر منافقي امتي قراؤها والحديث
الاخر الشرك اخفى في امتي من دبيب النمل على الصفا وامثال ذلك كثيرة فهذا كله موجب الاستثناء
في الايمان خشية خفايا الشرك ووجود دقايق النفاق وخوفا من الدعوي للحقيقة والكمال
والكمال لان من قال اني مومن حقا فقد زكى نفسه وعصى ربه لان الله تعالى نهى عن التزكية
لنفسه وعرض المزكي نفسه للكذب في قوله تعالى فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى فقال الم تر
الى الذين يزكون انفسهم بل الله يزكي من يشاء ثم قال انظر كيف يفترون على الله الكذب
وقال ابرهيم عليه السلام في تفسير احد الوجهين من قوله تعالى ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء
ربي وشيئا قال شعيب عليه السلام وما يكون لنا ان نعود فيها يعني ملة الكفر الا ان يشاء الله ربنا
ثم علل وسع ربنا كل شيء علما بسعة العلم وسبق خفي المشية به فلم يامنا ان يكون في سعة علم الله وخفي مشية
ضد ما ظهر لهما من حكمته فيد ركهما ما سبق في علمه لقصور علمهما عن علمه ولانه لا مشية لهما
دون مشيته وهذا هو خوف المكر وحقيقة معنيان احدهما ان يظهر شيا ويخفي ضده والثاني
ان يكشف ما ستره ويفشي ما كان اسره بعد الطمانينة والعزة والانبياء عليهم السلام مع فضلهم
فكانهم يستثنون في الكفر خيفة المكر اولا يستثني الضعيف الجاهل في الايمان ولا يغتر بظاهر
امره بل ينبغي ان يستثني في الاسلام ايضا فجميع اعمال البر لان المقبول غير العمل والسابقة
غير ما ظهر من المعاملة ولا ينبغي ان يدع الاستثناء في شيء من الاحوال وكان ابو الدرداء
يحلف بالله ما احد امن ان يسلب ايمانه الا سلبه وقال بعض السلف انما يوزن من الاعمال
خواتيمها ويقال من الذنوب ذنوب توخر عقوبتها الى سوء الخاتمة وهذا من اخوف ما خافه
العاملون مع قوله تعالى ولهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون وقيل من الذنوب ذنوب
لا عقوبة لها الا سلب التوحيد في آخر نفس قيل وهذا يكون عقوبة الدعوي للولايات والكرامات
بالافتراء على الله تعالى وقد نهى الله ورسوله ان يقول لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله
ثم قال واذكر ربك اذا نسيت الاستثناء اي فاستثن اذا ذكرت فتادب عليه السلام بذلك
احسن الادب فكان يستثني في الشيء يقع لا محالة فروي انه دخل المقابر فقال السلام عليكم
اهل دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون وقال تعالى معلما لعباده الاستثناء
وهو اعلم العالمين لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين والاصل في ذلك ان الايمان
ينقص ويزيد فاما زيادته فقد ثبت بنص الكتاب من قوله تعالى ويزيد الله الذين اهتدوا
هدى ومن قوله فزادتهم ايمانا الى نظايرها وما يزيد فهو ينقص لان معناه موجود في الكتاب
بدليل الخطاب من قوله ولا يزيد الظالمين الا خسارا فاذا ثبت ان الايمان يزيد بالصالحات
وينقص بالسيئات وجب الاستثناء فيه لان الصالحات درجات يعلو فيها المومنون بحسن
الولايات في المجاهدات فقال تعالى ولكل درجات مما عملوا وفي حديث واثلة بن اسقع
الايمان يزيد وينقص وروي ذلك عن جماعة من الصحابة وقيل لاحمد بن حنبل رضي الله
ما معنى الاستثناء في الايمان قال اليس الايمان قولا وعملا قيل نعم قال فالتصديق بالقول



والاستثناء



والاستثناء في العمل وقال بعض العلماء اقربا الناس من النفاق ما يري انه بريء منه
وقال مرة امنهم وقال عمر رضي الله اقرب الناس من النفاق الذي اذا زكى بما فيه ليس فيه ارتاح ح
لذلك قلبه وابعد الناس منه من يتخوف ان لا يخيه حقيقة ما هو فيه وقال البشر سكون
القلب الى قبول المدح اضر عليه من المعاصي وقال سهل غفلة العالم السكون الى الشيء
وغفلة الجاهل الافتخار بالشيء وقيل للحسين رضي الله ان قوما يقولون لا نفاق اليوم فقال
يا ابن اخي لو هلك المنافقون لا استوحشتم في الطرقات وقال رسول الله عليه السلام من
كان ذا اللسانين في الدنيا جعل الله له لسانين من نار في الاخرة وفي خبر آخر شر الناس ذو الو جهين
الذي ياتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وقال رجل لحذيفة اني اخاف ان اكون منافقا
قال لو كنت منافقا ما خفت ان تكون منافقا ان المنافق قد امن النفاق على ضربين
نفاق ينقل عن الملة وهو الشك في الدين الله والرد لشرع رسول الله ونفاق لا ينقل
عن الملة ولا يخرج الاسلام ولكنه ينقص الايمان ويذهب حقيقته ويطفىء انواره
ويحرم مزيده ويحبط الاعمال ويوجب المقت والاعراض وهو ~~الاعراض~~ الرياء والمداهنة
والتصنع للخلق والتزين بالحق واختلاف الالسنة واختلاف القلوب وتفاوت القول رضي الله عنه
والعمل وهذا المعنى من النفاق الذي خافه السلف وكانوا منه على اشفاق وقيل للحسن
امؤمن انت فقال ان شاء الله فقيل تستثني يا ابا سعيد في الايمان فقال اخاف ان اقول
نعم فيقول الله تعالى كذبت يا حسن فتحق على الكلمة ويقول بعضهم اذا قيل لك امؤمن انت
فقل امنت بالله وكتبه ورسله وسئل علقمة امؤمن انت قال ارجو ذلك ان شاء الله
وقال الثوري ~~انت فقل امنت~~ نحن مؤمنون بالله وما ندري عند الله وقال بعضهم انا موقن
بالايمان غير شاك فيه ولا ادري انا ممن قال الله اولئك هم المؤمنون حقا ام لا وفي الخبر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان جالسا في جماعة من اصحابه فذكروا رجلا ومدحوه واحسنوا الثناء عليه
فبينا هم كذلك اذ طلع عليهم الرجل يقطر وجهه ماء من اثر الوضوء قد علق نعليه بيده بين
عينيه اثر السجود فقالوا يا رسول الله هذا هو الرجل الذي وصفناه لك آنفا فلما نظر اليه
رسول الله عليه السلام قال ارى على وجهه سفعة من الشيطان يعني ظلمة فجاء الرجل حتى
سلم على رسول الله عليه السلام وجلس مع القوم فقال له النبي عليه السلام نشدتك الله هل حدثت
نفسك حين اشرفت على القوم انه ليس فيهم خير منك قال اللهم نعم وفي الحديث من قال
انا مؤمن ~~فهو~~ ~~كافر~~ فهو كافر ومن قال اني عالم فهو جاهل ومن قال اني في الجنة
فهو في النار وعلم رسول الله عليه السلام ابا بكر الصديق دعاء قال فيه اللهم اعوذ بك ان
اشرك وانا اعلم واستغفرك لما لا اعلم فاذا قاله النبي عليه السلام قيل له اتخاف يا رسول الله قال
قال وما يؤمنني والقلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وقد قال
الله تعالى وبدا لهم سيئات من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل عملوا اعمالا ظنوا انها حسنات
فلما كان عند الحساب والميزان وجدوها سيئات والاستثناء في الايمان من الايمان



والاستثناء في كل شيء من علامة الاولياء والاشفاق من الشرك النفاق هو من مزيد الايمان
لئلا يسكن العبد الى شيء ولا يزكي نفسه بشيء وقال سري رحمه الله لو ان رجلا دخل الى بستان
فيه من جميع الاشجار عليها من جميع الاطيار فخاطبه كل طير منها بلغته فقال السلام عليك
يا ولي الله فسكنت نفسه الى ذلك كان اسيرا في يديها ذكر جمل الشريعة قال تعالى ثم جعلناك
على شريعة من الامر فاتبعها فالشريعة اسم من شريعة الطريق وهو اسم للطريق الواضح
المستقيم الواسع وهو وصف لطريق جامع لجوامع المحاج كلها كانه طريق يستوعب
ويجمع ساير الطرق وللطريق اسماء كثيرة منها الصراط والسبيل والمنهاج والمحجة
والنسك فالشريعة تشتمل على اثنتي عشرة خصالا هي جامعة لاوصاف الايمان اول ذلك
الشهادتان وهي الفطرة والصلوة الخمس وهي الملة والزكوة وهي الطهرة والصيام
وهو الجنة والحج وهو الكمال والجهاد وهو النصر والامر بالمعروف وهو الحجة والنهي عن المنكر
وهو الوقاية والجماعة وهو الالفة والاستقامة وهي العصمة واكل الحلال وهو الورع
والحب والبغض لله وهو الوثيقة يقال ان ابدال كل زمان على قدر زمانهم وفي كل قرن
سابقون ومقربون واكثر ما قيل في القرن مائة سنة واقل ما قيل فيه اربعون سنة واوسط
ذلك واعدله واشبهه بجمل الاخبار ان القرن سبعون سنة وهو قول علي رضي الله عنه لان
راس المائتين تمام ثلثة قرون من المبعث ونحن الان في القرن السادس وهو اول سنة اربعين
وثلثمائة واخره سنة عشر واربع مائة وفي الخبر ان ملك الموت اذا جاء ليقبض روح المؤمنين
قال له ملكاه انظرنا حتى نملو مسامعه من الثناء الحسن فيقولان له جزاك الله عنا
خيرا فانك كنت ما علمنا سريعا في طاعة الله تعالى بطيئا عن معاصيه تحب الخير واهله وتعمل
ما استطعت منه فرب كلام حسن قد اسمعتنا ورب مجلس كريم قد اجلستنا فابشرنا
بالموعد الصدق بيننا وبينك الوقوف بين يدي الله بالشهادة لك عنده غدا ذكر حق المسلم
على المسلم وهو وجوب حرمة الاسلام على المسلمين وذلك عشر خصال مجموعة من سبع
احاديث علي رضي الله عنه للمسلم على المسلم ست خصال واجبة وحديث ابي ايوب الانصاري
حق المسلم على المسلم خصال ست ان ترك منها شيئا ترك حقا واجبا عليه وعن ابن مسعود
وسعد وابي هريرة رضي الله عنهم للمسلم على المسلم اربع خلال واجبات فكانت عشرا فاول ذلك ان يسلم
عليه اذا لقيه ويجيبه اذا دعاه ويشمته اذا عطس ويعوده اذا مرض ويشهد جنازته
اذا مات ويبر قسمه اذا اقسم عليه وينصح له اذا استنصحه ويحفظه بظهر الغيب اذا
اذا غاب عنه ويحب له ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه وعن انس عن النبي عليه السلام
اربع من حق المسلم عليك ان تعين محسنهم وان تستغفر لمذنبهم وان تدعو لمدبرهم
وان تحب تائبهم فهذه الخصال داخلة في تلك الخصال وجامعة لها في معنى النصيحة
لاخيك وفي ان تحب له ما تحب لنفسك تفسير قوله تعالى رحماء بينهم قال يعني متوادين فيما
بينهم يدعو صالحهم لطالحهم وطالحهم لصالحهم اذا نظر الطالح الى الصالح من امة محمد عليه السلام

قال اللهم بارك له فيما قسمت له من الخير وثبته وانفعنا به واذا نظر الصالح الى الطالح
قال اللهم اهده وتب عليه واغفر له فهذه الخصال بعضها اوكد من بعض فاكمل المؤمنين
ايمانا اقومهم بها واسرعهم اليها وقال سهل رح ما اعلم شيئا اشد من حقوق الناس وقال
من كف اذاه عن الخلق مشى على الماء وقال ابو يزيد بغية العقلاء السلامة من الله
ومن اراد السلامة من الله فليسلم الناس منه ومن اراد ان يسلم الناس منه فليبعد
عنهم وانشدت في معناه ا الناس بحر عميق والبعد منهم سلامة وقد نصحتك فانظر
لاتك دكتك ندامة وعن عمر رضي الله عنه لفظة جامعة لحقوق الناس نخوفه منهم اتقوا الله
واتقوا الناس وعن ابن عباس رض اشد منها ولولا مخافة الوسواس لم اجالس الناس
وقال مرة لو خلت بلود الا انيس لها وهل يفسد الناس الا الناس وقال بعضهم كلما كثرت المعارف
كثرت الغوغاء وكلما التصحبة توكدت الحقوق وقال بعضهم من عرف النفس استراح
ومن عرف الناس تعب وقال بشر من عرف الناس استراح وقيل في معنا قوله عليه السلام مداراة
الناس صدقة اي مداراتهم في العلوم ومفارقتهم في العقول وفي احد الوجوه من قوله تعالى
ادفع بالتي هي احسن كمال المدارات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعطي حظه من الرفق اعطي
حظه من خير الدنيا والاخرة ذكر ما في اللحية من المعاصي والبدع في الخبر ان لله ملائكة
يحلفون والذي زين بني آدم باللحى وفي وصف رسول الله عليه السلام انه كان كث اللحية و
وكذلك ابو بكر رضي الله عنه وكان عثمان طويل اللحية دقيقها وكان علي رضي الله عنه عريض اللحية
قد ملات ما بين منكبيه ويقال ان اهل الجنة مرد الا هارون اخا موسى عليه السلام فان له لحية الى
سرته تخصيصا له وتفضيلا وقد روينا من غريب تاويل قوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء قال
اللحى وفيه وجوه كثيرة وقال بعض الاباء في اللحية خصال نافعة منها تعظيم والنظر اليه
بعين العلم والوقار ومنها رفعه في المجالس الاقبال عليه وتقديمه على الجماعة وتقبيلهم
ومنها وقاية للعرض يعني اذا اراد واشتمه عرضوا له بها توفرت عرضه وقال ابو يوسف القاضي
من عظمت لحيته جلت معرفته وفي اللحية من خفايا الهوى ودقايق افات النفوس ومن
البدع المحدثة اثنتا عشرة خصلة بعضها اعظم من بعض وكلها مكروهة فان من ذلك ~~لبس~~ لبس
خضابها بالسواد لاجل الهوى ويقال ان من خضب بالسواد فرعون لعنه الله ومنها تدليس
الشيبة وخضابها بالحمرة والصفرة من غير نية تشبها بالصالحين ومنها تبييضها بالكبريت
وغيره استعجالا لاضها رعلو السن وسير الحداثة ~~تشبها بالصالحين~~ لاجل الرياسة والتعظيم
ومن ذلك نتفها او نتف الشيب ومنها تقصيصها للتزيق والتصنع ولتسريحها لاجل
الناس تصنعا وتركها شعثا متفتلة مغبرة اظهارا للزهد والتهاون بالقيام على النفس
والنظر الى سوادها عجبا وعزة بالشباب وفخرا والنظر الى بياضها تكبرا بكبر السن وتطاولا
على الشبان فتحجبه نظره اليها عن تعلم العلم والسؤال عما يجهله استصغارا لغيره او حياء
من شيبته استنكافا منه فيظن بجهله ان كثرة الايام الذي بيضت شعر لحيته اعطته

خضلو

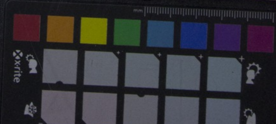


وجعلت فيه علما ولا يعلم ان العقل غرايز فى القلوب وان العلم مواهب من علام الغيوب
ومن كانت غريزته الحمق وطبيعته الجهل كثر حماقته كلما كبر وعظمت جهالته اذا اسن
وهذا كله محدث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حفوا الشوارب واعفوا اللحى اى اجعلوها
حفافى الشفة اى حولها لان حفاف الشئ حوله ومن ذلك قوله تعالى وترى الملائكة حافين
من حول العرش وكان بعض العلماء يكره حلق الشارب وعن مالك ابن انس ان حلق الشارب
مثلة انما هو الاخذ منه حتى يبدو الاطار والاطار حروف الشفة من فوق وفى لفظ
احفوا الشوارب الاحفا هو الاستيصال والاستقصاء وهو ابلغ من قوله حفوا ومن ذلك
قوله تعالى ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا اى يستقصى عليكم وليس احفا مطلقا الا انه
شبيه به وفى رواية خذوا من الشوارب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ياخذ
من شاربه وفى قصوا الشوارب وجزوا الشوارب فهذه الالفاظ الثلثة بمعنى واحد
وهى يقتضى اخذ بعضه وترك البعض ليست كالاحفاء فاما قوله واعفوا اللحى يعنى كثروها
ومن هنا قول الله تعالى حتى عفوا اى كثروا وفى الخبر ان اليهود يعفون شواربهم ويقصون لحاهم
فخالفوهم ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نتف الشيب وقال هو نور المؤمن وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمنين وكانوا يخضبون بالحمرة وبالخلوق والكتم للصفرة
وقال العمرى ابن المغلس السقطى فى اللحية شر كان سرحها لاجل الناس وتركها شعثة لاظهار الزهد عزان
وعن ابن عباس عن النبى عليه السلام يكون فى آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد كحواصل الحمام
لا يريحون رايحة الجنة ان من العلماء من كان ياخذ من لحيته فى المناسك غيرها فان قبض الرجل
على لحيته واخذها تحت القبضة فلا باس قد فعله ابن عمر رضى الله عنه وجماعة من التابعين
واستحسنه الشعبى وابن سيرين وكرهه الحسن وقتادة وتركها عافية على خلقتها احب الى
وفى خبر من سعادة المرء خفة لحيته اى بتلاوة القران وهذا غريب والاول اظهر واشهر وقد كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم الصالحين بعد يسرحون لحاهم لاجل الدين والسنة وتنظفا للطهارة والاستقاط
شوبه ان كان هناك ونزع التفث من القمل وغيره قال بعضهم رايت داود الطائى
متفتل اللحية فقلت يا ابا سليمان لو سرحت لحيتك فقال اذا الفارغ يحسن ذلك منه ومن
امثاله فالصدق حسن لعينه فى كل شئ الا ان رسول الله عليه السلام كان يدهن شعره ويرجله
وامر بذلك فقال ادهنوا غبا وقال من كان له شعرة فليكرمها ودخل عليها رجل ثاير الراس اشعث
اللحية فقال اما كان لهذا دهن يسكن به شعره ثم قال يدخل على احدكم كانه شيطان وفى خبر
غريب كان عليه السلام يسرح لحيته فى كل يوم مرتين وفى الخبر خير شبابكم من تشبه بشيوخكم وشر
شيوخكم من تشبه بشبابكم وفى الحديث ان من اجلال الله تعالى اجلال ذى الشيبة المسلم
والشيوخ كانوا يقدمون الشباب ويرون فضلهم بالعلم والدين تواضعا كان عمر رضى
يقدم ابن عباس وهو حديث السن على اكابر الصحابة ويسأله دونهم وعن ابن عباس
وغيره ما اتى الله عبدا العلم فظ الا شابا وقال الخير كله فى الشباب ثم تلا قوله تعالى

قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابرهيم وقوله فليؤمنوا برابهم وزدناهم هدى وقوله تعالى
واتيناه الحكم صبيا وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في شعرة بيضا وقال ان يحيى بن
اكثم ولي القضاة وسنه احدى وعشرون سنة فقال له رجل ذات يوم في مجلسه
يريان يحشمه بذلك كم سن القاضي ايده الله فقال مثل سن عتاب بن اسيد حيث ولاه
رسول الله عليه السلام امارة مكة وقضاءها وقال بعض العلماء كلما طالت اللحية تشمر
العقل وقال ابو عمرو بن العلا اذا رايته طويل القامة صغير الهامة عريض اللحية فاقض
عليه بالحمق ولو كان امية بن عبد شمس وقال معوية رض تبين حمق الرجل في طول قامته
وعظم لحيته وفي كنيته ونقش خاتمه فقال ابرهيم النخعي عجبت لرجل عاقل طويل اللحية
كيف لا ياخذ من لحيته فيجعلها متوسطا فالتوسط في كل شي حسن كتاب الاخلاص
وشرح النيات قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله وفي الحديث من طريق اهل البيت لا يقبل
قولا الا بعمل ولا قولا ولا عملا الا بنيه وينبغي ان يكون للعبد في كل شي نية حتى في مطعمه
ومشربه وملبسه ونومه ونكاحه فان ذلك كله من اعماله التي يسال عنها فان كانت
لله وفيه كانت في ميزان حسناته وان كانت في سبيل الهوى ولغير المولى كانت في ميزان
سيئاته اذ لكل عبد ما نوى وان لم يكن له نية في الشي فكان ذلك غفلة وسهوا من
غير نية ولا عقد طوية ولا حسبة لم يكن له في ذلك شي ولم يجد عمله في الاخرة شيئا يكان
فيه لا له ولا عليه وكان ذلك في الدنيا على مثال الانعام التي يتصرف عن غير عقول ولا تكليف
ولكن بالالهام والتوفيق فاخاف ان يدخل في وصف من قال تعالى اغفلنا قلبه عن ذكرنا
واتبع هواه وكان امره فرطا اي غفلة وسهوا وقيل تفريطا وتضييعا وقيل تقدما
الى الهلاك فالنية الصالحة هي اول العمل الصالح واول العطاء من الله وهي مكان الجزا
وانما يكون للعبد من ثواب الاعمال على حسب ما يهب الله له من النيات فربما اتفق في
العمل الواحد نيات كثيرة على مقدار ما يحتمل العمل من النية وعلى مقدار علم العامل
فيكون له بكل نية حسنة ثم يضاعف كل حسنة عشر امثالها لانها اعمال تجتمع في عمل
وصورة النية معنيان صحة قصد القلب الى العمل بحسن التيقظ فيه والاخلاص
به لوجه الله تعالى ابتغاء ما عنده من الاجر فكل عمل كان على علم بهذه النية فهو صالح
متقبل بفضل الله وبرحمته لان صاحبه قد انفى الشرك والجهل والهوى فعمله مرفوع
في الخزاين مذخور له به الجزاء وعن سعد بن ابي برده كتب عمر بن الخطاب الى ابي موسى
الاشعري انه من خلصت نيته كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس ومن تزين للناس
بما يعلم الله منه غيره شانه الله تعالى فما ظنك وكتب سالم بن عبد الله الى عمر بن عبد
العزيز اعلم يا عمر ان عون الله العبد بقدر النية فمن تمت نيته تم عون الله اياه
ومن قصرت عنه نيته قصر عنه من عون الله تعالى بقدر ذلك وقال تعالى في تصديق ذلك
ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فجعل سبب التوفيق ارادة الاصلاح فذاك هو اول

وكان امية عاقل

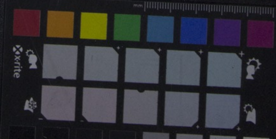
الله



التوفيق من الموفق المصلح للعامل الصالح وقال بعض السلف رأيت الخير انما يجمعه حسن
النية وكفاك به خيراً وان لم تنصب رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره
النية وكتب بعض الاولياء الى اخيه اخلص النية في اعمالك يكفك القليل من العمل وقال
داود الطائي رحمه الله البر همه التقوى ولو تعلقت جميع جوارحه بالدنيا لرده نيته يوما
الى نية صالحة وكذلك الجاهل بالله واياه همه الدنيا والهوى ولو تعلقت جوارحه بكل
اعمال الصالحات لكان مرجوعها الى ارادة الدنيا وموافقة للهوى لان سرها كان همة النفس
لعاجل الدنيا وقال ايوب السختياني تخلص النيات على العمال اشد عليهم من جميع الاعمال
وقال بعضهم اطلب النية قبل العمل وما دمت تنوي الخير فانت بخير وقال زيد بن اسلم
خصلتان هما كمال امرك تصبح لا تهتم لله بمعصية وتمسي ولا تهتم لله بمعصية
وقال بعضهم ان نعمة الله تعالى اكثر من ان تحصوها وان ذنوبكم اخفى من ان تعلموها
ولكن اصبحوا توابين وامسوا توابين يغفر لكم ما بين ذلك وفي الخبر عن بعض المريدين
انه كان يطوف على العلماء يقول من يدلني على عمل لا ازال فيه عاملا لله فاني احب الا
ياتي علي ساعة من ليل او نهار الا وانا عامل من اعمال الله تعالى فقيل له قد وجدت حاجتك
اعمل الخير ما استطعت فاذا فترت او تركته فهم بعمله فان الهام بعمل الخير كعامله وعن
النبي عليه السلام طوبى لعين نامت لا يهتم بمعصية وانتبهت الى غير اثم وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة وفي الخبر المشهور نية المؤمن
خير من عمله فيه عشرة اوجه قيل لان النية سر واعمال السر تضاعف وقيل لانها غيب
لا يطلع عليه غير الله تعالى والظواهر مشتركة وايضا فان الله يهبها للعبد خالصة لا تشوبها
شيء اذا وهبها ولا يدخل عليها الافات فهذا عطاء منها وساير الاعمال مدخولة وايضا لانها من
شرط العمل حتى لا يصح عمل الا بها وهي تصح بمجردها وكان عبد الرحيم بن يحيى الاسود يقول
معنى قوله نية المؤمن خير من عمله يعني اخلاصه في العمل خير من العمل قال الاخلاص بغير عمل
خير من عمل غير مخلص والنية عنده هي نفس الاخلاص وعند غيره هي الصدق في الحال باستواء
السريرة والعلانية وقد قال الجنيد رحمه الله في الفرق بين الاخلاص والصدق معنى لطيفا
لم يفسره يحتاج الى تفسير حدثنا الاشياخ عنه قال شهد جماعة على رجل بشهادة فلم تجزه
وكانوا مخلصين ولو كانوا صادقين لعوقب يعني ان صدقهم ان لا يعملوا عمله او مثل عمله
الذي شهدوا به عليه فهذا اصدق الحال وهو حقيقة النية واخلاصها عند المحققين
وقيل في معنى قوله نية المؤمن خير من عمله لان نيته دائمة ومتصلة والاعمال منقطعة
وبالنية خلد اهل التوحيد في الجنة وخلد اهل الشرك في الدوام نياتهم على التوحيد
والاخرين على الشرك مدة فهذه المعاني كلها على هذا الوجه الذي يقول فيه ان معناه
ان النية خير من العمل وفيه وجه اخر يكون الكلام على التقديم والتاخير اي نية
المؤمن هي من عمله خير كان قال هي بعض اعماله الخير فهذا كقوله ما ننسخ من اية او ننسها

نات

نات بخير منها او مثلها معناه نات منها بخير ففضلت النيّة على العمل لان هذه المعاني كلها صحيحة
وهي من صفاتها وقال بعضهم قلوب الابرار تغلي بالبر وقلوب الفجّار تغلي بالفجور والله مطّلع
على نياتهم فيثيبهم بقدر ذلك فانظر ما همّك وما نيتك وسئل سفيان الثوري رحمه هل يؤجر خذ
العبد بالنيّة قال نعم اذا كانت عزما وفي الخبر ان العبد ليعمل اعمالا حسنة فتصعد بها الملائكة
عليهم السلام في الصحف مختّمة فتلقى بين يدي الله فيقول القوا هذه الصحيفة فانه لم يرد
بذلك وجهي ثم ينادي الملائكة اكتبوا له كذا واكتبوا له كذا فيقولون يا ربّنا انه لم يعمل
شيئا من ذلك فيقال انه نواه وفي حديث ابي كبشة الانماري الناس اربعة رجل اتاه الله
علما ومالا فهو يعمل بعلمه في ماله فيقول رجل لو اتاني الله بما آتاه لعملت كما يعمل فهما في
الاجر سواء ورجل اتاه مالا ولم يوته علما فهو يتخبّط عمله في ماله فيقول رجل لو اتاني الله
مثل ما اتاه لعملت كما يعمل فهما في الوزر سواء الا ترى كيف شركه بحسن النيّة في محاسن عمله
وشرك الاخر سيّء النيّة بنيّته في مساوي عمله وكذلك في حديث انس رض لما خرج رسول
الله عليه السلام في غزوة تبوك قال ان بالمدينة اقواما ما قطعنا واديا ولا وطئنا موطئا
يغيظ الكفّار ولا انفقنا نفقة ولا اصبنا نصبا ولا اهابتنا مخمصة الا شركونا في ذلك
وهم بالمدينة فقالوا وكيف يا رسول الله وليسوا معنا قال حبسهم العذر فشركونا بحسن
النية وقال مطرّف رح صلاح عمل بصلاح قلب وصلاح قلب بصلاح نية ومن صفّى
صفّي له ومن خلّط خلّط عليه وفي الحديث المشهور انّما الاعمال بالنيّات ولكلّ امرئ ما نوى
فمن كانت هجرته الى الدنيا يصيبها او امراة يتزوّجها فهجرته الى ما هاجر اليه فاخبر ان
لا عمل الا بنيّة ثمّ جعل لكل عبد نيّته ثمّ ردطا لما الدنيا الازواج اعيناتهم وجعلها
نصيبهم من الله تعالى فبطلت هجرتهم بفساد نياتهم فصارت همهم بدنياهم وهواهم
سبب حرمان ثواب المخلصين لله بحسن نياتهم وكان ذلك في الاخرة حسرة عليهم
فقال ابو داود هذا الحديث ربع العلم وذلك انه قال جمعت السنن الصحاح من حديث
النبيّ عليه السلام وكانت اربعة الاف حديث ثم اعمدتها على اربعة احاديث كلّ حديث
ربع العلم وهذا الحديث اوّلها وانّما قال ذلك لانّها فرض الفرض لا يتم الّا به وفي الخبر
انّ رجلا قتل في سبيل الله تعالى فكان يدعا قتيل الحمار وذلك انه قاتل رجلا ليا خذ
سلبه وحماره فقتل على ذلك فاضيف الى نيّته وفي حديث عباده عن النبي عليه السلام
من غزى وهو لا ينوي الا عقالا فله ما نوى وقال ابي استعنت رجلا يغزو معي
فقال لا حتى تجعل لي جعلا فجعلت له جعلا فذكرت ذلك للنبيّ عليه السلام فقال ليس له
من دنياه وآخرته الا ما جعلت له وروينا في الاسرائيليات انّ رجلا مرّ بكثبان
من رمل في مجاعة فقال في نفسه لو كان لي هذا الرمل طعاما لقسمته بين الناس قال
فاوحى الله تعالى الى نبيّهم عليه السلام ان قل له انّ الله قد قبل صدقتك قد شكر حسن
نيّتك واعطاك ثواب ما لو كان طعاما فتصدّقت به وفي حديث ابن عمر رض من تكن الدنيا



نيته جعل الله فقره بين عينيه وفارقها ارغب بما يكون فيها ومن تكن الاخرة نيته جعل الله
غناه في قلبه وجمع عليه ضيعته وفارقها ازهد ما يكون فيها وفي حديث ام سلمة ذكر
ذكر النبي صلى الله عليه وسلم جيشا يخسف بهم في البيدا فقلت يا رسول الله فيهم المكره والاجير
قال يحشر على نياتهم وفي حضا له من مات على مرتبة من المراتب بعث عليها وعن جابر رضه
عن النبي صلى الله عليه وسلم يبعث كل عبد على ما مات عليه وعن ابي بكر الصديق رض اذا التقا المسلمان
بسيفهما قال في القاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه
اراد قتل صاحبه والنيه عند قوم الاخلوص بعينه وعندا خرين الصدق عند الحملة انها صحة
العقد وحسن القصد وهي عند الجماعة من اعمال القلوب مقدمة في الاعمال واول كل عمل واول
سلطان العدو على القلب عند فساد النية فاذا تغير قلب العبد طمع فيه فتسلط عليه
واول ارتداد العبد عن الاستقامة ضعف النية فاذا ضعفت النية قويت النفس فتمكن
الهوي واذا قويت النية صح العزم وضعف صفات النفس ولان ينتقل العبد من معصية
الى معصيته دونها فيكون تاركا للاولى بنية الترك لاجل الله تعالى كان انفع له واحد عاقبة
واصلح لقلبه واقرب الى توبته من افتعال الطاعات مشوبة بالهوي وفساد النيات وفي حديث
ابي هريرة رضي الله عنه من تزوج امراة على صداق وهو لا ينوي اداءه فهو زان ومن ادان دينا وهو
لا ينوي قضاءه فهو سارق وقال ثابت البناني معنى نية المؤمن ابلغ من عمله ان المؤمن ينوي ان
يصوم النهار ويقوم الليل ويخرج من ماله فلو تتابعه نفسه على ذلك فنيته ابلغ من عمله
وقد ضرب النبي عليه السلام مثل القلب بالملك والجوارح بالجنود وقال فاذا اصلح القلب وصلح الجسد
معناه اذا صلحت للعبد نيته دامت استقامته واذا خلص وصفا من شوب الكدر والهوى
خلصت الاعمال من الريا وصفت من الشهوات والاهواء واذا فسدت اعمال الجوارح يحب المدح
والريا وحدثونا في الاسرائيليات انه كان عابدا يعبد الله دهرا طويلا فجاءه قوم فقالوا ان ههنا
قوم يعبدون شجرة من دون الله تعالى فغضب لذلك فاخذ فاسه على عاتقه وقصد الشجرة
ليقطعها فاستقبله ابليس في صورة شيخ فقال اين تريد رحمك الله قال اريد ان اقطع هذه
الشجرة التي تعبد من دون الله تعالى قال وما انت وذاك تركت عبادتك والاشتغال بنفسك
وتفرغت لغير ذلك فقال ان هذا من عبادتي قال فاني لا اتركك ان يقطعها قال فقاتله فاخذه
العابد فطرحه الى الارض وقعد على صدره فقال له ابليس اطلقني حتى اكلمك فقام عنه فقال
له ابليس يا هذا ان الله قد اسقط عنك هذا ولم يفرضه عليك ابني انت قال لا قال فلو عليك
ممن كان يعبدها فلو اشتغلت بعبادتك وتركتها فان لله تعالى انبياء في ارضه لو شاء
لبعثهم الى اهلها وامرهم بقطعها قال العابد لا بد لا بد لي من قطعها قال فنابذه ابليس القتال
فغلبه العابد واخذه وصرعه وقعد على صدره فلما راي ابليس انه لا طاقة له به
ولا سلطان له عليه قال يا هذا هل لك في امر فصل بيني وبينك وهو خير لك وانفع مما تطلبه
فقال وما هو قال قم عني حتى اخبرك به فاطلقه فقال له ابليس انت رجل فقير لا شي لك ولعلك

تحب ان تتفضل على اخوانك وتواسي جيرانك وتتسع في حالك وتستغني عن الناس قال
قال نعم قال فارجع عن هذا الامر الذي جيت له ولك الله عز وجل على اني اجعل عند راسك
راسك في كل ليلة دينارين اذا اصبحت اخذتها فصنعت بهما ما شئت وانفقت على
نفسك وعيالك واخوانك هذا انفع لك وللمؤمنين من قطع هذه الشجرة تغرس مكانها
ولا يضرهم قطعها شيئا ولا ينفع اخوانك المؤمنين فتفكر العابد فقال صدق الشيخ لست
بنبي فيلزمني قطعها وهذا الذي ذكره اكثر منفعة لعموم المسلمين ثم عاهد على
الوفاء له بذلك فحلف له فرجع العابد الى متعبده فبات ليلة فاصبح فاذا دينارا ان
عند راسه فاخذهما ثم كذلك الغد ثم اصبح اليوم الثالث فلم ير شيئا ثم اصبح فلم يجد شيئا
فغضب واخذ فاسه على راسه وخرج يا ام الشجرة ليقطعها فقال ان فاتني امر الدنيا
لا ادركن امر الاخرة فاستقبله ابليس في صورة الشيخ فقال اين تريد قال اقطع تلك
قال كذبت والله ما انت بقادر على ذلك فتناوله العابد لياخذه كما فعل فاخذه
ابليس فصرعه فاذا هو كالعصفور بين رجليه وقعد ابليس على صدره وقال لتنتهين
عن هذا الامر او لاذبحنك فنظر العابد فاذا لا طاقة له به فقال يا هذا قد غلبتني
فخل عني واخبرني عنك كنت قد غلبتك اول مرة فصرعتك والان غلبتني فصرعتني فكيف
ذلك فقال له ابليس لانك غضبت اول مرة لله تعالى وكانت نيتك الاخرة فسخرني الله لك
فغلبتني وهذه المرة جئت مغاضبا لنفسك وكانت نيتك الدنيا فسلطني الله عليك
فصرعتك وافضل النيات ان لا تريد بعملك الا وجه الله تعالى وحده حبا لوصف
الالهية وتعظيما لحق الربوبية والزاما للنفس وصف العبودية فان لم يكن هذا
المقام عن مشاهدة وجه ذي الجلال والاكرام لعزه لاجل عزة وجهه فمشاهده ما رغب
فيه وشوق اليه من الاخرة عن مقام الرجاء بطلب ما عنده فهو خير وابقى او خوفا مما حذر
منه وخوف به من العذاب الاليم عن مقام الخوف الا ان هذا نقص في مقام المحبين وعيب
عندهم كعيب من عمل لعاجل حظه من دنياه وهو شرك في اخلاص الموحدين الذين اخلصوا
في العبودية فعتقوا من اسر الهوى بالحرية وما تلف له من شيء او ظلم من حقه فلينو
الذخر عند الله وليجعله في سبيله بحسن ظنه بالله وصدق يقينه فان له من ذلك
ما نوى والله تعالى عند ظن عبده به ومن اوذي او اغتيب فليحتسب عرضه عند الله
فلعل ذلك يكون سدادا من عمله وسببا لنجاته فقد روي ان العبد ليحاسب على اعماله
كلها فيبطل بدخول الافات عليه فيها حتى يستوجب النار ثم ينشر له اعمال من الحسنات
لم يعملها فيستوجب به الجنة فيعجب من ذلك فيقول يا رب هذه اعمال ما عملتها فيقال
هي اعمال الذي اغتابوك واذوك وظلموك جعلت حسناتهم لك فلا تحقرن شيئا
شيئا من الاعمال وان قل فتخليه من النية او تستصغره فربما كان هلاكه فيه وهو لا يعلم
ومات حماد بن ابي سليمان وكان احد علماء الكوفة فقيل للثوري الا تشهد جنازته

فقال لوكان لي نية لفعلت ومات الحسن البصري رح فلم يحضر ابن سيرين جنازته فسئل
عن ذلك فقال لم تكن لي نية وقد كان للعلماء اذا سئلوا عن عمل او سعي في شئ يقولون
ان رزقنا الله تعالى نية فعلنا ذلك ان شاء الله وقال الفضيل رح لا تحتث الا بنية وقال
بعضهم الخوف على فساد النية وتغيرها اشد من ترك الاعمال وقال يوسف بن اسباط تخلص
النية من فسادها اشد على العاملين من طول الاجتهاد وعن عبد الله الجلو قال كنت قائما
مع ابي سعيد التستري وهو يحرث ارضه بعد العصر من يوم عرفة فمر به بعض اخوانه من الابدال
فساره بشئ فقال ابو سعيد لا فمر كالسحاب يمسح الارض حتى غاب عن عيني فقلت لابي سعيد
ما قال لك فقال سألني ان احج معه فقلت لا لانه ليس لي في الحج نية وقد نويت ان اتمم هذه
الارض العشية فاخاف ان حججت معه لاجله التعرض لمقت الله لاني ادخل في عمل الله شيئا
غيره فيكون هذا عندي اعظم من سبعين حجة ومن كانت له في مباح نية ولم تكن له نية
في فضيلة فالافضل هو المباح حينئذ وقد انتقل المعنى فصار المباح هو الفضيلة وصار
الفضيلة لعدم النية فيها وهذا لا يعلمه الا العلماء وبباطن العلم مثل ان يكون له
نية في الاكل والشرب والنوم ليتقوى بها على الطاعة ويريح بها نفسه لوقت آخر
او تكون له نية في الجماع ليحصن به نفسه او ليغض به بصره او لا ثر لايا من الفتنة
وليس له نية في الصوم ولا في القيام فقد صار الاكل والنوم والجماع حينئذ هو الافضل
ومثل ان يكون رجل قد ظلم فله ان ينتصر وان عفا كان افضل الا ان له نية في الانتصار
وليس له نية في العفو فالانتصار هو الافضل وقال ابو الدرداء رض اني لاستجم نفسي
ببعض اللهو ليكون ذلك عونا لي على الحق وكل عمل مباح للعبد فيه نية فهو ما جور عليه وكل
عمل فاضل لا نية له فيه فاحسن حاله السلامة منه لا له ولا عليه وربما كان مازورا فيه
اذ دخلت عليه نية دنيا او دخل عليه هوى وهو كذا وفي الخبر ان الله لا يعذر عن الجهل ولا يحل
للجاهل ان يسكت على جهله ولا يحل للعالم ان يسكت عن علمه وقد قال الله تعالى فاسئلوا اهل
الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال سهل رح ما عصي الله تعالى بمعصية اعظم من الجهل قيل يا
ابا محمد وهل تعرف شيئا اشد من الجهل قال نعم الجهل بالجهل ولعله يعني الجهال الذين يتكلمون
بالشبهات وهو يظن انها علم فهذا اعظم من سكوته فلذلك ينبغي ان يعلم العلم اي شيء
هو ليكون على بصيرة من علم المتكلفين واقوال الغالطين من الصوفية والقصاص في تشبهات
العلم فصار يشبه العلم وليس بعلم لالتباس المعاني بعضها ببعض وقال الصادق قسوة
القلب بالجهل اشد من قسوته بالمعاصي لان الجهل ظلمة لا ينفع البصر فيها شيئا والعلم نور
يهتدي به القاصد وان لم يمش وقيل في تفسير قوله وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون
قال عملوا اعمالا بجهلهم ظنوا انها حسنات فوجدوها عند الحساب وقيل ذنوب غيرهم
طرحت عليهم فعذبوا بها ولم يكونوا يحتسبونها في الدنيا وينبغي للعبد اذا اراد ان يعمل عملا
ان يتثبت فيجدد له نية حسنة ثم يقف وقفة فيتفقد هل يدخل عليه في ذلك العمل آفة واحدة



او اكثر فيخرج ما دخل عليه من الافات بمشاهدة اليقين ثم تعمل ذلك لله تعالى لا يشرك به
احدا في قصده ولا تطلب سواه ثم ليستقيم على ذلك العمل فان دخلت عليه آفة في خلله
نفاها حتى يكون قائما بشهادة ترمزها هو الاخلاص لان المخلص يحتاج في اخلاصه الى شيئين
ليس احدهما اولى به من الاخر صحة القصد لوجه الله تعالى طلبا لما عنده من الاخرة ثم
اخراج الافات والحذر على العمل من دخولها عليه الى فراغه منه فبذلك يتم اخلاصه و
يصفو من كدر الهوى ويخلص من الشهوة الخفية ومن الرياء كما روي في الخبر اخوف ما اخاف
على امتي الرياء والشهوة الخفية قيل حب الدنيا وقيل العمل لاجل ان يوجر العبد ويحمد
وفي الاثر من عمل عملا لا يريد به وجه الله لم يزل في مقت الله حتى يفرغ نعوذ بالله من ذلك
ونسأله ان يوفقنا لما يحبه برحمته كتاب ترتيب الاقوات وذكر رياضة فقد كان
بعض السلف ينقص الاقوات حتى يرد النفس الى اقل قوامها فمن اراد هذا الطريق فلينقص
في كل اكله ربع سبع رغيف فيكون تاركا للرغيف في كل شهر برياضة وتمهل فلا يوثر
النقصان عليه شيئا حتى تقف النفس على الاكل في ثلث بطنها وهذا طريق المريدين
ومن العلماء من لم يكن يتعرض للاقوات ولكن يعمل في زيادة الاوقات فيوخر اكله وقتا بعد وقت
حتى ينتهي الى اكثر طاقة النفس لحمل الجوع بضعف الجسم عن الفرض او خشية اضطراب العقل
فمن اراد هذا الطريق اخر فطره في كل ليلة الى نصف سبع الليل حتى يكون قد طوى ليلة
في نصف شهر وهذا طريق من اراد الطي السبع والعشر الى الاربعين لانه يعمل في تجويعه على
الايام لا في نقصان الطعام فلا يؤثر ذلك نقصانا في عقله ولا ضعفا في اداء فرضه اذا
حسن نيته وصدق عقده فانه يعان على ذلك ويحفظ فيه ومعناه يضيق لا محالة فكلما زاد
جوعه نقص اكله وعلى هذا الحال ينتهي في قلة الاكل ولا ينال فضيلة الجوع التي وردت بها
الاخبار الا بالطي ومن الناس من يقول حد الجوع الاول من الوقت الى مثله من الغد اربعة
وعشرين ساعة وحده الاخر اثنان وسبعون ساعة يعني ثلثة ايام فهذا حد الجوع من الاو
الاوقات فاما حده في الاقوات فكان بعضهم يقول حد الجوع ان لا تطلب نفسك الادم
فمتى طلبت الادم مع الخبز فلست جايعا فهذه حده الاول وقيل حده ان لا تطلب الخبز
ولا تميز بينه وبين غيره فمتى تاقت النفس الى الخبز بعينه فليست بجايعة لان لها شهوة
في الخبز ومتى لم تميز بين خبزه وغيره من ماكول فهذا هو الجوع وهو الفاقة والحاجة الى الطعام
التي جعله الله غذا الاجسام وهذا يكون في اخر الحدين من الاوقات بعد الثلث الى الخمس
والسبع ويكون طيب العبد عند هذا الجوع القوام من العيش والضرورة من القوت وهو
للجوعة واعان على اداء الفرايض وهذا حال الصديقين وقيل حد الجوع ان يبزق
العبد فاذا لم يقع على بزاقه الذباب فقد خلت معدته من الطعام وتخلو من الدسومة
وصار صافيا مثل الماء فلو يقع عليه الذباب مع لطخ دسومته التي تكتب فيه وخفي
ادراكه لما يقع عليه فاكل العادات والتنقل في الشهوات والاكل حتى يشبع فهذا عند العلماء

للمريدين صح

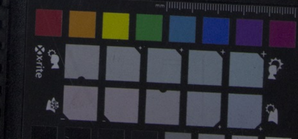
كتاب ترتيب الاوقات

مزيد

كان

ماسد

مكروه



ابو بكر اسم رجل من الصحابة

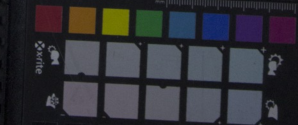
واهله عندهم بمنزلة البهايم واما الاكل على الشبع والامتلاء فيتحتم هنا فسق عندهم وروي
انه قيل لابي بكر رضي الله عنه ان ابنك اكل البارحة حتى بشم فقال لو مات ما صليت عليه فاما
الصوم فليس هو عندهم الجوع المقصود لاسكان النفس واخماد الطبع لان الصوم يصير عادة
فيرجع الصايم الى قوة طبعه اذا افطر فاما اذا كان يصوم ويفطر على الشهوات او يمتلي
من الاكل فان صوم هذا لا يزيده الا قوة طبع وظهور نفس ويتفتق عليه الشهوات ويدخل عليه
الفتور عن الطاعة ويجلب عليه الكسل والسبات وربما قوي طبعه جملة واحدة وظهرت
عليه نفسه بقوة بجملة الا انه لا يجري في نهاره الا فيما اجريت عادته عليه وجعل حاله فيه
من ابواب الدنيا والتنقل في الهوى وان كان ظاهر احواله اسباب الاخرة عند القصور على
فان حشوها الدنيا وممن اشتهر بالطي وكثر النقل عنه بذلك الخمسة عشرة يوما الى
عشرين الى شهر جماعة من العلماء ويكثر عددهم منهم سليمان الخواص وسهل بن عبد الله وابراهيم
الخواص وكان ابو بكر الصديق رضي يطوي ستا وعبد الله بن زبير يطوي سبعا والثوري وابرهيم
بن ادهم يطويان ثلثا ثلثا وقال بعض العلماء من طوى اربعين يوما من الطعام ظهرت له
قدرة من الملكوت وقال لا يزهد العبد حقيقة الزهد الذي لا مثوبة فيه الا بمشاهدة قدرة
من غيب الملكوت وبعضهم يقول لا يوقن العبد يقينا ثابتا يحكم عليه بالاستقامة فيه و
بلبسه حال الانة وعلمنا فن في الملكوت الا بمشاهده قدرة من قدر الغيب وقد عرفنا من
فعل ذلك وظهرت له ايات من الملكوت وكشف له عن معاني قدرة من الجبروت تجلو الله له بها
ومنها كيف شاء وقد وقف بعض هذه الطائفة على راهب فذاكره بحاله وطمع في اسلامه وترك ما

قصة الراهب

هو عليه من الغرور فكلمه في ذلك بكلام كثير الى ان قال له الراهب ان المسيح عليه السلام كان
يطوي اربعين يوما وانا معتقد اعجاز هذا وانه لا يكون الا لنبي فقال له الصوفي فان طويت
خمسين يوما تترك ما انت عليه وتدخل في دين الاسلام وتعلم ان ما انت عليه حق وانه
على باطل قال نعم فقعد عنده لا يبرح ولا يذهب الا من حيث يراه الراهب الى ان طوى خمسين يوما فقال
ازيدك ايضا فطوى الى تمام ستين يوما فعجب الراهب منه واعتقد فضله وفضل دينه و قال
فقال ما كنت اظن احدا يجاوز فعل المسيح عليه السلام ولكن هذه امة تشبه بالانبياء في العلم
والفضل وكان ذلك سبب اسلامه وان احب المريد ان يقسم فطوره قسمين فيأكل رغيفا
عند افطاره في اول الليل فيسكن بذلك جوعه ويأكل رغيفا عند السحر يستعين به على صومه
وان احب عمل في تاخير الافطار على رياضة ووقف عند السحر فلم يجاوزه فيكون اكله سحرا
فيحصل له بذلك خمسة اشياء جوع النهار للصيام وجوع الليل للقيام وخلو القلب لفراغ الهم
ودقة الفكر واجتماع الهم لخلو القلب وسكون النفس للعلوم فلو تنازعه قبل وقته وهذا
اوسط الطرقات واجمعها الى فان كان المريد يصوم يوما ويفطر يوما وهذا اعدل
طرقات الصيام ايضا اكل يوما فطوره بعد الظهر وليلة صومه عند الفجر فان لم يفعل فليأكل كل
يوم فطور نصف اكله بالامس فكانه صايم فان لم يفعل اضطرب جسمه وداخله الفتور في حاله

ومن لم

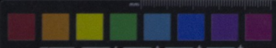
ومن لم يكن له فلا باس ان ياكل شبعه ثم يتربص حتى ينتهي جوعه وترك المعلوم طريق البغداديين بين
والوقوف مع المعلوم طريقه البصريين وترك المعلوم اعلى وهو طريق الاقوياء المتو كلين
وطريق البصريين والتوقيت اسلم من افات النفوس واقطع للتشرف والتطلع وهو طريق
المريدين والعاملين وقد كان قوت جماعة من الصحابة رضي صاع من حنطة في كل جمعة وقال
ابو ذر رضي طعامي في كل جمعة صاع من شعير على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والله العظيم
لا ازيد عليه حتى القاه فاني سمعته يقول احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيمة من
مات على مثل ما تركته عليه فكان يقول في بعض انكاره على بعض الصحابة وقد غيرتم نخلتم
الشعير ولم يكن ينخل وخبزتم المدقق وجمعتم بين ادمين واختلف عليكم بالوان الطعام
وغدا احدكم في ثوب وراح في آخر ولم تكونوا هكذا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان قوت
اهل الصفه مد من تمر بين اثنين في كل يوم والمد رطل وثلث وقال ابو يزيد اذا وجد
الفقير الماء سقط عنه فرضه وفي الحديث المشهور المؤمن ياكل في معاء واحد والمنافق
في سبعة امعاء وهذا على التمثيل في الاتساع والكثرة اي ياكل اضعاف اكل المؤمن فكان
المؤمن ياكل سبع اكل المنافق وقد فسر ذلك ابو محمد سهل رحمه فقال معنى قوله ياكل في
سبعة امعاء احدها شره وطمع وشهوة وحرص ورغبة وغفلة وعادة فالمنافق يا كل بهذه
المعاني والمؤمن ياكل بمعنى الفاقة والزهد ولهذا كان يقول لو كانت الدنيا دما عبيطا
كان قوت المؤمن منها حلالا لان اكل المؤمن عنده ضرورة للقوام ومن الناس من يضيف هذا
الكلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مخطي في ذلك انما هو من الكلام سهل رحمه وسئل عنه رحمه عن قوت
المؤمن فقال قوته الله فقيل سالناك عن قوامه الذكر وقيل انما سالناك عن غذائه
فقال غذاؤه العلم وقيل انما سالناك عن طعمة الجسم فقال ما لك وللجسم دع الجسم على من تولاه
قديما يتولاه الان وسئل عن الحلال فقال هو ما لم يعص الله في اوله ولم ينس في اخره و
ذكر عند تناوله وشكر عند فراغه وكان يقول القوت للمؤمنين والقوام للصالحين
والضرورة للصديقين ومن كان ذا معلوم فالمستحب له ان لا يزيد على رغيفين في اليوم
والليلة وليجعل بينهما وقتا طويلا مرة وقصيرا مرة على حسب الحاجة وتوقان النفس
الى الغذاء لا على طريق العادة والشهوة والرغيف ستة وثلثون لقمة يكون قوام النفس
في كل ساعة ثلث لقمات فاذا اراد ان ياكل الرغيف على هذا التقسيم فليجرع بعد كل ثلث لقم
جرعة ماء فذلك اثنا عشر جرعة ففي ذلك قوام جسمه وصلوحه في يوم وليلة على هذا
الترتيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى رجل سمين فاومى الى بطنه باصبعه فقال لو كان
هذا في غير هذا كان خيرا يعني لو قدمته لاخرتك واثرت به اخوانك فكان في جوف غيرك
لكان خيرا لك وقيل لابي يزيد رحمه وهو اعلى هذه الطائفة اشارة باي شيء نلت هذه المعرفة
فقال ببطن جائع وجسد عار وفي بعض الكتب ان الله تعالى يمقت اهل بيت لحمين
وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ايضا وروي ابو سعيد الخدري انه عليه السلام اذا تغدى



لم يتعش واذا تعشى لم يتغد وكان السلف رض يأكلون في كل يوم اكلة وقال عليه السلام لعايشة
رضي الله عنها اياك والاسراف فان اكلتين في اليوم من الاسراف وقال تعالى والذين اذا انفقوا لم
يسرفوا ولم يقتروا وكان قوامًا اكلتين في يوم سرف واكلة في يومين اقتار واكلة في يوم قوام
بين ذلك وقال بعض السلف ان من الاسراف ان يأكل العبد كل ما اشتهاه وقال بعض العلماء ابغض
الاشياء الى الله تعالى بطن ملئ ولو من حلال وقد روينا معناه مسندا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما ملا ابن آدم وعاء شرا من بطن ثم قال عليه السلام حسب ابن آدم لقيمات يشددن صلبه ففي
قوله عليه السلام لقيمات معنيان التقليل والتصغير لان التاء تدخل لجمع القليل وهو ما دون
العشرة من العدد والمعنى الاخر البضعة لا لقيمة تصغير لقمة ثم قال عليه السلام فان لم يفعل
فثلث طعام وثلث شراب وثلث للنفس وفي لفظ وثلث للذكر فدل ان ملؤ البطن يمنع
من الذكر وما يمنع من الذكر فهو شر ومعنى قوله ثلث طعام ان يأكل ثلث شبعه المعتاد
فيصير ثلث الشبع قوام الجسم باعتياد ثاني كما كان ملؤ البطن من الشبع وهو العادة الاولى
وثلث الشبع ثمان دراهم اواق ثم دهر عينين ههنا على معنى الخبر الاخر طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام
الاثنين يكفي الاربعة ففي هذا خمسة اقوال قال بعضهم طعام الواحد شبعا يكفي الاثنين
قوتا وقيل طعام المسلم يكفي مؤمنين من خصوص المؤمنين ويجوز ان يكون طعام الواحد
من المنافقين المتصرفين في المعايش يكفي اثنين ممن هو قاعد لا يتصرف ويصلح طعام
الواحد من المفطرين يكفي صايمين من الخصوص وفي اخبار الخلفاء ان الرشيد جمع اربعة
اطباء هنديا ورومياً وعراقيا وسواديا فقال لهم ليصف كل واحد منكم الدواء الذي لا
داء فيه فقال الهندي الدواء الذي لا داء فيه هليلج الاسود وقال الرومي حب الرشاد
الابيض وقال العراقي الماء الحار وقال السوادي وكان اعلمهم ان الاهليلج يعفص المعدة
وحب الرشاد يرق المعدة والماء الحار يرخي المعدة وكل هذا داء قال فما عندك قال
الدواء الذي لا داء فيه ان لا تأكل الطعام حتى تشتهيه وان ترفع يدك عنه وانت
تشتهيه فقالوا صدق وقال بعض العلماء ذكرت لبعض الفلاسفة من اطباء اهل الكتاب
قول النبي صلى الله عليه وسلم ثلث طعام وثلث شراب وثلث نفس فتعجب منه واستحسنه وقال
ما سمعت كلاما في قلة الاكل احكم من هذا فانه لكلام حكيم ثم قال جهدت الاطباء من الفلاسفة
بجنا بادب لم يعتل الا علة الموت قيل له وما الادب قال يأكل بعد الجوع ويدفع قبل الشبع
والاصل في هذا ان العلل داخلة على الاجسام من اختلاف نبات الارض على هذه الطبايع
الاربع فاذا اكثر من اختلاف منابتها امالت الحرارة والبرودة من النبات عن اين الطبايع
من الحرارة والبرودة من المعدة وكذي الرطوبة واليبوسة من النبات عن اين الطبايع من
الرطوبة واليبوسة فزاد بعض على بعض وقوي وصف على مثله فكانت الامراض من مثل
ذلك لان كل مأكول من نبات الارض يعمل في وصف من مصالح الجسم وان الحنطة مخالفة
لساير نبات الارض وانها معتدلة في الطبايع الاربع كاعتدال الماء في ساير الاشربة

لان المعدة مركبة على طبايع اربعة الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وكذلك نبات الارض

دفه



وتعد شبهوا لحم الدّراج في خفته وقلة دهنه من ساير اللحوم وطبع الحنطة في ساير الحبوب
وقال بعض الاطباء كل من الخبز بحتا ما شئت فانه لا يضرك وقال بعضهم اكل الخبز وحده خير
من اكله مع الادم الرّدي وقال بعضهم ما ادخل انسان في معدته انفع من الرّمان ولا اضر من
المالح ولان يتقلل من المالح خير له من ان يستكثر من الرّمان قد مثل الاترج من ساير الفاكهة
على صورة المعدة في الطبايع الاربعة وقد جبه رسول الله صلى الله عليه وسلم المومن بالاترجة فقال مثل
المومن الذي يقرا القران مثل الاترجة طعمها طيب وريحها طيب فهذه لطيفة من اللطيفة حكمة
من الحكيم تعالى اذا اراد صحة جسم عبد اوحى الى المعدة ان ياخذ كل طبع منها ضده من نبات
الارض الذي وقع في المعدة فياخذ طبع الحرارة طبع البرودة من الماكول وياخذ طبع الرطوبة
طبع اليبوسة من الماكول فيعتدل الطبايع باستواء المزاجات فيكون ذلك سببا لصحة
الجسم من العلة واذا اراد سقم جسم امر كل طبيعة ان ياخذ جنسها ومثلها من الماكولات
فتميل الطبايع باشالها من الماكولات من نبات الارض ميلة واحدة فتضطرب المزاجات
ثم تدور ذلك في الجسد لمجاري العروق ومصابها الى الاعضاء المتفاوتة والادواة فيقع
على كل اداة في عضو ضدّها فتعتل بها ويغشى كل آلة من خارجة ما لا يلايمها من طبعها
فيسقم الجسم ويتفاوت العلل فيكون ذلك سبب الامراض والعوارض ويقال ان الجوع ملك
والشبع مملوك وان الجايع عزيز والشبعان ذليل وقال بعض السلف الجوع مفتاح الاخرة
وباب الزهد والشبع مفتاح الدنيا وباب الرغبة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شي باب
وباب العبادة الصّوم وفي الخبر صوموا تصحّوا فصحة القلوب من علل النفوس اعلى واحسن
من صحة الاجسام من علل الاسقام وعن عايشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم اديموا قرع باب الجنة
يفتح لكم قيل فكيف يا رسول الله قال بالجوع والظما عن عبد الواحد بن زيد انه كان يقسم بالله
ان الله ما صافا احدا الا بالجوع ولا مشوا على الماء ولا طويت بهم الارض ولا والاهم الله تعالى الا
بالجوع ويعد الاخلاق السنيّة الشريفة المحمودة ويحلف انهم ما نالوها الا بالجوع وقال
وقال ابو سعيد معنى الجوع اسم معلق على الخلق افترقوا في الدخول فيه والعمل به لعلل كثيرة
فمنهم من يجوع ورعا اذا لم يصب الشي الصافي ومنهم من وجد الشي الصافي فتركه
زهدا فيه من مخافة طول الحساب والوقوف والسوال ومنهم من استلذ العبادة
والنشاط بها والخفة فراي ان النيل من الطعام والشراب قاطعا وشاغلا له عن
الخدمة والخلوة ومنهم من قرب من الله مشاهده وكان الحياء تمامه لا عرفهم
ان الله يراه وهو يضع بين يديه ويا كل ويشرب فيودّيه ذلك الى الاختلاف الى
الكنيف فيجوع من هذه الحين وهذا كان ابو بكر الصّديق رضي الله عنه قال وهب بن منبه حكيم
الامة لكل شي وسط وطرفان فاذا امسكت احد الطرفين مال الاخرة وان امسكت
الوسط اعتدل الطرفان فكذلك البطن وسط الجوارح ان امسكتها اعتدلت
الجوارح والاطراف السمع والبصر واللسان والفرج والرجل وكذلك قال ابو الحسن



بن سلوم اذا اعطيت البطن حظه من الخطيع طلبت كل جارحة حظها من اللهو فجحت
بك النفس الى الهلكة واذا منعت البطن حظه قصرت كل جارحة عن حظها فاستقام
القلب بذلك واعتدل ويستحب للعبد اذا اكل ان لا ينام على اكله فيجمع بين الغفلتين
فيعتاد الفتور ويقسو قلبه لذلك ولكن ليصلّ او ليجلس فيذكر الله فانه اقرب الى
الشكر وفي الحديث اذيبوا طعامكم بالصلوة والذكر ولا تناموا عليه فيقسوا
قلوبكم واقل ذلك ان تصلى اربع ركعات ويسبح باية تسبيحه ويقرا جزء من القران
عقيب كل اكله وكان سفيان رحمه الله اذا شبع في ليلة احياها واذا شبع في يوم
واصله بالصلوة والذكر وكان يتمثل فيقول اشبع الزنجي وكدّه وفي لفظ اشبع الحمار وكدّه
وينبغي للمتقشف ان ياكل اللحم او الدسم في الشهر مرتين فان اكله اربعا فلا باس وعن علي رضي الله عنه
من ترك اكل اللحم اربعين يوما ساء خلقه ومن داوم عليه اربعين يوما قسى قلبه وقد
نهى عن مداومة اللحم وقيل ان له ضراوة الخمر وكان ابو محمد سهل يقول للمتقللين من اهل
عباد ان احفظوا عقولكم وتعاهدوا بالادهان والدسم فانه ما كان
ولى لله تعالى ناقص العقل وان احب المريد ان ياكل شيئا من الطيبات والفاكهة فليجعل
ذلك بدلا من الخبز ويقطع به جوعه فيكون ذلك له قوتا عند الحاجة اليه ولا يكون تفكها
لئلا يجمع للنفس بين عادة وشهوة ونظر ابو محمد سهل رحمه الله الى ابن سالم وفي يده خبز وتمر
فقال له ابتدا بالتمر فان قامت كفايتك به والا اخذت من الخبز بعده حاجتك والاولى
للمريد المبتدي ان يترك الطيبات والفاكهة خوفا ان تشتهيه فيحرص على نيله ويدخل
السوء من اجله ويبيع دينه به او خشية تمكن العادة منه فتعذر عليه التوبة منه لدخوله
في الشبهات عند اعتياد الشهوات لان العادة جند من جنود الله تعالى تغلب العقل والابتلاء
سلطان من سلطان الله تعالى تقهر العلم لاجله تعذرت الاستقامة ولولا العادة لكان الناس
تائبين ولولا الابتلاء لكان التائبون مستقيمين قال بعض العلماء اني لا اقضي عامة
حوائجي بالترك فيكون ارواح لنفسي وقال آخر اذا اردت ان استقرض من غيري لشهوة
استقرضت من نفسي فتركت الشهوة فهي خير غريم لي فيصير الترك حينئذ والمنع للنفس غذاء
وعادة كما كان الاخذ والاكل عادة ففي هذا عون له على صلاح قلبه ودوام حاله
وكان ابرهيم بن ادهم رحمه الله يسال اصحابه عن الشيء من الماكول فيقال انه غال فيقول
ارخصوا بتركه وقال بعض الادباء في معناه واذا غلا شيء علي تركته فيكون ارخص
ما يكون اذا غلا وقد كان هذا طريق طائفة من السلف الى الله تعالى ثم انقرضوا
كلهم فامحى طريقهم وخلف بعدهم خلف من العلماء اتبعوا الشهوات ولم يقاموا في هذا المقامات
وقال بعض المريدين نازعتني نفسي في خبز ارز وسمك فمنعتها فقويت مطالبتها فاشتدت
مجاهدتي لها عشرين سنة قال فمات الرجل فرايته في النوم فقلت ما فعل الله بك فقال لا
احسن اصف لك ما يلقاني به ربي من النعيم والكرامة وكان اول ما يلقاني به خبز ارز وسمكا

فقال كل شهوتك اليوم هنيئا بغير حساب وقد قال تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام
الخالية ويقال لكل عمل جزاء من جنسه ومعناه وقال سري منذ ثلثين سنة اشتهي ان اغمس
جزرة في دبس وقيامها وقال لان اترك شهوة من شهوات لنفسي انفع للقلب من صيام سنة
وقيامها وقال لان اترك لقمة من عشائي احب الي من قيام ليلة وسمعت ابا بكر الجلاد
يقول اعرف انسانا يقول له نفسه انا اصبر لك على طي عشرة ايام واطعمني بعد ذلك شهوة
اشتهيها فيقول لها لا لانه ليس عليك في ذلك مشقة ولكن اترك هذه الشهوة التي فيها هوى
فهو احب الي ودابته اخذ بجلدة ذراعه وكان رحمه الله قد ترك اكل الشهوات والخبز
ثلثين سنة وروي ان عتبة الغلام قال لعبد الواحد بن زيد ان فلانا يصف قلبه
منزلة لا اعرفها قال لان فلانا لا ياكل التمر وانت تاكله فقال اذا تركت اكل التمر عرفت تلك
المنزلة قال نعم وغيرها فاخذ يبكي فقيل له اعلى التمر تبكي وقال عبد الواحد دعه فان
نفسه قد عرفت صدق عزمه في الترك وبعضهم ترك اكل الخبز الحار سنين كثيرة لانه
كان يشتهيه واعلم ان الشهوات لا حد لها وانما الحد للقوت فمثل الشهوات مثل الجهل لا
حد له مثل القوت مثل العلم دو حدود فكم من شهوة دنية منعت رتبة علية فان لم تقطع
الشهوات وتحسمها فلا تقعد عن النوبة تنتظر آخرها فان النفس لا اخر لشهواتها الا ان ترى
الملائكة عليهم السلام فعند ذلك تمحي صفاتها فتغيب الشهوات فان تترك الشهوات
المعتاد فلم تعمل في شانها من الزيادة وقال بعضهم لاصحابه لا تاكلوا الشهوات فان اكلتموها
فلا تطلبوها فلا تحبوها وكانوا يقولون ما زاد على الخبز فهو شهوة حتى الملح وقال بعضهم
الخبز من اكبر الشهوات واعلم ان ما زاد على الخبز فهو فاكهة يتفكه به عن ابن عمر رضي الله عنه
قال ما ياتينا من العراق فاكهة احب الينا من الخبز واعلى الادام اللحم والحلواء وادناه الملح
والخل فان ابتلي العبد باكل الشهوات وحبها فليظهر ولا يخفه وليشترها بنفسه ولا يسرها فان ذلك
من صدق الحال وهو طريق السلف فان فاتته المجاهدة في الاعمال فلا يفوته الصدق في الحال
فان اكل الشهوات في السر ويخفيها في العلانية ويظهر الزهد فيها فهو قد خالف طريق الموقنين
ومثل الصادقين قال الله تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار يعني اسفل من الكفار لان
الكافر اخلص في كفره فتساوى ظاهره وباطنه والمنافق خالف بين ظاهره وباطنه فزاد الله
في هوانه وعذابه وشدد في توبته بما وكد من شرطه فقال الله تعالى الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا
بالله واخلصوا دينهم لله واياك ان تترك محجة الطريق فتقع في حيرة المضيق وكان من شان
الصادقين اشتراء الشهوات بانفسهم لا بالواسطة وتعليقها في منازلهم يظهرون الناس شعار
الراغبين وهم فيها عند الله من الزاهدين لا ياكلونها يريدون بذلك اسقاط منزلتهم من قلوب
الجاهلين واخفاء حالهم عن الناظرين فيكون هذا اشد على النفس لانه قد حمل عليها ثقلين ثقل
المنع من الحظ وثقل سقوط المنزلة عند الخلق فجرعها كاس الصبر مرتين وهو يشبه فعل بعض
الزاهدين في باب العطاء باخذه علانية ثم يخرجه سرا وقال جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه

[illegible]

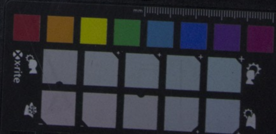


اذا قدمت الى شهوة نظرت الى نفسي فان اظهرت شهوتها اطعمتها منها وكان ذلك افضل من
منعها وان اخفت شهوتها اطعمتها منها وكان واظهرت العزوف عنها عاقبتها بالترك ولم انلها منها شيئا
ودخل سفيان يوما على ابي اسحاق الفزاري فقدم اليه قصعة فيها خبيص فقال لولا اني صائم
لاكلت معك فقال له الفزاري دخل على اخوك ابرهيم بن ادهم فقعد في موضعك هذا فقدمت اليه
خبيصا في هذه القصعة فاكل فلما اراد ان يخرج قال اما اني كنت صائما الا اني احببت ان اكل معك
اسرك بذلك فوضع سفيان يده فجعل ياكل وتادب بابرهيم رحمه الله وقال بعض اخوان بشر الحافي
دخلت عليه وهو ياكل فقال لي كل قلت اني صائم فناولني كسرة وقال كل فاكلتها فقال سلمت
من افات الصوم وادخلت على السرور ودفع ابراهيم بن ادهم رحمه الله الى بعض اخوانه دراهم فقال
خذ لنا بهذا زبدا وعسلا وخبزا حواريا فقلت يا ابا اسحق بهذا كله فقال ويحك اذا وجدنا
اكلنا اكل الرجال واذا عدمنا صبرنا صبر الرجال واصلح ذات يوم طعاما واكثر ودعا نفرا
يسيرا منهم الاوزاعي والثوري فقيل له اما تخاف ان يكون هذا اسرافا فقال ليس في الطعام
اسراف وقد كان معروف يهدي اليه الطيبات من الطعام فياكل فيقال له ان اخاك بشرا رحمه الله
لا ياكل من هذا فقال اخي قبضه الورع وانا بسطتني المعرفة ثم قال انما انا ضيف في دار مولاي عز وجل
اذا اطعمني اكلت واذا منعني صبرت ما لي وبالاعتراض والتخير وحدثونا عن بعض العلماء وكان
قاضيا بصنعاء دخل على امير صنعاء يخص وقت غدائه فعرض عليه الاكل فقال اني صائم فلما اخذ
الامير في الاكل وهو يحدثه نظر القاضي فاذا الحمل مشوي فجعل القاضي يزحف ويتقدم الى
المائدة ثم مد يده فاخذ واكل فقال له الامير الم تقل اني صائم فقال ايها الامير انا على قضاء
يوم اصومه اقدر مني على قضاء مثل هذا الحمل وقال ابو سليمان لا تضر الشهوات من لم يتكلف
لها انما تضر من حرص عليها وقال اكل الطيبات يورث الرضا عن الله تعالى وشرب الماء بالثلج
يخلص الشكر لله تعالى **كتاب الاطعمة** ذكر ما يجمع الاكل من الاداب والسنن والكراهة والاستحباب
قال الله تعالى قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعم فتمدح تعالى
بالاطعام وتحمد باتخاذ الولاية على الانام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن كمثل
النحلة اكلت طيبا ووضعت طيبا وان وقعت على عود فلم تكسره وقال عليه السلام افضل ما اهدى
المرء الى اخيه ورقا او يطعمه خبزا وذلك ان الورق قيم الاشياء وقد يتخير العبد بجميع المشتهى به
في الاقوات الخبز افرده الله تعالى تفضيلا من الحبات في قوله تعالى فانبتنا به جنات وحب الحصيد فالجنات
ما اشتمل عليه الفاكهة والحب هو المعتاد من الاطعمة عن ابن المبارك عن النبي عليه السلام من احب
الاعمال الى الله تعالى ادخال السرور على المسلم ان يفرج عنه غما او يقضي عنه دينا او يطعمه من
جوع وقال صلى الله عليه وسلم من وافق من اخيه شهوة غفر له وسئل عليه السلام ما الايمان فقال اطعام
الطعام وبذل السلام وقال في الكفارات والدرجات اطعام الطعام والصلوة بالليل والناس
نيام وسئل عليه السلام عن الحج المبرور فقال اطعام الطعام وطيب الكلام وكان ابن عمر رضي الله عنه
يقول من كرم الرجل طيب زاده في سفره وبذله لاصحابه وقال احمد بن حنبل الاكل من الدين

قدمه

قدّمه الله على العمل فقال كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً وقال عليه السلام ان الرجل ليوجر
حتى في اللقمة يرفعها الى فيه والى في امرأته وروي عنه ايضا ما اطعم المسلم نفسه واهله
محتسبا فهو له صدقة وعن علي رضي الله عنه لان اجمع اخواني على صاع من طعام احب الي
من ان اعتق رقبة وللخبر المشهور اذا وضع الطعام واقيمت الصلوة فابدوا
بالعشاء قبل الصلوة وهذا لحرمة الطعام وتفضيل الطعام وروي هشام عن ابيه
قال وضع الطعام فقام القسم بن محمد يعني ابن ابي بكر رضي الله عنه يصلي فقالت عايشة رضي الله عنها
نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يصلي بحضرة الطعام حتى يوكل ويرفع وقيل اذا وضع الطعام قامت
الملئكة ينتظرون فلا يزالون قياما حتى يرفع فكانوا يكرهون ان يقدم الطعام ولا يوكل
عن انس رضي الله عنه ان الله تعالى يدخل الجنة عبده بالاكلة والشربة يحمد الله تعالى عليها وعنه ان
احدكم ليضع طعامه بين يديه فما يرفع حتى يغفر له قيل يا رسول الله وبم ذلك قال يقول بسم الله
اذا وضع والحمد لله اذا رفع وروي منصور عن ابرهيم شكر الطعام ان تسمي اذا اكلت وتحمد
الله اذا فرغت وروي غيره من اكل او شرب ثم حمد الله كان له اجر الصايم القايم باسناده عن سعيد
عن ابي هريرة وعن ابي هريرة رضي الله عنه الطاعم الشاكر كالصايم عن النبي عليه السلام الطاعم الشاكر له
مثل اجر الصايم الصابر وقال ابرهيم بن طهمان من اكل طعاما فذكر اسم الله على اكله وحمد
الله حين فرغ لم يسئل عن نعيم ذلك الطعام هذا لعظم اسم الله تعالى وكبير وصفه بالحمد
الذي تحمد وتمدح ولتفضيل بسم الله والحمد لله اذ بهاتين الكلمتين افتتح كتابه الحميد
وعن النبي عليه السلام من اكل طعاما فقال الحمد لله الذي اطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني
ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه رواه سهل بن معاذ بن انس عن ابيه وانما غفر له بالتوحيد
بعين اليقين لانه لم يشرك نفسه في اوصاف رب العالمين فاذا جمع الطعام خلتين تمت
النعمة اللحم والحلاوة لقوله تعالى في تفسير الطيبات ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من
طيبات ما رزقنا فالمن الحلاوة والسلوى اللحم قيل سمي سلوى لانه يسلى به عن جميع
الادام واذا جمع الشراب خصلتين تمت به النعمة العذوبة والبرودة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا شرب قال الحمد لله الذي سقانا برحمته عذبا فراتا ولم يجعله بذنوبنا ملحا اجاجا وعن عبد
الرحمن الثوري انه كان يسمي الراس طعام العرس لما يجمع من الالوان ويقول الراس سيد البدن
وكان لا يشتري الراس طعام الا في زيادة الشهر لكان زيادة الدماغ ولا يشتريه الا في يوم السبت و
هذا من حكماء العرب وقال عليه السلام افضل الطعام ما كثرت عليه الايدي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يرجو بركة ايدي المسلمين فمن دونه من التماس البركة بايديهم ادخل كما روينا عنه صلى الله عليه وسلم
سئل الوضوء من جر مخمر احب اليك ام من هذه المطاهر المسبلة فقال بل من هذه المطاهر المسبلة
التماس بركة ايدي المسلمين وكان صلى الله عليه وسلم يرسل الى المطاهر فيوتى بالماء منها فيتوضى به فسئل
عن ذلك فقال التمس بركة ايدي المسلمين وقال بعض السلف ان الرجل اذا دعا اخوانه على طعام
فاكلوا ثم ترفع فضل ذلك لم يحاسب عليه من اكله بعده لبركة الجماعة لقوله عليه السلام الجماعة بركة

وكان ... كان
وكان بعض العلماء



وهو راوي هذا الخبر يقدم الى اخوانه الفقراء من الحبوب وغير ذلك ليفضل منهم فلو بحاسب
عليه من اكله بعد لاجله الخبر فيه وقال جعفر بن علي رضي الله عنهما ما ساد منا الا سخي
على الطعام ويقال السخاء على الطعام اجود منه وابلغ من السخاء بالمال وقال صلى الله عليه وسلم
الوضوء قبل وبعده ينفي الفقر يعني به غسل اليد وقال ابو محمد من لم يحسن ادب الاكل
لم يحسن ادب العلم قال والذي يتصنع في الاكل هو الذي يتصنع في عمله فالطعام والاكل
يشتمل على مائة وسبعين خصلة ما بين فرض وسنن وادب وفضيلة واستحباب وكراهة
ومروة وفتوة من طرايق السلف وصنايع العرب ولذلك ان يكون الماكول حلالا وعلامة
الحلال ثلث ان يكون عينه معروفة لم يخالطها عين ذمها العلم من جناية او ظلم ويكون سببه
مباحا لم يلحق سبب محظور في الشرع لاجل الهوى او مداهنة في دين او دنيا ويكون قد وافق
فيه حكم السنة لا يكون على وصف مكروه من غدر او خطر او خلوة او غش او ترك نصح ثم ينوي
بالاكل التقوي على البر والتقوي والاستعانة به على خدمة المولى تعالى ويعرف النعمة فيه
انها من المنعم وحده لا شريك له فيها ويعتقد الشكر له عليها ويوثر التقلل على الاتساع والقناعة
على الحرص والادب فيه على الشره والصبر على الخشن من الطعام والرضا باليسير منه وغسل اليد في
اوله للاستحباب وفي آخره للنظافة والتسمية في اوله والحمد في آخره والاكل باليمين ويبتدي
بالملح ويختم به وان لا يذم ماكولا ولا يعيبه ان اعجبه اكله والا تركه وان تكثر الايدي على الطعام
وتصغير اللقمة وتجويد المضغ وان لا ينظر في وجوه الاكلين وان يقعد على رجله اليسرى وينصب
اليمنى ولا ياكل متكئا ولا مضطجعا ولا يحل ازاره فتتسع امعاؤه ولا يكون اول من يبتدي بالاكل
حتى يسبق صاحب المنزل او الاكبر فالاكبر الا ان يكون اماما يقتدى به او يكون القوم منقبضين
فيبسطهم بالابتداء ولا يجمع بين التمر والنوى في طبق ولا يجمعها في كفه بان يضع النوى على
ظهر كفه من فيه ثم يلقيها وكذلك ما له عجم او ثفل ويستحب ان ياكل من التمر وترا سبعا او احدى
عشرة او احدى وعشرين وان يفطر على رطب ان وجده والا فتمر فان لم يجد فعلى الماء والرضا
بالموجود من الرزق والقناعة بالمقسوم من الاكل وقال وهب بن منبه الصايم يزيغ بصره
فاذا افطر على حلاوة رجع بصره وان ياكل بعد الجوع ويرفع يده قبل الامتلاء بمقدار ثلث بطنه
او نصفه كذلك سنة السلف وهو اصح للجسم ويقال اساس كل داء البردة وهي التخمة وفي اخبار
الحكماء ان خادما لارسطاطاليس استقضاه رجل من اهل السواد حاجة فلم يقضها له فقال له لعلك
ان تحتاج اليه فقال ما بي اليه من حاجة فاخبر الخادم الحكيم بذلك فقال ان كان ياكل بعد الجوع
ويرفع قبل الشبع ويتقلل بين ذلك فقد صدق ما له الينا حاجة والطعام انما وضع دواء من
داء الجوع اذا وجدته عالجته به فاذا لم تجده صار الاكل داء لان التاذي بالاكل مثل التاذي بالجوع
بل اشد ولياكل مما يليه الا الفاكهة فله ان يجيل يده وياكل بثلث اصابع الا الثريد فله ان ياكل
باصابعه كلها ولا ياكل من ذروة القصعة ولا من وسط الطعام ولياكل من نواحيه وان لا
يصمتوا على الطعام فانه من سيرة العجم ولا يقطع اللحم بالسكين فقد نهي عنه ولا يقطع الخبز

والآكل

وليأكل من استدارة الرغيف الا ان يكون في الخبز قلة في الآكلين كثرة فيستعان بتكسير الخبز على التفرقة
ولا يكثر قول كل لاخيه فان ذلك مما يحتشمه فربما قطعه ولا ينبغي لاخيه ان يحوجه الى تفقده في الاكل وتكرير
قوله له كل ولا يدع شيئا يشتهيه من المأكول لاجل نظر العين اليه فانه من التصنع فان تركه ايثارا
الى اخوانه او قدمه لاخيه فحسن ولا ينقص من اكله المعتاد في الوحدة وان زاد لاجل مساعدة
الجماعة او بنية فضل الاكل مع الاخوان فلا باس بذلك والشرب في تضاعيف الاكل مستحب من جهة
الطب ما لم يبتدي به او يكثر منه يقال انه دباغ المعدة وقيل لو شرب الناس على طعامهم ما اتخموا
والشرب متكيا مكروه للمعدة ايضا من جهة الطب وفي الخبر عن النبي عليه السلام كيلوا طعامكم
يبارك لكم واملكوا العجين فانه اعظم للبركة وقد جاء فيما ذكرنا آثار كرهنا الاطالة بذكر جميع
ذلك ولكن نذكر بعضه عن شهر بن حوشب اذا جمع الطعام اربعة اشياء فقد كمل اذا كان اوله
حلالا وذكر اسم الله تعالى وكثرت عليه الايدي وحمد الله حين يفرغ منه وعن الحسن رضي الله قال
اثنى عشرة خصال في الطعام ينبغي للمسلمين ان يتعلموها اربعة منها فريضة التسمية والمعرفة
والرضاء والشكر واربعة منها سنة الجلوس على رجله اليسرى والاكل مما يليه والاكل بثلثة
اصابع ولعق الاصابع اذا فرغ واربعة منها ادب غسل اليدين وتصغير اللقمة والمضغ الشديد
وقلة النظر الى وجوه اصحابه وعنه ايضا الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللمم واحسبه
ينفي الهم وقال ابو يزيد بلغني انه من غسل يده قبل الطعام كان في سعة من الرزق حتى يموت وفي
حديث عايشه رضي الله عنها اذا اكل احدكم فليذكر اسم الله فان نسي في اوله فليقل بسم الله اوله وآخره
واما ابرهيم بن ادهم فانه سال بعض العارفين عن ادب الاكل فقال ادبه ان ناكل بثلث اصابع
وان تصغر اللقمة وذكر اشياء من هذا النوع فقال ابرهيم ليس هذا من ادب الاكل عندنا فقيل له
فما ادبه قال ان يحسن النفقة في المأكول فيكون حلالا لا شبهة فيه ويجتهد في النصح للمسلمين به
فاذا وجدنا حلالا صافيا ضربنا فيه بالخمس واكلنا حتى نشبع وقال بعض الحكماء البطنة تغلب
الفطنة فالعاقل من قهرت فطنته بطنته وعن ابن عباس رضي الله سئل النبي عليه السلام عن
افضل الشراب فقال الحلو البارد فتاول بعضهم انه عليه السلام عنى بهذا العسل خاصة لان العرب
تسمي العسل البارد ويقال اجود العسل الذهبي الذي اذا قطرت منه قطرة على التراب
استدار كالزيبق ولم ينفش ولم يختلط بالتراب وحكماء الروم يقول اجوده ما يلطخ على
فتيله ثم تشعل فيها النار فتعلق وسئل حكيم بقراطيس هل شيء يزيد في العمر فقال لو كان
ذلك كان من ادام اكل العسل ودهن جسمه واستحم غبا واحسبه ذكر التعفير وعن ابن
عمر رضي الله ثلثة لا ترد اللبن والدهن والوسادة وفي خبر آخر الحلواء والطيب والريحان وقال
رجل للثوري وروي الحديث ان الله يبغض اهل بيت لحمين فقال ليس هو بالذي يوكل فيه
اللحم انما هو الذي يوكل فيه لحوم الناس يعني الغيبة اسنده ابن ابي زياد وقال الحارثي الوحدة
خير من جليس السوء واكيل السوء فان كان لا بد من المواكلة والمعاشرة فمع من لا يستاثر عليك
بالاطعمة ويكره ايثارك على نفسه بطيب الطعام وخياره قال ولا يشتهي الغرايب ولا يمتحن الاخوان



بالاطعمة المثمنة عسى ان لا يكون موجودا او لا يقدر عليه اخوه وقد انشد اسحق الموصلي خير الصديق
صديق لا يكلفنا . ذبح الدجاج ولا شي الفراريج يرضى بلونين من كشك ومن عدس فان تشها فزيتون
بطسوج واعلم انه اذا كان في الطعام شيء ظريف او لقمة كريمة او مضغة شهية فانما ذلك للشيخ
المعظم او الصبي المدلل يقال الشبع داعية البشم والبشم داعية السقم والسقم داعية الموت
ومن مات هذه الميتة فقد مات ميتة لئيمة وهو مع هذا قاتل نفسه وقاتل نفسه الوم من قاتل غيره
ومن قلة الطعام صفت اذهان الاعراب وصحت الابدان الرهبان ويقال ما بطن قوم قط الا
فقدوا بعض عقولهم وما مضت عزمة رجل بات بطينا ويقال اقلل طعامك تحمد منامك وقال
الاصمعي ان الملائكة تحضر المائدة اذا كان عليها بقل وفي الخبر ان المائدة التي نزلت على بني اسرائيل
من السماء كان عليها من كل البقول الا الكراث وكان فيها سمكة عند راسها خل وعند ذنبها
ملح وكان عليها سبعة ارغفة على كل رغيف زيتون وحب رمان فهذا من احسن الطعام اذا اتفق
وقال بعض العلماء ليس من السنة ولا المروة ان يزور الرجل اخوانه فيقدموا اليه الطعام
فلا يساعدهم عليه لاجل صيامه قال عليه السلام ان العبد ليدرك بحسن خلقه درجة الصيام
القايم قيل هو الرجل يا له اخوان ان يفطر معهم نهارا او ليسهر معهم ليلا ويكون من عادته الصيام
والقيام فيساعدهم تخلقا معهم فيدرك بحسن خلقه درجة من صام وقام يقال الاكل مع
الاسخياء دواء ومواكلة اللئام داء في الضيافة واكرام الضيف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه وعنه عن النبي عليه السلام الضيافة صدقة
ثلث فاذا زاد فهو صدقة ولا يحل له ان يتوا عنده حتى يحرجه يعني يضيق عليه بعد ثلث حتى
يشق عليه وقال عليه السلام الضيافة جائزته يوم وليلة وليلة الضيف واجبة وفي لفظ آخر حق
وفي حديث شعبة عن المقدام بن ابي كريمة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ايما مسلم ضافه
قوم فاصبح الضيف محروما كان له على كل مسلم نصره حتى ياخذ بقرا ليلته من زرعه وماله
وعن ابي هريرة رضي الله عنه اذا انزلت برجل ولم يقرك فقاتله وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الخير اسرع الى مطعم الطعام من الشفرة في سنام البعير وفي خبر آخر الخير اسرع الى البيت الذي
يطعم فيه الطعام من السيل الى مستقره وفي الخبر آخر الضيف يحل فياكل رزقه ويرتحل
بذنوب اهل البيت حديث عن الحسن ان رجلا وجهده الجوع فغطن له رجل من الانصار فلما
امسى اتى به رحله وقال لامراته هل لك ان تطوي ليلتنا هذه لضيفنا قالت نعم فاذا قربت
الطعام فادني الى السراج تصلحيه فاطفئيه ففعلت وجاءت بثريد كانها قطاة ووضعتها
بين ايديهم ثم اتت الى السراج كانها تصلحه واطفاته وجعل الانصاري يضع يده في القصعة
ولا ياكل واكل الضيف حتى اتى على ما في القصعة فاطلع على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما اصبح الانصاري صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر فلما سلم انفتل الى الانصاري فقال
انت صاحب الكلام الليلة ففزع الانصاري وقال اي كلام قال كذا وكذا تقول لامراته
قال قد كان ذلك يا رسول الله قال فوالله لقد عجب الله من صنعكما الليلة وفي غير هذ الحديث

لقد

لقد ضحك الله اليكما في هذه الليلة وفي الخبر ما ضحك الله تعالى الى عبد في موطن الا غفر له وعن
ابي هريرة رضه عن النبي صلى الله عليه وسلم من السنة ان يمشي الرجل مع ضيفه الى باب الدار قال ابو
الوليد الزباجي اضر شيء على الضيف ان يكون صاحب المنزل شبعان عن عون بن عبد الله
ظل رجل صايما عام سنة فابتلي بسائل عند فطره وقد اتي بقرصين فالقى اليه احدهما ثم قال لا هذا
بمشبعة ولا هذا بمشبعي لان يشبع احد خير من ان يجوع اثنان فالقى اليه الآخر فلما اوى الى فراشه
اتي فقيل له اسئل المغفرة قال قد فعل ذلك بك فسل فقال اني اسئل ان يغاث الناس وقال
بعض النساك قد اعيان ان انزل على رجل يعلم اني لست اكل من رزقه شيئا وقال بعضهم لا
تاكل الا عند رجل يرى انك اكلت رزقك اي لا يشهد نفسه في رزق الله عز وجل ولا يرى فعله
في اطعام الله تعالى وقال الخزيمي ينشد اضاحك ضيفي قبل انزال رحله ويخصب عندي
عندي المحل جديب وما الخصب للاضياف ان تكثر القرا ولكنما وجه الكريم خصيب
وانشد بعض الكرام لحافي لحاف الضيف والبيت بيته ولم يلهني عنه الغزال المقنع
احادثه ان الحديث من القرى وتعلم نفسي انه سوف يهجع وكذلك يقال انطلاق الوجه بالضيف
والضحك اليه افضل من القرى ومحادثته بحسن اقبال نصف القرى وعلى هذا تاولوا
قوله عليه السلام اطلبوا الخير عند حسان الوجه اي عند الطلقاء المتبسمين لا عند المتقبضين
المتعبسين كالذين قيل فيهم ذهب الناس واستقلوا وسادوا وبقينا في ارذل الغسناس
من اناس يراهم الناس ناسا واذا فتشوا فليسوا بناس واذا جئت ابتغي الفضل منهم
ابتدوني عند اللقاء بباس وددت اني حتى تمنيت اني مغليت عند ذلك راسي برا
وكالمن قال واني لاجفو الضيف من غير عسرة مخافة ان يغرى بنا فيعود قال ميمون
بن مهران اذا نزل بك ضيف فلا تكلف له بما لا تطيق واطعمه من طعام اهلك والقه بوجه
طلق فانك ان تكلفت ما لا تطيق اوشك ان تلقاه بوجه يكرهه وقال الفضيل انما
بالتكلف يزور احدهم اخاه فيتكلف له فيحتشمه ان يعود اليه ثانيا فمن اكرام الضيف تعجيل
له وتقديم ما حضر اليه ولا ينتظر به الغايب وافضل ما يكرمه به اللحم وخير اللحم السمين النضج
فاذا اجتمع السمن تمت النعم به فان كان بعد اللحم حلاوة فقد جمع له الطيبات ينتظم
هذه المعاني قوله تعالى هل اتيك حديث ضيف ابرهيم المكرمين قيل في وصفهم بالاكرام
ثلثة اقوال احدها خدمهم بنفسه والثاني اخدمهم اهله فكانت فوق رؤسهم بحمل الطعام
اليهم والثالثة انه اكرمهم بتعجيل الطعام اليهم من غير تربص كما قال الله تعالى فما لبث ان جاء
بعجل حنيذ اي النضيج وقال تعالى فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين الروغان الذهاب بسرعة وقيل
الذهاب في خفية وقيل جاء بفخذ من لحم فسمي عجلا لانه عجله لم يلبث به ثم وصفه بانه
سمين نضيج وقال جعفر الصادق رضه احب اخواني الي اكثرهم اكلا واعظمهم لقمة واثقلهم
على من يحوجني الى تعاهده في الاكل وقال تبين محبة الرجل لاخيه بجودة اكله في منزله
وقد كان عبد الله بن عباس احد الاجواد على الطعام كان ينحر في كل يوم جزورين

شد

تقاطع الناس

وروى انه كان ينحر جزورًا فقال عبد الله ينحر في كل يوم جزورًا فقال اكثر ذلك يا اخي فالله
لانحرن كل يوم جزورين فهذا كما قال فما زادني الواشون الاصبابة ولا كثرة الناهين
الاتماديا ومن علامة السخي انه لا يملك نفسه عند العطاء وان من عذله في العطاء او نهاه
فكانما اشاطه او اغراه وقد كانت عايشة رضي الله عنها لا يملك نفسها في العطاء وكانت احد
الاسخيا قسمت في مجلس واحد مائة الف قبل ان تقوم ومرة فرقت سبعين الفا وانه لدرعها
المرقوع وافطرت ليلة على خل وزيت واهدي اليها معاوية رضي جوهرا قومها مائة الف
فقسمته في ضواجبها من ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قال ابن الزبير احجر عليها
وهذا كان سبب غضبها عليه فحلفت ان لا تكلمه فدخل عليها في جماعة فردت عليه
من حوجه ذلك فاعتقت اربعين رقبة كذلك فاثرت على نفسها من الجنة فوهبت لعمر رضي الله
موضع قبره وهو روضة من رياض الجنة قال السخي على الطعام لا يميز في الاطعام ولا يفرق
بين الانام فهذه خلويق الكرام ومن اكل حلولا فليقل عند فراغه الحمد لله الذي بنعمته
تتم الصالحات وبرحمته تنزل البركات اللهم اطعمنا طيبا واستعملنا صالحا وليكثر شكر الله تعالى
على ذلك فان اكل شبهة فيقل على كل حال اللهم لا تجعله قوة لنا على معصيتك ولا تبتلنا بكفر نعمتك
وليكثر الحزن والاستغفار وفي الخبر اذا دعا احدكم الطعام فلم يجب فلو يقل كل هنيئًا
فلعله اخذه من غير حله ولكن ليقل اطعمك الله طيبا اذا كان لينا اللهم بارك لنا فيه
ارزقنا وزدنا منه وان اكل غيره فليقل اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وارزقنا خيرًا منه
وليقل في اول لقمة بسم الله وفي الثانية بسم الله الرحمن وفي الثالثة بسم الله الرحمن الرحيم
وان كان صائما فليقل اللهم لوجهك صمنا ان شاء الله وعلى رزقك افطرنا والحمد لله هكذا
عن ابن عمر رضي الله ولو شرب في ثلثة انفاس وقال عليه السلام اذا شربتم فاشربوا في ثلثة انفاس
ولا تعبوه عبا فانه اهنا وامرا وابرا والعب في نفس واحد لا يقطع كشرب الحمام من الطير ولا ينفخ
في الكوز اذا اراد ان يشرب ولا في الطعام اذا اراد ان ياكل فانه قد نهي عن ذلك ولا يشرب من كسر
الاناء فانه مجمع الوسخ ولا بحيث العروة فانها مقعد الشيطان وقد كره الشرب قائما ويسمى
في اول جرعة ويحمد اذا قطع كذلك ثلثا من التسمية والحمد وان سمى في كل لقمة فحسن
والقراء بعد فراغه من الاكل قل هو الله لان فيه الصمد الذي يطعم ولا يطعم وسورة الضحى
لان فيها تعديد النعمة وسورة لايلاف قريش اذ فيها الاطعام من جوع ثم ليحمد بمعاني ما فيها
من الانعام فيقول اطعمت من جوع فلك الحمد وامنت من خوف فلك الشكر اويت من يتم فلك
الحمد هديت من ظلولة فلك الشكر اغنيت من عيلة فلك الحمد وتقديم الفاكهة قبل الطعام
اوفق وفي القران ترتيب ذلك من قوله وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون ولا يرفع
يده قبل اخوانه اذا كانوا يحتشمون او يحتاجون الى بسط وليس من السنة ان يقصد الرجل
قوما يتخير حضور طعامهم ليتطاد فيه فان ذلك من المفاجاة وقد نهي عنه وفسر المطلحات
ابو عبد الله قال هو الرجل ينتظر القوم حتى يوضع طعامهم ثم يجيء وقال تعالى لا تدخلوا بيوت النبي

الى قوله

الى قوله غير ناظرين اناه يعنى منتظرين حينه ونضجه وفى الخبر من مشى الى طعام لم يدع اليه
مشى فاسقًا واكل حرامًا وفى رواية ابن عمر رضه من دخل غير دعوة دخل سارقًا وخرج مغيرًا ومن
لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله اذا صادفهم ياكلون فسالوه ان ياكل وعلم انهم يحبون
ذلك وان الحب اليهم ان لا يفعل وانما عرضوا عليه عرضًا او سالوه تعذيرًا او حياء كرهنا له
الاكل واظهروا القول ومن كان جايعًا فقصد بعض اخوانه ليطعمه بعد ان لا يتخير وقت
اكله فلا باس فان المسلم يستحق على اخيه سد جوعته وستر عورته لحق الاسلام وحرمة
الاخوة فى الدين فليكن فى ذلك نية بان يستخرج من مال اخيه ليا جوه الله فيه ويعكه
ما لم يعلم لان اخاه لو علم انه قاصد لسارع الى اطعامه فرضًا وفضلًا فيكون يقيم نفسه مقام
غيره فى ان يستطعم للغير فيوجر على اطعامه نفسه ويثاب على ادخاله الثواب على اخيه
كما يوجر على دلالته على الخير فى غيره من المسلمين لقوله عليه السلام فى عموم الخير الدال على الخير
كفاعله ولقوله فى خصوصه ما صدقة افضل من ان يامر الرجل بصدقة وقد قصد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه ابو بكر وعمر رضى الله عنهما من جوع اصابهم ابا الهيثم بن التيهان
وابا ايوب الانصارى فذبحا لهم عناقًا فطبخ وشوى منها ولم يكن ذلك ثم عزل قطعة من
لحم بين رغيفين فارسل بها صلى الله عليه وسلم الى منزله فاطمة فهذا اثر فى الزلة لمن اراد ان
يحتج بسنة وقد كان قوم من اهل البسط والانس يدعون نفوسهم الى اخوانهم
ويهدونها الى احبابهم والا فهم من غير ان يدعوا يحتجون لذلك ويعتذرون لاخوا نهم
فى ترك دعائهم ولكن هذا لا يستعمل الا مع اهله ولا يصلح ولا يليق الا بالكرام اولى
الفضل من شكله وليس من السنة ان يخرج الضيف من المنزل من غير اذن صاحب الدار
ولا ان يقيم فى الضيافة فوق ثلث حتى يخرجه او يتبرم به حينئذ ثم فيه فيما ثمات
عن الصحابة رضى الله عنهم كانوا يقدمون الى اخوانهم ما حضر من الكسر اليابسة و
والحشف من التمر ويقولون لا ندرى ايهم لا ندرى ايهم اعظم وزرًا الذى يحتقر
ما يقدم اليه او الذى يحتقر ما عنده ان يقدمه وكذلك جاء فى الخبر وقال بعضهم
اذا قصدت فقدم ما حضر واذا دعوت فلا تبقى ولا تذر وعن انس وغيره هو من
اخلاق الجنة ولا ينبغى للمدعو ان يقترح على الداعى شيئًا بعينه فيشق عليه فليس
من اخلاق اهل الجنة الصالحين ادخال مشقة فى دنيا ولا دين وهو ايضا خارج
من القناعة وداخل فى الضراعة فان خيره اخوه بين طعامين فليختر ايسرهما منه و
وايسرهما عليه كذلك السنة فان كان اخوه من اهل الانس والكرم وعلم ان اقتراحه
عليه ما يحبه فلا باس بذلك فعله الشافعى رحمه الله ببغداد مع الزعفرانى يكتب فى رقعة
للجارية ما تصلح من الالوان فدعا يوم الشافعى بجارية فنظر فى الرقعة ثم زاد لونًا
اشتهاه الحقه بخطه فلما جاء الزعفرانى وقدمت الجارية ذلك اللون انكره اذ لم يامر
فسالها عنه فاخبرته بان الشافعى زاده فى الرقعة فلما نظر اليها راى خط الشافعى ملحقًا

نهم

هابه



فيها بذلك اللون سرّه ذلك فقال انت حرة فاعتقها فرحاً منه فانّ اشهاده اخوه وساله
فلا باس ان يذكر له شهوته فيعينه على فضيلتها فقد روينا في فضل ذلك من صادف من اخيه
غفر له ومن سرّ اخاه المؤمن فقد سرّ الله وعن جابر عن النبي عليه السلام من لذّذ اخاه بما يشتهي
كتب الله له الف الف حسنة ومحا عنه الف الف سيّئة ورفع له الف الف درجة واطعمه الله
جنان جنّة الفردوس وجنة العدن وجنة الخلد والخلال بعد الاكل حسن وهو ما
بين الملأ غير حسن وللادب الا ان يعتزل ناحية وفي الخبر ما شيء ابغض الى الملائكة من
ان ترى بين اسنان العبد شيئا من الطعام ولا يشرب الماء بعد ان يتخلل حتى يتمضمض
الخبر في ذلك عن اهل البيت ولا يعوّس الخادم على الطعام والناس ياكلون فانه مكروه
وهو من سيرة الاكاسرة وليقل عند طعامه الحمد لله الذي اطعمنا وسقانا وكفانا واوانا
سيّدنا ومولانا يا كافي من كل شيء ولا يكفي منه شيء كن كافينا من كل شيء حتى يبقى سواك
شيء الحمد لله حمدا كثيرا دائما طيّبا نافعا مباركا فيه كما انت اهله ومستحقه اللهم اطعمنا
طيّبا واستعملنا صالحا اجعله عونا لنا على طاعتك ونعوذ بك ان نستعين به على
معاصيك وروي عن الحسن رض كل نفقة ينفقها الرجل على نفسه وابويه فمن دونهم يحاسب
عليها العبد الا نفقة الرجل على اخوانه في الطعام فان الله يستحيي ان يساله عن ذلك
وفي الخبر ثلث لا يحاسب عليها العبد اكلة السحر وما افطر عليه والاكل مع الاخوان
وعن جعفر بن محمد عليهما السلام اذا قعدتم مع الاخوان على مائدة فاطيلوا الجلوس فانها
ساعة لا تحسب عليكم من اعماركم وعن النبي عليه السلام لا تزال الملائكة تصلي على احدكم
ما دامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع ومن لم تكن له نيّة في تقديم فضول
الاطعمة للخير في ان من اكله لم يحاسب عليه ولارادة اتساع الآكلين منه وتوسعه
الاجر له بذلك فالاولى ان تقدم من الطعام الا قدر ما يوكل ومقدار ما يحب صاحبه
ان ياكلوه ولا يترك منه شيء ولا يستثني هو ولا اهل البيت في انفسهم رجوع شيء منه
لانهم قد اخرجوه الله تعالى فيكره لهم ان يسترجعوا منه شيئا كما اذا اخرج الرجل الى السا
رغيفا ثم لم يصادفه مكروه له ان يردّ ذلك الى منزله حتى يدفعه الى سائل آخر فاذا نوى
رجوع بعضه يكون ذلك تصنّعا ويدخل في التزيّن والمباهاة ويكره اكل طعام المباهاة
والمباراة وهذا مكروه لم يقدّمه بهذه النيّة الى اخوانه لانه قد عرّضهم لتناول ما يكرهون
وقد دلّس عليهم ما لا يعلمون وما رفع بين رسول الله عليه السلام فضلة طعام قط ولا خبز
ولا سواه ذلك بانهم كانوا المخلصين ويقدمون بقدر ما ياكلون وينبغي ان يعزل فضلة
اهل البيت قبل تقديم الطعام الى الاخوان لئلا يحدّثون انفسهم بارتجاع شيء منه
فانه مكروه لهم ولعله ان لا يرجع منه شيء فيكون ذلك احراجا من الآكلين ونقصة لهم
في قلوبهم فهذا اشدّ عليهم من اكرامهم بالطعام او يكون مضرّا بالاهل فيصير مضيعا للوصل
الا ان يكون حال اهله في العلم واليقين كحاله فيؤثرون اضيافهم واخوانه على نصيبهم

فهذه

فهذه طريقة السلف واخلاق الكرام وفي تقديم الماكول الكثير ليرجع اكثره نية حسنة
لما جاء فيه ان من اكل ما فضل من الاخوان لم يحاسب عليه فاذا احضر الطعام والصلوة
فان كانت نفوسهم تتوق اليه وفي الوقت سعة قدموا الاكل وان كانت نفوسهم ساكنة
او ضاق الوقت وخشوا ان يتطاول بهم الاكل صلوا قبل الطعام واستحب الاكل على الارض كان
رسول الله عليه السلام اذا اتى بطعام وضعه على الارض وياكل مقعيا على قدميه ويقول لا
اكل متكيا انما انا عبد اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وربما جثا للاكل على ركبتيه
وجلس على ظهر قدميه اليسرى ونصب اليمنى فان اكلوا على السفرة فهو السنة ويتذكر بر
السفر ويتزود لسفره وخير زاده تقوى وخير تقواه توحيده وحنانية مولاه واكره
الاكل على الموايد العالية قال انس ما اكل رسول الله على خوان وعلى سكرجة قط بل على السفر
وقيل اول ما احدثت هذه الامة بعد نبيها عليه السلام اربع الموايد والمناخل والاشنان و
الشبع في اجابة الدعوة قالوا اجابة الدعوة سنة وتركها معصية واوكدها الوليمة
وهي من حق المسلم على المسلم وابرار القسم فيها واجب باخبار عن رسول الله صلى الله عليه السلام
عن رسول روينا في ذلك وهو طريق الى الله حسن وكان من سيرة السلف الصلح وهي تمام لطا يفة
من المؤمنين اعني ايجاب الدعوة والاجابة اليها وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعي احدكم
فليجب فان كان مفطرا فليطعم وان كان صائما فليصل اي فليدع وكان ابن عمر رضه لا يتخلف
عن اجابة الدعاء فان صادف اكل وان وافق صومه دعا لهم وبارك عليهم ثم انصرف ودعا
رجل من الصحابة اخاله فلم يطعم وقال اني صايم فاخبر الداعي رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال
النبي عليه السلام للمدعو دعاك اخوك وتكلف لك طعاما فلم تاكل فقال يا رسول الله اني كنت صايما
قال فلا افطرت وصمت يوما مكانه فمن دعي الى طعام وهو صايم فليجب وله ان يفطر فان
كان الطعام صنع لاجله فلا فضل له ان ياكل ففي هذا سنة فان سالوه ان ياكل وعلم ان فطره
يسرهم ففطره افضل لان صومه لنفسه وفطره لاخوانه فقد اثرهم على نفسه وهذا داخل في معنى
الخبر ان الخبر ليدرك بخلقه درجة الصايم القايم فان كان يشهد فضله في صومه على احد
منهم فصومه ذلك معصية وقال بعضهم كدر الجماعة خير من صفو الفرقة ولو كان ممن يصوم الدهر
كان فطره اعجب الي ليستر صومه بفطره ويخفي سريرته في صوم لئلا يفطن له فهو اذا ادنى
الى الاخلاص وابعد من التزين والانتقاص وهذا طريق الصادقين من لم يكن على علم من فرح اخيه
بالافطار ولا يعتني من دخول غم عليه بعدمه فرعاية صومه احب الي لئلا يخرج من عقد عقده
لله تعالى بغير نية في الله فان اتفق داعيان اجيبت السابق منهما فان كانا معا في وقت واحد اجيبت
اقربهما منك بابا ففي معناه اثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاتيان بالهدية من قول عايشة رضي الله
يا رسول الله جارتان فالى ايهما اهدي فقال الى اقربهما منك وكما قيل في المسجدين
في محلة فالصلوة في اقربهما اولى فان كان الداعيان في القرب سواء اجب افضلهما في نفسك و اقدمها
صحبة لك والفضل الناس في الاجابة من جاء قبل الناس ولم يحرج الى رسول ثاني او الى معاودة بقول

بعض

وانقلهم من انتظر الى اخر وقت او احوج الى عادة رسول او تكرار قول واخلف موعدا وقد كان
السلف اذا احب ان يدعو اخاه اعلمه قبل ذلك لئلا يستوفي اكله المعتاد فيقصر عنه فيغمه ذلك
او خشية ان يزيد على اكله المعهود فيضر به ولانهم كانوا ياكلون الوجبة والغبوق وهي الاكلة
في كل يوم مرة ولا ياكلون في اليوم مرتين وروينا عن علي رضي الله عنه انه دعي الى هريسة صائما وهو الغداة فقال
الا اعلمتني من الليل فافرح الطبع بالطعام الذي هو قوله كقوله عليه السلام للصائم فرحتان
فرحة عند افطاره وليس هو فرح القلب لان القلب لا يفرح الا بالذي يطمئن به وتعالى قل بفضل الله
وبرحمته فبذلك فليفرحوا واستحب له اذا اراد ان يدعوه عشية ان يعلمه غدوة وان دعاه للطعام
يتقدم اليه من الليل كذلك السلف يفعلون لانهم كانوا اذا تعشوا لم يتغدوا واذا تغدوا لم يتعشوا
على ما ذكرناه وحدثت ان الحسن وفرقدا السبخي اجتمعا على مائدة وكان فرقد يتتبع اسقاط الطعام
ورذاله فلياكل وكان الحسن يقصد اطايبه فسال رجل الحسن فقال يا ابا سعيد رايتك تقصد
اطايب الطعام فقال نعم انما قدم اليك اخوك الطعام لتصيبه فاذا قصدت اجوده فقد بالغت
في حاجته وادركت من الثواب بغية فكان اجزل لمثوبته واذا اضربت عن ذلك انكسرت حاجته اخيك
في قصده وسئل فرقد عن تتبع اراذل الطعام وسقطه فقال ان لم اكله انا فقد رضيته لاصحابي
واخواني فانا اريد ان احمله دونهم واوثرهم بجيده وكل يعمل على شاكلته ولكل امرئ ما نوى فالحسن
اراد لاخيه الاخرة وفرقد اراد لاخوانه الدنيا والاخرة خير وابقى ومن دعي الى طعام وعنده جماعة
او انسان من حيث يعون الداعي ويعلمون الدعوة فليستاذن الواحد او الجماعة معه فانه من السنة
والادب الا ان يعلم ان الواحد او الجماعة لا يحبون حضور تلك الدعوة فتسقط عنه المسئلة فان دعي
وحده او مع نفر باعيانهم فلا يزيد على العدد ودعا يهودي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عايشة رضي الله عنها
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه معي فقال اليهودي لا فقال النبي صلى الله عليه وسلم فلا اذا ولم يجب وكانت
اليهود تبغض عايشة رضي الله عنها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا دعي انا ومن معي او يقول في كم من اصحابي
ودعا رسول الله مع خمسة فتبعهم رجل لم يكن دعوه فلما وقف رسول الله بالباب خرج اليه
الداعي فقال له انا قد تبعنا رجل فان اذنت له دخل والا امرته ان يرجع فهذا سنة في رد
من لم يدع ومن دعي في جماعة وفوض اليه الامر فيهم فليعرف صاحب المنزل عددهم قبل مجيئهم
ليعتد لهم على قدر عددهم ومن كان ياكل مع رجل من طعامه فوقف عليه سائل فلا يعطيه من الطعام
شيئا الا باذنه فان اعطاه بغير اذنه لم يكن له فيه اجر بل وجب عليه عليه الوزر ولا يدعو الى
طعامه غيره احدا بغير اذن صاحبه وكان الجنيد وابن المبارك اذا اراد الغدا والعشا فتحا
بابها ثم دخل عرضا عليه الاكل من غني او فقير وكان هذا من سيرة السلف ومنهم من كان ينصب
المائدة في دهليز داره ويفتح الباب وكل من مر به في الطريق دعاه الى طعامه من فقراء وغيره ونقل
عن احد البخلاء انه قال لابنه هات المائدة واغلق الباب فقال الغلام يا ابت من الاحتياط
ان اغلق الباب اولا ثم اتي بالمائدة قال فضمه اليه وقال فديتك انت ابني حقا ومن علم من اخيه انه
يحب ان ياكل من طعامه فلا باس ان ياكل بغير اذنه لان علمه بحقيقة حاله ينوب عن اذنه في الاكل لقوله صلى الله عليه

في المعنى



رسول الرجل الى الرجل اذنه اى قد علم باذنه له بالدخول عليه فاغناه عن الاستيذان وكفعله عليه السلام
والنص من اكله من لحم تصدق به على بريرة من غير ان يستاذنها ولم تكن حاضرة لعلمه انها تسر
بذلك فقال ان الصدقة قد بلغت محلها هو عليها صدقة ولنا هدية وكان محمد بن واسع واصحابه
يدخلون منزل الحسن رض فيأكلون ما يجدون بغير اذن وكان الحسن ربما دخل فوجدهم كذلك
فيسر فيقول هكذا كنا فتلا قوله تعالى لا جناح عليكم ان تأكلوا الى قوله او صديقكم قيل فمن
نعم الصديق يا ابا سعيد قال من استروحت اليه النفوس واطمان اليه القلب فان كا
كذلك فلو اذن له في ماله وعمل بعض السلف صنيعا فدعا رجلا فلم يصادفه الرسول ثم اعلم
وقد انصرف الناس من عنده فقصد منزله فدق عليه الباب فخرج اليه الرجل فقال هل من حاجة
قال انك دعوتني فلم يتفق ذلك قد جئت الان لما علمت فقال قد انصرف الناس فقال هل بقي منهم
بقية قال لا قال فكسرة قال لا قال فالقدر امسحها قال هل غسلناها فانصرف يحمد الله تعالى فقيل له
في مسئلته عن ذلك فقال قد احسن الرجل دعانا بنية وردنا بنية فنفس هنا في الضعة والذلة
وسقوطها من مراتب الانفة والعزة تشبه بنفس ابن الكرنبي وهو استاذ الجنيد دعاه صبي
الى دعوة ابيه فرده الاب اربع مرات في دعوة واحدة وهو يرجع اليه في كل ليلته وهو يرده
فهذه نفوس مطمئنة بالتوحيد مشاهدة للبلوي من المولي والمتكبرون لا يجيبون الدعوات وهي عندهم
من انفة النفوس في العالم انا لا اجيب دعوة قيل فلم قال انتظار المرقة ذل ومنهم من لم يكن
يجيب الفقير لكبره في نفسه عنه ويجيب الاغنياء لعظمهم في عينه ومن ابناء الدنيا من لا يجيب الا نظراءه
اشكاله من مثل رتبته في الرياسة والدنيا وهذا على خلاف سنة رسول الله عليه السلام من فعاله ان يجيب
دعوة المسكين والعبد وقال صلى الله عليه وسلم بئس الطعام او شر طعام الوليمة يدعا اليها الاغنياء
ويترك الفقراء ثم قال من لم يجب الدعوة فقد عصى الله تعالى ومر الحسين بن علي رضي الله عنهما بقوم من
المساكين الذين يسئلون الناس على قارعة الطريق وقد نثروا كسرا على الارض في الرمل وهم ياكلون
وكان على بغلته فلما مر بهم سلم عليهم فردوا عليه وقالوا هلم الغدا يا ابن رسول الله فقال نعم ان الله
لا يحب المستكبرين ثم ثنا وركه فنزل عن دابته وقعد معهم في الارض واقبل ياكل ثم سلم عليهم ود
آخر زياده فقال اجبتكم فاجيبوني فقالوا نعم فوعدهم المجي في وقت من النهار فجاؤا فرحب بهم
ورفع مجلسهم وامر باحضار الطعام واكل معهم وقال بعض اهل الاعتبار ما اجبت الدعوة الا
لتذكر نعيم الجنة طعام يفضل بغير كلفة ولا مؤنة وكذلك قيل اجتماع الاخوان في وجوه الكفاية
على الانس والالفة ليس هو من الدنيا وقال بعضهم لا تجب دعوة الا من يرى انك اكلت رزقك وانه سلمه
اليك وديعة كانت لك عندي ويرى لك الفضل عليه في قبولها منه وينبغي ان يكون للمجيب الى الدعوة نيات
سبع اذ الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوي واذ الاجابة من الاعمال فمن نواها دنيا كانت له دنيا لعاجل
حظه ومن ارادها الاخرة كانت له اخرة بحسن نية ومن لم يحضره نية واعتل بفسادها يقف حتى
يهيئ الله تعالى نية صالحة تكون الاجابة عليها او ترك الاجابة اذا لم يكن له نية فتسلم من السيئات
والا كانت اجابته هوا وكان عاملا في باب من ابواب الدنيا وساعيا في حظ نفسه وملئ جوفه وقد قال

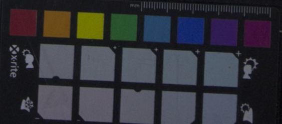
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها فهجرته الى ما هاجر اليه فيصير مأزورا لفساد النية
او يكون غير مأجور لعدمها فاول النيات طاعة الله تعالى وطاعة رسول الله عليه السلام لقوله من لم يجب الدعوة الخبر
والثانية اقامة سنته عليه السلام لقوله عليه السلام لو دعيت الى كراع الغميم وهو موضع الى اميال من المدينة
افطر رسول الله عليه السلام في رمضان لما بلغه وقصد عنده في سفره وقال في الخبر الآخر لو دعيت الى ذراع
لاجبت فهذا ظاهر في الاجابة على القليل والاول محتمل في الاجابة الى الموضع البعيد وفي بعض
الكتب سر ميلا عد مريضا سر ميلين شيع جنازة سر ثلثة اميال اجب دعوة سر اربعة اميال
زر اخا في الله فيقدم في اجابة الدعوة وفضلها على العبادة وشهود الجنازة لان فيها
قضاء حق الحي وفيها اجابة الداعي والثالثة اكرام اخيه في الخبر من اكرم اخاه المؤمن فانما
يكرم الله وفي حديث الحسن رضي الله من جاءه بشيء من غير مسئلة فرده فانما يرد الله تعالى فنزلت
الاجابة رد العطاء الرابعة ادخال السرور على اخيك المؤمن في قضاء حاجته كما جاء افضل الاعمال
ادخال السرور على اخيك المؤمن وفي لفظ من سر مؤمنا فقد سر الله تعالى الخامسة دفع الغم عن قلبه
ووضع الهم عن نفسه في ترك اجابته من ترجيم الظنون به وتوقيع الرجم بالغيب فيه لم لم يجب
كيف لم يجب والا كان يجيب فيرفع عنه ذلك ويسقط عنه مؤنة سوء الظن بمرويل الشك
فيه واليقين بره السادسة ان ينوي زيارته فيصير ذلك نافلة تماما على الذي احسن فقد
جاء في فضل الزيارة في الله وان بها يستحق ولاية الله وانها علامة المتحابين في الله تعالى
فاشترط لذلك شيئان التباذل والتزاور فيه فقد فضل البذل لمن احدهما بقيت الزيادة
من الآخر على الخبر السائر ان الاجابة من التواضع وان المتكبرين لا يجيبون الداعي فهذه سبعة
نيات لمن وفق لفعلها والعمل بها واذا عرضت على اخيك الطعام مرة او مرتين فلا تلحن
عليه وكذلك اذا دعوته فقد قال لولا تلزم اخاك بما يشق عليه ولا تزيدن على ثلث
مرات والالحاح ما زاد على الثلث وليس ذلك من السنة ولا ادب الا فيما لا بد منه للجميع
فيه ادب وكان رسول الله عم اذا خوطب في شيء ثلثا لم يراجع بعد ثلث وكان رسول الله عم
يعيد كلامه ثلثا ويكرر القول ثلثا وقال الثوري رح اذا زارك اخوك فلا تقل له كل او اقدم
اليك ولكن قدم اليه ما عندك فان اكل والا فارفعه ذكر اخبار جاءت منثورة في الاطعمة والاكل
من بين فضل ونقص من طريق السلف عن ابي هريرة عن النبي عم من اكل ما يسقط من المائدة
عاش في سعة وعوفي في ولده وعنه ايضا الاكل في السوق دناءة عن علي رض من ابتدا غداءه
بالملح اذهب الله تعالى عنه سبعين نوعا من البلاء ومن اكل كل يوم سبع تمرات وقال
النظام عشرة خصال يورث النسيان اكل سؤر الفار واكل التفاح الحامض واكل الكزبرة
الرطبة والحجامة في النقرة والبول في الماء الراكد وطرح القمل في الطريق والمشي بين جملين
مقطورين وقراءة كتاب القبور والنظر الى المصلوب وكفل الميت بالخرقة عجوة قتلت كل داء
في بطنه ومن اكل كل يوم احد او عشرين زبيبة حمراء لم ير في جسده شيئا يكرهه واللحم ينبت اللحم
ولحم البقر داء ولبنها شفاء وسمنها دواء والشحم يخرج مثله من داء والسمك يذيب الجسد

وقراءة

وقراءة القران والسواك يذهب البلغم ومن اراد البقاء ولا بقاء فليباكر الغدا وليقل غشيان
النساء وليخفا الردي وهو الدين وعن بعضهم لا تنكح من النساء الا فتاتا ولا تاكل من اللحم الا فتيا
ولا تاكل من المطبوخ حتى تنعم نضجه ولا تشربن دواء الا من علة ولا تاكل طعاما الا اجدت مضغه
وكل من الطعام ما احببت ولا تشرب عليه فان شربت فلا تاكل عليه شيئا ولا تحبس الغائط والبول واذا
اكلت بالنهار فنم واذا اكلت بالليل فامش قبل ان تنام ولو مائة خطوة فيما قاله الفيلسوف
حكمة قد ورد في بعضها آثار عن عبد الله بن بكر السهمي من استقل بدائه فلا يتداوا فرب دواء
يورث الداء وقال بعضهم مثل شرب الدواء مثل الصابون للثوب ينقيه ولكنه يخلقه وقيل برك
الغدا يذهب بشحم الكادة يعني اليته والعرب تقول تغدا ولا تمشا وتعشا وتمدا يريدون وابدلوا
الالف من الذال الثانية كراهة التكرار ولازدواج الكلام ومنه قوله تعالى ثم ذهب الى
اهله يتمطى اي يتمطط يعني يمد مطاه يرفع ظهره واما في حبس الغائط فقد قال بعض الفلاسفة
الطعام اذا اخرج نحوه قبل ست ساعات فهو مكروه من المعدة واذا بقي فيها اكثر من اربعة وعشرين ساعة
فهو ضرر على المعدة ويقال ان حبس البول يفسد في الجسد كما يفسد النهر ما حوله اذا سد مجراها
ففاض من جوانبه ويقال ان ارواح المفاصل ميراث حبس الريح ذكر ما جاءت في التقلل والحمية وذم
البطنة قال ابو الدرداء رض بئس العون على الدين قلب نخيب وبطن رغيب ونعظ شديد نخيب
يعني ضيفا ضعيفا ورغيب يعني واسعه طامعة قيل لبعض الحكماء اي الطعام اطيب قال الجوع
اعرف بطيب الطعام كما قيل نعم الادام الجوع وقال العتبي عبد الله قلت لرجل من اهل المدينة يا
اخاك لا عجبا ان فقهاءكم اظرف من فقهائنا وعوامكم اظرف من عوامنا ومجانينكم اظرف من
مجانيننا قال اوتدري لم ذلك قلت لا قال الجوع الا ترى العود انما صفا صوته من خلو جوفه
وقال لقمان لابنه ان طول الجلوس على الخلاء يرفع الحرارة الى الراس ويورث الباسور وينجع له
الكبد اجلس هوينا وقم وعن رسول الله عليه السلام اكرموا الخبز فان الله تعالى انزله من بركات
السماء فمن اكرام الخبز ان لا ينتظر به الادام وان لا يجعل تحت شيء من آلة المائدة ولا يتخذ طبقا
لشيء فان وضع عليه ما يوكل به فلا باس ومن السنة والادب ان لا ينتظر بالطعام غايبا اذا حضر
جماعة ولكن ياكل من حضر فان حرمة الحاضر مع حضور الطعام اوجب من انتظار الغايب الا ان يكون الغايب
من الفقرا فلا باس ان ينتظر لئلا ينكسر قلبه وان كان الغايب غنيا لم ينتظر مع حضور الفقراء فان انتظار
الغني معصية ولا ينتظر الواحد مع حضور الجماعة وبعضهم يقول لا ينتظر الجماعة مع حضور الواحد
كان نجعل الطعام لمن حضر واكره وضع الرجل بين يدي اخيه شيئا من الاطعمة لمعاني احدها العلة يأخذ الطعام
من موضعه احب اليه من وضعه بين يديه فليتوم اكل ما جعله نحوه او يكره تلوث الرغيف بالادام وربما بقي
الرغيف موضوعا غير ماكول فيكون مكروها فيضطر العبد الى اكله فان كان الاكل شديد الحيا
مقصرا عن تناول الطعام او بعيدا لمكان منه او كان الماكول نوعا واحدا فلا باس والتلقيم
حسن قد فعله الاخوان ما لم يستحي الملقم من ذلك او يكره فاذا طعم الجماعة فلينصرفوا ولا
يقعد والحديث فلعله ان يثقل على اهل المنزل ويستحيون وقال تعالى فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستانسين

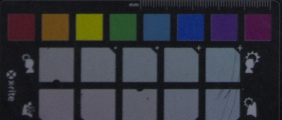
لحديث نزلت في الثقلاء وكان الاعمش اذا اطال الرجل الجلوس عنده ينشد فاالفيل شعبة
ميتا بأثقل من بعض جلاوسنا ولو علم الثقل من نفسه تثاقل عنا فلم يأتنا وقال
ابو حنيفة رحمه الله ينبغي للانسان ان يخاف الثقل من نفسه فمن امن انه لا يثقل فقد ثقل
وقال حماد بن سلمه الصوم في الصحراء ضد الثقل وقال الجنيد من خرج الى الصحراء يتنزه ولم
يكن معهم طعام تنزهت الصحراء في عقولهم وقال بعض الادباء الانقباض مع المبسطين
ثقل والانبساط مع المنقبضين سخف فهذا كان اراده مع ابناء الجنس من الاخوان على
ترتيب الاخلاق وقال بعض اشياخنا قلت لشيخ من اصحاب الجنيد رحمه الله كنتم تخرجون مع الجنيد
الى الصحراء فكان يمزح معكم ويضحكم قال لي هو كان يبسطنا ويعلمنا المزاح ولقد رايته يوما
ونحن ناكل وقد اخذ ابو احمد القلانسي صاحبنا لقمة وطيبها وهيأها ودفعها الى فيه لياكلها فاستلبها
منه الجنيد فجعلها في فيه فجعل ابو احمد يقول حرام حرام ما رايته الا انه قد جعلت عليها
سكرا ثم بلعتها وقيل لابن المبارك ما الادب بين الاخوان فقال ترك الادب وقال آخر ترك
الادب مع اهل الادب من الادب ذلك بان الادب فيه تجمل وتحمل وهو من باب الرياضة
للمريدين والمستعمل مع المبتدئين والعلماء قد نفذوا والادباء قد عبروا الطريق وقال جعفر
الصادق اثقل اخواني علي من اتكلف له واحبهم الي من اكون عنده كما اكون وحدي وقال
بعضهم بمعناه واطيب الاكل مع الاخوان كما ياكل الرجل وحده او مع عياله وقال علي رضه شر
الاصدقاء من تكلف له وقال ايضا شر الاخوان من لحوجك الى مداراة اوالجاك الى اعتذار
وقال ابن المبارك اذا قلت لاخيك قم بنا فقال الى اين فليس لك باخ وقال مسلمة بن زياد
اذا اشرت الى اخيك فلم يتبعك فليس اخاك فقال سفيان الذ الاشياء محادثة الاخوان
والانقلاب الى كفاية وقيل لا يوجد الانس الا من كريم ولا يكون الالفة الا في كريم قال ابن عباس
السخي ارجى من العابد البخيل وقال ابو الحارث النظر الى الاحمق سخنة عين والنظر الى البخيل قسوة قلب الفاجر
قيل السخاء عشرة اجزاء تسعة منها في الطعام اذبه تستبين جواهر النفوس والبخل عشرة
اجزاء تسعة منها في الشح على الاطعام وفرق بعضهم بين البخل والشح فقال البخل في النوافل
والشح في الواجب والاكل مع العيال افضل من اكل الرجل وحده والاكل مع الاخوان افضل من
الاكل مع العيال ويقال اتخذ الله ابرهيم خليلا باطعام الطعام وقيل بانه كان يحب ان
يعطي ولا ياخذ وكان ابرهيم عليه السلام يدعى ابا الضيفان ولم ياكل وحده وكان يسير الميل و
الميلين والثلثة في طلب من ياكل معه وهو اول من اتخذ غرفة لها اربعة شرقيا وغربيا و
قبليا ودبريا لئلا يفوته احد من نواحي الارض فمن اتخذ ابوابا اربعا على مثله لما اتخذه والا
فهو له عبث كما قال تعالى اتبنون بكل ريع اية تعبثون ذكر من لا ينبغي ان تجاب دعوته عن ابن مسعود رضه
نهينا عن اجابة دعوة من يباهي بطعامه ومن يتجدد بيته ومن يدعو الاغنياء ويترك الفقراء وعثمان رضه
دعي الى طعام فقال اني اخاف ان يكون صنيع مباهات واما ابن عمر رضه الله دعي الى طعام
فراى البيت قد تجدد فرجع ولم يدخل والتجديد وضع بساط على بساط وانه يستر الحيطان

بالستور ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينصب ستر فيه تصاوير فمن راى شيئا من ذلك
فلا يقعد وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوليمة في النكاح وامر بالاجابة للدعوة اليها في قوله اولم
ولو بشاة وقوله الوليمة حق فمن لم يجب فقد عصى الله عز وجل وطعام صنع لاجل سبب
محظور فلا يجيبن فيه ولا يحضر وما ثمة يشرب بعدها مسكرا وان لم يعاينه فالحلال ويكره الاجابة ل
على اهل البسط يعني الاغنياء فاما طعام الماتم فهو على ضربين ضرب منه يصنعه لاهل الميت
للنوايح والبواكى ومن يعينهم على الجزع وتجديد الحزن فاكل هذا مكروه واجابة الدعوة اليه
لا يجوز والضرب الاخر يحمل اليهم على المعروف والصلة من الحاملين لهم لشغلهم عن انفسهم او عن
طعامهم لميتهم فهذا لا باس بحمله اليهم ويجوز الاكل منه وان اطعموه غيرهم لانه من البر والمعروف
اذ لم يرد به النوايح ولا المجالسة على القبور للجزع والاسا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جاء نعي جعفر
بن ابي طالب ان آل جعفر قد شغلوا بميتهم عن صنع طعامهم فاحملوا اليهم ما ياكلون فهذا سنة
في حمل الطعام الى اهل خمسة لا تجاب دعوتهم وان دعي رجل ولم يعلم فلو خرج عليه ان يخرج
من بيت المبتدع واعوان الظلمة واكل الربا والفاسق المعلن بفسقه ومن كان اغلب على
ماله الحرام لان النبي عليه السلام قال لا تاكل الا طعام تقي ولا ياكل طعامك الا تقي لان التقي قد كفاك
الاجتهاد في الماكول لتقواه فاغناك عن سواله عنه لان التقي اذا اطعمته استعان بالطعمة على
البر والتقوى فتصير معاونا عليهما كما قال تعالى تعاونوا على البر والتقوى فتشركه في بره
والفاجر والظالم ان اكلت طعامهما صرت من اعوان الظلمة بما ذكرت لها في الطعمة كما سال
خياط لابن المبارك فقال اني اخيط لبعض وكلاء الامراء فهل اخاف ان اكون من اعوان
الظلمة فقال لست من اعوان الظالم بل انت من الظلمة انما اعوان الظلمة من يبيع منك الابر
والخيوط وقد عمل ذو النون اغمض من هذا في الورع ما سمعت ادق منه ان السلطان لما سجنه
في كلام انكره عليه العامة من العلم الغامض كانت المائدة من قبل السلطان يحمل اليه فلم يكن
يطعم منها شيئا ولم ياكل اياما كثيرة مدة مقامه في السجن وكانت اخت له في الله تبعث
اليه من مغزلها وتدفعه الى السجان فيحمله اليه ويعرفه انه من قبل تلك العجوز الصالحة فلم يكن ايضا
ياكل منه فلما خرج لقيته العجوز فعاتبته على رد الطعام وقالت قد علمت انه كان من مغزلي
فقال نعم الا انه جاءني على طبق ظالم فرددته لاجل الظرف يعني بها يد السجان وقيل من اكل
لقمة حرام قسا قلبه اربعين يوما وقيل اظلم قلبه ومن اكل الحرام بعضه يوما لم يزهد في الدنيا
ابدا فهذا كما قيل في ضده من اكل الحلال اربعين يوما زهد في الدنيا وادخل الله النور في قلبه
واجرى الحكمة على لسانه وقال بعضهم اول لقمة ياكل العبد من حلال يغفر الله له ما تقدم من ذنبه
وقال الاخر من اقام نفسه مقام ذل في طلب الحلال تساقطت عنه ذنوبه كما يتساقط الورق من
الشجرة في الشتاء ومن اجبره سلطان على طعام او قدمت اليه شبهة اكره على اكلها فليتعلل بعلولة
منه وليتقذر او لا يقصد الاطيب ولا تكبر اللقمة ولا يستكثر في الطعمة وليأكل ما يسد رمقه من
يخاف التلف على نفسه وحدثت ان مزكيا من اهل العلم بخراسان رد شهادة ساهيا اكل من طعام

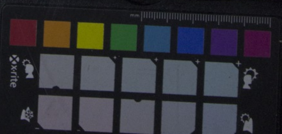


سلطان كان اجيره فقال انه كان اجرني على الاكل فقال قد علمت ذلك ولم ارد شهادتك لانك
اكلت ولكني رايتك تقصد الاطيب وتكبر اللقمة فهل كان اجرك على هذا فلاجل هذا رددت
ذكر فرايض الفقر وفضايله قال الله تعالى للفقراء الذين احصروا في سبيل الله وقال للفقراء المهاجرين
فقدم وصف اوليائه بالفقر على مدحهم بالهجرة والحهزوالله تعالى لا يصف من يحب الا بما يحب
فلولا ان الفقراء احب الاوصاف اليه ما مدح به احباءه وشرفهم وامر رسوله عليه السلام لاصحابه
بالفقر واخبر بفضله منه حديث بلال رضي ان رسول الله عليه السلام قال له الق الله فقيرا ولا تلقه غنيا
وقال عليه السلام لا افضل من الفقير اذا كان راضيا وقال ابو سليمان تنفس فقير دون شهوة لا يقدر
عليها افضل من عبادة غني الف عام وقال رجل لبشر بن الحارث ادع الله لي يا ابا نصر فقد اضر بي
العيال والفقر فقال له بشر اذا قال لك عيالك ليس عندنا خبز ولا دقيق فادع الله لي في ذلك الوقت
فان دعاءك افضل من دعائي وقال بعضهم علم المعرفة عوضه الله تعالى للفقراء بدلا من الدنيا لانه نظر اليهم
الاهم ولا يوجد الا عندهم روحهم به في الدنيا وجعله عوضا لهم ما تركوا له اليوم فاذا كان غدا
لم تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وهو المزيد وفي تفسير قوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب
سلام عليكم بما صبرتم قال على الفقر في الدنيا فمن فرايض الفقر عند الفقراء الصبر عليه بترك
المسئلة قبل وبعد الفاقة وقطع الهم على التشرف الى الخلق وان لا يتناول عند الحاجة ما حظر
العلم عليه ولا يتجاوز نحلا من حدود الاحكام وان ساله عند فاقة لم يستكثر ولم يتخوف ان اعطي
فوق كفايته فاقتناه ليكفه عن المسئلة فلا باس به ويتوقا في مسئلة المتقين ومن يعلم انه يتحرم
في مكسبه فان مسئلة عمل له يلزمه التورع فيها كما يلزمه التورع في مكسبه ولا يسئل من يعلم
انه لا يبالي من اين اكل ولا من لا يرع عن الحرام في مكسبه والعبد بنفس ~~العدم والعري يستحق عليهم~~ الحاجة والجوع يستحق على
اخوانه شبعة يقيم بها صلبه ويسكن بها نفسه وبنفس العدم والعري يستحق عليهم ثوبا يواري
به عورته وذلك لازم للمسلمين وواجب له عليهم فان قام به بعضهم سقط عن غيره وجوب ذلك ولو سال
ذلك فلا شيء عليه ويقال ان كفارة المسئلة صدق السائل في مسئلة صدقه ان لا يسئل الا
بعد فاقته ومع خوف التقصير في اداء الفرايض من اختلاف عقله وتشتت قلبه وان يكف
مع اول الكفاية ولا يدخر بعد الشبع ولا تجعل المسئلة عادة وحرفة وقد سال ثلثة من الانبياء عليهم السلام
عند فاقتهم سليمان بن داود لما سلب ملكه اربعين يوما والخضر وموسى لما استطعما اهل القرية
وقال عليه السلام للسائل حق ولو جاء على فرس وفي الحديث ردوا السائل ولو بظلف محترق فلو كانت
كانت المسئلة اثما وعدوانا لم يحث على الاعطاء وسمع رضي الله عنه سائلا يسال بعد المغرب
فقال يا برفا عش الرجل فعشاه ثم سمعه ثانية يسال فقال الم اقل لك عش الرجل قال عشيته
فنظر عمر رضي الله عنه فاذا تحت يده مخلاة مملوة خبزا فقال لست سائلا ولكنك تاجر ثم نثر
المخلاة بين يدي ابل الصدقة وضربه بالدرة وقال لا تعد وعن علي رضي الله عنه ان الله تعالى في خلقه
مثوبات فقر وعقوبات فقر فمن علامة الفقر مثوبة ان يحسن عليه خلقه ويطيع به ربه ولا
يشكو حاله ويشكر الله على فقره ومن علامة الفقر اذا كان عقوبة ان يسوء عليه خلقه ويعصي به ربه

ويكثر



وبكثرة الشكاية وبتسخط القضاة فهذا النوع من الفقر هو الذي استعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم
وليس هو الفقر من المال وانما هو فقر النفس الى الخلق والفقر من صدق الحال وعن رسول الله
مسئلة الناس عن الفواحش ما احل من الفواحش غيرها وقال عليه السلام من سال عن غنى فانما
يستكثر من جمر جهنم ومن سال وله ما يغنيه جاء يوم القيمة ووجهه عظم يتقعقع ليس عليه لحم
وفي خبر اخر كانت مسئلة كدوحا وخدوشا في وجهه وسئل سفين عن افضل الاعمال فقال التحمل عند
المحنة وعلى الفقير ان لا يزكي غنيا لاجل عطائه ولا يذمه ولا يمدحه ولا يمقته لاجل منعه ولا يعظم
اهل الدنيا ولا يكرمهم لاجل دنياهم قال ابن المبارك تواضع الفقير ان يتكبر على الاغنياء
قال ابرهيم بن ادهم لشقيق حين قدم عليه من خرسان كيف تركت الفقراء من اصحابك فقال
تركتهم ان اعطوا شكروا وان منعوا صبروا فقال ابرهيم هكذا تركت كلاب بلخ عندنا فقال
اثروا وقال البشر الفقراء ثلثة فقير لا يسئل وان اعطي لم ياخذ فهذا مع الروحانيين في عليين
وفقير لا يسال وان اعطي اخذ فهذا مع المقربين في جنات الفردوس وفقير يسال عند فاقته
فهذا مع الصادقين من اصحاب اليمين وصدقه في حاله كفارة مسئلته وعن الحسن في قوله تعالى
وما يستوي الاحياء ولا الاموات قال الفقرا والاغنياء فجعل الفقراء احياء بمولاهم والاغنيا موتى
في حكم من لا معلوم له من الاسباب فان لم يكن للفقير معلوم وكان رزقه جاريا على ايدي
العباد عن غير تعريض منه لهم فلا باس باخذه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتاه الله شيئا
من هذا المال من غير مسئلة ولا استشراف فانما هو رزق ساقه الله تعالى اليه وفي لفظ اخر فلا يرده
فان كان محتاجا اليه والا صرفه الى من هو احوج اليه منه وعن الحسن حدثنا رسول ان النبي عليه السلام
قال من اتاه الله رزقا من مسئلة ورده فانما يرده على الله تعالى عن ابن عباس رضي الله عنه اختلف الناس
في كل شئ الا في الرزق والاجل فالكل اجمعوا ان لا رزاق الا الله ولا مميت الا الله
وقال ان الله تعالى لما خلق الارزاق امر الرياح ان تمزقها في اقطار الارض ففرقتها
فمن الناس من وقع رزقه في مائة الف موضع ومنهم في عشرة الاف موضع ومنهم في
الف موضع اقل واكثر ومنهم من وقع رزقه على باب منزله يغدو ويروح اليه وكل عبد
يسعى باثره الذي كتب له حتى يستوفي رزقه الذي كتب له فاذا فني اثره واستوفى رزقه
جاءه ملك الموت فقبض روحه واعلم ان العبد لا ينقطع رزقه ابدا منذ ظهرت خلقته
كان في بطن امه غذاؤه مما تغيض الارحام من دم الحيض فيعيش بذلك جسمه من ظاهره ومعاه
المستطيل من سرته متصل بمعاء امه يصل من بطنها من الطعام الى بطنه فيعيش بذلك
باطنه فاذا اذن الله بخروجه بعث اليه الملك فقطع ذلك المعا من موضع اتصاله بمعا امه
فاذا دخل الى الدنيا جعل رزقه من الدنيا فاذا اخرج منها فاخر رزقه من الدنيا اول رزقه
من الاخرة فاذا دخل في الاخرة كان رزقه في البرزخ كما كان في الدنيا بتلك المعاني لمعانيه المحتملة
لذلك فاذا اخرج من البرزخ ودخل في القيمة كان رزقه في الموقف على قدر حاله هنالك فاذا
خرج من الموقف في احدى الدارين انتقل رزقه اليها فكان منها الى ابد الابد فهذه حدود

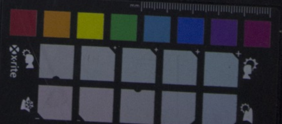


رزقه الاربعة كذلك عمره واثره ومكانه من المواضع ينتقل من مكان الى مكان كما في فطره الا ربع
من تراب الى نطفة ثم علقه ثم مضغة وهذه اطباقه الذي ركبها جل جلاله في قوله تعالى لتركبن طبقا
عن طبق فاذا شهد العبد هنا بيقين ايمانه اطمان قلبه فاستوي عنده الرزق والاجل فعلم يقينا
ان لابد من رزقه كما لابد من اجل فلم يكن عليه الامراعاة الاحكام فيه وشهد من هذه الشهادة ان خلقا
لا يقدر ان يزيد في رزقه ولا ينقص منه ذرة كما لا يقدر ان يزيد في عمره ساعة ولا ينقص منه ساعة
فاذا ابقى هذا مشغولا بالمخالصه لمولاه فيما تعبد به مولاه عن ابن عباس رضي من اشترى
ما لا يحتاج اليه باع ما يحتاج اليه وفضول الدنيا وهي الزيادة على الكفاية لا يحتاج اليها و
والدين يحتاج اليه فلا ينبغي للعاقل ان يبيع ما يحتاج اليه من دينه ويشتري ما لا يحتاج اليه
من دنياه فيكون صفقته خاسرة وتجارته بايدة والشهوة لا حد لها ولا غاية والقوة له حد
وغاية وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حق لابن ادم الا في ثلث طعام يقيم به صلبه وثوب يواري به
عورته وبيت يكنه فما زاد فهو حساب وهذه الثلث مع ابن آدم في بطن امه وفي قبره وبين
ذلك في دنياه وبعد ذلك في عقباه فالاخذ بمصالح هذه الثلث ما جود عليه والرد لما زاد عليها
هو افضل من الاخذ وقال بعض العلماء من اعطي ولم ياخذ سال ولم يعط وهذا من النوع الذي
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما المعطي من سعة باعظم اجرا من الاخذ اذا كان محتاجا فاخذ هذا
مشاركة لمعطيه في الاجر من حيث استويا في المعاونة على البر والتقوي المامور بهما ولا يضر هذا
العطاء اخذه وقد كان سري يوصل الى احمد بن حنبل شيئا فيرده فقال له سري يا احمد احذر آفة
الرد فانها اشد من آفة الاخذ فقال له ما رددت عليك الا لان عندي قوت شهر فاحبسه لي عندك
عندك فاذا كان بعد شهر فانفذه الي ومات بعض السلف فاوصى بماله ان يفرق على ثلثة طوايف
الاقوياء والاسخياء والاغنياء فقيل من هؤلاء فقال اما الاقوياء فهم اهل التوكل على الله واما الاسخياء
فهم اهل حسن الظن بالله واما الاغنيا فهم اهل الانقطاع الى الله عز وجل ولا يستحب للفقير ان ياخذ
الا من صديق ولا يقبل الا ممن يحب لان اهل المعرفة انما يحكموا في الاسباب بما اراهم الله عز وجل من
الرد او القبول فان اعتل معتل بالخبر المروي من جاءه شيء من غير مسئلة فرده فانما يرده على الله
وبان اهل المعرفة يشهدون ان العطاء من الله فلا يصلح ان يردوا عليه قيل له ان من يشهد العطا
من الله هو الذي يشهد الرد ايضا منه فان رد اليه او رد اليه بمعرفته بابتلائه واختباره
حسن الرد منه وشكرا لمفعله فهو ايضا اذا شهد تصريف الخلق بالعطا فعل الله شهد فعل
نصيبه بالرد فعل الله بالمنع فالحالات سواء عند من علم الاحكام ولا يتبع الهوي وقام بحكم
ما منه يقتضا وفي رد بعض الهدية وقبول بعضه سنة اهدي الى النبي صلى الله عليه وسلم سمنا
واقطا وكبشا فقبل السمن والاقط ورد الكبش وكان يقبل من بعض الناس ويرد على بعض
فقد كان الحسن يقبل من اصحابه وابرهيم التيمي يسال اصحابه الدرهم ونحوها ويعرض عليه غيرهم المال الكثير
فلا ياخذ وبشر بن الحرث لا يقبل من الناس شيئا وكان له صديق عاقل نظيره في العقل والدين يقوم
بكفايته ولم يظهر امره وقال ما سالت احدا قط شيئا من الدنيا الا سريا السقطي لانه قد صح عندي



دهده

زهده في الدنيا فهو يفرح بخروجه الشيء عن يده ويتبرم ببقائه عنده فاكون اعينه على ما يحب
وعن موسى عليه السلام قال يا رب جعلت رزقي على ايدي بني اسرائيل هكذا يغديني هذا يوما ويعشيني
هذا ليلة فاوحى الله تعالى اليه هكذا اصنع باوليائي اجري ارزاقهم على ايدي البطالين من عبادي ليوجروا
فيهم والعالم القاعد عندهم افضل من الجاهل المتصرف والعالم المكتسب افضل من القاعد الجاهل والقوي
التارك للتصرف افضل من الضعيف المتصرف والقوي المتصرف افضل من الضعيف التارك للتصرف وما بلغنا
ان نبيا بعثه الله الى امته فانزل عليه كنزا ياكل منه ولا جعل معه ملائكة تخدمه وانما كانت طعمته بيدي
امته وكان اتباعه منهم يخدمونه فيثابون على ذلك فيكون الحكمة فيه ابلغ ما يعود من النفع ولو كانت
طعمه بيد القدرة واظهار الكينونة لم يكن في ذلك منفعة للامة والاحكام تقتضي مقاما ولله الحجة البالغة
ذكر اختلافهم في اظهار العطا واخفائه قد اختلف فعل المخلصين في ذلك فراى بعضهم ان يخفي
ما ياخذه من العطاء لانه ادخل في التعفف واقرب الى التصون وانه اسلم لقلوب الغير واصلح
لنفوس العامة وان فيه النصرة لاخوانه من الغيبة والتهمة لمثل ذلك او باكثر منه وفيه الاحتياط
لاخيه المعطي وعون له على البر والتقوى في قوله تعالى وان تخفوها وتوتوها الفقراء فهو خير لكم وقال عليه السلام
استعينوا على اموركم بالكتمان فان كل ذي نعمة حسود وهذا مذهب الفقراء من العابدين وقال
ايوب السختياني اني لاترك لبس الثوب الجديد خشية ان يحدث في جيراني حسد وقال بعض الزهاد
ربما تركت استعمال الشيء لاجل اخواني يقولون من اين له هذا ودفع رجل الى بعض العلماء شيئا
ظاهرا فرده ودفع اليه اخر شيئا في السر فقبله فقيل له في ذلك فقال ان الذي اخفا معروفه عمل
بالادب في معاملته فقبلناه والذي اظهر اساء الادب فرددنا عليه عمله ودفع بعضهم الى بعض
الصوفية شيئا بين الملا فرده فقيل له لم ترد على الله ما اعطاك فقال لانك اشركت غير الله فيما
لله ولم تقنع بعين الله فرددنا عليك شركك وكان بعض العلماء لا يقبل في العلانية وياخذ
في السر فسئل عن ذلك فقال ان اظهار الصدقة اذلال للعلم وامتهان لاهله وهو ايضا لا يدخل
الاخذ في نهي النبي عليه السلام من قوله ما اهدي اليه هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها فالاخذ للهدية
جهرا يلزمه اشراك الحاضرين فيها الان يهبوا له ذلك فان لم يفعلوا كرهت له قبول الهدية ورد ذا هب
اخرون من اهل المعرفة ان اظهار الاخذ افضل لانه اسلم وادخل في الاخلاص والصدق واخرج من
اثبات المنزلة والقدر والجاه والزهد بالرد ولان في التوحيد ان الظاهر والباطن هو المعطي فلا
معنى للرد عليه في الظاهر وقال بعضهم سر العارف وعلانيته واحد لان المعبود فيهما واحد
فاختلافهما فعل احدهما شرك في التوحيد ودفع رجل الى بعض العلماء شيئا في السر فرفع يده به
علانية ثم قال هذا من الدنيا والعلانية في امور الدنيا افضل والسر في امور الاخرة افضل
وقال بعض المريدين سالت استاذي وكان احد العارفين عن السبب اظهاري له افضل او اخفائي
فقال اظهار الاخذ على كل حال ان كنت اخذا فانك لا تخلو من احد رجلين رجل تسقط من قلبه
اذا فعلت ذلك فذلك هو الذي تريد لانه اسلم لدينك واقل لافات نفسك فينبغي ان تعمل في ذلك
فقد حالك بغير تكلف او رجل تزداد ونرتفع في قلبه فذلك هو الذي يريد اخوك فانه يزداد ادنوابا



بزيادة حبه لك وتعظيمه اياك فتوجرانت اذ كنت سبب من يده فينبغي ان تعمل في ذلك وقال بعض
العارفين وتعظيمه اذا اخذت فاظهر فانها نعمة من الله اظهارها افضل واذا رددت فاخف فانه عمل
من اعمالك واسراره افضل فهذا لعمري فضل وهو طريق العارفين وقال بعضهم اظهار العطاء من
الاخذ اخره وكتمه دنيا واظهار الاعمال من المعطي دنيا وكتمها اخره وقال تعالى واما بنعمة ربك فحدث
وقد ذم الله تعالى من كتم ما اتاه الله من فضله وقرنه بالبخل والبخل باب كبير من الدنيا وقال الذين يبخلون
ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما اتاهم الله من فضله وقال عليه السلام اذا انعم الله على عبد نعمة
احب ان ترى نعمته عليه وهذا هو الاقرب الى قلوب الموحدين من العارفين لانه مقتضى حالهم وموجب
مشاهدتهم لاستواء طرف الايدي عندهم من العبد ونفاد نظرهم الى المعطي الاول فاستوى
سرهم وعلانيتهم في الاخذ من ثم اختلفوا في الاخذ من الواجب افضل او التطوع فراي
بعضهم ان ياخذ من الواجب ولا يقبل من التطوع لان الواجب باخذه باذن الله عز
قسمه وان الله اوجب عليه ان ياخذه من حيث اوجب الزكاة لان الفقراء والمساكين
لو تواطوا على ان لا يقبلوا الزكوة اثموا بذلك اجمعين ولعصوا بذلك كلهم لاسقاطهم
فرض الله من الاموال بالزكوة قالوا ولان هذا ادخل لنا في جملة الفقراء والمساكين
واقرب الى التواضع والذلة قالوا ولا منة لاحد علينا ما فيه ولا حق لمن يلزمنا عليه اذ كنا
نستحق ذلك منه ولانه اسلم لديننا لانه لا يدخل علينا الاكل بالدين لانا انما نستوجبه
بالحاجة وحرمة الاسلام فقط ونخاف ان يكون اخذنا التطوع اكلا بديننا وانا اعطينا
لصلاحنا فلو نحب ان نخص بشيء دون الفقراء وهذا مذهب القراء من العابدين ومن ينظر
الى صلاحه ونفسه في الدين هو مقتضى حالهم وموجب شهادتهم واختارت طائفة ان
ان ياخذ من النوافل دون الفرايض واجروا ذلك مجرى الهدية وقد امر بقبولها وندب الى
التهادي للتالف والتحبب قالوا ولا نزاحم المساكين في حقوقهم ولعلنا لا نكمل اوصافهم
ونخاف ان لا يوجد فينا ما شرط الله تعالى لواجبه ولا نضعه في حقيقة موضعه ولا نخلط لئلا
يسقط عنه الواجب بدو التطوع اوسع علينا ومع ذلك فانهم يشهدون النعمة من الله وان
الدين انما هو لله كما قال الا لله الدين الخالص وانهم مستعملين بالديانة لا عاملين بانفسهم من حيث
كانوا منعم عليهم لا منعمين على انفسهم وهذه طريقة بعض اهل المعرفة منهم ابرهيم الخواص وابو
القسم الجنيد ومن وافقهما والامر في ذلك عندي ان من لم ياخذ من كل انسان ولا في كل وقت وان
ولا يقبل الا عند الحاجة ولا ياخذ الا للفاقة ما لا بد له منه ثم قام بحكم الله في الواجب وحكمه في التطوع ان
الحالين يتقاربان لان الواجب امر الله فيه حكم والتطوع ندب وله فيه حكم فمع العبد ان ينظر بنور الله لديه
ويختلط الاخير فيعمل بما يوجب الوقت من الحكم من ايهما كان مستويا ذلك لا ينظر بظلمة النفس في هوى الحظ
ذكر احكام المسافر في الحديث البلاد بلاد الله والخلق عباد الله فحيث ما وجدت رزقا فاقم واحمد الله تعالى
والخبر المشهور سافروا تغنموا فغنيمة ابناء الدنيا المال وغنيمة ابناء الاخرة ربح تجارة الاخرة وقال تعالى
الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها وقال سيروا في الارض فانظروا وقال وفي الارض ايات للموقنين وفي انفسكم افلا
تبصرون فمن جعل اياته في نفسه تبصر فتفطن ومن جعل اياته في الافاق سرب وسار وقال وكاين من اية

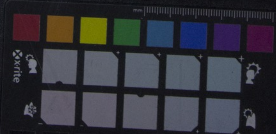
في السماوات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فمن سار وكانت له بصيرة اعتبر وعقل ومن مر
على الآيات فنظر اليه منها تذكر واقبل وقد امر الله بالمشي في مناكب بساطه والاكل من رزقه بعد اظهار
نعمته بتذليل فقال هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه قيل في اسواقها
وقيل قُدُاها وقيل جبالها وهو الاحب الي لان احدب الارض قُدآها ومناكبها جبالها اعاليها وقال
بشر الحافي رح يا معشر الفقراء سيحوا تطيبوا فان الماء اذا كثر مقامه في موضع تغير وقال انما سمي
سفرا لانه يسفر عن اخلاق النفس ويسفر ايضا عن ايات الله وقدره وحكمه في ارضه والسفر
عمل من اعمال العبد يحتاج الى نية واخلاص ينقسم اربعة اقسام منه فرض وهو ما هرب به من معصية
او خروج فيه الى اداء فريضة ومنه فضل وهو ما طلب به طاعة ومنه مباح وهو ما ضرب به في تجارة
ومنه معصية وهو ما سعى به في فساد فاذا عزم على السفر فليصل ركعتين للاستخارة وليقعد التوكل
على الله وكفى به ناظرا وساكنا اليه ومعتمدا عليه وواثقا به مستهزقا له راضيا عنه في تقلبه ومثواه
وليكن في سفره الاعتبار بالآثار والنظر الى الآيات والابتغاء من فضل الله فيما ندب اليه من الاسباب
يقال ان الله تعالى وكل بالمسافرين ملائكة ينظرون الى مقاصدهم فيعطي كل واحد على نحو نيته
فمن كانت نيته طلب الدنيا اعطي منها ونقص من آخرته اضعافه وفرق عليه همه وكثر بالحرص والرغبة
شغله ومن كانت نيته طلب الآخرة واهلها اعطي البصيرة والفطنة وفتح له من التذكرة
والعبرة بقدر نيته وجمع له همه وقلل من الدنيا بالقناعة والزهد شغله ودعت له الملائكة واستغفرت
فان سافر سائحا في طلب العلم فقد جاء ذلك في تفسير قوله السائحون هم طلبة العلم ورحل جابر بن
عبد الله الانصاري رضي الله عنه وهو صاحب الجمل وصاحب التنور فنبش ابنه قبره وتبين لسبب
فوجده كما هو ولم يتغير من جسده شيء كاجساد الانبياء وغيره من الصحابة رض من المدينة الى مصر
في حديث بلغهم عن عبد الله تحدث عن رسول الله حتى سمعوه منه وفي الخبر من خرج من بيته
في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع وفيه ايضا من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا
الى الجنة ويقال النفقة في العلم كالنفقة في سبيل الله الدرهم بسبعمائة ومن سافر في لقاء الصالحين
فقد جاء في الآثار انهم كانوا يحجون للقاء الصالحين ولقاء الاخوان والحج من افضل الاسفار
فيجعلونه سببا للقاء الاخيار وان هرب من الامصار طلب سلامة دينه وبعدا من تعلق
النفس بها في الحضر من خفاء بنائه فحسن وربما خرج طلب الخمول والذلة خشية الفتنة بالشهرة
ورجاء صلاح قلبه واستقامة حاله في البعد من الناس ورياضة لنفسه بالتغرب والتوحد
الى ان يقوى يقينه ويطمئن قلبه ويستوي عنده الحضر والسفر ويعتدل عنده وجود الخلق وعدمهم
باسقاط الاهتمام بهم وقال الثوري هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخامل فكيف بالمشهور هذا زمان
رحيل ينتقل من بلد الى بلد كلما عرف في موضع تحول الى غيره ومن افضل الاسفار ما خرج في سبيل الله
من الجهادة والحج وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ثم زيارة اصحابه رض محتسبا بذلك ما عند الله
والسفر في زيارة الاخ في الله مستحب مندوب اليه وفي الحديث سر ميلا عد مريضا وقدم تمامه
وفي الخبر ان رجلا زار اخاله في قرية اخرى فارصد الله على مدرجته ملكا فقال اين تريد قال اخ



لي في هذه القرية اخ ازوره قال ابينك بينه رحم تصلها قال لا قال الك عليه نعمة تربها قال لا قال اني احبته
في الله قال فاني رسول الله اليك يبشرك بالجنة ويخبرك انه قد غفر لك بزيارة اخيك وقال ابراهيم الخواص
كف فارغ وقلب طيب ومن حيث ثبت ومن طرقته فاقة او رهقته حاجة لم يخرج من التوكل ان يسال اذا عدم
القوة والصبر لانه حينئذ يسال لربه عز وجل لا للنفس يحركه العلم لا الهوى لاقامة فرض وحفظ عقله
الذي هو مكان تكليفه وفي الخبر من جاع فلم يسال فمات دخل النار لانه ترك السؤال عند خوف الموت
مع عدم الصبر بسبب التلف اذا كان الجوع احد الحتوف القاتلة وتاول بعض متاخري الصوفية
قول النبي عم احل ما اكل العبد من كسب يده قال المسئلة عند الفاقة وانا بري من عهده هذا التاويل
وابو سعيد الخراز يمد يده عند الفاقة ويقول ثم شي لله وابو جعفر الحداد شيخ الجنيد له علم في التوكل
وحال من الزهد كان يقتات بجزو جه بين العشائين يسال من باب او بابين فيكون ذلك معلوم
الحاجة بعد يوم او يومين ولم يعب عليه احد من الخصوص وبعضهم راى رجلا من الصوفية دفع اليه
كيسا فيه ماية درهم في اول النهار ففرقه كله ثم سال قوتا بعد العشاء الاخرة فعاتبه على ذلك وقال
دفع اليك شي احتجت كله فلو كنت تركت لعشايك منه شيا فقال ما ظننت اني اعيش الي المساء ولو علمت
ذلك فعلت فكان هذا زاهدا قصير الامل الا ان السؤال للمتوكل عند الخواص يخرجه من التوكل وقال
سهل المتوكل لا يسال ولا يرد ولا يدخر وقد استطعم النبي عم شيا من لحم واستهدا شيا من لبن
وليحافظ المسافر على صلواته في اوقاتها بحسن طهارة وجميل اداء وليحفظ قلبه ان يتشتت همه
فان السفر يشتت هم المريدين ويجمع هم العارفين ويشغل قلوب الضعفا ويروح قلوب الاقوياء
وهو محنة وكشف لاخلاق العبد وقال عمر رض للذي زكا رجلا للشهادة هل صحبته في السفر الذي
يستدل به على مكارم الاخلاق فقال لا فقال ما اراك تعرفه وعن السلف اذا اثنى على الرجل معاملوه
في الحضر ورفقاوه في السفر فلا تشك في صلاحه لان السفر يكثر الضجر ويسي الاخلاق ويخرج مكامن النفس
من الشح والشره وكل من صلحت صحبته في السفر صلحت في الحضر وليس كل من صلحت صحبته في الحضر يصلح
في السفر وقال بعض العلماء ثلثة لا يلامون على الضجر الصايم والمريض والمسافر ولا ينبغي ان يفارقه
الاسباب اربعة الركوة والحبل والابرة بخيوطها والمقراض وكان الخواص من المتوكلين لم يكن يحمل زادا
ولم تكن هذه الاربع دونه تفارقه ويقول ليست من الدنيا وقال بعضهم الفقير اذا لم يكن معه ركوة
وحبل دل ذلك على نقصان دينه وكان الخواص لا يقيم في بلد اكثر من اربعين يوما ويرى ذلك علة
في توكله فيعمل في كشف حاله واختبار نفسه وعن بعض الشيوخ قال لبثت في البرية احد عشر يوما
لم اطعم شيا وتطلعت نفسي ان ترعى على حشيش البرية فرايت الخضر عليه السلام مقبلا نحوي فهربت
منه فرجع الخضر عم عنه وقال انظر الى ولي الله كيف لم يفسد عليه توكله فقيل له لم هربت منه قال استشرفت
نفسي اليه ان يعينني فيفسد توكلي وعلى المسافر من اهل القلوب ان يفرق بين سكون القلب الى الوطن
والسفر وبين سكون النفس اليهما فان ذلك قد يلتبس فيحسب من لا بصيرة له ولا صدق في احواله ان سكون
النفس سكون القلب فينقص بذلك ولا يفطن بنقصانه فان كان قلبه يسكن الى احدهما وفيه صلاح
دينه وعمارة اخرته ومحبة ربه عز وجل فهذا سكون القلب لانه يسكن الى اخلاق الايمان وما ورد به

العلم

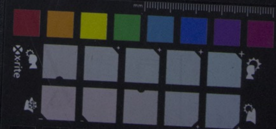
العلم وان كانت نفسه تشكو الى احدهما مما فيه عاجل حظوظه وعمارة دنياه وموافقة هواه
فهذا سكونه نفس لا بها تشكو الى معاني الهوي فليتحول من الوطن الى الغربة ومن النوبة الى المصب
ومن كان في سفره على غير هذا النعت من التفقد لحاله وحسن القيام باحكامه فهو على هواه وفتنة
وسفره بلاء عليه ومحنة وفصل الخطاب ان من لم يكن له في سفره حال يشغل وهمّ يجمعه ووقت يحب
ومأوي يظله وسكن يونسه وزاد من باطنه وعلم من عالم فان الحضر اوفق لحاله واصلح لقلبه
واسكن لنفسه من السفر لانه يكون في السفر مشتت السر مفرق الهم تارة بوجود معلوم يخاف
عليه ومرة بفقد معتاد يحن اليه ومرة باستشراف النفس يطمع فيه ومرة يضعف قلبه مع العدم ومرة
يقوي بالاستطلاع الى البشر ومرة يفزع من فقد ما عنده وقد حصر فمثل هذا يكون في السفر في نقصان
والسفر يجمع هم الاقوياء ويبصر العلماء ويشتت قلوب الضعفاء ويعمي بصاير الجهلاء ويذهب احوال
الابتداء وانشد في وصف الغريب الفت التفرد والغربة وفي كل يوم اطا تربة فيوم مقيم على نعمة
ويوم نظل على نكبة ومما يطيب نفس الغريب حبيب تطيب به الصحبة وقد نهى النبي عم ان يسافر
الرجل وحده وقال الثلثة نفر وقال اذا كنتم ثلثة في سفر فامروا احدكم فكانوا يفعلون ذلك
ويقولون ذاك امير امره رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الخبر خير الاصحاب اربعة فالاسفار
والمنزه لا تطيب الا في جماعة واقل الجمع اثنان والثلثة والاربعة افضل والسياحة لا تحسن
الا على الانفراد والوحدة ذكر احكام الامام والماموم فان كان هذا المريد اماما للحيه كان عليه
ان يقوم بحكم الامامة حتى يتمها فيستحق اجر الامام بان يكون له مثل اجر من صلى خلفه وبان يكون
داعيا الى الله قايما بين الله وبين عباده فى وجوههم وطريقهم اليه وفي الخبر انما الامام امير
فاذا ركع فاركعوا واذا سجد فاسجدوا وفي الحديث فان اتم فله ولهم وان نقص فعليه ولا
عليهم وفي الخبر ايمتكم وفدكم الى الله فان اردتم ان تزكوا صلاتكم فقدموا خياركم فاذا
عليه من الشروط ان يكون مجتنبا للفسق وهي الكباير وغير مصر على الصغاير قاريا لكتاب الله
او لما يحسن منه من غير لحن ولا احالة معنى عالما بفرايض الصلاة وسننها وما يوجب السهو
وما لا يوجبه منها وينوي ماموما في صلاته باقامتها مخلصا بالامامة مريدا بها وجه الله وما عنده
ولا يحل له ان ياخذ على الصلاة اجرا ولا على الاذان ذكر الاخوة في الله عز وجل وحسن الصحبة
قد كان المواخاة في الله والصحبة له في الحضر والسفر طريقين للعاملين في كل طريق فريق لما في ذلك
من الفضل ولما جاء فيه من الامر من الرسول عم والندب اذا كان الحب في الله من اوثق عرى
الايمان وكانت الالفة والمزاورة من احسن اسباب التقيين وقد كثرت الاخبار في تفضيل
ذلك والحث عليه وقد اختلف راي التابعين في التعرف فمنهم من كان يقول اقلل من المعارف فانه
اقل لغمك من الدنيا واسلم لدينك واقل لسقوط الحقوق عنك لانه يقال كلما كثرت المعارف كثرا
لغرماء اي كثرت الحقوق وكلما طالت الصحبة توكدت الرعاية والمحافظة وقال بعضهم
هل رايت شيئا الا من تعرف وكلما نقص هذا فهو خير وممن مال الى هذا سفين الثوري و
وابراهيم بن ادهم وسليمان الخواص وابو سليمان الداراني والفضيل وداود الطائي وبشر الحافي



ويوسف بن اسباط وحذيفة وقال اكثر التابعين باستحباب كثرة الاخوان في الله عز وجل
وقال بعضهم ان فيه زينا في الرخاء وعونا عند الشدايد وتعاونا على البر والتقوى والفة
في الدين وقال بعضهم لكل مؤمن شفاعة فلعلك تدخل في شفاعة اخيك وكانوا يأمرون بالاخوة
ويتحاضون على الالفة وقال ان غفر للعبد شفع في اخوانه ورويناعن رسول الله عم حديثا
غريبا في تفسير قوله تعالى ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله قال يشفعهم
في اخوانهم فيدخلون الجنة معهم وممن مال الى هذا الوجه سعيد بن المسيب والحسن والشعبي و
شريك بن عبد الله وابن ابي ليلى وهشام بن عروة وشريح وابن عيينة وابن المبارك والشافعي
واحمد بن حنبل وعن النبي عم ان احبكم الى الله وفي لفظ ان اقربكم مني مجلسا احسنكم اخلاقا
الموطؤن اكنافا الذين يالفون ويولفون وان ابغضكم الى الله المشاؤن بالنميمة المفرقون بين
الاحبة وعن عم المؤمن الف مالوف ولا خير فيمن لا يالف ولا يولف وفي الحديث اذا اراد الله بعبد
خيرا رزقه خليلا صالحا ان نسي ذكره وان ذكر اعانه وروي مثل الاخوين اذا التقيا مثل
اليدين يغسل احديهما الاخرى وما التقيا وفي اثر من اخا اخا في الله رفعه الله في الجنة درجة
لا ينالها بشيء من اعماله ويقال ان الاخوين في الله اذا كان احدهما اعلى من الآخر مقاما رفع
الآخر الى مقامه والذي يلحق به كما يلحق الذرية بالابوين لان الاخوة عملكالولادة وقال تعالى
الحقنا بهم ذرياتهم وما التناهم من عملهم من شيء ولذلك يقال ليس بعد الفرائض افضل
من صلة الاخوان ولهذا نقول صلة الارحام لان الله تعالى ضم الصديق الى الاقارب في قوله او
صديقكم وقال تعالى مخبرا عمن لا صديق له حميم ينفعه شفاعته فما لنا من شافعين
ولا صديق حميم ومعنى حميم قريب في وصف الصديق بالقرابة والنسبة وقال بعضهم حميم اي هميم
ابدلت الهاء حاء لتقاربهما ماخوذ من الاهتمام اي يهتم بامره ففيه دليل ان الصديق هو المهتم
بامرك وان الاهتمام صفة الصداقة كالاسباب والقرابة عن عمر رضي الله عنه ما اعطي عبد بعد
الاسلام خيرا من اخ صالح وقال رض اذا راى احدكم ودا من اخيه فليتمسك به فقلما يصيب
ذلك وانشد في معناه من فاته ود اخ صالح فذلك المغبون حقا يقين اي يقتضي وقد يروى
هذا المصراع الثاني فذلك المقطوع منه الوتين وافضل الاخوة ما قال بعض العلماء المحبة الدائمة
والالفة اللازمة من قبل الاخوة والمحبة عمل يحتاج الى حسن خاتمة ليتم العمل ويكمل اجره وان
لم يختم له بالآخرة ولم يحسن عاقبة الصحبة والمحبة فهذا عبد قد ادركه سوء الخاتمة بطل عنه
ما كان قبل ذلك من هذا كان السلف يحافظون على الاخوة ويراعون منهم المحبة ويأمرون
بالتمسك بها والابقاء عليها لنفاستها وشدة الخطر بها كما قال بعضهم مثل الاخوة في الله كمثل
الزجاجة الرقيقة ما لم تصنها وتحذر عليها كانت معرضة للآفات فمن عرف فضل الاخوة
ارتبط بها ومن ارتبط بشيء خاف فوته فعمل بتبقيته وان كان محملا على نفسه وماله ويقال
ما حسد العدو متعاونين على بر حسده متواخيين في الله ومتحابين فيه فانه يجهد نفسه
ويحث قبيله على فساد ما بينهما وقال تعالى وقل لعبادي الذين يقولوا التي هي احسن ان الشيطان

يتنزغ

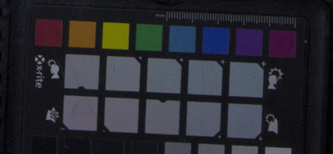
ينزغ بينهم يعني يفق لوا الكلمة الحسنة بعد نزغ الشيطان وقال مخبرا عن اخوة يوسف من بعد ان نزغ الـ
الشيطان بيني وبين اخوتي وقد قال ما تواخا اثنان في الله فيفرق بينهما الا ذنب يرتكبه احدهما
وقال بشر اذا قصر العبد سلبه الله ما يونسه لان عنده ان وجود الانس في الاخ نعمة من الله
عز وجل اذ لا يوجد ذلك في كل اخ وقال ايضا ينبغي للرجل ان يكون له ثلثة اخوة اخ للدنيا واخ للاخرة
واخ يانس به اي وقد يكون الاخ من اهل الآخرة والفضل ولا يجد الله به الانس من قبل
ان الانس يجد منه لان الاخ الصالح يانس بالله وانسه من الله فلا يوجد الانس منه اذا كان هو
مشغولا بالله من ناقص وانه لا قرب في روح لا يوجد الانس به ولا يوجد الانس الا في روحاني
والميت لا انس فيه ويقال ان للعدو شيطانا ليس له عمل الا الفرقة بين الاخوان وعن
مجاهد المتحابون في الله اذا التقوى فبش بعضهم الى بعض تحاتت عنهم الخطايا كما يتحات ورق
الشجر في الشتا اذا تشرق وفي الحديث اذا التقى المسلمان وتصافحا قسمت بينهما ماية اجر
تسعة وتسعون لابشهما بصاحبه قيل التقى بعضهم اخا له فعبس وجهه ولم يظهر
البشاشة فقيل له في ذلك فقال اردت ان يكون الثواب له وهذا ايثار الاخوة وقال الفضيل
وغيره نظر الاخ الى وجه الاخ على المودة والرحمة عبادة عن ابن عباس رض عن النبي عم سبعة
يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله منهم اثنين تحابا في الله اجتمعا على ذلك
وتفرقا على ذلك فاشترط لذلك التفرق على الاخوة والمحبة والحيطة في الغيب كالاجتماع ولا تصح
الاخوة الا بذلك لانه حقيقة المحبة وتمام الوفاء كما قال عم افضلهما اشدهما حبا لصاحبه
قال بعضهم ما ذكرا خي في غيبي الا تصورت نفسي في صورته فقلت فيه مثل ما احب ان يقال في
وفي الاخبار عن جماعة الاخيار اثنان عزيزان لا يزدادان الا عزة درهم حلال واخ تسكن
اليه وقيل واخ يونس به وقال ابن معاذ ثلثة عزيزة في وقتنا هذا ذكر منها حسن الاخاء
مع الوفاء يعني بالوفاء ان يكون له في غيبه ومن حيث لا يعلم ولا يبلغه مثل ما يكون له في شهوده
ويكون له بعد موته ولاهله من بعده كما كان له في حياته فهذا هو الوفاء وهو المعنى الذي
شرط النبي عم للمواخات وجعل جزاءه ظلال العرش فقال اجتمعا على ذلك فتفرقا وقال بعض
الادباء قليل الوفاء بعد الوفاة خير من كثير في حال الحياة وقال الحسن كان احدهم
ليخلف اخاه في عياله بعد موته اربعين سنة ما يفقدون الا وجهه وقال ان مسروقا ادان
دينا ثقيلا وكان على اخيه خيثمة دين فذهب مسروق فقضا دين اخيه خيثمة وهو لا يعلم
وذهب خيثمة سرا فقضى دين مسروق ولم يعلمه عن عمر رض وابنه رض لو ان رجلا صام
النهار وقام الليل وتصدق وجاهد ولم يحب في الله ويبغض في الله لما نفعه ذلك شيئا
وعن رسول الله عم انه قال لاصحابه اي عروة الايمان اوثق قالوا الصلوة قال حسنة
وليس به قالوا الزكوة قال حسنة وليس به قالوا الجهاد قال حسن وليس به قالوا فاخبرنا — الحج و
يا رسول الله قال اوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله وقد اختلف مذهب الصحابة
في الاخ في الله ثم ينقلب الا خرعما كان عليه ويتغير هل يبغضه بعد ذلك ام لا قال ابو ذر فابغضه



من حيث احبته وهو صاحب شدايد وعزايم وهذا من عزايمه وشدايده وقال ابو الدرداء
هو اخي كما كان لا ابغضه انما ابغض عمله قال عم احذروا زلة العالم فان زل فلا تقطعوا
وانتظروا فيئته فان العالم قد يزل ثم يفيء وقال رض لا تحدثوا الناس بزلة العالم فان العالم يزل
ثم يتركها وقد يتخذها الناس دينا وكذلك قال تعالى لنبيه فان عصوك فقل اني
بريء مما تعملون ولم يقل اني بريء منكم لحمة النسب وقيل وقيل للصداقة لحمة كلحمة النسب وقيل
لحكيم ايما احب اليك اخوك او صديقك فقال انما احب اخي اذا كان صديقا وقال ابو الدرداء رض
اذا تغير عليك اخوك في حال عما كان فلا تدعه لاجل ذلك فان اخاك يعوج مرة ويستقيم
اخرى وكذلك قيل المودة خير من القرابة تحتاج الى المودة والمودة لا تحتاج الى القرابة وقال
ابراهيم لا تقطع اخاك ولا تهجره عند الذنب يذنبه فانه يركبه اليوم ويتركه غدا وقال
بعضهم لو ارتد اخ ما ارتددت بالنيمة عن اخوته لانه احوج ما كان الى الان فلا اقطع به
ودعا بعض التابعين لبعض الصحابة وقد كان قد اسرف على نفسه فقيل له اتدعو له وقد
فعل وفعل فقال لمن ادعو الحسن وابن سيرين هو احق ان ادعو له منهما وفي الحديث لما شتم
القوم للرجل الذي اتى فاحشة فقال عم لا تكونوا اعوانا للشيطان على اخيكم وفي الخبر
لا يجد العبد حلاوة الايمان حتى يحب المرء لا يحبه الا الله وفي خبر لا يؤمن عبد حتى يحب
المرء لله وعن النبي عم ان لله عبادا على منابر من نور يوم القيمة وجوههم وثيابهم
نور عن يمين العرش لا يخافون اذا خاف الناس ولا يفزعون اذا فزع الناس ليسوا بانبياء
ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء لمكانهم وقربهم من الله تعالى قيل من هم يا رسول الله
قال المتحابون في الله المتزاورون في الله المتجالسون في الله وفي حديث عبادة بن الصامت
عن رسول الله عم يقول الله تع حقت محبتي للمتحابين في وحقت محبتي للمتجالسين في وللمتزا
ورين والمتباذلين في والمتصافين في وقال جعفر بن سليمان كنت اذا وجدت في نفسي فترة
نظرت الى محمد بن واسع فاعمل على ذلك جمعة فاول ما تصح به الاخوة في الله تعالى ان لا يكون
قصده عن محبته لاجل معصية ولا على حظ من دنياه ولا لاجل ارتفاقه به اليوم
ولا لمنافعه ومصالحه ولا يكون ذلك مكافاة على احسان احسن اليه ولا لاجل هوى بينه
وبينه ليس فيه طريق الى الله فاذا سلم من هذه المعاني فهذه ابواب المحبة وهي اذا مواخاة
في الله ولا يقدح في الاخوة ولا يخرجه من الحب في الله ان احبه لحسن خلقه وكثرة علمه
وحلمه او لحسن عقله او لوجود الانس به ويخرجه ما يكون بينه وبينه وليحة بين
والاخوة مثل الانعام والافضال والارتفاق به والاحسان اليه فاما حقيقة الحب
في الله فاولها ان لا يحسد على دين ولا دنيا كما لا يحسد نفسه عليها ولن يوثر بالدين
والدنيا اذا كان محتاجا اليهما كنفسه فهذان شرطا الحب في الله اللذان ذكرهما الله
في قوله يحبون من هاجر اليهم ثم وصف حقيقة محبتهم اذ كان لا يصف الا حقا ولا يمدح
الا محقا فقال ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا يعني مما اوتي احباؤهم من دين

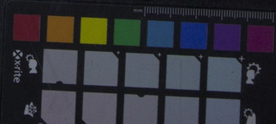
ودنيا

ودينا والحاجة في هذا الموضع الحداي كما لا يجدون هم في صدورهم لانفسهم حسدا فهذا
حقيقة الوجود ثم قال في الشرط الثاني ويؤثرون على انفسهم فهذا فصل الخطاب ونعت
الاحباب فينبغي ان يوثر اخاه بنفسه وماله ان احتاج الى ذلك منه فان لم يكن في هذه
المنزلة وهو مقام الصديقين فيساويه في ذلك وهذا مقام الصادقين فان لم يكن هناك
فيواسيه منه وهذا اقل منازل الاخوة وهو من اخلاق المؤمنين وانما اخا رسول الله بين
الغني والفقير ليعتدلا وينبغي ان يقدمه على اهله وولده وان يحبه فوق محبته لهم لان محبة
الاولاد من الدنيا ومحبة الاخوان من الآخرة وامور الاخرة مقدمة في كل شيء عند المتقين وقال
ابو قلابة لاخوانه انتم احب الي من اهلي وولدي اولئك تذكروني الدنيا وانتم تذكروني
الآخرة وقد كان عبد الله بن الحسن البصري يعرف اخوان الحسن اذا علم ذلك يقول دعهم
لا ام لك فانهم احب الي منكم هؤلاء يحبوني الله وانتم تحبوني للدنيا وقال ابو معوية الاسود
اخواني كلهم خير مني قيل وكيف ذلك قال كلهم يرى الفضل لي عليه ومن فضلني على نفسه فهو خير
مني وقال علي رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم لما جلس بينه وبين فاطمة وهما مضطجعان ايما احب اليك انا
او هي فقال هي احب الي منك وانت اعز علي منها ففرق بين الحب والعز وعن رسول الله عليه السلام
المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل وفي حديث آخر ولا خير في صحبة من لا يرى لك مثل
الذي ترى له وقال الاعمش من اخفى عنا بدعته لم تخف علينا الفته اي ننظر الى اخوانه الذين
يألفهم فنستدل عليه بهم ولا تصح مواخاة مبتدع ولا فاسق ولا فقير احب غنيا لاجل الدنيا وقد
تصح بين الغني والفقير وان لم يقم الغني بحقوق اخوة اخيه اذا آثره اخوه بذلك فلم ينقصه
وتصح بين الاثنين وان كان واحدهما دون الآخر في العلم والدين وينبغي ان يعلم ما يجهل
مما هو يعلم فيعينه على البر والتقوى كما يعينه بماله وان فقر الجهل اشد من فقر المال وان الحاجة
الى العلم ليست بدون الحاجة الى المال وينبغي ان ينصره بنفسه ويعينه بماله ولسانه وقلبه فان النصرة
في الله تكون بهذه الخصال وعليه ان يحفظ غيبه ويستر عيبه ويحسن الثناء عليه وينشر فضله
ويمسك عن زلله ويقال ما من احد الا وله محاسن ومساوي فمن غلبت محاسنه على مساويه
فهو المؤمن والمؤمن يقول في اخيه احسن ما يعلم والمنافق يذكر اقبح ما لم يعلم فيه ومن النصرة
بالنفس السعي في نوايبه ومن النصرة بالمال بذله له في محبته وحاجاته ومن النصرة باللسان
نشر محاسنه ورد مساويه والنصرة بالقلب اعتقاد فضله عليه وجميل رجائه بالقربة فيه وحسن
الظن على كل حال به ولا يتكبر ولا يفتخر عليه وينبغي ان لا يخالفه في شيء ولا يعترض عليه في مراده
قال بعضهم اذا قال الاخ لاخيه اعطني من مالك فقال كم تريد وما تصنع به لم يقم بحق
الاخاء ومن اخلاق السلف انهم قالوا لم يكن احد منا يقول في رحله هذا لي وهذا لك بل
كان كل من احتاج الى شيء استعمله من غير مؤامرة ولذلك قال بعض الصوفية لما سئل عن الورع
من الاخوة بين الاخوين فقال ترك الورع اي ليس هم كالاجانب فيستحل بعضهم بعضا فيتوقف
عن اخذ ملك اخيه وقد وصف الله تعالى المؤمنين بهذا فقال وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم



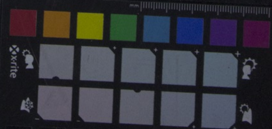
ينفقون اي شاع بينهم غير مقسوم هم فيه سواء لا يميز بعضهم رحله عن بعض اي شركاء وقال ولا جناح
عليكم ان تاكلوا من بيوتكم الى قوله او صديقكم ثم قال ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا يحضرة
الاخوان او اشتاتا في حال تفرقهم فسوي بين غيبهم ومشهدهم ليستوي احوالهم بينهم وبين املاكهم
واستوي قلوبهم مع السنتهم في البذل والمحبة ليتناولوا البذود وهو تحقيق وصف بهم امرهم شوري
بينهم ومما رزقناهم ينفقون اي هم في الامر والانفاق سواء وعن ابن عمر وابي هريرة رضي الله عنهما لم يكن
احدهما احق بديناره ودرهمه من اخيه وجاء عتبة العابد الى منزل اخيه فقال احتاج من مالك
الى اربعة الاف درهم فقال خذ الفي درهم فاعرض عنه وقال اثرت الدنيا على الله ما استحييت ان تدعي
الاخوة في الله وجاء فتح الموصلي الى منزل اخ له فامر اهله فاخرجت صندوقه ففتحه واخذ
من كيسه حاجته فذهبت الجارية الى مولاها فاعلمته فقال ان كنت صادقة فانت حرة لوجه الله
سرورا بما صنع وقال ميمون بن مهران من اراد من الاخوان ترك الافضال فليواخي اهل القبور وجاء
رجل الى ابي هريرة رض فقال اني اريد ان اواخيك في الله فقال اتدري ما حق الاخوة فقال عرفني
قال لا تكون احق بدينارك ودرهمك وثوبك مني قال لم ابلغ هذا المنزلة بعد قال فاذهب عنك
وقال علي بن الحسين رض لرجل هل يدخل احدكم يده في كم اخيه او كيسه فياخذ منه ما شاء من غير
اذن ولا امتناع قال لا قال فلستم باخوان روي ان اخوين ابتلى احدهما بهوي فاظهر عليه اخاه
فقال اني قد اعتللت بالهوي فان شئت ان لا تعقد على محبتي في الله فافعل فقال ما كنت لاحلي
اخوتك لخطيئتك ابدا ثم اعتقد اخوه انه لا ياكل ولا يشرب حتى يعافي الله اخاه من هواه قال
فطوا اربعين يوما في كلها يساله عن هواه كيف انت منه فكان يقول القلب مقيم على حاله وما زال
اخوه الاخر يحل ويسقم من الغم عليه ومن تركه الطعم والشرب قال فزال الهوي عن قلبه بعد الاربعين
فاخبره بذلك فاكل وشرب بعد ان كاد ان يتلف هزلا وضرا وكذلك في الاسرائيليات ان اخوين
عابدين في جبل نزل احدهما يشتري من المصر لحما بدرهم فنظر بغيا عند اللحام فرمقها وواقعها
ثم اقام عندها ثلثا واستحيي ان يرجع الى عند اخيه قال فافتقده اخوه واغتم بشانه فنزل
الى المصر فلم يزل يسال عنه ويصف حتى دل عليه فدخل اليه وهو جالس مع البغي فاعتنقه وجعل
يقبله ويلتزمه وانكر الاخر انه يعرفه لفرط استحيائه منه فقال قم يا اخي فقد علمت شانك
وقصتك وما كنت قط احب الي ولا اعز علي منك في يومك هذا فلما راي ذلك لم يسقط
عنده فارح فانصرف معه فهذه احسن النيات وهي سبيل العارفين من الطرقات وقال
ابن عيسي وسليمان من احب رجلا ثم قصر في حقه فهو كاذب في حبه مفرحا في حقه
وقال ابو سليمان هو صادق في حبه مفرحا في حقه وقال لو ان الدنيا كلها لي فجعلتها في فم اخ
من اخواني لاستقللتها له وقال ايضا اني لالقم الاخ من اخواني اللقمة فاجد طعمها
في حلقي وقال علي رض شر الاصدقاء من احوجك الى مداراة والجاك الى اعتذار وقال مرة شر
الاصدقاء من يتكلف له ولا يدع نصيحة في غيبة بما يعلم وليحمل زلات اخيه ولا يقطعه
معها ولا يغضب عليه عندها وان غضب او اغتاظ فليسرع الرضا فان الله لم يصف المؤمنين

بانهم لا يغضبون ولا يغتاظون اذ ذلك لا يملك وانما وصفهم بانهم اذا غضبوا يغفرون وانهم
كاظمين الغيظ وعافين عن الناس وهذا هو الاحسان فلذلك كانوا محسنين وسترايد
المحسنين وفي الحديث المؤمن سريع الغضب سريع الرضا فهذه بهذه وقال الشافعي رح من
استغضب فلم تغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرضى فهو شيطان وقال عمرو بن دينار زهدك
في راغب فيك نقص حظك ورغبتك في زاهد فيك ذل نفسك وينبغي ان يحتمل لاخيه ثلثة معاني
من الظلم ظلم الهفوة وظلم الغضب وظلم الدالة حكي هذا عن بعض السلف قيل للاحنف اي اخوانك
احب اليك قال من يسد خللي ويستر ذللي ويقبل عللي ويقال من لا يظلم نفسه للناس ويتظالم لهم
ويتغافل عنهم لم يسلم منهم وقد قيل يحتمل الرجل لاخيه الى سبعين زلة فيطلب له المعاذير فان
اعياه ذلك قال لعل لاخي عذرا غاب عني علمه وقال ابن سعيد الثوري اذا اردت ان تواخي رجلا
فاغضبه ثم دس عليه من يسال عنك فان قال خيرا فاصحبه وقال اخر لا تواخي احدا حتى تبلوه
او تفشي اليه سرا او استغضبه فانظر فان افشاه عليه فاجتنبه وقيل لابي يزيد رح من نصحبت
من الناس قال من يعلم منك مثل ما يعلم الله ثم يستر عليك كما يستر الله وقال ذو النون لا خير
في صحبة من لا يحب ان يراك الا معصوما وقال جعفر بن محمد رض اثقل اخواني على من يتكلف لي واتحفظ
واخفهم على قلبي من اكون معه كما اكون في وحدي وقيل لبعضهم من نصحب من الناس فقال من
يرفع عنك ثقل التكلف ويسقط بينك وبينه مؤنة التحفظ وقال بعض الادباء من اقتضى من
اخوانه فوق ما يقتضونه فقد ظلمهم ومن اقتضاهم مثل ما يقتضونه فقد انفصلهم
ومن لم يقتضهم مثل ما يقتضونه فقد تفضل عليهم وقال بعض الحكماء من جعل نفسه
عند اخوانه فوق قدره اثم واثموا فيه ومن جعلها في قدره تعب واتعبوا معه ومن جعلها
دون قدره سلم وسلموا منه يريدون بهذا كله ان من لم يكن بهذه الاوصاف دخل
عليه التزين والتصنع فاخرج الى الرياء فذهبت بركة الصحبة وبطلت حقيقتها وقال
بعضهم لا تعاشر من الناس الا من لا تزيد عنده ببر ولا تنقص باثم يكون ذلك
لك وعليك وانت عنده سواء يعني يستوي حالاته عنده بلا مزيد لاجل صيامه وقيامه
ولا نقصان لاجل افطاره ونومه واذا كان يزيد عنده بالعمل وينقص بترك العمل فالفرقة
اسلم للدين وابعد من المراياة لان النفوس مجبولة على حب المدح وكراهية الذم وقال
بعضهم كن مع ابناء الدنيا بالادب ومع ابناء الاخرة بالعلم ومع العارفين كيف شئت
وقال اخر لا تصحب الا من يتوب عنك اذا اذنبت ويعتذر اليك اذا اسات ويحمل عنك
مؤنة نفسه ويكفيك مؤنة نفسك وهذا من اعز الاوصاف في هذا الوقت كما قال
رجل للجنيد قد عز في هذا الوقت اخا في الله فسكت عنه ثم اعاد ذلك فتغافل عنه
فلما اكثر قال له الجنيد ان اردت اخا في الله يكفيك مؤنتك ويتحمل اذاك فهذا لعمري قليل
وان اردت اخا في الله تتحمل انت مؤنته وتصبر على اذاه فعندي جماعة اعرفهم لك قال
فسكت الرجل وقيل ليس الاخاء كف الاذى هذا واجب والاخاء الصبر على الاذى وقال الثوري



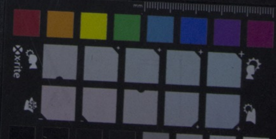
من عاشر الناس داراهم ومن داراهم راياهم ومن راياهم وقع فيما وقعوا فيه
فهلك كما هلكوا وقال بعض الحكماء لا تواخي من الناس من يتغير عليك في اربع عند غضبه
ورضاه وعند طمعه وهواه لان هذه المعاني تتغير له الطباع لدخول الضرر منها على النفس
وفقد الانتفاع وقال علي عليه السلام في وصف اخلاق الاخ كلاما وجيزا جامعا مختصرا
يوفي على جميع ما ذكرناه ان اخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك ومن اذا ريب
زمان صدعك شتت منه شمله ليجمعك وقال بعض الحكماء لا تصحب الا احد رجلين رجل
تتعلم منه شيئا من امر دينك فينفعك ورجل تعلمه شيئا من دينه فيقبل منك والثالث فجر
بنفسه لا علم عنده ولا يتعلم فاهرب منه وقال ابو سليمان لا تصحب الا احد رجلين رجل ترتفق
منه في دنياك ورجل تزيد معه وينتفع به في آخرتك والاشتغال بغير هذين حمق كثير وقال
المامون الاخوان ثلثة احدهم مثله مثل الغذاء لا يستغنى عنه والاخر مثل الدواء يحتاج اليه
وقت والثالث مثل الداء لا يحتاج اليه وقال بشر رضي للرجل ثلثة اخوان اخ لآخرته واخ
لدنياه واخ يانس به فاخبر ان اخ المؤانسة لا يكون متصوفا عابدا وان الانس مخصوص
يقال لا يوجد الا في محبة ومثل جملة الناس كجملة الشجر منهم من ظل ليس فيه ثمر وهذا
يصلح للآخرة ولا يصلح للدنيا ومنهم من فيه ظل وثمر فهذا الذي يصلح للدين والدنيا
ومنهم من لا ظل له ولا ثمر فيه مثل شجر الغضا وهو شوك البرية الذي تسميه العامة ام
غيلان يمزق الثياب لا طعم فيه ولا شراب فهو لادمي الناس من يضره ولا ينفع فمثلهم
كمثل الفارة والعقرب ويوصف قول الله يدعو لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس
العشير وقال الموصل الناس نفتي اذا ما انت ذقتهم لا يستوون كما لا يستوي الشجر هذا له
ثمر حلو مذاقته وذاك ليس له طعم ولا ثمر وكان الشافعي رح اخا محمد بن الحكم وكان يقربه
ويقول ما يقيمني بمصر غيره ولولا صحبته محمد لنا لخرجت من مصر فاعتل محمد فعاده الشافعي
فتنفس ثم قال مرض الحبيب فعدته فمرضت من حذاري عليه واتى الحبيب يعودني فبرئت
من نظري اليه ونقل ابو الدرداء رض الى ثورين يحرثان في فدان فوقف احدهما يحك جسمه
ووقف الآخر فبكى ابو الدرداء فقيل له فقال هكذا الاخوان في الدنيا يعملان لله و
يتعاونان على امر الله فاذا وقف احدهما وقف الآخر لوقوفه فكان اكثر عبادته
التفكر وفي الخبر اذا دعا الرجل لاخيه في ظهر الغيب قال الملك ولك مثل ذلك وفي لفظ آخر
يقول الله بك ابدا وفيه ايضا يستجاب للرجل في اخيه ما لا يستجاب له في نفسه وفيه
دعوة الاخ لاخيه في الغيب لا ترد فهو ايضا من واجب الاخوة تخصيصه وافراده بالدعاء
والاستغفار له في الغيب فلو لم يكن في بركة الاخوة الا هذا لكان كثيرا وقال محمد بن يوسف
واين مثل الاخ الصالح اهلك يقتسمون ميراثك ويتنعمون بما خلفته وهو منفرد بحزنك
لما قدمت يدعو لك في ظلمة الليل وانت تحت اطباق الثرى فقد اشبه هذا الاخ الصالح
الملائكة جاء في الخبر اذا مات العبد قال الناس ما خلف وقالت الملائكة ما قدم

يفرحون له بما قدم وقال بعضهم من بلغه موت اخيه فترحم عليه واستغفر له كُتِبَ له كانه شهد جنازته
وصلى عليه وعن رسول الله صلعم مثل الميت في قبره مثل الغريق يتعلق بكل شيء ينتظر دعوةً من اخ من قريب
وانه ليدخل على قبور الاموات من دعاء الاحياء من الانوار امثال الجبال وقال بعض السلف الدعاء
للاموات بمنزلة الهدايا للاحياء من اهل الدنيا كما يهدي بعضهم الى بعض الهدية قال فيدخل الملك على الميت
معه طبق من نور عليه منديل من نور فيقول هذه هدية لك من عند اخيك فلان ومن عند قريبك
فلان فيفرح بذلك كما يفرح الحي بالهدية اذا جاءته من الحي وروينا ان حكيما جاء الى حكيم فقال جئتك
خاطبا اليك مودتك فقال ان جعلت مهرها ثلثا فعلت فقال وما هن لا تخالفني في امر ولا تقبل
علي بلاغة ولا تغط في غشوة فقال قد فعلت قال قد اجبتك وقيل من سقطت كلفته دامت الفته
ومن خفت مؤنته دامت مودته وقال عم انا والاتقياء من امتي براء من التكلف وقال بعض العلماء
اذا اكل الرجل في منزل اخيه اربع خصال فقد تم انسه به اذا اكل عنده ودخل الخلاء ونام وصلى
ذكرت هذه الحكاية لبعض شيوخنا فقال صدق وبقي خصلة قلت ما هي قال ويجامع ايضا فانما قال
هذا التم انسه به لان هذه الخمس لاجلها تتخذ البيوت ففي الانس بالاخ وارتفاع الحشمة من هذه
الخمس مثل الانس في الوحدة بالنفس عن غير عيب عن عايب فعلى ذلك يصلح ان يستدل بقول العرب
في تسليمهم وتحييهم مرحبا واهلا وسهلا اي ذلك عندنا رحب هو السعة في القلب والمكان ذلك
عندنا اهل بالانس بهم بلا وحشة منها وسهلا اي لك عندنا سهولة ذلك اي يسهل ذلك علينا
ولا يشتد فهو سهولة اللقاء وسهولة من الاخلاق والانفاق واعلم ان للناس في التعارف سبع
مقامات بعضها فوق بعض واولها المعرفة عن الرؤية والسمع فقط فهذا حرمة الاسلام وحق العامة ثم المجاورة
حق الجوار وهو ثاني حقوق الاسلام لانه قد جمع حرمة الاسلام وحرمة الجوار ثم الصداقة وهي
حقيقة الصحبة ومعناها يوجد المعاشرة وهي اسم يجمل معه المخالطة ويوجد فيه المؤانسة وهو حكم يحكم
عليه بالمزاورة والمباينة والمواكلة وهذا حقيقة العشرة فالمعاشر مأخوذ من العشير وهو الخليط
المقارب وكذلك سمي الزوج عشيرا في قول النبي عم ويكفرن العشير وقد يسميه المعاشر وفي قوله تعالى
لبئس المولى ولبئس العشير يعني بالمولى ابن العم وبالعشير القريب المختلط به والمعاشرة من باب المفاعلة
لانه يقع بين الاثنين يفعل كل احد بصاحبه كفعله له ثم الصحبة وهي الملاومة والاتباع فهذا فوق
ذلك ثم الصداقة ثم الاخوة فوق الصداقة وهذا لا يكاد يكون مقدما الا بين النظراء في الحال و
المتقاربين في الجنس والمعاني بان يوجد في احدهما من القلب والهمة والعلم والخلق والفعل ما يوجد
في الاخ وان تفاوت تواخيا وقال تع ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وليسوا من جنسهم ولا على
وصفهم من الخلقة ولكن لما تشابهت قلوبهم واحوالهم اخا بينهم فهذه اخوة الحال وهي حقيقة
الصداقة ثم المحبة وهي خاصية الاخوة وهذا ما يجعل الله من الالفة ويوجد من الانس والقلب
يتولاه بنفسه ولا يوليه غيره وهو ارتياح القلوب وانشراح الصدور ووجد السرور وفقد
الوحشة والحشمة ثم الخليل من هذا فوق الحبيب ولا يكون هذا الا في عاقلين عالمين عارفين
على معنى معيار واحد وطريق واحد وقلب واحد ومعها يكون حقيقة الحب والايثار وكل خليل حبيب



وليس كل حبيب خليلا لان الخلة تحتاج الى فضل عقل ومزيد علم وقد لا يوجد ذلك في كل محبوب فلذلك
عز طلبه وجل وصف وقد رفع الله نبيه صلى الله عليه وسلم في مقام المحبة فاعطاه الخلة ليلحقه في مقام
ابراهيم عليه السلام فكانت الخلة مزيد المحبة كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد
المنبر فرحا مستبشرا الا ان الله تعالى اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا فانا حبيب الله وانا خليل الله
وليس قبل المعرفة اسم يوجب حكما لا بعد الخليل وصف يعرف الا نعت حبيب ثم يتزايد الحرمات في الا
خوة ما بين المعرفة والخلة وتعظيم الحقوق بطول الصحبة وجميل العشيرة ويقال صحبة سنة
اخوة ومعرفة عشرين سنة قرابة وقد ضم الله تعالى الصديق الى الاهل ووصله بهم ثم رفع الاخ وقدمه
على الصديق في قوله او ما ملكتم مفاتحه او صديقكم كان الاخ يدفع مفاتيح خزانته الى اخيه
وهو يتصرف فيه كما لنفسه ثم قال تعالى ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا او اشتاتا بحضرة الاخوان
او اشتاتا في حال تفرقهم فسوا بين غيبهم ومشهدهم لاستواء قلوبهم مع السنتهم في البذل والمحبة
واعلم ان الله ليس بين الاخوين والصاحبين رياء في اعمالهما وترى ابواب العين اعمالهما لهما ثواب
السر والخلق لانهما كالاهل في الحضر وكالصحابة في السفر ليس بين الرجل واهل بيته ولا بين
المسافر ورفقائه رياء ولا سمعة ولا عليه منهم احتقار ولا خلوة فان صحبه اخوه في سفر كانت الحرمة
عليه الزم وحقه اوجب فينبغي ان لا يخالفه ولا يعترض عليه في النزول والترحيل والعقود
والاستراحة وفي الخبر ما اصطحب اثنان قط الا كان احبهما الى الله ارفقهما بصاحبه
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من صاحب يصاحب الا يسأله الله عز وجل عن صحبته هل
اقام فيها حق الله او اضاعه وقد جاز في مخالطة المسلمين والاكل معهم والاختلاط بالعامة
والمشي في الاسواق والاشتراء الحوايج وحملها والتواضع ما يكثر رسمه ويطول وصفه وكذلك
سيرة الصحابة وشيم الصالحين والتابعين باحسان منهم عمر رضي الله عنه كان يحمل القربة
على ظهره لاهله وعلي رضي يحمل التمر والملح في ثوبه وفي يده ويقول لا ينقص الكامل من كماله
ما جر من نفع الى عياله ومنهم ابن مسعود وحذيفه وابو هريرة رضي الله عنهم كانوا يحملون
حزم الحطب وجرب الدقيق على اكتافهم وظهورهم وسيد المرسلين وامام المتقين
رسول رب العالمين كان يشتري الشيء فيحمله بنفسه فيقول له صاحبه اعطني احمله عنك
فيقول صاحب الشيء احق بحمله وقد روي ان حكيما من الحكماء في الاسرائيليات صنف ثلثمائة وستين
مصنفا في الحكمة حتى ظن انه قد نال منزلة عند الله واعتزل من الناس فلم يقبل الله عبادته
حتى اختلط مع الناس في الاسواق وما رضي الله عنه حتى مشى مع العامة فلو يعتبر البائس المتقنع
للخلق الاسير في ايديهم الوهين لنظرهم ان الخلق لا ينقصون من الرزق ولا يزيدون في عمر ولا
يرفعون الى الله ولا يضعون عنده وان هذا كله بيد الله لا يملكه سواه ولو سمع خطاب المولى لاستراح
من جهد البلا اذ يقول الله تعالى ان الذين يدعون من دون الله عباد امثالكم لكفى بعبادة الخلق
وطلب من مولاه الرزق فعتق من ذل الملكة ونجا بعز العزيز من كل هلكة ولو سمع بنداء الاعلى
تعالى فخفظه وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا فتاله بالنظر اليه وكان عاكفا في جميع احواله

عليه فلو عقل هذا لاطرح الخلق عن قلبه اشتغالا بمعتقبه ولاعرض عن الناس بهمته نظرا منه الى همته
واظهر حاله وكشف امره مرحبا بربه وغنية بعلمه وتعززا بوصفه فلم يبال ان يراه الناس على كل حال
يراه فيه مولاه ان كان لا يعبد الا اياه ولا يرجوه ولا ينفعه شفاعة فيعمل ما يصلحه وان كان عند الناس
يضعه لكن احب ان يستتر عنهم حاله فهذه طريقة العارفين الذين راوا الخلق لا شي اذ لم يكن
شيئا وشهدوا الاول بكل سكون وحركة لانه القديم لم يزل وجد بوزنا عن يونس قال قال لي الشافعي
والله ما اقول لك الا نصحا انه ليس الى السلامة من الناس سبيل فانظر ما يصلحك دينك فافعله ولا
تلتفت الى احد وقال الثوري رح رضا المتجني من الناس غاية لا تدرك فاحمق الناس من طلب ما لا
درك له وقال ابو محمد لا ينال العبد هذا الامر حتى يكون باحد وصفين حتى يسقط الناس من عينه
فلا يرى في الدار الا هو وخالقه فان احدا لا يقدر بضره ولا بنفعه او عبدا سقط الناس عن
قلبه فلا يبالي باي حال يرونه وعن الحسن البصري امام الزاهدين ان رجلا قال له يا ابا سعيد
ان قوما يحضرون مجلسك ليس بغيتهم الفايدة منك ولا الاخذ عنك انما قصدهم تتبع سقط كلامك
ويعيبك في السؤال ليغشوك بذلك وينقصوك فتبسم الحسن رح ثم قال هون عليك يا ابن اخي اني حدثت
نفسي بسكنى الجنان فطمعت وحدثت نفسي بمجاورة الرحمن فطمعت وما حدثت نفسي قط بالسلامة
من الناس لاني قد علمت ان خالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم لم يسلم منهم فكيف احدث نفسي بالسلا
منهم فكيف احدث وبعنا ان موسى عليه السلام قال يا رب احبس السنة الناس عني فقال الله
عز وجل يا موسى هذا شي لم اسقطه عن نفسي فكيف افعل بك وفي لفظ لو خصصت بهذا احدا لخصصت به
نفسي وقال ابو الدرداء ما من يوم اصبح فيه حيا امشي لا يرميني الناس فيه بداهية الا عددته نعمة
من الله تعالى علي وانشد فان امرءا يمسي ويصبح سالما من الناس الا ما جنا لسعيد واوحى الله
الى عزير عم ان لم تطب نفسا بان اجعلك علكا في افواه الماضغين لم اكتبك عندي من المتواضعين ومثله
عن عيسى عم يقول يا معشر الحواريين ان اردتم ان تكونوا اخوانا فوطنوا انفسكم على العداوة والبغضاء
من الناس وقد جعل الله في المخالطة للمومنين من البركة ما لو لم يجد فيه الا هذا لكان كثيرا او روينا
ان النبي عليه السلام لما طاف بالبيت عدا الى زمزم ليشرب منها واذا التمر المنقع في حياض الادم قد مغثه الناس
بايديهم وهم يتناولون منه كفا كفا يشربونه فاستسقى منه فقال اسقوني فقال العباس ان هذا النبيذ
شراب قد مغث وخيض بالايدي افلا اتيك بشراب انظف من هذا فقال لا اسقوني من هذا الذي
يشرب منه المسلمون فسقي من ذلك فشرب واياك ان تصحب جاهلا فتجهل بصحبته او غافلا عن
مولاه متبعا لهواه فيصدك عن سبيله فتردى كما قال تع فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون
فاول الاستقامة صحبة العلماء بالله وقال تع ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه
فتردى اي فتوقع بتا بانه هلك وقال فاعرض عن من تولى فني دليله الاقبال بالصحبة على من اقبل الى
ذكره تع والاعراض عن من اعرض عن وجهه ولا تصحبن الا مقبلا عليه كما قال تعالى واتبع سبيل من
اناب الي وقال الثوري رح النظر الى وجه الاحمق خطيئة مكتوبة وقال سعيد بن المسيب لا تنظروا
الى الظلمة فتحبط اعمالكم الصالحة وقال صعصعة بن صوحان اذا لقيت المومن فخالطه واذا لقيت المنافق



مخالقة مخالفة وقال ابو الدرداء رض انا لنكشر في وجوه قوم وان قلوبنا لتلعنهم وهذا من الايمة
يحملوا على المدارة طلبا للسلامة منكله ان ياثم فيك ولسانه متكمنه ان تتاذي به فيكون ذلك منه رحمة
ومنه قول اللطيف الرحيم ادفع بالتي هي احسن وقال ويدرون بالحسنات السيئة قال ابن عباس رضي الله
يدفعون الفحش وهو السيئة بالسلام والمدارة وهو الحسن وقال الحسن رض افضل الحسنات
اكرام الجلساء وقيل له من احب الناس اليك قال جليسي وكذلك قولهم خالص المؤمن وخالق الفاجر
فالمخالصة بالقلوب من المودة واعتقاد المواخات والمخالقة المخالطة في المعاملة وعند اللقاء وقد
جاء خالطوا الناس باعمالهم وزايلوهم في القلوب وقال تعالى في وصف اوليائه واذا خاطبهم
الجاهلون قالوا سلاما اي سلمنا من شركم وسلمتم من اعنتنا فوسلاما بمعنى سلامة الالف بدلا
من الهاء لازدواج الحلم وقال حكيم الحكماء صلى الله من خالط الناس فصبر على اذاهم افضل من
لم يخالطهم ويصبر على اذاهم وقال العلام ذو الجلال والاكرام اولئك يؤتون اجرهم مرتين
بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة اي يدفعون بالكلام الحسن الكلام السيئ وقال في المبشرات
ادفع بالتي هي احسن يعني بالكلمة الحسنى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم ثم قال
وما يلقيها يعني الكلمة الحسنى الا الذين صبروا وما يلقيها الا ذو حظ عظيم قيل من العلم
والعلم وقيل ذو حظ عظيم عند الله وقيل ادفع بالتي هي احسن المدارة وقيل السلام قال بعضهم
كل خليل لا يريد ما تريد فانبذ عنك محبته وقال بعضهم مثل الصاحب كالرقعة في الثوب ان لم تكن
من جنسه شانته وقال بعض الحكماء كل انسان مع شكله كما ان كل طير مع جنسه وقال مالك
بن دينار لا يتفق اثنان في عشرة ودوام صحبة الا وفي احدهما وصف من الاخر وان اشكال الناس
كاجناس الطير وراى يوما غرابا مع حمامة فتعجب من ذلك وقال كيف اتفقا وليسا من شكل قال ثم درا
فاذا هما اعرجان فقال من ههنا اتفقا وقال ان اصطحب اثنان برهة من الزمان ولم يتشاكلا
في الحال فلا بد من ان يفترقا وقائل كيف تعارفتما فقلت فكلا فيه اتصاف لم يكن من شكلي ففارقته
والناس اشكال والالف وفي الحديث ان الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها
اختلف تتلقى فتشام في الهواء فقيل معناه في المذهب والخلق وفي هذا الخبر زيادة ولو ان مومنا
دخل الى مجلس فيه مائة منافق وفيه مؤمن واحد لجاء حتى يجلس اليه وقد ذكر لهذا الحديث
سبب ان امراة عطارة كانت بالمدينة مداحة فقدمت امراة من مكة عطارة وكانت مداحة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم على من نزلت قيل على فلانة المداحة فقال نعم الارواح جنود
مجندة وبعض العلماء يقول ان الله تعالى خلق الارواح فخلق بعضها فلقا وقد بعضها
قدا ثم اطافها حول عرشه فاي روحين من فلقتين تعارفا هناك فالتقيا تواصلا هنا في
الدنيا وتوافقا واي روحين من قدتين او فلقة وقدة اختلفا ثم تناكرا هناك فاختلفا
في الجولان فان هذين اذا ظهر الان تنافرا وهذا تاويل الخبر عنده فما تعارف منها اي في الطواف
تعارفا هنا وما تناكر ثم في الجولان لما اظهر اختلافا تناكرا هنا اليوم في الخلق والحال فتدبر
وليس الايتلاف يقع بنفس الاجتماع ووقت الاتفاق وانما الايتلاف يكون بمجانسة الحال وشكل

الاخلاق لانهم شبهوا اجناس الناس باجناس الطير وقد يتفق الطيران من جنسين ويجمعهما
في مكان فلا يكون ذلك ايتلاف في الخلة والاتفاق في الخليقة لتباينهما في التشاكل ولا يتبين
ذلك في الاجتماع وانما يتبين في الطواف اذا طارا او يقع احدهما ويقع الاخر علا اعلاهما وقصر الا
خر فلا بد من افتراق حينئذ لفقد التشاكل ولا بد من مباينة لعدم التجانس عند الطيران فهذا
مثال لما ذكرناه من الافتراق او لعدم حقيقة تشاكل الحال والوصف بعد الاتفاق واعلم ان الايتلاف
في اربعة معان اذا استويا في العقيدة واشتركا في الحال وتقاربا في العلم واتفقا في الاخلاق فان اجتمعا
في هذه الاربعة فهو التشاكل والتجانس ومعه يدوم الايتلاف والاتفاق وان اختلفا في جميعها
فهو التباعد والافتراق وان اتفقا في بعضها واختلفا في البعض كان بعض الاتفاق وبعض
الاختلاف فيوجد من الايتلاف بمقدار ما وجد من التعارف ومن الاختلاف بنحو ما فقد من الاتفاق
وهذا هو تناكر الارواح لبعد تشابهها وتشاكلها في الهوى والاول هو تعارف الارواح لقرب
التشاكل باجتماع الاوصاف وكذلك كان رسول الله عم اخا بين كل اثنين شكلين في العلم والحال
اخا بين ابي بكر وعمر وبين عثمان وعبد الرحمن وهما نظيران وبين سلمان وابي الدرداء وهما شكلان
في العلم والزهد وبين عمار وسعد وكانا نظيرين واخا بين علي وبينه صلى الله تعالى عليهما وهذا من اعلا
فضايله لان علمه من علمه وحاله من وصفه ثم اخا بين الغني والفقير ليعتدلا في الحال وليعود الغني
على اخيه الفقير بالمال وقال ابو سليمان لاحمد بن ابي الحواري اذا واخيت احدا في هذا الزمان فلا تعتبه
في امر تكرهه منه فلا تأمن ان يعتبك بشر من الامر الاول قال احمد فجربته فوجدته كما قال وقال
بعضهم الصبر على مضض الاخ خير من معاتبته ومعاتبته خير من القطيعة والقطيعة خير من الوقيعة
وقال بعضهم الناس اربعة فواحد حلو كله فهذا لا يشبع منه وآخر مر كله وهذا لا يؤكل منه وآخر فيه
حموضة فخذ من هذا قبل ان يأخذ منك وآخر فيه ملوحة فخذ منه اذا احتجت اليه وقال بعضهم
الناس اربعة فاصحب ثلثة ولا تصحب واحدا رجل يدري ويدري انه يدري فهذا عالم فاتبعه
ورجل يدري ولا يدري انه يدري فهذا غافل فنبهوه ورجل لا يدري ويدري انه لا يدري فهذا جاهل
فعلموه ورجل لا يدري ولا يدري انه لا يدري فهذا مايق فاجتنبوه ومثل هذا الرابع قول سهل ما عصي الله
بمعصية شر من الجهل واعظم من الجهل الجهل بالجهل وقال ابن مهران اخرج من منزلي فانا بين ثلثة
ان لقيت من هو اعلم مني فهو يوم فايدتي التعلم منه وان لقيت من هو مثلي فهو يوم مذاكرتي وان
لقيت من هو دوني فهو يوم مثوبتي فاحتسب فيه الاجر واعلم ان الاخوة في الله والمحبة
في الله وحسن الصحبة كانت طريق السلف الصالح وقد درست اليوم محاجها وعفت آثارها
فمن عمل بها فقد احياها ومن احياها كان له مثل اجر من عمل بها فمن رزقه الله اخا صالحا تطمئن
به نفسه ويصلح معه قلبه فهي نعمة من الله تعالى مضافة الى المحاسن نعمة في التزويج وتركه ايهما
افضل وجامع احكام النساء فالافضل للمريد في مثل زماننا هذا ترك التزويج اذا امن الفتنة
وعود العصمة ولم تنازعه نفسه الى المعصية ولم تترادف خواطر النساء على قلبه حتى يتشتت قلبه
او يقطعه عن حسن الاقبال على الخدمة من مساكنة الفكر ومحادثة النفس بامر النساء وتجنح



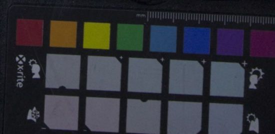
بصره الى المحظور ولم يخالطه ذكره شهوة يستلي عليه لان اول خطايا الفرج شهوة القلب بسامره الفكر
وهو مغفور الخطيئة الثانية انبساط الفرج عن شهوة القلب وهذا علو وقبض الرجل على فرجه
مقتبطا معصية ثالثة فان ظهرت الشهوة من الفرج فهي معصية الرابعة فمتى وقعت هذه المعاني
فانها تغير القلب عن الخشوع وتدخل عليه النقصان ومتى لم يبتلي العبد بها فان الخلق افضل المعاني
حينها يجد لذة الوحدة وحلاوة المعاملة ويقبل على نفسه ويشتغل بحاله ولا يهتم بحال غيره فيحمل حاله
على حاله فيقصر ويقوم بحكم حال نفس اخري فيعجز ويعالج شيطانا آخر مع شيطانه وينضم نفس اخري
الى نفسه وله في مجاهدة نفسه ومصابرة عدوه اكبر الاشتغال ومنها ان المكاسب قد فسدت فليس
ينال اكثرها الا بمعصية وهو مسؤول من اين اكتسبت وفيما انفقت فان كسب من غير حله حسب ذلك عليه
وان انفق على هواه لم يحسب ذلك له ومنها ان النساء اكثرهن قليلات الدين والصلاح والاغلب عليهن
الجهل والهوى فلا يامن ان ينقاد لهن لاجل هواه فيخسر آخرته او يمانعهن او يعالطهن فلا يعتدل فينغص
عليه عيش دنياه وقال الحسن رض ما اصبح اليوم رجل يطيع امراته فيما تهوى الا كبه الله في النار ومنها
ان الاغنياء في مقام الظالمين للفقراء البخس حقوقهم عنهم وتقصيرهم عما اوجب الله عليهم لهم
فان كان المتاهل فقيرا لقي شدة وجهدا وعنتا وكدا ولم يامن من دخول الآفات عليه لاجل
عيلته وقد سئل ابن عمر رض عن جهد البلاء فقال كثرة العيال احد الفقيرين ويقال ان العيال
وقلة المال وقال بعضهم قلة العيال احد اليسارين وكثرة العيال احد الفقيرين ويقال ان العيال
عقوبة طلب فضول الحلال وان الجمع فوق الكفاية عقوبة للموحدين وفي الاثر الوحدة خير من قرين
سوء وهو من القرين الصالح على غير يقين فلا يزال اليقين بالشك فان الاكثر من الناس من
لا صلاح فيه لغلبة الهوى وحب الدنيا عليهم وفي الخبر مثل المراة الصالحة في النساء كمثل الغراب
الاعصم بين مائة غراب يعني الابيض البطن وقال لقمان لابنه يا بني اتق المراة السوء فانها تشيبك
قبل المشيب واتق شرار بعض الازواج والاولاد ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم
يعني في الآخرة لا يخالطكم في افواههن ويميلكم الى ارائهن فصاروا اعداءكم فكيف وقد يكون المراة و
الولد عدوا للرجل اليوم قبل يوم القيمة اذا خالف اهواهم وقال ابراهيم بن ادهم رح
من تعود افخاذ النساء لم يفلح فالوحدة اروح للقلب واقل للهم لخفة المؤنة وقلة المطالبة
وامن المنازعة وسقوط حكم من احكام الشرع عنه وكان السلف يعملون في اسقاط الحكم عنهم خوف
العجز عن القيام بها ويغتنمون ذلك وانما زهد الزاهدون في الدنيا لراحة القلب واطراح الهم
وسقوط المطالبة وفي الخبر اذا كان بعد المائتين ابيحت العزبة لامتي ولان يربي احدكم جرو كلب
خير من ان يربي ولدا والخبر المشهور خير الناس بعد المائتين الخفيف الحال الذي لا اهل له ولا ولد
وفي خبر آخر يأتي على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وابويه وولده يعيرونه
بالفقر ويحملونه ما لا يطيق فيدخل المداخل التي يذهب فيها دينه فيهلك وربما كانت المراة عقوبة
للعبد وروي ان قوما دخلوا على يونس عليه السلام فاضافهم وكان يدخل ويخرج الى منزله فتؤذيه
امراته وتستطيل وهو ساكت فعجبوا من ذلك وهابوه ان يسالوه فقال لا تعجبوا من ذلك فاني سالت

الله فقلت يا رب ما كنت معاقبي في الآخرة فعجله لي في الدنيا فقال ان عقوبتك بنت فلان تزوج
بها فتزوجت بها وانا صابر على ما ترون منها وهذا كله لمن لا يخشى العنت فاما من يخاف العنت وهو
الزنا فنكاح الامة حينئذ خير له وهذا معنى قوله تع ذلك لمن خشي العنت منكم وكذلك ان كثرت الخواطر
الوسواس في قلبه فتشغله ذلك عن فرضه او شتت همه فان نكاح الامة خير له ايضا على ان نكاح
الامة محرم على من وجد طولا لحرة ونكاح الامة عند علماء العراق حرام على من وجد عشرة دراهم
وعند علماء الحجاز ثلثة دراهم وجاء في كراهية الاستمناء وتحريمه والتغليظ فيه اخبار شديدة وروي
ان الله اهلك امة من الامم كانوا يعبثون بمذاكيرهم وقد اسنده اسمعيل عن انس بن مالك رض
وسئل ابو محمد رح عن النساء فقال الصبر عنهن خير من الصبر عليهن خير من الصبر على النار
وقال بعضهم معالجة العزوبة خير من معالجة النساء ولا يصلح التزويج في مثل هذا الوقت الا
لرجل يدركه من الشبق ما يدرك الحمار اذ نظر الى الاتان لم يملك نفسه فاذا كان الانسان على
هذا الوصف كان التزويج له افضل وقد روينا عن قتادة في قوله تعالى ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به
قال الغلمة وعن عكرمة ومجاهد وخلق الانسان ضعيفا قال لا يصبر على النساء وعن في ومن شر غاسق اذا وقب اذا
قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وقيل ثلث دينه وعن ابن عباس رضي من شر غاسق اذا وقب
قال قيام الذكر وقد اسنده بعض الرواة الا انه قال فيه الذكر اذا دخل ولم يذكر القيام وفي
الخبر اذا تزوج الرجل فقد احرز نصف دينه فليتق الله في الشطر الآخر وفي بعض التفسير انا جعلنا
ما على الارض زينة لها قال النساء وعن ابن عباس لا يتم نسك الشاب حتى تزوج وكان يجمع
غلمانه لما ادركوا فيقول ان اردتم النكاح انكحتكم فان العبد اذا زنا نزع نور الايمان من قلبه
وقال عمر رض لابي الزوايد ما يمنعك من النكاح الا عجز او فجور وقال الجنيد رح احتاج الى الجماع كما احتاج
الى القوة وكان ابن عمر رض من زهاد اصحاب النبي عم وعلمائهم وكان يصوم كثيرا وكان يفطر على
الجماع قبل الاكل وربما جامع قبل ان يصلي المغرب وروي انه جامع اربعة من جواريه في رمضان قبل
صلوة العشاء الآخرة وقال ابن عباس رض خير هذه الامة اكثرها نساء فالنكاح سنة ماضية وخلق
من اخلاق الانبياء عليهم السلام وروي ان عابدا ابتلي وبلغ من العبادة ما فاق اهل زمانه
ووصف بذلك قال فذكر لنبي زمانه عليه السلام واثنى عليه باحسن الثناء فقال نعم الرجل هو لولا
انه تارك لشيء من السنة فقال فنمي ذلك الى العابد فاهمه وقال ما ينفعني عبادتي ليلي ونهاري
انا تارك للسنة فجاء الى ذلك النبي عم فسأله فقال نعم انت تارك للتزويج قال ما تركته الا حرمته
وما منعني منه الا اني فقير لا شيء لي وانا عيال على الناس يطعمني هذا مرة وهذا مرة فكرهت ان اتزوج
امرأة اعضلها وارهقها جهدا فقال اما يمنعك الا هذا قال نعم قال فانا ازوجك ابنتي فزوجه النبي
ابنته وروي ان يحيى بن زكريا عم تزوج امرأة ولم يكن يقربها الغض بصره وقيل للفضل في ذلك
كانه اراد ان يجمع الفضايل كلها وقيل للسنة وكان بشر بن الحارث يعتقد فضل احمد بن حنبل
ويقول فضل علي بثلث بطلب الحلال لنفسه ولغيره وانا اطلب لنفسي واتساعه في النكاح وضيقي
عنه وقد جعل اماما للعامة وانا اطلب الخلق لنفسي وقيل ان احمد بن حنبل رض تزوج اليوم الثاني

من وفاته زوجته ام عبد الله ويقال انه لم يبت بعد وفاتها اعزب الا ليلة وروي بشر
بعد وفاته فسئل عن حاله فقال رفعت سبعين درجة في عليين واشرف بي على مقامات الانبياء
ولم ابلغ منازل المتأهلين وعنه انه قال عاتبني ربي عز وجل فقال يا بشر ما كنت احب ان تلقاني
عزبا قال فقلت له ما فعل ابو النصر التمار فقال رفع فوقي سبعين درجة قال فقلت بماذا وقد كنا نراك
فوقه قال بصبره على بنياته والعيال وقال ابن مسعود رضي الله عنه لو لم يبق من عمري الا عشرة ايام اموت
في آخرها يوما لاحببت ان اتزوج ولا القى الله تعالى اعزب وماتت امرأة معاذ بن جبل رضي الله عنه
في الطاعون وكان مطعونا فقال زوجوني فاني اكره ان القى الله عزبا وفي الخبر المشهور من كان
ذا طول فليتزوج وفي الخبر من استطاع منكم الباءة فليتزوج يعني الجماع فانه اغض للبصر واحصن
للفرج ومن لا فليصم فان الصوم له وجاء واصل الوجاء عصر الخصيتين للفحل من الغنم وغيره لتذهب
فحولته والوجء بجاءه بحجرين فيقطع ضرابه فيسكن لذلك عهده ويسمن وفيه من احبني فليستن بسنتي
ومن سنة النكاح وفي الحديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه من ترك النكاح مخافة العيلة فليس منا وكان عمر رضي
يكثر النكاح ويقول ما اتزوج الا لاجل الولد فكانت هذه نية جماعة من السلف يتزوجون لاجل ان
يولد لهم فيعيش فيوحد الله عز وجل او يموت فيكون فرطا صالحا يثقل به ميزانه وعن رسول الله
ان الطفل يجر ابويه فيسحبهما الى الجنة وان المولود يقال له ادخل الجنة فيقف على باب الجنة فيظل
محبنطئا ممتلئ غيظا او غضبا ويقول لا ادخل الا وابواي معي فيقال ادخلوا ابويه الى الجنة وروي
ان الاطفال يجمعون في موقف القيمة عند عرض الخلائق للحساب فيقال للملائكة اذهبوا بهؤلاء الى
الجنة قال فيقفون على باب الجنة فيقولون لهم الخزنة مرحبا بذراري المسلمين ادخلوا لا حساب
عليكم فيقولون واين اباؤنا وامهاتنا فتقول الخزنة ان اباءكم وامهاتكم ليسوا مثلكم انه كانت
لهم ذنوب وسيآت فهم يحاسبون عليها ويطالبون فيصيحون على باب الجنة صيحة واحدة فيقول
الله للملائكة وهو اعلم ما هذه الضجة فيقولون يا ربنا ان اطفال المسلمين قالوا لا ندخل الجنة تعالى
الا مع اباءنا فيقول الله فتخلل الجمع فخذوا بايدي آبائهم فادخلوهم معهم وعن رسول الله صلى
من مات له اثنان من الولد احتظر بحظار من النار وفي خبر آخر من مات له ثلثة لم يبلغوا الحلم ادخله
الله الجنة بفضل رحمته اياهم قيل يا رسول الله واثنان قال واثنان وكان بعض الصالحين يعرض
عليه التزويج فيابا برهة من دهره قال فانتبه من نومه ذات يوم فقال زوجوني فسئل عن
ذلك فقال لعل الله ان يرزقني ولدا ويقبضه فيكون لي مقدمة في الآخرة ثم حدث عن سبب ذلك فقال
رايت في نومي كأن القيمة قد قامت وكأني في جملة الخلائق في الموقف وبي من العطش ما كاد ان يقطع
عنقي وكذلك الخلائق في شدة العطش من الحر والشمس والكرب قال فبينا نحن كذلك اذا ولدان
يتخللون الجمع عليهم مناديل من نور وبايديهم اباريق من فضة واكواب من ذهب وهم يسقون
الواحد بعد الواحد ويجاوزون اكثر الناس قال فمددت يدي الى احدهم فقلت اسقني شربة
فقد اجهدني العطش فقال ليس لك فينا ولد انما نسقي آباءنا فقلت ومن انتم قالوا نحن من مات من
اطفال المسلمين وقال عم خير نسائكم الودود وروي ايضا حصير في البيت خير من امرأة لا تلد

وروي

وروي ايضاً حصير في البيت خير من امرأة لا تلد وروي ايضاً سوداء ولود خير من حسناء لا
تلد ويقال ان الله تعالى لم يذكر في كتابه من الانبياء عليهم السلام الا المتأهلين وهم ثمانية
وثلثون واما عيسى عم فانه سينكح اذا نزل الى الارض ويولد له وقيل فضل المتأهل على العزب
كفضل المجاهد على القاعد وان ركعتين من متأهل افضل من سبعين ركعة من اعزب وقال تعالى
في وصف الرسل ومدحهم ولقد ارسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم ازواجاً وذرية فعد الازواج
والذرية من مدحهم وذكرها في وصفهم وكذلك الحقبهم اولياءه في المدح والفضل في قوله ربنا
هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين فسألوا الله من فضله وكلما ذكرنا من فضل
النكاح يشرك في فضل ذلك النساء بل هو لهن افضل واثوب لسقوط المكاسب عنهن وقال عم
لعن الله المتبتلين من الرجال الذين يقولون لا نتزوج لعن الله المتبتلات من النساء اللاتي
تقلن لا نتزوج بعد ما ذكر من عظم حق الرجال على المرأة وثقل واجبه حتى قالت المرأة اذا لا اتزوج
ابدا قال بلى تزوجي فهو خير وقد ندب الله الى النكاح في قوله وانكحوا الايامى منكم وقوله فأتوا حرثكم
انى شئتم وفي انى ثلث معان معناه منها تكون انى بمعنى كيف شئتم ويكون انى بمعنى متى شئتم ليل
او نهار وكيف شئتم مقبلة او مدبرة وبين ذلك بعد ان يكون في موضع الحرث وقد يكون انى بمعنى موضع
آخر بمعنى اين ولا يصلح هذا الوجه هاهنا ثم قال تعالى وقدموا لانفسكم قيل النكاح معطوف به
على الاتيان وهو احد الوجوه الثلثة لما فيه من فضل الاغتسال من الجنابة ولما فيه من فضل مباشرة
المرأة وان المرأة اذا لاعبها بعلها وقبلها كتب له من الحسنات ماشاء الله واذا اغتسلوا خلق الله من كل
قطرة ملكاً يسبح الله الى يوم القيمة ويجعل ثواب ذلك لهما في ذلك من التحصين لهما ووضع النطفة
في محلها وفي ذلك فضائل جمة وقد امر به رسول الله عم في قوله ليتخذ احدكم قلباً شاكراً ولساناً
ذاكراً وزوجة مومنة تعينه على امر آخرته والوجه الثاني في قوله وقدموا لانفسكم قيل الولد قدموه
لآخرتكم لانه عمل من اعمالكم كما قال تعالى الحقنا بهم ذرياتهم وما التناهم من عملهم من شيء
اي ما نقصناهم اولادهم ايجازيناهم بهم وجعلناهم مزيدا في حسناتهم لانهم من اعمالهم وكسبهم
وكما قال الله تعالى ما اغنى عنه ماله وما كسب يعني ولده وفي الخبر ولد الرجل من كسبه فاحل ما اكل من
كسبه فاحل ما اكل ولده والوجه الثالث في قوله وقدموا لانفسكم قيل التسمية عند الجماع اذكروا اسم
الله عليه فذلك تقدمة لكم فانه يستحب للجامع ان يسمي الله عند جماع ويقرا قل هو الله احد وقيل كان
بعض اصحاب الحديث اذا اراد الجماع كبر وهلل حتى يسمع اهل الدار تكبيره واذا كانت المرأة
معينة لزوجها على الطاعة طالبة للقناعة والتقلل فهي نعمة من الله يطالبه بشكرها قال الله تعالى
واصلحنا له زوجه فعدد ذلك من نعمة عليه واحسانه اليه وفي التفسير كان خلقها سيئا فحسن
وقيل كان في لسانها طول فقصر وعن رسول الله عم فضلت على آدم بخصلتين كانت له زوجة
عونا له على المعصية وازواجي عونا لي على الطاعة وكان شيطانه كافرا وشيطاني مسلم لا يأمرني الا
بخير فعد ذلك من فضايل واذا كانت المرأة حسنة الوجه خيرته الاخلاق وسوداء الحدقة
والشعر كبيرة العينين بيضاء اللون محبة لزوجها قاصرة الطرف عليه فهذه على صورة الحور العين



قال الله تعالى في جماع ذلك فيهن خيرات حسان قيل خيرات الاخلاق وحسان الوجوه وقال
حور عين الحور البيض والعين كبار العين والحوراء البيضاء شديدة بياض العين شديدة
سوادها وسوداء الشعر وقال عربا اترابا العربة على معنيين تكون العاشقة لزوجها وتكون
المشتهية للجماع وذلك يكون من تمام اللذة في الوقاع لان المرأة اذا لم تكن محبة لزوجها ولا مشتهية
لا فضائه اليها نقص ذلك من لذته فلذلك وصف الله تعالى نساء اهل الجنة بتمام اللذة ويقال رجل
شبق وامرأة عربة يوصفان بشهوة الجماع كيف وقد روي خير نسائكم الغلمة على زوجها فليست
ترى احسن منه ولا تريد بدلا من غيره وقال عم خير نسائكم التي اذا نظر اليها سرته واذا امرها
اطاعته واذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله وعن محمد بن كعب القرظي في معنى قوله تعالى ربنا آتنا
في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار قال المرأة الصالحة وفي بعض التفسير فلنحيينه
حيوة طيبة قال الزوجة الصالحة وقال عم ما اعطي عبد بعد ايمان بالله تعالى خير من امرأة صالحة
وقال ابو سليمان المرأة الصالحة ليست من الدنيا لانها تفرغك للآخرة واعلم ان النساء على اوصاف
النفس من عرف صفات النفس عرفهن او اوصاف النساء ومن عرف اوصاف النساء وقاسهن بالتجربة
والخبر عرف بذلك صفات النفس فمنهن المسولة وهي لا دناهن ومنهن الامارة وهي شرهن لا تقوى من الاذى
ولا تنتهي عن خلق السوء والبذاء ومنهن بمنزلة النفس اللوامة وهي من صالحي النساء ومنهن المطمئنة
وهذه هي الصالحة الخيرة الساكنة الراضية وفصل الخطاب ان كان صالحا قلب العبد واستقامة
حاله بالعزبة فلا اعدل بالوحدة شيئا لان اقل ما فيها السلامة والسلامة في وقتنا هذا فضيلة
وغنيمة وان تاقت نفسه الى التزوج ولم يأمن دواعي الهوى فليتزوج اذا ادى الى سلامة دينه
ومن لم يتم كفايته بواحدة فليضم اليها اخرى الى الاربع فان الاربع مع توقان النفس الى الجماع وقوة
شهوتها بمنزلة الواحدة وان الواحدة مع وقوع الكفاية ينوب عن الاربع يقال ان الله تعالى اباح
الجمع بين الاربع لاجل الطبايع الاربع لكل طبيعة واحدة على قدر حركتها او توقان النفس عندها ولا
نقص على العبد في ذلك اذا قام بما عليه لهن او سمحن بحقهن من النفقة والمبيت له بل ذلك مزيد
ودلالة على قوة ومكنه في الحال وهذه طرايق الاقوياء والائمة من الرجال فليعدل بين ازواجه
من جميع بينهن في النفقة والكسوة والطيب ولا يحيف على بعض فقد جاء في الحديث من كانت له امرأتان
فمال الى احديهما دون الاخرى وفي لفظ فلم يعدل بينهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مايل ولا عدل
عليه في المحبة والجماع لان ذلك لا يملك اذا ساوى بين البيتوتة وليس عليه ان يجامع من بات عندها
انما عليه المبيت ليلة وليلة وفي قوله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم قال لا
تقدروا على العدل بينهن في الحب والجماع لان ذلك فعل الله في القلوب وفي شهوة النفوس وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه في العطا والمبيت ويقول اللهم هذا جهدي فيما املك
ولا طاقة لي فيما تملك يعني في المحبة والجماع فكان يحب بعضهن اكثر من بعض وكانت عايشة رضي الله عنها
احبهن اليه فعليه ان يقسم بينهن ايامه ولياليه فيكون عند كل واحدة يوما وليلة الا ان تهب لصاحبتها
ليلها او تسمح له بذلك ومن لم يكن له الا واحدة فانى استحب له ان يفضي اليها في كل ثلث ليال بمنزلة من له

بمنزلة الآبق من سيده ولا تقبل له صلاة ولا صيام حتى يرجع اليهم وقال تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا
فاضاف الاهل الى النفس وامرنا ان نقيهم النار بتعليم الامر والنهي كما نقي انفسنا باجتناب النهي وجاء
في تفسير ذلك علموهن وادبوهن وقال عم كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته فالمراة راعية على مال زوجها
وهي مسؤلة عنه والرجل راع على اهله وهو مسؤل عنهم ويقال اذا انفقت المراة من مال زوجها بغير علمه
لم تزل في سخط الله حتى ياذن لها وينبغي ان يعرفها عظيم حقه عليها فانه يقال ليس شيء يستوعب حق
الابوين الا الزوج وقد اقام رسول الله الزوج مقام الوالدة في قوله للمراة عليك بطاعة زوجك فانه
جنتك في نارك وقال ايما امراة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة وكان رجل قد خرج في سفر و
عهد الى امراته ان لا تنزل من العلو الى السفل من الدار وكان ابوها في السفل فمرض ابوها فارسلت
المراة الى النبي تستاذن ان تنزل الى ابيها فقال رسول الله اطيعي زوجك فمات ابوها فاستاذنت
رسول الله ان تنزل اليه فقال اطيعي زوجك فدفن ابوها قال فارسل اليها رسول الله يخبرها
ان الله قد غفر لابيها بطاعتها لزوجها وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا صلت المراة خمسها
وصامت شهرها وحفظت فرجها واطاعت زوجها دخلت جنة ربها فاضاف طاعة الزوج الى ابنية
الاسلام التي لا يدخل الجنة الا بها وشرط طاعته لدخولها وقال صلى الله تعالى عليه وسلم اطلعت النار فرايت
اكثر اهلها النساء واطلعت الجنة فرايت اكثر اهلها البله فقلت اين النساء فقيل شغلهن الاحمران
الذهب والزعفران يعني الحلي ولبس المصبغات وقال عم للنساء تصدقن من حليكن فاني رايتكن
اكثر اهل النار فقلن لم يا رسول الله قال لانكن تكثرن اللعن وتكفرن العشير يعني الزوج المعاشر
تكفرن نعمته عليكن فلذلك قالت الفتاة يا رسول الله قال التزوج وعن عايشة رضي انه اتت فتاة النبي عم
فقالت يا نبي الله اني فتاة اخطب واني اكره التزوج فما حق الزوج على المراة فقال لو كان من فرقه الى قدمه
صديدا فلحسته ما ادت شكره قالت فلا اتزوج قال بلى فتزوجي فانه خير وعن ابن عباس رضي
ان امراة من خثعم اتت النبي عم فقالت اني امراة ايم واني اريد ان اتزوج فما حق الزوج على الزوجة
فقال ان من حق الزوج على الزوجة اذا ارادها على نفسها وهي على ظهر بعير ان لا تمنعه والخبر الجامع
لفضايل الزوج ان النبي عم قال لو امرت احدا ان يسجد لشيء لامرت المراة ان تسجد لزوجها من عظم
حقه عليها ومن حقه ان لا تعطي شيا من بيته الا باذنه فان فعلت كان الاجر عليها والاجر له ولا تصوم
تطوعا الا باذنه فان فعلت جاعت وعطشت ولم يقبل منها ومن حقه ان لا تخرج من بيتها
الا باذنه فان فعلت لعنتها الملايكة حتى ترجع الى بيتها او تتوب فينبغي ان تعرض نفسها عليه
في كل ليلة وروي ان المراة عورة فاذا خرجت استشرفها الشيطان وفي حديث غريب للمراة عشر
عورات فاذا تزوجت ستر الزوج عورة واحدة فاذا ماتت ستر القبر عشر عورات فان امرها
بما يصلحه ويصلحها مما ابيح لها فخالفته وعظها او زجرها فان عادت بخلافه هجرها في المضجع
فبعض العلماء يقول يوليها ظهره وبعضهم يقول يعتزل فراشها في ليلة الى ثلاث ليال الى سبع
فان لم ينجع فيها ذلك ولم تبال ضربها والعلماء يقولون ضربا غير مبرح وتفسيره ان لا يكسر عظما
ولا يدمي لها جسما وله ان يغضب عليها في الامر من امور الدين من عشرة ايام الى الشهر ولا ينبغي



الى يستى على اهله من الانفاق ويستحب للرجل ان يعمل لاهله فى كل جمعة فالوذجة وعن رسول الله عم خيركم
خيركم لاهله وان كان من اهل زلة او هفوة احتمل ذلك ورفق بها ولم يعنفها وفى الحديث خلقت المراة
من ضلع اعوج ان قومته كسرته وان تركتها استمتعت بها على عوج وفى لفظ اخر وكسرها طلاقها
وقد كان ازواج النبى عم يراجعنه القول وتهجره احديهن يوما الى الليل ودفعت احديهن فى صدره
فزبرتها امها فقال دعيها فانهن ان يصنعن اكثر من هذا وجرى بينه وبين عايشة كلام حتى
ادخل بينهما ابا بكر رضى الله عنه حكما واستشهده فقال رسول الله تكلمين او اتكلم فقال بل تكلم انت و
لكن لا تقل الا حقا فلطمها ابو بكر رضى الله عنه حتى دمى فوها وقال اى عدوة نفسها او يقول غير الحق
بل انت وابوك يقولان الباطل ولا يقول رسول الله الا الحق فانضرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استجارت
برسول الله وقعدت خلف ظهره فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لم ندعك لهذا ولم نرد هذا منك وقد كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح مع ازواجه ويقاربهن فى عقولهن فى المقام له والاخلاق وكان
رسول الله عم من افكه الناس مع نسائه وقال لقمن العاقل فى بيته ومع اهله كالصبى فاذا كان فى القوم
وجد رجلا وفى تفسير الجنى المرتفع ان الله تعالى يبغض الجعظرى الجواظ قيل هو الشديد على اهله المتكبر فى نفسه
وفى احد المعانى فى قوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم قيل الفظ اللسان الغليظ القلب على اهله وما ملكت يمينه
وقال رسول الله عم لفاطمة رض يا بنية اى شىء خير للمراة قالت ان لا ترى رجلا ولا يراها رجل فضمها اليه
وقال ذرية بعضها من بعض وقال عمر رض عودوا انساكم لا وتكلم مرة فى شىء من الامر فاخذت امراته
تراجعه فيه القول فزبرها وقال لها انت ولهذا انما انت لعبة فى جانب البيت ان كانت لنا اليك حاجة والا
فلا وهو ماجور على احتماله هفوات اهله وصبره على اذاهن ومثاب على حسن عشرتهن وقد شكا رجل
الى رسول الله عم بذاء امراته فقال له طلقها قال انى احبها قال امسكها اذا تخشى عليه تشتت همه بفراقها
مع المحبة وتشتت الهم اعظم من اذا الجسم وفى معنى قوله تعالى لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا ان
يأتين بفاحشة مبينة قال ابن عباس رض اذا بذت على اهله واذت زوجها فهى فاحشة وقال رسول الله عم
ايما امراة سالت زوجها طلاقها من غير ما باس لم ترح رايحة الجنة وقال عم المختلعات هن منافقات
وفى خبر ثلثة لا يستجاب دعوتهم رجل له امراة سوء يقول راضى الله منك وقد جعل الله الطلاق
بيده ان شاء طلق والاخر ان فى المملوك السوء والجار السوء وقد شبه الله حق القيام على الزوجة بحق القيام
على الوالدين فقال فيهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا وقال فى امر النساء وعاشروهن بالمعروف واخر
ما وصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثا كان يتكلم بهن حتى تجلجل لسانه وخفى كلامه جعل يقول الصلاة
الصلاة وما ملكت ايمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون والله الله فى النساء فانهن عوان فى ايديكم يعنى
اسرى اخذتموهن بعهد الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وسئل رسول الله عم ما حق المراة
على الرجل قال يطعمها اذا طعم ويكسوها اذا اكتسى ولا يقبح ولا يهجر الا فى البيت وينبغى ان يعلمها
حسن العشرة والقيام بما لها عليه وجميع المدارات ولطف المفاوضة ويعلمها حسن قيامها بما يجب
عليها ويعرفها ما اوجب الله عليها من ذلك ولا تملك المراة شيئا من امرك فان الله قد ملكك اياها
فلا تقلب هواك حكمة الله فينقلب الامر عليك فانك قد اطعت العدو ووافقته فى قوله تعالى ولامرنهم

فليغيرن خلق الله وقد قال الله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما يعني
النساء والصبيان ومنه قول النبي عم تعس عبد الزوجة لانه اذا اطاعها فيما تهواه فقد دخل تحت
التعس فكانه قد بدل نعمة الله كفرا لان الله جعله سيدها في قوله والفيا سيدها لدى الباب يعني زوجها
قال الحسن ما اصبح اليوم رجل يطيع امراته فيما تهواه الا اكبه الله في النار ولا تعودها عادة
فيتجري عليك وتطلب المعتاد منك فهي على مثال الخلاق النفس سواء اذا ارسلت عنانها جمحت بك وان
ارخيت عنانها قيدا اخذتك ذراعا وان شددت يدك عليها وحجبتها وكبحتها ملكتها فعلتها ان تطوع
لك وقال الشافعي رح ثلثة ان اكرمتهم اهانوك وان امتهم اكرموك المراة والخادم والنبطي وكن
نساء العرب يعلمن اولادهن اختبار الازواج حتى كانت المراة اذا زوجت ابنتها قالت يا بنية
اختبري حيلك قبل ان تقدمي عليه انزعي زج رمحه فان سكت لذلك فقطعي اللحم على ترسه فان
اقر فكسري العظام بسيفه فان صبر فاجعلي الاكاف على ظهره واركبي منكبيه فانما هو حمار واوصى
بعضهم بنيه لا تنكحوا من النساء ستة انانة ولا منانة ولا حنانة ولا حداقة ولا براقة ولا شداقة تفسير
ذلك انانة التي يعصب راسها كثيرا وتكثر الانين والتوجع والتشكي والمنانة التي تمن على زوجها فتقول
فعلت بك وفعلت وانا افضل وافعل والحنانة تكون على وجهين تكون ذات ولد من غيره فتحن
اليه وقد تكون ذات زوج قبل فتحن قلبها اليه والحداقة التي ترمي بحدقتها فتشتهي كل شيء وتطالب
زوجها بما تشتهيه من كل شيء وقد تلحظ الرجال كثيرا الحايل لا حظ بعض رجال النساء والبراقة
يحتمل تاويلان احدهما ان تكون عضوبا في الطعام فتبرق لقلته ولسوء خلقها ولا تكاد البراقة
تاكل الا وحدها الشرهها وتكون ايضا تستقل نصيبها من كل شيء وهذه لغة يمانية يقال
قد برقت المراة وبرقت الصبي الطعام اذا غضب عليه والوجه الاخر من البراقة ان تكون من البريق
تكثر صقال وجهها وخضابه فتصنع في بروقه ابدا والشداقة التي تتشدق بكثرة الكلام وتكون
بذية اللسان مفوهة في المنطق ومن ذلك الخبر ان الله يبغض الثرثارين المتشدقين ولقي
الياس عليه السلام بعض سياحة رجلا فامره بالتزويج وقال هو خير لك ونهاه عن التبتل وقال
لا تنكح من النساء اربعا وانكح من سواهن المختلعة التي تطلب الخلع من زوجها من غير ما باس
وهو في ذلك يحبها والمباهية المبادية بغيرها المفاخرة باسباب الدنيا التي تطلب من زوجها ما ليس
غيرها وتعجز به على نظايرها والعاهر الفاسدة التي تعرف بخليل وخدن وهذا الذي قال الله
ولا متخذات اخدان والناشز التي تعلو على زوجها في الفعال والمقال وقال علي رض شر خصال
الرجال خير خصال النساء البخل والزهو والجبن فان المراة اذا كانت بخيلة تحفظ مال زوجها
واذا كانت مزهوة اي معجبة استنكفت ان تكلم الرجال واذا كانت جبانة فرقت من كل شيء ولم
تخرج من بيتها واكره العزل كراهية شديدة فانه دقيقة من الشرك الخفي وفيه نهي عن رسول الله عم
وكرهه جماعة من السلف واقل ما فيه الخروج من التوكل على الله وقلة الرضا بحكم الله وقال ابن
عباس رضي العزل هو الموؤدة الصغرى ولعود هذا استنباط حسن من القرآن وذلك روي عن
النبي عم في فضايل الجماع ليجامع امراته فيكتب له من الجماع اجر ولد ذكر قاتل في سبيل الله فقيل وكيف ذلك يا رسول الله



فقال انت خلقته انت رزقته انت هديته علا محياه عليك مماته قالوا بل الله عز وجل خلقه ورزقه واحياه
واماته قال فاتقه في لذة المجون في هذا انه يقول اذا جامعت فامنيت في الفرج وقد قال تعالى افرايتم ما تمنون
ءانتم تخلقونه ام نحن الخالقون فاذا لم يخلق الله من منيك خلقا حسبك كانه قد خلق منه ذكرا على اكمل
احواله واوصافه بان يقاتل في سبيل الله فيقتل لانك جئت بالسبب الذي عليك وليس عليك خلقه ولا هدايته وكان لك
اجرها بفضل الله اذ قد اتيت بما امكنك عمله فلذلك قال ابن عباس هو الموؤدة الصغرى لان بوجود العزل يوجب عدم
هذا الفضل اذ كان العبد سبب عدمه لانه لم يفعل ما ياتي منه الولد فذهب فضل وحسب عليه قتله وانما
قلنا انه العزل دقيقة من الشرك لان اهل الجاهلية كان سبب قتلهم بناتهم معاني احدها خشية
العار بهن ومنها كراهية الانفاق عليهن ومنها الشح وخوف الفقر والاملاق وكانت العرب تقول
مكتوبة له احدى الحوبات الثلاث لم يشره وغشيه ولم يسره قومه يعنون بالحوب الام والاخت والبنت
والحوبات جمع حوب والحوب الكبيرة قال تعالى ان اكلكم اموال اليتامى ظلما كان حوبا كبيرا وكان يستحب الخيار المومنين
الجمع بين هولاء الثلث لما فيهن من عظيم المثوبة ليخالف بذلك الجاهلية فقد تجد هذه المعاني او بعضها في العزل
فلذلك سميناه شركا وكرهناه وهو مذهب الجوارح من النساء كان فيهن تعزز وتعمق من استعمال الكثرة الماء
للطهارة ودخول الحمامات ومجاوزة الحد في الطهور وكن ايضا تقضين الصلوة ايام الحيض ويصلين في حيضهن
ولا مصلين في ثياب الحيض حتى يغسلنها ولا يدخلن الخلاء الا عراة فكانوا يكرهون الولادة طلب النقاء والتعزز
وخلاف لسنة نساء العرب من ازواج النبي عم ابتدعوا هذه البدع ففارقن بها سنة رسول الله وسنة
نسائه فان الله ورسوله ندبا الى اتخاذ الاولاد بقوله فاتوا حرثكم انى شئتم وقدموا لانفسكم قيل الولد
وقول الرسول عم تناكحوا تناسلوا فاني مكاثر بكم الامم يوم القيمة وبقوله خير نسائكم الولود الودود
وحصيرة في البيت خير من امراة لا تلد وقد رخص طائفة في العزل روينا في ذلك رخصة عن رسول الله عم
وقد كان سعد يعزل وانكر علي رض قول ابن عباس في العزل انه هو الموودة الصغرى وقال انها لا يكون موؤدة
الا بعد سبع ثم تلا قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى قوله ثم انشاناه خلقا آخر اي نفخ
الروح فيه فلا يكون موؤدة اي مقتولة الا بعد هذه السبع خصال ولان الله تعالى ذكرها في كورت بعد سبع
معان ويكره الجماع مستقبل القبلة وفي الخبر اذا جامع احدكم اهله فلا يتجردان تجرد العيرين يعني الحمارين
وكان رسول الله عم اذا جامع غطى راسه وخفض صوته وقال للمراة عليك بالسكينة ومن جامع مرة فاراد ان
يعود فليغسل فرجه قبل ذلك وفي الاحتلام ايضا كذلك او يبول فان جامع بعد الاحتلام من غير غسل خيف على
الولد ان كان من جماع ان يصيبه لمم من شيطان ويكره له الجماع في ثلث ليال من الشهر في اول ليلة وآخر ليلة
وفي ليلة النصف ويقال ان الشيطان يحضر الجماع في هذه الليالي وقيل ان الشياطين يجامعون فيها وروينا
كراهية ذلك عن علي رض وابي هريرة ومعاوية رض ومن العلماء من يستحب الجماع يوم الجمعة لاحد التاويلين
قوله عليه السلام غسل واغتسل اي غسل اهله واكره له الجماع في اول الليل لانه لا ينام على غير طهارة فان الارواح
تعرج الى العرش فما كان منها طاهرا اذن له بالسجود وما كان جنبا لم يوذن له وروينا ايضا في
طهارة من غير جنابة وعلى وضوء اصح الا ان يغتسل ثم ينام فان لم يغتسل فلا ينام ولا يطعم حتى
يتوضا او يخرج دما وهو جنب فان العبد يرد اليه جميع شعره وظفره ودمه يوم القيمة فما سقط منه

من ذلك

من ذلك وهو جنب فيصبح جنبا وقيل طالبته كل شهوة بجنابتها ولا يحل لمن صلى من امته الا الغنى الا عفى
على اي حال شاء وكيف شاء وانته فهذا ما افترض النكاح ولا العزبة كما لم يوجب الاربع من المنكوحة وافتى عن صلاح
القلب وسلامة الدين وسكون النفس والدخول في ذلك وانه عند الحاجة اليها فمن كان صلاحه في التزويج فهو
افضل له ومن كان استقامته وسكون نفسه عند الاربع فجايز له طلب سكون وصحة الحال مع القيام بالاحكام
ومن وقعت كفايته فالواحدة اصلح وافضل لانها الى السلامة اقرب ومن كان صلاح حاله واستقامة قلبه وسكون
نفسه في العزبة فذلك له اسلم والاسلم لمثله في زماننا هذا هو الافضل اذا لم يرد النكاح فاذا وجده لم يضره
فقده ولعمري انا اذا قلنا ان في الدين طريقين طريقة عزيمة وطريقة رخصة فان في النكاح ايضا لانه من الدين
ونرى كذلك يدوم لاجل الدين طريقان طريق الاقوياء وهم اهل النكاح والصبر على الاحكام ومعاشرة النساء
وطريق آخر للاقوياء بالصبر عنهن ووجود العصمة فيهن والتفرغ للآخرة وكفايتها شغلا وطريقا آخر يأمن
من وجد الوسوسة وخوف العنت لقوة الطبع وضعف الحال بوجود الاختلاط فيتداووا بالنكاح وطلبا للاستقامة
والصلاح ذكر دخول الحمام الافضل في وقتنا هذا ترك دخول الحمام لكثرة العورات فيه والعجز عن القيام باحكامه
الا ان دخوله مباح واختلف الصحابة رضي في دخوله وكل فيه قدوة وقدوة فقال بعضهم بئس البيت الحمام
يبدي العورة ويذهب الحياء وروي هذا عن ابن عمر رضي وعن علي رضي وقال بعضهم نعم البيت الحمام ينقى الدرن
ويذكر النار وروي هذا عن ابي الدرداء وابي ايوب رضي ودخل اصحاب رسول الله عم بالشام الحمامات
فمن كان داخل الحمام فلا يدخله لعاجل حظ دنيا ولا عاجل لاجل الهوى لانه عمل من اعماله مسئول عن دخوله فيقال له
لم دخلت وكيف دخلت كما يقال له في كل عمل فعله وفي دخول الحمام ثمانية احكام اربعة فرايض واربعة نوافل فاما
الفرايض فستر العورة وغض البصر وان لا يباشر جسده غيره وان يامر بالمعروف وهو ان يرى عريانا
فيقول له استتر وان هذا حرام عليك وليس على الاجير ع المعروف لان هذا على الامام القايم بصلاح الدين
واما النوافل الاربع فانه ينوي الطهارة لاجل الدين والنظافة للعبادة لان الطهارة من افضل امور الاخرة
والحمام هو غاية الدهور وان يعطي صاحب الحمام للاجرة قبل الدخول وكذلك يستحب في كل ما يشترى به
ويستعمل خاصة الشي المجهول مقداره من شرب الماء واجر الحمام والذي لا يتقاضى عليه ولا يشترط فيه فكان
يكون غير معلوم فاذا نظر الحامي اليه صار معلوما والثالثة لا يكثر صب الماء عليه من غير حاجة اليه ولا
يستعمل ما يكفي رجلين وبثلثه سيما من الماء الحار فان له مونة فلا يستعمل من ذلك الا ما لو رآه صاحب الحمام لم
لم يكن ذكره ولم يشق ولو استعمل من الماء ما لو رآه الحامي لشق عليه فانه مكروه له في غيبته والرابع ان تتذكر
النار بحرارة الحمام ويدع ستة وغشيان ظلمة لان الحمام في الظلمة اشبه شي بجهنم الحرارة من تحتك والظلمة
من فوقك فهذا وصف جهنم نعوذ بالله منها فليذكر بقلبه صبره على الحمام وعظيم كربه فيه حبسه في جهنم
وانه لو اقام في الحمام فضل ساعة لضعفت روحه حتى يخرج خفيفا فيكون له الحمام موعظة وعبرة فان لاهل التقوى
واولي الابصار موعظة وعبرة في كل شي وتذكرة بكل شي لان الله تعالى احياهم حيوة طيبة
وهذه علامة من كان له قلب ولا بأس ان يظهر ذكر الله وتسميته والاستغفار ويكره قراءة القرآن
فيه الا في نفسه سرا ولا يسلم على احد فيه بلفظ السلام وروي عن الحسن بن علي رضي انه في الحمام بالسلام
ولا التسليم فان احتاج ان يكلم رجلا فيه فلا بأس ان يأخذ بيده استيناسا للكلام او يقول له عافاك
الله

وادلم سل منك ومكروه له كثرة الكلام فيه وان يكلم رجلا بما لا يعنيه ولكن يسمي الله اذا دخل ويستعيذ
بالله من الرجس النجس الخبيث الشيطان الرجيم وان اعطى الحمامي اجرة ليخليه اجره على ذلك وكان بشر بن
يعطي لتخلو له الحمام فان وليسه جارية للاطلاء في الحمام اذا كان خاليا ستر فلا باس قال بعضهم
رايت ابن عمر رض في الحمام مستقبلا بوجهه الحايط وقد عصب عينيه بعصابة ومد يده الى الحايط
وقيل لابراهيم يصلي خلف شارب النبيذ قال نعم قيل فيصلي خلف من يدخل الحمام بغير ميزر قال لا ويكره
دخول الحمام عند الغروب وبين العشائين فان تلك الساعتين وقت انتشار الشياطين وليعرف
بدخوله نعمة الله عليه وتسخيره له من شاء من خلقه بالتبعض بهم والكرفيه فهذا من لطف افضال
الله على المتنعمين به ومن دخل الحمام وقال ح وقال بهذه الاحكام كان دخوله افضل لخيبه اعمالا
كثيرة ودخل الاعمش الحمام فراى عريانا فغمض عينيه وجعل يتلمس الحيطان فقال له العريان متى كف بصرك
يا هذا فقال له الاعمش منذ هتك الله سترك وقال عليه السلام حرام على النساء دخول الحمام وحرام
على الرجال الا بميزر فان دخلت امراة الحمام ضرورة من علة او حيض او نفاس في شتاء فلا باس قد دخلته
عايشة رضي الله من سقم كان بها وليمنع الرجل امراته واهله عن دخول الحمام فان لم يقبلن لم يحل
له ان يعطيهن اجرة الحمام وكان الاثم عليهن ولا يحل لمسلمة في الحمام الى اليهودية نهى عمر وابو عبيدة
عن ذلك وفي احد الوجوه من معنى قوله تعالى ثم لتسألن يومئذ عن النعيم قيل الماء الحار في
الشتاء ولا باس ان يباشره رجل بالمد ليكحل موضع العورة وروي ان عظيم الروس راى ذلك
رجل في الحمام فراى على فخذه مكتوبا الله بعرق في جسده فقال ما تنظر انما انا ما كتبه انسان ويصلح
ان يستدل على ذلك ايضا بتجويز الغمز للحر والظهر فقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه نزل منزلا في بعض اسفاره ونام على بطنه وعبد اسود يغمز ظهره فقلت ما هذا يا رسول الله
فقال ان الناقة تقحمت وقال بعضهم لا يحل دخول الحمام الا بميزرين يعد لوجهه وميزر لعورته
وقال مالك من دخل الحمام وخرج عريانا فلا شهادة له فان كان قاعدا عند الحوض ليغتسل
فلا باس وغسل الرجلين بالماء البارد بعد الخروج من الحمام امان من النقرس ويستحب اهل
الطب البول قايما في الحمام بعد الابتداء وقيل غسل النورة وفي السنة لا يستحدان في كل اربعين يوما
لا يتجاوزه ذلك وبعض الطب يقول بولة في الحمام في الشتاء انفع من شربة دواء والبول في المستحم
مكروه من جهة السنة وقيل ان البول فيه يورث الوسواس وبعض اهل الطب يقول نومة في الصيف
بعد دخول الحمام يعدل شربة دواء ويستحبون الغسل بماء بارد بعد نوم في الصيف وانه نافع للجسد
ويقال ان الانسان اذا جاوز الاربعين سنة ينقص في كل يوم الا اليوم الذي يدخل فيه الحمام
وان الحمام عندهم في الصيف انفع منه في الشتاء ويكره شرب الماء البارد عند الخروج من الحمام

حكم المتسبب في المعايش وما يجب على التاجر من تعرف العلم قال الله وجعلنا النهار معاشا فذكره
فيما عدده من اياته ونعمه وقال وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون فجعل المعايش نعمة
طالب بالشكر عليها وروي عن النبي عم انه قال من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم بطلب المعيشة
وقال عليه السلام احل ما اكل العبد من كسب يده وكل بيع مبرور وفي لفظ آخر احل ما اكل العبد

تعالى رضي الله

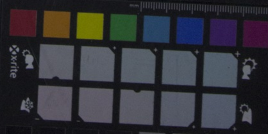
كسب

كسب يد الصانع اذا نصح وفي الخبر التاجر الصدوق يحشر يوم القيمة مع الصديقين والشهداء وفي
الحديث من طلب الدنيا حلالا تعففا عن المسئلة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره لقي الله تعالى ووجهه
كالقمر ليلة البدر وروي ان النبي صلعم كان ذات يوم جالسا مع اصحابه فنظر الى شاب ذي جلد وقوة وقد
بكر يسعى فقالوا ويح هذا الغلام لو كان شبابه وجلده في سبيل فقال النبي صلعم لا تقولوا هذا فانه ان كان
يسعى على نفسه ليكفها عن المسئلة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله وان كان يسعى على ابوين ضعيفين
او ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله وان كان يسعى تفاخرا وتكاثرا فهو في سبيل الشيطان
وقال ابن مسعود رض اني لابغض الرجل اراه فارغا لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة وقال ابراهيم النخعي
كان الصانع بيده احب اليهم من التاجر وكان التاجر احب اليهم من البطال وسئل عن التاجر الصدوق
احب اليك او المتفرغ للعبادات فقال التاجر الصدوق لانه في جهاد ياتيه الشيطان من طريق المكيال والميزان
ومن قبل الاخذ والعطاء فيجاهده وقد خالفه الحسن البصري رض في هذا وعن عمر رضه ما من موطن ياتيني الموت
احب الي من موطن اتسوق فيه لاهلي ابيع واشتري رحلي وقال ايوب قال لي ابو قلابة الزم السوق
فان الغنا من العافية يعني الغنا عن الناس والله اعلم اذ الغنا الذي يطاع الله به وكان يقول
اتجر فبع واشتر ولو براس المال يجعل لك من البركة ما لا يجعل لصاحب الزرع وكانوا يعدون
المحاسب على عياله كالمجاهد في الله ويرون فضله على غيره وفي الخبر ان الله تعالى يحب المؤمن المحترف
وفي خبر آخر ان الله يحب العبد يتخذ المهنة يستغني بها عن الناس عن ابي جعفر رض قال كنا يوما عند الجنيد
فجرى ذكر ناس يجلسون في المساجد ويتشبهون بالصوفية ويقصرون عما يجب عليهم من حق الجلوس ويعيبون
من يدخل السوق فقال الجنيد كم ممن هو في السوق بحكمه ان يدخل في المسجد فياخذ باذن بعض من فيه
فيخرجه وينبغي ان يتعلم علم البيع والشرى والاخذ والاعطاء ومعاملة التجار في البيوع ومعرفة ابواب الربا
ليعلم ذلك قبل الوقوع فيه فيجتنب ذلك ويتقيه وكان عمر رضعنه يطوف في الاسواق ويضرب
بعض التجار بالدرة ويقول لا يبيع في سوقنا الا من فقه والا اكل الربا شاء او ابى وينبغي ان يصدق
الله في معاملته وينصح في مبايعته ناويا في ذلك اقامة السنة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل
لان من اخذ الحق واعطى الحق وعامل بصدق ونصح فهو معاون على البر والتقوى وفي جهاد العدو
والهوى سيما في زمان يكثر فيه الباطل لان فلاح الدين بصلاح الدنيا وفساده بفسادها لتعلق احدهما
قلبه بالآخر وحاجة كل واحد منهما الى صاحبه وفي الخبر لا يستقيم عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه ولا يستقيم
حتى يستقيم لسانه وسئل رسول الله صلعم عن قوله تعالى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم الاية من
هؤلاء قال من برت يمينه وصدق لسانه واستقام قلبه وعف بطنه وفرجه وقال بعض العلماء من دخل
السوق ليشتري ويبيع وكان درهم احب اليه من درهم اخيه لم ينصح المسلمين في المعاملة وقال اخر
من باع اخاه شيئا بدرهم وهو يصلح له بخمسة دوانيق فانه لم يحب لاخيه ما يحب لنفسه حتى لا يبيع اخاه
شيئا بدرهم الا وهو يصلح له اشتراؤه بدرهم فينبغي له ان يستوي في قلبه درهمه بدرهم اخيه ورحم
برجل اخيه ليعدل فيما يبيع او يشتري منه سواء بسواء ويكون من احيا حكم الله الذي شرع
في الشراء والبيع ويكون من احيا للسبب الذي يصل به اليه الدرهم ان يكون السبب معروفا في العلم مباحا

في الحكم ويكون متورعا في ذلك لانه على غير يقين معاينة فيه بصحة اصله واصل اصله كما جاء في الخبر ان النبي صلعم
اتي بلبن فقال من اين لكم هذا فقيل من شاة كذا فقال ومن اين هذه الشاة فقيل من موضع كذا فشرب
منه ثم قال انا معاشر الانبياء امرنا ان لا ناكل الا طيبا ولا نعمل الا صالحا وقال ان الله تعالى امر نبيه فقال
يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ثم امر به المؤمنين فقال يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم
قال النبي صلعم عن اصل الشي واصل اصله ولم يسال عما وراء ذلك لانه قد يتعذر ولا يوقف على حقيقته ولان
اموال التجار والصناع قد اختلطت باموال الاجناد وهم ياخذونه ذلك بغير استحقاق ولا يملكون
ذلك وهم لا يميزونه بين ذلك لقلة التقوى وعدم الورع لان الحال نوع التقوى والورع الا كثر
كثير الحلال واذا قل فشا الحرام وفي الخبر كنا نترك سبعين بابا من الحلال مخافة باب واحد من الحرام
وكانت الائمة عدولا والجنود معاونين على التقوى ياخذون عطاءهم بحق وفي الحديث الجليل
لو جود زر وهو الذي يربط لحي ابدا وسمعه ويباع الاسلام فما اكلت وشربت في اجوافها
حتى ابوالها وارواثها او زال في ميزانه يوم القيمة وقال تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم
وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم يعني اشباههم واعوانهم فقال الثوري نع
يقال يوم القيمة لتقم ولاة السوء واعوانهم قال حتى لاق لهم دواة او خط لهم لبدا واعانهم على امر
معهم وجاء خياط الى ابن المبارك فقال اني خياط فربما خطت شيئا لبعض وكلاء السلطان فماذا اتراكون
من اعوان الظلمة فقال لست من اعوان الظلمة بل انت من الظلمة انما اعوان الظلمة من يبيع منك الابر والخيوط
وكان بعض العلماء قد جلس في ديوان بعض الامراء فكتب الامير كتابا فقال ناولني الطين اختم به الكتاب
فقال له ناولني الكتاب الذي كتبته انظر فيه ولم يناوله وفعل مثل ذلك سفيان الثوري مع المهدي
وكان بيدي المهدي درج ابيض وقد دخل عليه الثوري فقال له يا ابا عبد الله اعطني الدواة حتى اكتب فقال
اخبرني باي شيء تكتب فان كان حقا اعطيتك والا كنت عونا لك على الظلم وكان بمكة امير من خيلة
ان يعني في دعا الصناع في عمارة سور ثغر من الثغور قال فوقع في نفسي من ذلك شي فسالت سفيان
عن ذلك فقال لا تفعل ولا تكن عونا لهم في قليل ولا كثير فقلت يا ابا عبد الله سور في سبيل الله للمسلمين فقال
نعم ولكن اقل ما يدخل عليك ان تحب بقاءهم ليوفوك اجرك فتكون قد احببت من يعصى الله في ارضه وفي
الخبر من دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه وفي الحديث ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق
وفي خبر آخر من اكرم فاسقا فكانما اعان على هدم الاسلام فليجعل العبد طرفي النهار لخدمة سيده
بذكره وتسبيحه في بيته بحسن معاملته وكان عمر رض يامر التجار فيقول اجعلوا اول نهاركم لله وما سوى
ذلك لنفوسكم وكان السلف يجعلون اول النهار للآخرة وآخره لدنياهم ويقال ان الهريسة والرؤوس
لم يكن يبيعها في الشتاء الا الصبيان واهل الذمة لان الهراسين والرواسين يكونون في المساجد الى طلوع
الشمس وكذا يجتمعون بعد العصر في المساجد للذكر والتسبيح الى غروب الشمس وهذا طريق قد درس فمن
عمل به فقد كشفه قال عالم من احب الله عاش ومن احب الدنيا طاش والاحمق يغدو ويروح في لاش
وكان عمر رض اذا دخل السوق يقول اللهم اني اعوذ بك من الكفر والفسوق ومن شر ما احاطت به
السوق اللهم اني اعوذ بك من يمين فاجرة وصفقة كاذبة خاسرة وكان الحسن رض يقول ذاكر الله في السوق

يجي

يجيء يوم القيمة و لضوء كضوء القمر وبرهان كبرهان الشمس ومن استغفر الله في السوق غفر له بعدد اهله
في الخبر العام ذاكر الله في الغافلين كالمقاتلين عن الفارين وكالحي بين الاموات وفي الحديث الخاص من دخل
وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء
قدير كتب الله له الفي الف حسنة وكان ابن عمر ومحمد بن واسع رض يدخلان السوق قاصدان
يذكر ان الله تعالى طلبا للفضيلة فان دخلت سوقا او كنت فيه فلا يفوتنك التهليل والذكر فهو عمل
وقتك ولا تقعدن في السوق لغير ذكر الله او غير معاش فقد كره ذلك وليجتنب الصانع عمل الزخرف
من الاشياء وما يكون لهو وزينة وشغلة من التصاوير والتماثيل في دقايق النقوش من
العاج وتشييد الجص والتزويق والاصباغ المشهرة فان عمل ذلك مكروه كله واخذ الاجر عليه شبهة
وبعض السلف يقول تخيروا لاولادكم الصنايع وعن حذيفة ان الله تعالى خلق كل صانع وصنعته
وكانوا يكرهون بيع الطعام وبيع الدقيق وقد روي في كراهية بيعهما حديث عن رسول الله عم
في الخبر ان الله يحب العبد الحاذق في صنعته وفي خبر آخر ان الله يحب اذا عمل عبده عملا احب ان يحكم
وفي لفظ آخر احب ان يتقنه واوصا بعض العارفين رجلا لا تسلم ولدك في بيعتين ولا صنعتين
بيع الطعام وبيع الاكفان فانما يتمنى الغلا ويتمنى الموت للناس والصنعتان ان يكون جزارا
فانها صنعة تقسي القلب وصوغا فانه يزخرف الدنيا بالفضة والذهب وعن ابن سيرين انه كره الدلالة
وعن قتادة انه كره اجر الدلال وكانت العرب تقول بع الحيوة واشتر الموتان يعني ملا دور فيه وكانوا
يستحبون التجارة في البز وفي الخبر خير تجارة كم البز وخير صناعتكم الخرز ولفي الحديث لو تجر
اهل الجنة لا تجروا في البز ولو اتجر اهل النار لا تجروا في الصرف وكره الحسن وابن سيرين التجارة
في الصفر سئل الحسن عن الصيرفي فقال ان اسر لا تستظلن بظله ولا تصلين خلفه والبستاني والجمال
والملاح وصاحب الحمام والخناشي والمزين وقد كانت بهذه الصنايع العشر اعمال الاخيار والابرار
الجذر والتجارة والحمل والخياطة والحذو والقصارة وعمل الخفاف وعمل الحديد وعمل المغازل
وصيد البر والبحر والوراقة عن عبد الوهاب الوراق قال لي احمد بن حنبل ما صنعتك
قلت وراق فقال كسبك طيب وصنعتك طيبة ولو كنت صانعا بيدي شيئا لصنعتك وقال
لي لا تكتسب الا مواصفة واستثني الحواشي وظهور الاجزاء وكان مالك بن دينار وراقا وكان يسلى
وكل عمل يتقرب به الى الله تعالى ويكون من اعمال الاخرة ومن البر والمعروف فاخذ الاجر عليه مكروه
مثل تعليم القران او تعليم العلم ومجالس الذكر والصلوة بالناس في رمضان وغسل الموتى ومكان
في هذا المعنى لان هذه تجارات الاخرة فلا ينبغي اخذ اجرها الا في الاخرة ومن اخذه اليوم فقد خسر
خسرانا مبينا اذا ذبح المحسنون فيها وقال عم لعثمن بن ابي العاص واتخذ موذنا لا ياخذ على الاذان
اجرا وقال في حديث ابي وعبادة وقد اهدى اليه قوس وكان قد علم رجلا سورة من القران اتحب
ان يقوسك الله قوسا من نار فردها ويجتنب التاجر الاحتكار لما يوكل ويقتات دون غيره رض
عن النبي عم من احتكر طعام المسلمين فليس منا وفي خبر آخر من احتكر الطعام اربعين يوما
ثم تصدق به لم تكن صدقته كفارة الاحتكاره وقيل من احتكر اربعين يوما فكانما قتل نفسا



وفي خبر آخر القاه الله تعالى في معظم من جهنم وعن علي رضي من احتكر الطعام اربعين يوما قسا قلبه وروي
في فضل ترك الاحتكار من جلب طعاما فباعه بسعر يومه فكانما تصدق به وفي لفظ آخر فكانما اعتق
رقبة وفي قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم قيل الاحتكار وهو من الظلم وعن
بعض السلف كان بواسط فجهز سفينة حنطة الى البصرة وكتب الى وكيله بع هذا الطعام يوم تدخل البصرة
ولا يؤخره الى غد قال فوافق السعر فيه سعة فقال له التجار ان اخرته جمعة ربحت فيه اضعافا فاخره جمعة
فربح فيه امثاله فكتب الى صاحبه بذلك فكتب اليه صاحب الطعام يا هذا قد كنا قنعنا ان نربح الثلث مع سلامة
ديننا وانك قد خالفت امرنا وقد جنيت علينا جناية فاذا اتاك كتابي هذا فخذ المال كله فتصدق به
على فقراء اهل البصرة وليتني انجو من الاحتكار كفافا لا لي ولا علي قال غيلان الخياط اشترى يسري
السقطي كر لوز بستين دينارا وكتب في روزنامجه ثلاثة دنانير ربحه فصار بسبعين دينارا
فاتاه الدلال فقال له ان اللوز ريع فقال اخره قال بكم قال بثلاثة وستين دينارا فقال الدلال
قد صار الكر بسبعين قال قد عقدت بيني وبين الله عقدا لا احله لست ابيعه الا بثلاثة وستين دينارا
فقال الدلال وانا عقدت بيني وبين الله ان لا اغش مسلما لست آخذ منك الا بسبعين قال فلا
الدلال اشترى منه ولا سري باعه ثم ليتق البائع مدح السلعة وتنفيقها بزخرف الكلام ويجذب
المشتري به ولا يكتم ذمها وعيبها بما ليس فيها الخداع واما الايمان على ذلك فهو معصية وتحقيق
وقال ابو ذر رضي ان ثلاثة لا ينظر الله اليهم منهم التاجر الفاجر وكنا نعد من الفجور ان يمدح السلعة
بما ليس فيها ويقال ان البائع يوقف يوم القيمة مع كل رجل باعه شيئا وقفة ويحاسب على كل واحد
محاسبة على عدد من اشترى منه وعن عامله في الدنيا وقال بعضهم لا اشتري الويل من الله تعالى بحبة
فكان اذا اخذ نقص نصف حبة واذا اعطا زاده حبة يقول الله تعالى ويل للمطففين يعني الذين رضوا
بالتطفيف بالحبة فباعوا بذلك جنة عرضها السموات والارض بجهلهم ويقال ان هذه المظالم لا يؤدى
ابدا ولا تصح التوبة منها لتعذر معرفة اصحابها وكان رسول الله عم اشترى شيئا فلما وزن ثمنه قال
للوزان زن وارجح وقال سليمان عم كما يدخل الحية بين الحجرين كذلك يدخل الخطيئة بين المتبايعين
ولا ينبغي للمشتري ان يسال البائع الرجحان لان الله تعالى قال واقيموا الوزن بالقسط يعني العدل و
السواء وهو استواء الكفتين لا مايلا الى احدى الكفتين ومكروه المعاملة بالمزيفة ويقال ان كل
قطعة من المزيف ينفقها صاحبها يجد لها ملصقة في صحيفته بعينها وصورتها تحتها مكتوب الف سيئة
خمسة آلاف سيئة على قدر وزنها وزن كل ذرة منها سيئة وكل ذرة نقطة من هباءة من شعاع الشمس في
الضوء وقال بشر والثوري المعاملة بالمزيفة حرام وقال بعضهم انفاق درهم مزيف اشد من سرقة
مائة درهم لان سرقة مائة درهم معصية واحدة منقضية وانفاق دانق مزيف بدعة احدثها في الدين
واظهار سنة سيئة يعمل بها بعده وافساد مال المسلمين فيكون عليه وزره بعد موته الى مائة سنة فاكثر
ما بقي ذلك الدرهم يدور في ايدي الناس ويكون عليه اثم ما افسد ونقص من اموال المسلمين الى آخر
فنائه وانقراضه فطوبى لمن اذا مات ماتت ذنوبه معه والويل الطويل لمن يموت ويبقى ذنوبه بعده
مائة سنة ومائتي سنة يعذب بها في قبره ويسال عنها الى آخر انقراضها قال تعالى ونكتب ما قدموا ما عملوا

وآثارهم

وآثارهم ما سنّوا بعدهم فعمل به وقال في وصف ينبّأ الانسان يومئذ بما قدّم وأخّر قيل بما قدّم من عمل وما أخّر من سيّئة
فعمل بها بعده وقال عم من سنّ سنة سيّئة يعمل بها بعده كان عليه وزرها ومثل وزر من يعمل بها لا ينقص من أوزارهم
شيء ومن ردّت عليه زيف فليلقها ولا يجوّزها على بيع آخر ويكتب بذلك الثواب من الله تعالى فله من الاجر بوزن
كل ذرة منها حسنة وله حسنة في طرحها اعمال كثيرة وبيانات حسنة وذلك افضل له من ان يتصدق بامثالها جيادا
وخير له من كثير من الصوم والصلاة وينبغي للتاجر ان يكثر من الصدقة ليمحو فيها كفارة خطاياه وايمانه
ويكفر به فقد امر النبي عم التجار بالصدقة لذلك وقال عم اسمح يسمح لك وقال عم خير الناس احسنهم قضاء
وقال عم خذ حقك في عفاف واف او غير واف يحاسبك الله حسابا يسيرا وقال من انظر معسرا او ترك حاسبه الله
حسابا يسيرا وفي خبر آخر اظله الله في ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله وفي خبر من اقرض دينارا الى اجل فله بكل يوم صدقة
الى اجل فاذا دخل الاجل فانظره بعده فله بكل يوم مثل ذلك الدين صدقة وفي خبر من ادان دينا وهو ينوي
قضاءه وكل به ملائكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه وكان بعضهم يدانون وهم واجدون لاجل
هذا الخبر وبعضهم لا يحبون ان يقضيهم غرماؤهم دينهم لاجل الخبر الاول ان له بكل يوم تأخير
قضائه صدقة وفي الحديث رأيت على باب الجنة مكتوب الصدقة بعشرة امثالها والقرض بثمان عشرة
قيل معناه لان الصدقة تقع في يد محتاج وغيره والقرض لا يقع الا في يد محتاج مضطر اليه وكان النبي عم
قد ادان دينا الى اجل فجاءه صاحبه عند حلول الاجل لم ينفق عند النبي عم قضاؤه فجعل الرجل
يكلم النبي عم ويتشدد عليه في الكلام فهمّ اصحابه به فقال عم دعوه فان لصاحب الحق مقالا وفي الحديث
ان غبن المسترسل حرام وفي الحديث المغبون لا محمود ولا ماجور هذا والله اعلم اذا تغابن وهو يعلم
فتحمل نقص حقه وحمل غيره على ظلم وكان الحسن والحسين رضي خيار الخلق يستقصون في الاشتراء ثم يهبون
مع ذلك الجزيل من المال فقيل لبعضهم تستقصي في شرائك على اليسير ثم تهب الكثير ولا تبالي فقال ان
الواهب يعطي فضلا وان المغبون يغبن عقله وبصيرته فاذا وهبت انما اعطي لله تعالى فلا استكثر له
شيئا وفي الخبر البيعان اذا صدقا ونصحا بورك لهما في بيعهما واذا كذبا وكتما نزعت بركة بيعهما
وفي الخبر يد الله على الشريكين ما لم يتخاونا فاذا تخاونا نزعت بركة بيعهما ولما بايع رسول الله جريرا
على الاسلام ذهب لينصرف فجذب ثوبه واشترط عليه النصح لكل مسلم فكان جرير رض اذا قام
الى السلعة يبيعها بصّر عيوبها ثم خيّر فقال ان شئت فخذ وان شئت فاترك فقيل رحمك الله انك
اذا فعلت هذا لم ينفذ لك بيع فقال انا بايعنا رسول الله على النصيحة لاهل الاسلام وكان واثلة بن الاسقع
واقفا بالكناسة في الكوفة فباع رجل ناقة بثلثمائة درهم وغفل واثلة وقد ذهب الرجل بالناقة فسعى
وراءه وجعل يصوت به حتى رجع فقال يا هذا اللحم اشتريت هذا ام للظهر قال فان بخفها نقبا
قد رأيته وانها لا تتابع السير عليه قال فردها فنقصه البائع مائة درهم فقال لواثلة افسدت علي بيعي
فقال انا بايعنا رسول الله عم على النصح لكل مسلم وفي خبر آخر سمعت رسول الله يقول لا يحل لاحد
يبيع شيئا الا يبين ما فيه ولا يحل لمن يعلم ذلك الا يبينه وقال عم الدين النصيحة الدين النصيحة ثلث
وفي خبر لا يزال لا اله الا الله تدفع عن الخلق سخط الله ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على دينهم وآخرتهم
وفي خبر آخر ما لم يبالوا ما نقص من دنياهم بسلامة دينهم فاذا فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله

قال الله تعالى كذبتم لستم بها صادقين وفي لفظ آخر ردت عليهم الغش في البيوع والصنايع محرم على المسلمين
ومن كثر ذلك منه فهو فاسق ومن الغش ان ينشر على المشتري اجود الطرفين او يظهر من المبيع اجود
اللونين او يكشف من الصنعة احسن الوجهين روي ان النبي عم صلى الله عليه وسلم مر برجل يبيع طعاما
فاعجبه ظاهره فادخل يده فراى بللا فقال ما هذا قال اصابته السماء قال افلا جعلته فوق الطعام حتى
يراه الناس من غش فليس مني وباع ابن سرين شاة له فقال للمشتري ابرأ اليك من عيب فيها قال وما هو
قال تقلب العلف برجلها واستحب له ان يتوخا في البيع والشرا ويتحرى اهل التقوى والدين واكره له
معاملة من لا يرع عن الحرام ومن الغالب على ماله الشبهات حدثنا عن محمد بن شيبة قال كتب غلام ابن
المبارك اليه انا نبايع اقواما يبايعون السلطان فكتب اليه ابن المبارك اذا كان الرجل يبايع السلطان وغيره
فبايعه واذا قضى شيئا فاقتض منه الا ان يقضيك شيئا تعرفه بعينه حراما فلا تأخذه وان كان لا يبايع الا
السلطان فلا تبايعه ولا يحلف ولا يكذب ولا يخلف موعدا فان اليمين الكاذبة ممحقة للكسب وقد قيل
ويل للتاجر من لا والله وبلى والله ويل للصانع من اليوم وغد وبعد غد عن ابي هريرة رضي
قال رسول الله عم ثلثة لا ينظر الله اليهم يوم القيمة عبد مستكبر ومنان بعطيته ومنفق سلعته بيمينه
وذكر رجل شاهد او اثنى عليه عند عمر رض فقال له عمر انت جاره الادنى الذي تعرف مدخله ومخرجه
قال لا قال افكنت رفيقه في السفر الذي يستدل به على مكارم الاخلاق قال لا قال فعاملته بالدينار والدرهم
الذي يستبين به ورع الرجال قال لا قال اظنك رايته قائما في المسجد يصلي يخفض راسه طورا ويرفعه لذرية
بالقران قال نعم قال اذهب فلست تعرفه وقيل لعبد الرحمن بن عوف ما كان سبب يسارك فقال ثلث ما رددت
ربحا قط ولا طلب مني حيوان فاخرت بيعه ولا بعت نسأ ويقال انه باع الف ناقة بربح عقلها كل
عقال بدرهم فربح فيها الف درهم الف اخذها والف نفقة عليها يومها وكان المورعون يكرهون
ركوب البحر للتجارة للدنيا ويقال من ركب البحر للتجارة فقد استقصى في طلب الرزق وفي الخبر لا يركب
البحر الا حاج او غازي او لعمرة وقال عمرو بن العاص رض لا تكن اول داخل السوق ولا آخر خارج منها
فانها باض الشيطان وفرخ وعن معاذ وعبد الله بن عمر رض ان ابليس يقول لولده زلنبور بادر بكو
سركيا تك فانك صاحب الاسواق زين الكذب والخديعة والمكر والخيانة والحلوف وكن مع اول
داخل وآخر خارج منها وعن ابن عمر وابن عباس ان النبي عم كان ينهى ان يدخل السوق اوايل
النهار وان يخرج منها آخر اهلها فاذا كان المتسبب في المعايش والمتصرف في الاسواق على هذا الاوصاف
المحمودة وبهذه الشروط الموصوفة قايما بحكم حاله حافظا لمقامه فانه في سبيل من سبل الله عز وجل افعاله
وآثاره حسنات وكل ما تسبب به الى الآخرة وكان عونا له عليها وطريقا له اليها من الدنيا فهو من
الآخرة واذا خالف هذه الشروط ولم يستعمل العلم في احواله فارق التقوى في تصرفه او بيعه
تكاثرا او حرصا على الدنيا جزوعا على ما فاته من الدنيا منوعا لما في يده منها لا يبالي ما ذهب من دينه
اذا سلمت دنياه ولا يبالي من اين اكتسب وفيما انفق فهذا يتقلب في المعاصي والمكاره ظهرا لبطن متعرضا
للمقت من الله تعالى والبعد والهرب غير مستعد للموت والا موقن للحساب افعاله وآثاره سيئات
فترك التجارة على هذه الاوصاف المكروهة خير لهذا واهدى سبيلا ولا قوة الا بالله في احكام التصرف

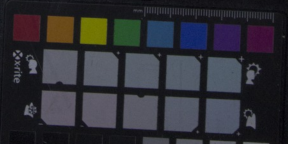
وتفصيل



وتفصيل الحلال من الشبهه وفضل الحلال وطريقة اهل الورع من السلف عن ابي هريرة رضي عن النبي عم
يأتي على الناس زمان لا يبقى فيه احد الا اكل الربا فمن لم يأكله اصابه من غبارة يعني والله اعلم انه يدخل
عليه وان لم يعلم به وعن غير قصد له ولا اكتساب كما يدخل الغبار في المشام لا يمكن التحرز منه وفي الخبر
درهم من الربا اعظم عند الله من ثلاثين زنية في الاسلام وما توعد الله ولا تهدد في معصية مثل ما
تهدد في اكل الربا فانه تعالى عظم شانه بوصفين عظيمين فذكر في اوله المحاربة لله ورسوله وفي آخره
الخلود في النار فقط فأذنوا بحرب من الله ورسوله الى قوله فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
وهذا من تشديد الخطاب وعظيم العذاب ويقال اول لقمة يأكلها العبد من حلال يغفر له بها ما سلف
من ذنوبه ومن اقام نفسه مقام ذل في طلب حلال تساقطت عنه ذنوبه كما تساقط ورق
الشجر في الشتاء اذا يبس وفي خبر من اكل الحلال اربعين يوما نور الله قلبه واجرى ينابيع الحكمة في
قلبه وفي لفظ زهده الله في الدنيا ويقال من اكل حلالا وعمل في سنة فهو من ابدال هذه الامة
وقال سهل لا يبلغ العبد حقيقة الايمان حتى يأكل الحلال بالورع وعن ابراهيم بن ادهم وفضيل
لم ينبل من نبل بالحج ولا الجهاد ولا الصوم ولا الصلوة وانما نبل من كان يعقل ما يدخل جوفه يعني
الرغيفين من حل وسال رجل ابراهيم بن ادهم انا رجل اتكسب في السوق واذا عملت فاتتني الصلوة
في جماعة فايما احب اليك اصلي الصلوة في جماعة او اكتسب فقال اكتسب من حلال وانت في جماعة والصلوة في
جماعة سنة وكسب الحلال فريضة وكان ابراهيم يعمل هو واخوانه في الحصاد في رمضان ويقول لهم
الصحوا في عملكم بالنهار حتى تأكلوا حلالا ولا تصلوا بالليل فان لكم ثواب الصلوة في جماعة واحيى المصلين
بالليل وقال بعضهم افضل الاشياء ثلث عمل في سنة ودرهم من حلال وصلوة في جماعة وقال بعضهم
لبعض المجاهدين اين انت من حمل الابطال كسب الحلال والنفقة على العيال قال سهل رح من لم يكن
مطعمه من حلال لم يكشف الحجاب عن قلبه ولم ترفع العقوبة عنه وما يبالي بصلاته وصيامه
الا ان يعفوا الله عنه وقال من احب ان يرى خوف الله في قلبه ويكاشف بآيات الصديقين فلا
يأكل الا حلالا ولا يعمل الا في سنة او ضرورة عن ابي بكر الصديق رضي عن النبي عم جسم غذي بالحرام لا يدخل
الجنة والنار اولى به وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصديق لا يدخل جوفه الا طيبا وروي ان سعد بن
ابي وقاص سأل رسول الله ان يسأل الله ان يجعل مجاب الدعوة فقال يا سعد اطب طعمتك تجب دعوتك
وقال بعضهم الدعاء محجوب عن السماء بفساد الطعمة والله تعالى لا يستجيب دعاء عبد حتى يصلح طعمته ويرضى عمله
وقال جماعة من السلف الجهاد عشرة اجزاء تسعة في طلب الحلال وقال علي بن فضيل من صلى وفي بطنه
طعام من حرام او على ظهره سلك من حرام لم تقبل صلاته وقال بعضهم يا مسكين اذا اصبحت فانظر
عند من تفطر وطعام من تاكل وهذا اخذ التاويلين في قوله صلى الله عليه وسلم كم من صائم حظه من صيامه الجوع
والعطش قيل هو الذي يصوم ويفطر على حرام وفي الخبر من طلب الدنيا مفاخرا مكاثرا لقي الله عز وجل
وهو عليه غضبان عن ابن عباس رض عن النبي عم ان الله تعالى ملكا على بيت المقدس ينادي في كل ليلة
من اكل حراما لم يقبل منه صرف وعدل قيل الصرف النافلة والعدل الفريضة ومثل الطعمة من الدين
مثل الاساس من البنيان اذا ثبت الاساس وقوي استقام البناء وارتفع واذا ضعف الاساس

واعوج انهار البنيان ووقع وقال تعالى افمن اسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم
وفي الحديث من اكتسب مالا من حرام فان تصدق به لم يقبل منه وان تركه وراءه كان زاده الى النار
وقيل في معنى قوله تعالى ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل ولا تقتلوا انفسكم من اكل حراما فقد قتل نفسه
لانه كان سبب اهلاكها وتعذيبها وقال الفضيل رح من اقام نفسه مقام ذل في طلب الحلال
حشره الله تعالى مع الصديقين ورفعه الى الشهداء في موقف القيمة وقال ابو سليمان لا يفلح من
استحيا من طلب الحلال وفي لفظ من انف من الحلال والحلال عند العلماء ما لم يعص الله في اخذه
وقال بعض علماء الباطن الحلال ما لم يعص الله في اوله ولم ينس في آخره وذكر عند تناوله وشكر
بعد فراغه وكان سهل اذا سئل عن الحلال يقول هو العلم وقال لو فتح العبد فاه الى السماء وشرب
القطر ثم تقوى بذلك على معصية او لم يطع الله بتلك القوة لم يكن ذلك حلالا له وقالت طائفة من
اهل العلم ان المصطنع للناس والمتزين لهم يأكل حراما لانه لم ينصح لمولاه عز وجل وقال بعض من جرى
لا ادري حلالا حتى لا يشهد فيه سوى الله تعالى وان من اشرك في رزق الله العبادة فذلك شبهة
واحتجوا بقوله عيسى عم يأكلون رزقه ويشكرون فيه خلقه ومن الابدال من يقول الحلال ما لم يجر
من ايدي الخلق ولم ينتقل الى املاكهم وكان بعضهم لا يأكل الا ما انبت الارض التي هي غير مملوكة
وقوله عدل ان الحلال ما لم يؤخذ من ايدي الظالمين او ما اخذ من ايدي المتقين وعن بعض الابدال
ان بعض العامة من السايحين دفع اليه شيئا من الطعام فلم يأكل فسأله عن امتناعه فقال نحن لا
نأكل الا حلالا فلذلك تستقيم قلوبنا على الزهد في الدنيا وندوم على حال واحد ونكاشف بالملكوت
ونشاهد الاخرة ثم قال لو اكلت مما تأكلون ثلثة ايام ما رجعت الى شيء مما نحن عليه من علم اليقين
ولذهب الخوف والمشاهدة من قلوبنا فقال له الرجل اني اصوم الدهر واختم القرآن في كل شهر ثلثين
ختمة فقال له الابدالي هذه الشربة من اللبن الذي رايتني قد شربتها احب الي من ثلثين ختمة
وثلثماية ركعة من اعمالك وكانت شربة لبن من اروية وحشية وهي الانثى من الوعل وقال بعض
السايحين قلت لبعض الابدال وقد حدثه عن اكل الحلال مثل هذا الحرام انتم تقدرون على الحلال
فلم لا تطعمون اخوانكم من المسلمين فقال لا يصلح لجملة الخلق ولم تؤمر بذلك لانهم لو اكلوا كلهم
حلالا لبطلت الممالك وتعطلت الاسواق وخربت الامصار ولكنه قليل في قليل من الخلق وخصوص
في خصوصين وبمعنى هذا الكلام قال بعض العلماء لا اعلم حلالا لا شك فيه الا ماء الغدران وما انبتت
ارض غير مملوكة او هدية من اخ صالح او معاملة تقي بصدق ونصح وفي الخبر من لم يبال من اين
مطعمه لم يبال الله تعالى من اي ابواب النار ادخله وقيل ذلك مكتوب في التورية وفي تفصيل
الحلال من الشبهة والشبهة اختلفوا فيه لخفاء دلته ولتكافئها بالسوية ولم توجد عينك فقطع
على عينه والحلال والحرام اجمعوا عليه وظهرت الادلة فيه والشبهة ايضا ما جهل سببه ووقف
فيه حكمه الا ان اعينه مجهولة غير متيقن بتحليلها وقيل الشبهة ما فقد منه القيام ببعض الاحكام
او ما اعتل سببه الذي يوصل به العبد ويتطرق اليه من دخول جهل او حدوث آفة من افات
النفوس فهذه الانواع كلها من الشبهات ثم تختلف تفاصيل الشبهات فيدخل ذلك شبهة الحلال عند علماء

الباطن على ثلث مقامات حلال كافي وهذا عموم وكان ما جاء من طريق الحكم وحلال صافي وهذا خصوص
وكان ما ظهرت الادلة فيه وصح سببه ووجدت السنة فيه وحلال شافي وهذا خصوص الخصوص
وكان ذلك ما علم اصله واصل اصله وجرى على ايدي المتقين ولم يخالطه جهل فلذلك تفاوت الشبهات
لتفاوت حلال ضدها فاما الحرام فطعمة الفاسقين اكله فسوق وطلبه فسوق والمعاونة عليه
فسوق والمدمن عليه فاسق وهو من الكباير وليس من حاجة المسلمين ولا بغيتهم والحلال ما احله
الكتاب والسنة وحلية الاحكام والعلوم من ساير الانبيا والمعاني المطلقة المباحة التي هي بغية
المتقين ومقام الصالحين فطلبه جهاد واطعام بر والمعاونة عليه تقوى واكله عبادة والمدمن عليه
مؤمن تقي والشبهة اختلف العلماء فيه ولم يجمعوا عليه وما التبس باطنه فاشتبه لغموض الادلة وخفي
الاستدلال فلم يكن بينا فلم يجمع اهل الظاهر والورع عليه كما قال عليه السلام لا يعلمها كثير من
الناس فهذه طعمة عموم المسلمين فان ابتليت بهذا فخذ منها حاجتك وضرورتك وتوق بذلك فضوله
ويصح لك مقام في الورع والاستكثار منه والاقتناء مكروه وتركه اذا امكن افضل وفي حديث نعمن بن
بشير حلال بين وحرام بين وشبهات بين ذلك لا يعلمها كثير من الناس فمن تركها فقد استبرا لدينه
وعرضه ومن رتع حول الحمى يوشك ان يواقعه وان لكل ملك حمى وان حمى الله في ارضه محارمه فقال
ان هذا الحديث ثلث العلم فالحلال ما ظهر وتبين وكنت على يقين منه واطمان به قلب
المؤمن العالم والحرام ايضا ما تبين وانكشف وكنت على يقين منه ولم يختلف احد من المسلمين فيه
ونفر منه قلب المؤمن واشمأز وقد يطمئن بعض القلوب الى شي لقلة ورعها وقد تنفر بعض القلوب
من شي لغلظة علمها ليس يقع بمثل هذين قلبين اعتبار وانما الاعتبار بقلب المعيار قد جعل المحك
يعتبر به معادن الملكوت وهو قلب المؤمن الموقن العالم وهذا القلب في القلوب اعز من الذهب
الابريز في ساير المعادن وفي تفسير قوله تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون
اذا فسدت اعمال الناس جعل عليهم ولاة يشبهون اعمالهم وقال بعض العلماء في معناه
اذا فسدت اديان الناس فسدت ارزاقهم والشبهات على وجوه احدها ما اشبه الحلال من وجه
واشبه الحرام من وجه وما اختلط ايضا بهما ولم يتميز منهما والشبهة ايضا ما اجاز علماء الظاهر
وكرهه علماء الباطن بحك القلوب وحزازها ولعدم الاطمانينة ومواجيد القلوب كنحو ما روي
عن النبي عم انكم تختصمون الي ولعل بعضكم يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له على ما اسمع منه وهو يعلم
خلافه فمن قضيت له على اخيه فانما اقطع قطعة من النار فاخبر النبي عليه السلام انه يحكم بظاهر الامور وردهم
الى حقيقة علم العبد بما عرف من غيب نفسه عن الابصار وقد جعلت الشبهة طريقا الى الحرام وموقعة فيه
لان الحمى من يرتع حول الحمى يوشك ان يواقعه فيه اي بطلب الشبهة ويدمن عليها ويستكثر منها
يسرع الوقوع في الحرام اي تسرع الشبهة اليه وتدخل فيه وقال بعضهم ما اخذ من يد تقي عدل
بحكم جايز فهو حلال وما اخذ من يد من لا يعرف بعدالة ولا جور فهو شبهة وما اخذ من يد
الظالم او فاجر فهو حرام وان اخذ بحكم جائز وهذا القول تقرب من الحق وجاء في الخبر
دع ما يريبك الى ما لا يريبك معناه دع ما تشك فيه انه حلال الى شي آخر لا تشك فيه فان الشك ريبة



اي شيء ليس بيقين وفي الخبر البر ما اطمأن اليه القلب وسكنت اليه النفس والاثم ما حاك في صدرك وكرهت
ان يطلع الناس عليه فدعه لانه قال عليه السلام المؤمنون شهداء الله وقال ما رآه المؤمنون حسنا
فهو عند الله حسن وما رآه المسلمون قبيحا فهو عند الله قبيح كما قال تعالى فسيرى الله عملكم ورسوله
والمؤمنون لان كراهتك نظر الناس اليك دليل على ان وجود الريبة فيك واجتمع جماعة
من العلماء يتذاكرون اي الاعمال اشد فقال بعضهم الجهاد وقال بعضهم الصيام والصلوة
وقال حسان ما شيء عندي اسهل من الورع قيل وكيف قال اذا حاك في صدري شيء تركته وهنا
اسهل على من ساعد القلب بالزهد واعانه على ذلك النفس شهوانية كما ان الزهد ايضا سهل
على من امده بروح التاييد باليقين وعزيز على من ابتلي بحب الدنيا ولعمري ان اليقين اذا وجد
والزهد اذا حصل سهل الورع والاخلاص وطاعة الاعمال وحكي ان بعض الورعين وقع
منه دينار فانكب لياخذه فوجد دينارين فلم يعرف ديناره منهما فتركهما معا وحكي
ان امراة من المتعبدات من اهل القلوب سالت الخواص عن تغير وجدته في قلبها فقال
عليك بالتفقد فارايت شيئا اعرفه فاطرق ساعة ثم قال اما تذكرين ليلة المشعل فقالت بلى
فقال هذا التغير من ذلك فذكرت انها كانت تغزل فوق سطح لها فانقطع خيطها فمر مشعل
السلطان فغزلت في ضوئه خيطا ثم ادخلته في غزلها وعملت منه قميصا فلبسته قال فنزعت
القميص وباعته وتصدقت بثمنه فرجع قلبها الى حال الصفا وينبغي للعبد ان يبتدئ بطلب الحلال
فيكون هو همه وقصده فيجعل ما استطاب من المكاسب واعلا ما قدر عليه مما يسلم فيه يجعل ذلك
لخاصة نفسه فيما يطعم ويلبس ويجعل ما دخل عليه من الشبهات في مؤنة عياله وفيما ينفق
به من مؤن البيت مما لا يطعم ولا يلبس مثل الحطب والبزر واجرة بيت وما اشبهه وبعض
العلماء يقول لاهله ارفقوا بدهن المصباح فانما توقدون لحمي ودمي قيل كيف قال لانكم
توقدون من كسبي وكسبي من ديني وديني من لحمي ودمي ويقال من تفقد من اين يكتسب الدرهم
تبصر اين يضعه ومن لم يبال من اين كسبه لم يبال فيما انفقه وقال بشر المال اذا جمع
من الشبهات لم ينفق الا في شهوات وقال سري لا يصبر على ترك الشهوات الا
من ترك الشبهات وروي عن النبي عم انه اتي بلبن فسأل عن اصله فاخبر به فسال
عن الاصل الاصل فاخبر به فلما رضيه شرب منه فهذا حكم الحلال ان تعرف عين الشيء
ثم تعرف اصله فاذا صح اصله واصل اصله سقط عنك ما وراء ذلك فان لم تعلم ذلك دع عين
واجتنب مسلم تقتحم اخبار لكعقام علمك وفي الخبر لا تاكل الا طعام تقي ولا يأكل طعامك الا
تقي لان التقي قد استبرأ لدينه واجتهد بعلمه واحتاط لنفسه عنك البحث والاجتهاد لانه قد ناب
عنك فيه وقام لك به فكفاك كلفته فغنيت عن تكلفه وكذلك جاءت الاحاديث على هذا المعنى
اذا دخل احدكم منزل اخيه فقدم اليه طعاما فلياكل من طعامه ولا يسال ويشرب من
شرابه ولا يسئل لانه قد كفى السؤال عما قد كفي تكلفه والتكلف ليس مما يعلم المسلم ان اصل وجود الحلال
في الكافة عدل الائمة واستقامة الولاة وطاعة اولياهم لله عز وجل بقتالهم معهم في سبيل الله

لصلاح

اربع نسوة يكون يباشرها في الليلة الرابعة وبهذا قضا عمر رض للرجل ان يأتيها في كل اربع ليال ليلة
وكان رسول الله عم يقسم بين نسائه فاراد ان يطلق سودة بنت زمعة لما كبرت فوهبت ليلتها
العايشة رض ورسالته ان يقرها على الزوجية لتحشر في نسائه فتركها ولم يكن يقسم عليها فكان يقسم
لعايشة رض ليلتين ولساير نسائه ليلة فان علم صاحبها الى الكثر من ذلك كان عليه ان يفعلها
هو اقرب الى تحصينها واثبت لعفافها وان علم منها كراهة ذلك وقلة همتها به لم يكن عليه الا فضاء
اليها الا في كل شهر مرة وعليها ان لا تمنع ليلا ولا نهارا وفي كل وقت وان كانت صايمة فلا تحل لها ان تقوم
الا باذنه وتزوج علي رض بعشرة نسوة وتوفي عن اربع وسبع عشرة سرية وتزوج الحسن بن علي رض مايتين وفي
امراة وقيل ثمانية وكان علي رض يكره حيا من اهلهن اذا طلقهن وكان يقول في خطبته ان حسنا
مطلاق فلا تزوجوه فقام رجل من همدان فقال والله يا امير المؤمنين لننكحنه ما شاء فمن احب امسك
ومن كره فارق فسر علي بذلك فانشا يقول ولو كنت بوابا على باب جنة لقلت لهمدان ادخلي بسلام وهذا
احد ما كان الحسن رض يشبه فيه برسول الله عم وكان يشبهه في الخلق والخلق وقال له الرسول اشبهت خلقي وخلقي
وقال حسن مني وحسين من علي وكان الحسن رض ربما عقد على اربعة وربما طلق اربعة في يوم وارسل غلام
بطلاق امراتين متع كل واحدة بعشرة الاف فقال له الرسول اما احديهما فبكت وقالت متاع قليل من حبيب
مفارق فاطرق ثم قال لو كنت مراجعا امراة لراجعتها وعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحب النكاح ويكره
الطلاق فانكحوا ولا تطلقوا وقال احمد بن عيسى لما تزوج بامراته على اي شيء تزوجت لي وعزمت في قالت
ان اقوم بحقك علي واسقط حقي عنك وقال ابو سليمان ما رايت احدا من اصحابنا تزوج فثبت على مرتبة الاولى
واستحب للرجل اذا اراد التزويج ان يشرح شانه ويبين اخلاقه للمراة حتى تكون على بصيرة من امراة
وتقي من حاله ومدخل على الاختيار منها فذلك من الورع فعل بعض السلف وروينا ان شعيب بن حرب
لما اراد ان يتزوج قال للمراة اني سيئ الخلق قال هذا اسوء خلقا منك من يحوجك الى سوء الخلق فليكن
حينئذ في النكاح نيات لانه من اكبر الاعمال ولا يدع نكاحا من اجل هواه بمجرد وعن النبي عم ما انفق
الرجل على اهله فهو صدقة ومنها انه كالمجاهد في سبيل الله وقال رجل لبعض العلماء وهو يعد دنعم الله
عليه من كل عمل قد اعطاني الله نصيبا حتى ذكر الحج والجهاد وصنوف العبادات فقال له العالم فاين انت
عن عمل الابدال قال وما هو قال الكسب الحلال والنفقة على العيال وقال ابن المبارك لاخوانه وهم
في الجهاد في سبيل الله تعلمون عملا افضل مما نحن فيه قالوا ما نعلم ذلك جهاد في سبيل الله وقتال
الاعداء في سبيل الله اي شيء افضل من هذا قال لكني اعلم قالوا وما هو قال رجل متعفف ذو عيلة
قام في الليل فنظر الى صبيانه نياما متكشفين فسترهم وغطاهم بثوبه فعمله هذا افضل من جهادنا في سبيل الله
وعن رسول عم من حسنت صلوته وكثر عياله وقل ماله ولم يغتب المسلمين كان معي في الجنة كهاتين
وفي الخبر الاخر ان الله تعالى يحب الفقير المتعفف ابا العيال ومن النيات في ذلك ان الاهتمام بمصلحتهم
والغم على نوايبهم زيادة في حسناته لانه عمل من اعمال وفي الخبر اذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بالهم
ليكفرها وقال بعضهم من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الغم بالعيال وله في الصبر عليهن وحمل الاحتمال
لاذاهن ومن العشرة لهن ثواب واعمال الصالحات وعن الحسن رض اذا اراد الله بعبد خيرا لم يشغل

ان الله

الله

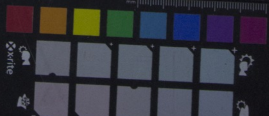


باهل ولا مال قال احمد فتناظرنا في هذا الحديث جماعة من العلماء فاذا ليس معناه ان لا يكون
له امراة ولكن يكونون له ولا يشغلونه وانما يحسن ترك النكاح بمشغول الهم عن الفكر فيه
ذي نفس مطمئنة وعين خاشعة وقلب ذي خشية كما قال داود الطائي رحمه منذ خمسين سنة
ما خالط ذكري ترح وقيل لبعضهم هل دخل ذكرك ترح قال لا ما منذ قرأت القرآن قال فاما
بطال ذو نفس امارة ونظر باقية وشهوة قوية فالنكاح من احسن اعماله وارفع احواله
لان المباح مقام من لا مقام له وقال عم من نكح المراة لمالها وجمالها حرم مالها وجمالها ومن
نكحها لدينها رزقه الله مالها وجمالها والرغبة في المراة الناقصة الخلق الدنية الصغيرة الكبيرة
السن باب من الزهد واستحب ان ينظر الى وجهها قبل التزوج بها والى ما يدعوه منها قال عم
اذا اراد احدكم ان يتزوج منهن فلينظر اليهن وقال اعمش رحمه كل تزويج يقع على غير نظر
آخره غم وهم ولا يغالي في المهر فقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض نسائه على عشرة
دراهم واثاث البيت كان رحا وجرة ووسادة من آدم حشوها ليف والوليمة سنة
وترك الاجابة اليها معصية ولا يصلح للمتزوج ان يسال اي شيء للمراة ولا يحل له ان يدفع شيئا
لياخذ الكثر منه ولا يحل لهم ان يهدوا اليه شيئا ليضطر الى ان يكافي باكثر منه وليس عليه ان
يزيد فوق قيمته ان كافاه وله ان لا يقبل هديتهم اذا علم ذلك منهم وهذا كله بدعة في النكاح
وهو كالتجارة في التزوج وهو داخل في الربا وهو يشبه القمار وليس نكاح هذا للدين ولا للآخرة
ولا ينكح لمبتدع ولا فاسق ولا ظالم ولا شارب خمر ولا اكل الربا فمن فعل ذلك فقد ثلم دينه وقطع
رحمه ولم يحسن الولاية لكريمته لانه ترك الاحسان وليس هؤلاء اكفاء للحرة المسلمة العفيفة وقال بعضهم
النكاح رق فلينظر احدكم عند من يرق كريمته وقال بعضهم لا تنكح الا تقيا فانه ان احبها اكرمها وان
ابغضها انصفها ثم للعبد ان يعلم اهله ما لا يسعهم جهله من الفرايض واحكام الصلوة وشرايع الاسلام
واعتقادات المؤمنين من السنة وما عليه مذهب اهل الجماعة وعلم الحيض واختلاف اوقاته وزيادته
ونقصانه واحكام الاستحاضة ووقت الاطهار قال فان قصر عن تعليمها فلها ان تخرج الى السؤال عما
لا يسعها جهله عن علم التوحيد ومباني الاسلام وعقود الايمان وليس لها ان تخرج بغير اذنه لطلب علم
يرجا فضله وليس للمراة ان تحمل زوجها على المكاسب الحرام ولا ان تكلفه ما يقترف به الآثام ولا للرجل ان يدخل
مداخل السوء ولا ان يبيع آخرته بدنياه فان صبرت معه على البر والتقوى امسكها وان حملته على الاثم
والعدوان فارقها وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته ويقال اول ما يتعلق بالرجل زوجته وولده
فيوقفونه بين يدي الله فيقولون يا ربنا خذ بحقنا من هذا فانه ما علمنا ما نجهل وكان يطعمنا الحرام
ونحن لا نعلم قال فيقتص لهم منه وفي الخبر ان العبد ليوقف عند الميزان وله من الحسنات مثل الجبال فيسال
عن رعاية عياله والقيام بهم وعن ماله من اين كسبه وفيما انفقه حتى تستفرغ تلك المطالب كل اعماله
فلا تبقى له حسنة فتنادي الملائكة هذا الذي اكل عياله حسناته في الدنيا وارتهن اليوم باعماله فلهذا
قال بعض العلماء اذا اراد الله بعبد شرا سلط عليه انيابا تنهشه يعني العيال وفي الخبر لا يلقى الله عبد بذنب
اعظم من جهالة اهله وفي الخبر المشهور كفى بالعبد اثما ان يضيع من يقول وروي ان الآبق من عياله

بمنزلة



لصلاح الدين وحيطة المسلمين كما ان اصل ظهور الحلال وانتشاره تقوى الرعية فاذا قل ذلك وكانت
الامراء على ضد ذلك غمض الحلال واختفى وظهر الحرام وفشى فكان الحلال قليلاً عزيزاً وقيل لابن المبارك
يظهر بعد المائتين عدل فقال تذاكرنا ذلك عند حماد فغضب وقال ان استطعت ان تموت بعد المائتين
فمت فانه يحدث في ذلك الزمان امراء فجرة ووزراء ظلمة وامناء خونة وقراء فسقة حديثهم فيما بينهم التلاوم يسمون
عند الله تعالى الانتان وقال يوسف بن اسباط ووكيع لم نر زاهداً في زماننا هذا احتى يكون كابي ذر وابي الدرداء
في الزهد ما سميناه زاهداً قيل ولم قال انما الزهد عندنا هو الحلال المحض والحلال المحض لا نعرفه اليوم
ومات يوسف ووكيع قبل المائتين وقال السلف الصالح اني لاستحيي من الله تعالى ان اسأله بعد المائتين
ان يرزقني حلالا ولكن اسأله ان يرزقني رزقا لا يعذبني عليه ويقال ان عليا رضي الله عنه لم يأكل بعد
قتل عثمان رض ونهب الدار الا طعاما مختوما عليه فقيل له الختم على طعامك فقال نعم اخاف ان يخلط فيه
ما ليس منه وروي ان جماعة من الصحابة رض ما شبعوا من الطعام من حين قتل عثمان لاختلاط اموال اهل
المدينة بنهب الدار وقال شقيق ان المكاسب اليوم قد فسدت وان التجارة والصنايع شبهات كلها
ولا يحل الاستكثار والادخار منها لوجود الغش وعدم النصح قال وانما ينبغي للمسلم ان يدخل فيها
ضرورة وقال كنا نستكثر الانبياء عليهم لانهم اعانوا على اماتة سنن النبيين ودروس طرق الاخرة
ومن ابطل سنن نبي فكانما قتله هذا يقوله في سنة سبعين ومائة فاذا كان الامر بها المسلم الموفق
يوعد الله وعيده على هذا عند العلماء السلف والاخيار من الخلق في ذلك الوقت فيكون بوقتك هذا
وكان خالد القسري لما ولي مكة بعد ابن الزبير اجرى انهارا في طريق اهل اليمن الى مكة فكان طاوس ووهب
منبه اليمانيان اذا مرا عليه لم يتركاه وانهما يشربان منه وكان لطاوس اليماني بضاعة يتجر فيها من اليمن فاشترى
مضاربه ببضاعته اديما من بعض اولياء السلطان فكتب اليه طاوس افسدت علينا مالنا اذهب
ان التبس بشيء منه فبع الاديم بالثمن وتصدق بجميع المال على الفقراء ولا يدخل منه الي درهم واحد و
انا استغفر الله من طعمته للفقراء وارجو ان اجزى كفافا لا علي ولا لي يقال كان ذلك سبب فقره ولم يكن له
مال غيره فبقي بغير معلوم من دنيا وقد كان من سيرة القدماء من اهل الورع ان لا يستوعب احدهم كلية
حقه بل يترك منه شيئا خشية ان يستوفي الحلال كله فيقع في الشبهة فانه يقال من استوعب
الحلال كله لم يسلم من الحرام فكانوا يستحبون ان يتركوا بينهم وبين الحرام حاجزا من غير حقوقهم من الحلال لقوله عليه السلام
من يرتع حول الحمى الحديث وقال تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان قالوا فالعدل ان تاخذ حقك وتعطي
الحق والاحسان ان تترك بعض حقك وتبذل فوق ما عليك من الحق لتكون محسنا فان الله تعالى امرنا
بالاحسان كما امرنا بالعدل فاما اموال التجار والصناع والمتصرفين في المعاش المباحة بالكتاب
الجائزة في العلم مع موافقة الكتاب والسنة فهي شبهات ثم يتنوع نوعين فتكون شبهة حلال اذا عاملت المتقين
واخذت من الورعين وتكون شبهة حرام اذا عاملت قليلي التقوى والورع واما غير ذلك من اموال الجند فانه
حرام لفساد سببه لمخالفة الاحكام به فما كان من معاملة لهم وكسب لم يعلم شيئا بعينه غصبا ولا خيانة
فهو اسهل وما علمته فهو محض الحرام فالله الله في نفسك انظر لها المسكين لمعادك واحتط لدينك فان كسبك من
دينك فطعمتك من ايمانك فان تهاونت بذلك فقد تهاونت بالدين نعوذ بالله من سوء القضاء ويقال ان العبد



اذا ظفر من العبد سوء الطعمة لم يعترض عليه في الاعمال ويقول قد بلغت حاجتي منك اعمل الان ما شئت
فلم يعد عليه من اعمال الاظلمة في قلبه وقسوة والضعف في عزمه وفتور ومعصية وحرم التوفيق
والصمة ولم يورث علم الملكوت والحكمة واذا كان المتصرف في السوق على الوصف المكروه مخالف العلم
في تصرفه مفارقا للاحكام في معاملته وساعيا الجمع والتكاثر حريصا على ما قد كفي حريصا منهوما في اخذ
الدرهم لا يبالي من اي وجه ظهر وباي سبب عليه قدر غير متق في كسبه ولا مراعي لدين الله فيه وحكمه فهو
آكل المال بالباطل قاتل لنفسه مفسد لدينه غاش لاخوانه المسلمين والله لا يصلح عمل المفسدين كما لا
يضيع اجر المحسنين فلهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا واوحى
الله تعالى الى بعض الانبياء لا تتخذوا الاهل والمال فهن من العقوبات من كتاب الطب
قال اهل المعرفة بطبايع الاطعمة احمد التمور الهيرون ثم البرني واحمد الحلو الحلواة وقالوا اصلح
من التمر احمد مما اسود وخير السمك الشبوط والتاني والتباح وخير البيض الدجاج السود ولا خير
في بيض الهبة واحق البيض الرقيق وانقله الطب ولا يعص من الرواس للدماغ ولا للسان
ولا المخ الطيم واخف لحم العنق من كل الحيوان وفي الخبر العنق هادية الشاة وابعدها من الاذى و
الفقاع يشرب قبل الطعام ولا يشرب بعده ولا يشرب اللبن ولا يوكل الا بعد وضع الشاة بشهر
او عشرين يوما ويوكل بعد الباقلي العود نج فانه يذهب بنفخه ويطرح في المطبخ العودنج ويوكل
بعد اللوبيا الخردل الرطب والملح يستقبل به الطبيخ فاقدل ولا يوكل من الفاكهة الا ما نضج في شجرة
ثم يلقى نقله وعجمه ولا يوكل الاعلى ريق ولا يوكل منه الا الباذنجان يشقق ويحشى ملح ويترك
في الماء البارد ساعة ثم يصبغ ثم يستعمل بعد ذلك واذا كثر من الباذنجان ولد الكلف في الوجه
واورث السرطان والاورام الصلبة وقال يحيى بن خالد يستان يورثان القمل التين اليابس
اذا اكل وبخار الكندر اذا دخن به قالت الاطبا ورق الخوخ اقماع اذا دق وعصر وشرب
اسهل حب القرع والحيات والديدان المتولدة في البطن وان تدلك بورقه بعد النورة نفع
الجسد حماض الاترج اذا لطخ به الكلف والقوبا اذهبه وحب الاترج نافع من السموم ورق التفاح
الغض اذا دق بالرفق اياما خمسة او ستة ثم ضمد به الورم قلعه من غير ان يقيح موضع التفاح
يشم ولا يوكل قال حكماء الروم الحبق الذي ينبت على شطوط الانهار نافع من الرمد اذا دق
ونخل واكتحل به وان مضغه ما ضغ ثم وضعه على عينه نفعه قالوا وماء البورنج النهري يدر
الطمث فان اخذت منه الجبلي اوقية وطبخ بنصف رطل ماء حتى يبقى منه الثلث وشرب اسهل السوداء
الطرخون يوكل مع الكرفس نافع الراس يقوي المثانة وينفع من يقطر البول اذا كان من برد
الكشوث يذهب بالدود قاله عنب الثعلب قاطع لدم الحيض ان شرب او تحمل به والكرفس ان
طبخ وشرب ماؤه كان دواء من وجع الكليتين من الاسر والحمص محسن اللون للبدن فلبن
المرضعة يدر دم الحيض وهو مكثر للمني ويدفي الجماع وان خلط بالباقلي سمن والباقلى اذا ادمن
عليه اكل البصر واحق الاحلام اضغاث لا تاويل لها والخردل نافع من الحمى الربع والحيات المقاتلة
وينفع من وجع الارحام ويخفف اللسان الثقيل من البلغم ويقتل الرطوبة مع الراس الحرف

يخرج



الحار

يخرج حب القرع من الجوف وينفع من عرق في الورك واذا سحق بالماء وشرب منه وزن خمسة
دراهم اسهل الطبيعة ونفع من القولنج قال ابن سيرين ان سويق العدس بارد وهو يدفع الدم
شتم الخيار صالح لمن اصابه العشى من الحرارة بزر القثا اذا شربه من به الاسر نفعه وان اصاب صبيا
حمى فالرقت قثاتان بمسان جاره عن يمينه والاخر عن شماله ساعة واحدة قلعت الحمى فالرتي عنه
السلق اذا دق مع اصله وعصر ماؤه وغسل به اذهب بالاثر واطال الشعر القرع اذا شوي بالنار
ثم عصر فجعل ماؤه في اذن من يشتكي اذنه نفعه وان دهن منابت شعر اللحية بدهن القرع المد
المد وقثا الحمار مداف فيه سحج ارمني اسرع فيها ينات العشر بقلة الحمقا وهو الرجلة اذا
اذا مضغت اذهبت شهوة الجماع وتذهب الضرس السذاب قاطع لشهوة الجماع الخس اذا اكل
على الريق نافع لتغيير الماء ومن تيادا بالاحتلام اذا شرب بزره بماء بارد الحول يكسر اللبن سد
للبول الا انه يورث ضعفا في البصر وان اغلي ماؤه ثم صفي واكتحل جلا البصر الضعيف من الرطوبة
وهو الباذروج ويزعم الروم ان ماءه ينفع الاطفال من الحمى قالوا وهو يفسد الذهن ويورث
النسيان وقال الروم من نظر عند رؤية الهلال الى الهندباء يخلف بالقمر لا ياكل هندباء ولا لحم فرث
سلم في كل شهر يخلف فيه من وجع الضرس قالت الاطباء الكراث النبطي اذا ادمن كانت منه
الاحلام الردية وولد الى الرأس بخارا فان صب في مائه خل ودقاق كندر واستعط به سكن
الصداع وان سلق وضمد لبواسير العارضة من الرطوبة نفع منها وماء الكراث اذا خلط بمثله
من البان النساء ودهن الورد والكندر فكحل به غير من اصابته عشوة في بصره ليلة نفعه
واكل البصل نافع كذلك ايضا والبصل اذا اكتحل بمائه مع العسل جلا البصر والمسلوق منه
يدر البول والاكثار منه يفسد العقل قال شكوت الى حنين المتطبب علة كنت اجدها في
حلقي لا اكاد معها على ابتلاع ريقي فقال لي تغرغر بعقيد العنب مع خمير ثلثة ايام في كل يوم
ثلث مرات ففعلت ذلك فذهب قالوا اذا دق الكرنب وخلط بشيء من زاج الاساكفة وشيء
من خل فاديف ذلك كالخطمي ثم طلي به جرب او برص نفع باذن الله تعالى قالوا في الفجل هاضم
الطعام وان اكل بزره بعسل كان دواء من السعال
الفجل
الرطب فطرح على عقرب ماتت وماؤه وبزره بمنزلة الترياق للسموم وان طلى احد يده
بمائه ثم قبض على حية او غيرها من الهوام لا يضره ذلك الموضع وان دق بزره مع الكندر
وطلي به البهق الاسود في الحمام اذهبه وان شرب ماء ورقه نفع من اليرقان الحادث من
الطحال قالوا في لحم الماعز يحرك السوداء ويفسد الدم ويورث الهم واحد اللحمان ما كان
من المعز والضان وكان فتيا ولا خير فيما اسن ولحم الضان نافع من السوداء شر اللحمان
واغلظها لحم الدجاج الهرم البيض ان سلق بالخل واكل بالسماق وحب الرمان المقلو والملح
المشوي عقد الطبيعة الزبدان طلي على منابت اسنان الطفل كان معينا
على نباتها وطلوعها والمخ والدماغ يفعلون ذلك ايضا قالوا الكماة تورث وجع القولنج والفلج
والسكتة والذباب لا يقرب قدرا فيها كماة ومن اراد اتخاذ الكماة الكمة اليابسة جعلها في

في الطين للحق يوماً وليلة ثم غسلها واستعملها وقد روي قتادة عن شهر بن جوشب عن ابي هريرة رضي الله عنه
رفعه الكماة من المن وماؤها شفاء للعين والعجوة من الجنة وهي شفاء من السم وقال بعض اهل الطب
الفقاع المتخذ بدقيق الشعير نافع من الجذام قال الشيخ ابو طالب رضي الله عنه هنا ما نقلته نقله
ورسمته من كتب اهل الاثر ونقله الاخبار على اهل العلم بطبايع النبات
وهي حكمة الله سبحانه اودعها خواص الاشياء نافعة وضارة باذنه
وقد ردتُ عن حكمه وحكمته وانا بريّ من عهدتها اذ لا يقين
عندي بحقايقها ولا قوة الا بالله قد وقع الفراغ من
تحريرها حامدا لله ومصليا على نبيه محمد في يوم الخامس
من شهر ذي القعدة الشريفة في سنة
ست وستين بعد الالف
على يد العبد الفقير الحقير
بن نوبر الراجي رحمة
ربه طليل بن اسمعيل
غفر الله له ولوالديه
ولجميع المؤمنين
والمومنات
والمسلمين
والمسلمات
برحمتك يا ارحم الراحمين

صح

انتهى كتاب منتخب قوت القلوب في معاملة المحبوب
ووصف طريق المريد الى مقام التوحيد والحمد
لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد
واله وصحبه وانا اتنا عنه واولاده
اجمعين برحمتك
يا ارحم
الراحمين